السنة السابعة العدد ٧٦ جمادى الثانية ١٤٠٢ هـ - ابريل ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

● .. ولماذا نصادر هذه الكتب؟!

● قصيدة جديدة لمحمود درويش



حلمي التوني

من روائع الأدب العالمي

النورس الرمادي



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٦ - جمادى الثانية ١٤٠٢هـ - أبريل ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٤ ريالات
البحرين	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم
عمان	٢٠٠ بيسة
الكويت	٢٥٠ فلسا
السعودية	٤ ريالات
الجمهورية اليمنية	٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية	٢٥٠ فلسا
العراق	٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية	٢٠٠ فلس
سوريا	٢٠٠ قرش
لبنان	٢٠٠ قرش
مصر	١٥٠ مليما
ليبيا	٣٠٠ درهم
السودان	٢٠٠ مليم
تونس	٣٠٠ مليم
الجزائر	٣ دنانير
المغرب	٣ دراهم
باقى دول العالم :	
ما يعادل دولارين أمريكيين	

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديبان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NIO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
- مكتب جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩٠٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

● ليبيا :
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الأردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هذا العدد



د . محمد جابر الأنصاري



خالد محمد خالد



عبد الله الجفري



فتحي رضوان

● لماذا نصادر هذه الكتب ؟ ... ...
رجاء النقاش ٦

● محاكم التفتيش العربية والأجنبية ... ...
د . يوسف ادريس ١٠

● قالوا هـــذا الشهر ١٣

● اني اتهم ! ... ...
د . محمد جابر الأنصاري ١٤

● لا باس الا يكون لي تاج . ما دام معي قلم ! ... ...
خالد محمد خالد ١٨

● لماذا يضعون الاسلام فى قفص الاتهام !؟ ... ...
فتحي رضـــوان ٢٢

● لبنان فى انتظار الرئيس السابع ... ...
عصام شريح ٢٨

● من القدس إلى القاهرة ... بالقطار ... ...
سياسي عربي كبير ٣٢

● الساعة الثانية « قصيدة » ... ...
محمد المهدي المجذوب ٣٥

● السفر على الرمال ... ...
عبد الله جفري ٣٦

● الموت على تل العقـاب ... ...
صلاح عيسى ٣٨

● معرض فني للتراث العربى فى شيراتون الدوحة ... ٥٠

● عيون تنفذ إلى باطن المستور ... ...
د . عبد المحسن صالح ٥٨

● حـــوار مع فنان عربي ... ...
حسن المـلا ٦٤

لوحة الغلاف الأول : النورس الرمادى : للفنان حلمى التونى



● مسرح قطـر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية
كمـال سـعد ٦٨

● معجم عربي .. للتعريف بالعلوم .. ..
درويش مصطفى الفـار ٧٣

● سنة اخرى ... فقط « قصـيدة » ... ...
محمـود درويش ٧٤

● حكاية مخرج تعذبه الحكايات ... ...
رءوف توفيق ٧٦

● شاعرة على خلاف المعهود ... ...
ترجمة : عبد اللطيف عبد الحليم ٨٢

● الصخرة والهزيمة « قصيدة » ... ...
م . كجراي ٨٧

● تلك الليلة « قصـــة » ... ...
مايسـة الخليفي ٨٨

● غاندي ومواقفه السياسية ... ...
محمد العزب موسى ٩٠

● الـــذكاء ... ...
د . عبد الرحمن العيسوي ٩٦

● البلبل ولغته القديمة « قصيدة » ... ...
د . كمال نشات ٩٩

● سجينة المرجان .. فى انتظار الزيارة القادمة ... ...
صنع الله ابراهيم ١٠٠

● لقطات من الكون المثير ١٠٨

● عبد القادر درويش .. ٥٠ عاما مع الشعر ولا يزال مجهولا !
يوسف محمد سليمان ١١٠

لوحة الغلاف الأخير :
راعية الغنم : للفنان القطرى محمد الجيده



● قوة الجذور « قصة » ... ...
عبد الله الطوخي ١١٢
● الفتنة بالشاعر الميت .. خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ١١٦
● لطات ثقافية ١٢٤
● لنورس الرمادي ... ...
ترجمة : عادل شريف ١٢٦
● دائرة المعارف القرانية : « الكفارة » ... ...
د . محمد البهى ١٣١
● احمد البشر الرومي : العاشق الذى اصبح جزءاً من
تاريخ بلده ... ... محمد عبد الحميد ١٣٢
● دحة الماضى ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٣٧
● شعر عمر بن ابي ربيعة فى الغناء الاموي ... ...
كمال النجمي ١٤٠
● شاعر العاصفة والأمطار « قصيدة » ... ...
د . سعد دعبيس ١٤٤
● سر الجاذبية فى اللغة العربية ... ...
حامد بدر ١٤٦
● الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة على جبهة
طوابع البريد ... ... صلاح عيسى
● فيروز « قصيدة » ... ...
ناهض الريس ١٤٧
● الحرب .. وفن صياغة الحلي ... ...
نجلاء العزي ١٤٨
● مواطن افريقي يجد فى الموت كل احلامه فى الحرية
قيلي احمد عمر ١٥٤
● دوحة القراء ١٥٦
● استراحة الدوحة ١٦٠
● الورقة الاخيرة : الشعر ومستقبله ... ...
د . علي حسن تقي ١٦٢

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : محمد نبيل الحداد
نائلة محمد فتحي

سكرتير التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

لماذا نصادر هذه الكتب؟

ولماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار والعقول بالعقول؟

بقلم : رجاء النقاش

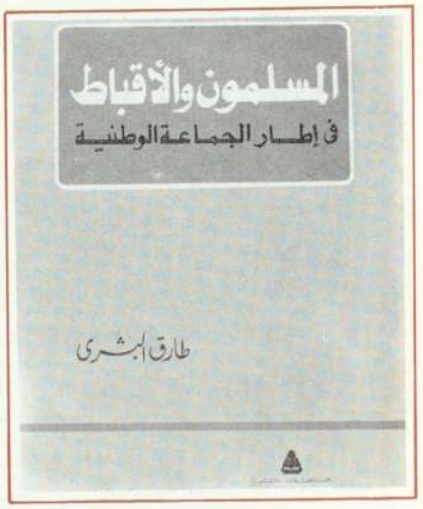
بالتجربة ... ثبت أن كل كتاب نصادره يزداد انتشاراً ويصبح عزيزاً عند كل قارىء ... وبالتجربة أيضاً ... ثبت أن محاربة الأفكار لا تكون إلا بأفكار أخرى ... وخير ما يواجه العقول إنما هى عقول مشابهة ترد وتناقش وتحاور وتجادل بالتى هى أحسن ... ومن هنا نتساءل لماذا صدر قرار بمصادرة هذين الكتابين ... وغيرهما من الكتب الأخرى التى أصبحت ممنوعة بقرار رسمى واضح ، أو قرار سرى مجهول المصدر ؟

لقد أثبتت حقائق الحياة الفكرية فى العصر الحديث ، بل وقبل ذلك أيضاً ، أن أكثر الكتب انتشاراً ، هى الكتب التى تتعرض للمصادرة ، حيث لم تنجح المصادرة أبداً فى حجب فكرة أو منعها أو الوقوف فى وجهها .

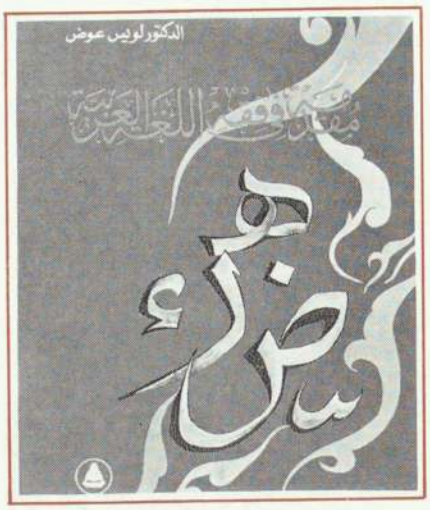
وأذكر فى هذا المجال تجربة وقعت سنة ١٩٦٨ ، عندما صدر فى مصر قرار بمصادرة قصيدة « نزار قبانى » المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » والتى كتبها الشاعر من وحى انفعاله وانفعال الأمة العربية كلها بهزيمة ١٩٦٧ . لقد رأت الرقابة التى كانت مفروضة على الصحف والكتب فى مصر ـ بسبب ظروف الحرب ـ أن قصيدة « نزار قبانى » تعبر عن أفكار تنطوى على تعريض ونقد لمصر ونظام الحكم فيها ، ولذلك قررت الرقابة مصادرة القصيدة ، وفى فترة المصادرة التى تعرضت لها القصيدة ، كانت هذه القصيدة تنتشر بين الناس بسرعة عجيبة ، وكأنها النار فى يوم عاصف ، ذلك لأن الناس كانت تنقل القصيدة بخط يدها ، وكان الكثيرون ينقلون نسخة لأنفسهم ونسخة أخرى يوزعونها على أصدقائهم ، إحساساً منهم بأنهم يقومون ـ من خلال هذا العمل البسيط ـ بكشف النكسة وفضح بعض الأسباب الكامنة وراءها ، وهكذا أصبحت النسخ المخطوطة من القصيدة تفوق فى عددها أى نسخ مطبوعة .

عبد الناصر ونزار قبانى

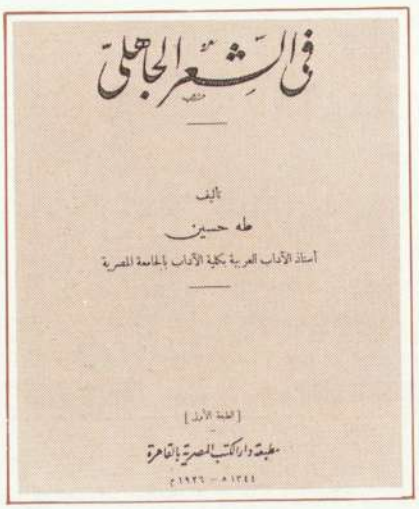
على أن مصادرة القصيدة لم تستمر، فقد التقيت بنزار قبانى فى بيروت فى تلك الفترة ووجدته منفعلا غاضباً لقرار المصادرة ، وللحملة التى كان يشنها عليه ـ بسبب القصيدة ـ عدد من كتاب مصر وعلى رأسهم المرحومان : يوسف السباعى وصالح جودت وأشرت على « نزار قبانى » بكتابة رسالة إلى



غلاف كتاب « المسلمون والاقباط فى الجماعة الوطنية » لطارق البشرى ، وهو الضحية الاولى التى تعرضت للمنع والمصادرة وكان المفروض على العكس أن يكافىء المؤلف على كتابه العظيم .



غلاف كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض ، ورغم ما فى الكتاب من اراء نعترض عليها أشد الاعتراض ، إلا أن فى الكتاب جهدا علميا كبيرا ، ومواجهة ما فى الكتاب من اراء خاطئة يكون بالجدل والحوار ، وليس بالمصادرة .



الطبعة الاولى من كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » وقد صدرت هذه الطبعة سنة ١٩٢٦ ، وصدر بعدها عشرة كتب على الاقل فى الرد على هذا الكتاب ومناقشته وتفنيد ما ورد فيه من اراء .

الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » ، وكتب « نزار » رسالة جميلة ومؤثرة وجريئة وحملت الرسالة معى إلى مصر ، وسلمتها – عن طريق بعض الأصدقاء – إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة ، ووصلت الرسالة إلى عبد الناصر ، وكان لها تأثيرها السريع ، وطلب منى الصديق الكبير النبيل الأستاذ محمد فايق الذى كان وزيراً للاعلام فى ذلك الحين أن ابلغ نزار قبانى بقرار عبد الناصر ، الذى ألغى المصادرة وألغى كل إجراء ضد نزار وقصائده ، وأطلعنى الأستاذ فايق على تعليق عبد الناصر بخط يده على رسالة نزار ، وفيه يقول عبد الناصر ما معناه – فأنا لا أذكر الآن نص التعليق : يلغى قرار مصادرة القصيدة ولا تتخذ أى اجراءات ضد نزار قبانى .

وكان محمد فائق نفسه ضد المصادرة ومع حرية الفكر .

على أن قرار عبد الناصر مع ذلك جاء بعد أن أصبحت القصيدة فى فترة منعها موجودة فى أيدى الناس على نطاق واسع .

بين كافور والمتنبى

وإذا كانت « المصادرة » فى العصر الحديث غير مجدية ، حيث أصبحت أجهزة الاتصال من تليفزيون وإذاعة ونشر و « كاسيتات » وغير ذلك ميسورة ، مما يتيح لأى فكرة أن تنتقل بسهولة بين الناس ... إذا كان هذا صحيحاً فى العصر الحديث ، فقد كان الأمر على نفس الصورة فى العصور القديمة ، حيث لم تكن هناك تلك الأجهزة المتطورة ، التى تجعل وصول الكلمة ميسوراً إلى الناس سواء كانت هذه الكلمة مسموحا بها أو كانت ممنوعة ومصادرة .

ويكفى أن نذكر مثالا معروفاً فى تاريخ الأدب العربى ، وهو مثال المتنبى فى قصيدته العنيفة الشهيرة ضد « كافور الاخشيدى » ، والتى كان مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

لقد « هرب » المتنبى من مصر ، وترك هذه القصيدة الهجائية المريرة فى بيته الذى كان يقيم فيه بالفسطاط ، وهى الحى الذى نسميه الآن باسم « مصر القديمة » ، وكان « كافور » حاكماً قوياً ، وقد حاول – بكل قوته ونفوذه – أن يطارد المتنبى ليقبض عليه ولكنه عجز عن ذلك ، فقد أفلت منه الشاعر فى عملية هروب رائعة منظمة أشد التنظيم على أن « كافور » لم يعجز عن مطاردة الشاعر ورده إلى مصر فقط ، بل عجز عن منع انتشار القصيدة التى كتبها المتنبى ، ولم يترك منها فى مصر – كما روت بعض المصادر – سوى نسخة واحدة ، وهذه النسخة الواحدة أصبحت ألافاً من النسخ ، وانتشرت القصيدة وحفظها الناس فى عصرها ، وبعد عصرها ، ومازالت إلى اليوم قصيدة محفوظة ومشهورة رغم مرور أكثر من ألف سنة على كتابتها .

وهكذا فان « المصادرة » -بالدليل الواقعى – لم تكن فى يوم من الأيام وسيلة ناجحة فى منع الفكرة أو الكلمة من الانتشار والذيوع ، وليس من سبيل سليم لمواجهة الكلمة إلا بكلمة مثلها ، والفكرة بفكرة مقابلة .

طه حسين فى العاصفة

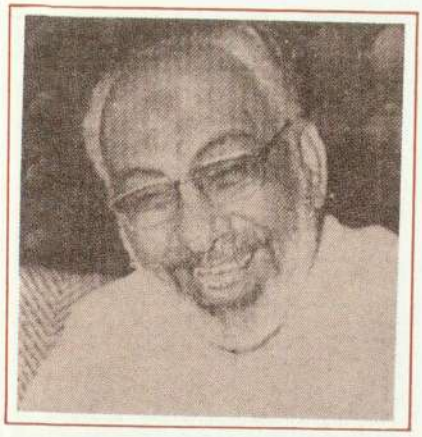
ولاشك ان الجيل السابق فى تاريخنا الأدبى والفكرى كان يدرك هذا المعنى أكثر مما ندركه نحن فى هذا الجيل ، فعندما أصدر « طه حسين » سنة ١٩٢٦ كتابه المعروف « فى الشعر الجاهلى » ، كان هناك من يطالبون بمصادرة الكتاب ومحاكمة المؤلف ، ولكن المثقفين أنفسهم رفضوا فكرة المصادرة والمنع ، وتصدوا لطه حسين يناقشونه بعنف وقوة ، وصدرت على الفور عدة كتب ترد على كتاب طه حسين ، وتفند ما جاء فيه من آراء ، وقد بلغت هذه الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طه حسين ما يقرب من عشرة كتب ، من بينها كتاب « تحت راية القرآن » للأديب العربى الكبير « مصطفى صادق الرافعى » ، ومن بينها كتب أخرى للشيخ « محمد الخضر حسين » ، والدكتور « محمد الغمراوى » والدكتور « نجيب البهبيتى » و الدكتور « ناصر الدين الأسد » ، والأستاذ « محمود محمد شاكر » . فى مقدمة الطبعة الجديدة من كتابه عن المتنبى . وقد قام الأستاذ شاكر بالسفر إلى السعودية ليعيش فى نفس البيئة التى عاش فيها شعراء الجاهلية ، وليجمع الأدلة الواقعة الدقيقة ضد رأى طه حسين صحيح أن طه حسين قد اضطر إلى سحب الطبعة الأولى من كتابه ، ثم قام باجراء بعض التعديلات فيه وغير اسمه الأصلى وهو « فى الشعر الجاهلى » إلى اسمه المعروف به الآن وهو « فى الأدب الجاهلى » ، ولكن الرأى السائد هو أن طه حسين



عبد الناصر .
لم يوافق على مصادرة قصيدة نزار قباني



محمد فايق .
موقف فى صف الحرية الفكرية



محمود محمد شاكر .
سافر الى السعودية ليبحث عن أدلة علمية
واقعية ضد كتاب « الشعر الجاهلى »

لماذا نصادر هذه الكتب؟

لم يغير جوهر نظريته فى الشعر الجاهلى ، وهى النظرية التى أشبعها الباحثون نقداً وتفنيداً ، وكشفوا عن جوانب الخلل والخطا فيها ، وكشفوا أيضاً أن نظرية طه حسين هذه ، إنما هى فى الأصل نظرية المستشرق الأوروبى « مار جليوث » ، وكانت هذه الردود العلمية على طه حسين أفضل وأنفع وأكرم للعقل العربى من قرار يتخذه موظف مهما علا شانه بمصادرة الكتاب .

حكاية المطار السرى

لعلنا بهذه المقدمة نكون قد أطلنا على القراء ، ولم ندخل بعد فى صلب الموضوع ، فالقضية التى أريد أن أثيرها اليوم هى قضية « قرار » بمصادرة كتابين كبيرين هما : « المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية » للأستاذ « طارق البشرى » ، والثانى هو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور « لويس عوض » ، وقد سمعت أن هناك قرارات بمصادرة عدد آخر من الكتب ، ولكننى سأتوقف عند الكتابين اللذين أشرت إليهما ، وساجعل حديثى مركزاً على هذين الكتابين دون غيرهما ، وما ينطبق على هذين الكتابين ينطبق على الكتب الأخرى .

وأول ما يلفت النظر فى الأمر ، أن هناك بعض الأخطاء الشكلية فى قرار المصادرة . وأول هذه الأخطاء ، أن الكتابين معاً قد صدرا عن هيئة رسمية هى « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ، أى أن الكتابين لم يصدرا عن جهة مجهولة ، أو جهة مشبوهة أو متهمة ، فهيئة الكتاب مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة المصرية ، والمفروض أن هذه الهيئة لا تسمح بصدور كتب تحمل اسمها ، دون أن تكون قد مرت بعملية مراجعة وتقييم ، بحيث يكون النشر نتيجة لقرار مدروس هو أن هذه الكتب لا خطر منها على البلاد أو على الرأى العام ، ولا معنى لأن تصدر هيئة الكتاب فى وزارة الثقافة أعمالا ، تقوم إدارة أخرى فى وزارة الثقافة نفسها بمصادرتها ، فهذا أمر يستحق المراجعة بل ويستحق إجراء تحقيق رسمى فيه من جانب وزير الثقافة المصرى ، الأستاذ محمد عبد الحميد رضوان ، وهو شاب نشيط متحمس . لا أظن أنه يقبل مثل هذا التضارب فى القرارات .

هذه هى « العجيبة » الأولى فى أمر مصادرة الكتابين ، فاما أن هيئة الكتاب كانت تدرى بما فى الكتابين من أخطاء — إن كان هناك مثل هذه الأخطاء — ومع ذلك فقد سمحت بنشرهما ، أو أن الهيئة لا تدرى بما فى الكتابين من أخطاء وهنا يصح قول الشاعر العربي :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

أما العجيبة الثانية فى قرار المصادرة بالنسبة لهذين الكتابين ، فهى أن « القرار » نفسه ليس « معلناً » ، بل قرار « داخلى » يقضى بمنع الهيئة من توزيع الكتابين اللذين قامت الهيئة نفسها بطبعهما ، ومعنى اصدار هذا القرار فى « الخفاء » أن هناك نوعاً من عدم الاقتناع بالقرار ، والاحساس بأن القرار غير سليم .

والعجيبة الثالثة فى هذا القرار ، أن الجميع يعلمون به ، فى الأوساط الثقافية ، رغم أنه قرار « خفى غير معلن » ... ولعل ذلك يذكرنا بالقول المشهور بأنه « لا شىء يخفى فى مصر » ، ويذكرنا أيضاً بالنكتة الواقعية المعروفة ، حيث كان سائق « الأتوبيس » يقف فى إحدى المحطات ليعلن للركاب بأعلى صوته : هنا محطة المطار السرى !

كتاب عظيم

نعود بعد ذلك كله إلى الكتابين نفسهما لنسأل عن القضية الجوهرية وهى : ما السبب فى مصادرة الكتابين ؟!

أما الكتاب الأول ، وهو « الأقباط والمسلمون فى إطار الجماعة الوطنية » فهو بحق أحد الكتب « العظيمة » ، وعندما أقول إنه كتاب عظيم فأنا لا أبالغ ولا أنافق مؤلفه الفاضل الذى لا يملك لى ولا لغيرى شيئاً ، بل لعله لا يملك لنفسه شيئاً ، فهو إنسان متواضع أشد التواضع ، مخلص إلى أبعد درجات الاخلاص ، لا يسعى لمنصب أو جاه أو سلطة ، وهو يعمل فى هذا الكتاب منذ أكثر من عشر سنوات ، أى قبل أن تندلع نيران ما سمى بالفتنة الطائفية ، والمؤلف طارق البشرى ، مؤرخ جديد يتمتع بالعمق والموهبة والصبر على البحث والكشف العلمى والدراسة التى تبحث عن الجذور ولا تهيم فوق سطح الموضوعات أو تعشق الكلمات البراقة التى ليس عليها دليل من التاريخ أو من العلم الصحيح ، والكتاب كله فى صفحاته التى تبلغ ٧٦٢ صفحة من الحجم الكبير يقوم على إثبات نظرية أساسية هى أن « الوطنية » قد جمعت بين أهل مصر — بأغلبيتها المسلمة وأقليتها القبطية — على أعمق صورة ، وأنه ما من خلاف نشأ بين المسلمين والأقباط على أرض مصر إلا وكان — بالدليل القاطع — عملا



مصطفى صادق الرافعى .
دخل فى معركة مع طه حسين تحت راية القرآن



عبد الوهاب الكيالى .
وافق على نشر الكتاب رغم معارضته لمضمونه



لويس عوض .
ليس حزباً ولا دولة ولكنه مفكر يخطىء ويصيب

يحركه عنصر خارجى لا علاقة للشعب به ، ولا مصلحة له فيه ، ويؤكد طارق البشرى فى صفحات كتابه على أن المسلمين والمسيحيين فى مصر قد انصهروا فى مضمون الحركة الوطنية حيث أصبح واضحاً أمام الجميع « أن تحرير مصر لم يعد متصوراً إلا فى إطار حركة تحرر عربى شاملة ، وأن الحفاظ على مصر لم يعد متصوراً إلا فى انتمائها إلى الجامعة الوطنية العربية وإعلاء شأن « القومية المصرية » لن يفيد الا أن تنعزل مصر لينفرد بها أعداؤها ، وضرب فكرة العروبة « وهى الفكرة التى تجمع بين المسلمين والاقباط » لن ينتج حفاظاً على مصر » .

هذه هى فكرة الكاتب المؤرخ طارق البشرى ، وهى الفكرة التى غاص من أجلها فى الوثائق والمراجع ، وقدم عليها ـ بروح علمية بالغة الأمانة والدقة والسمو ـ أدلة حاسمة ، وعالجها باسلوب واضح موضوعى لا تطرف فيه ولا صخب .

فماذا نأخذ على هذا الكتاب أو على صاحبه . ؟

ألم يكن من الأجدر أن نحتضن الكتاب والمؤلف ، ونضعهما فى عيوننا ، ونكافئهما باحسن الجزاء ، ونقول لمؤلف الكتاب : سلمت يا طارق البشرى وسلم قلبك النبيل وعقلك الكبير وعلمك الغزير وتواضعك الغالى لكى تنفع أمتك بثقافتك ووطنيتك وأمانتك . ؟ ! ، بدلا من أن نفعل ذلك أصدرنا هذا القرار الخفى الغريب ، الذى لا ينفع وإنما يضر ، وهو قرار يقضى بمنع تداول الكتاب .

ولنفترض أن فى الكتاب بعض ما يستحق التعديل والمناقشة ، فلماذا لا نناقش المؤلف ونعترض على ما قد نراه خطأ فى البحث والفهم والتقدير ، وأنا لم أجد شيئاً من هذا الخطأ ، ولكن غيرى قد يجدون فيه هذا الخطأ ، وعليهم فى هذه الحالة أن ينتقدوا الكتاب ويعترضوا عليه ويناقشوه .

إن الكتاب ليس بياناً رسمياً صادراً من الدولة ، وليس قرآناً منزلا من السماء ، بل هو جهد علمى لكاتب ومؤرخ أصيل ، من الطبيعى أن يخطىء ويصيب ، ومن الطبيعى أن « يحاوره » ويعترض عليه الذين يخالفونه فى الرأى لا أن يصادروه ويمنعوه .

الحوار لا المصادرة

ناتى بعد ذلك إلى الكتاب الثانى وهو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للكاتب الكبير الدكتور لويس عوض ، وهو أيضاً كتاب بذل فيه مؤلفه جهد سنوات طويلة مضنية ، وصدر الكتاب فى أكثر من ستمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير . ولقد أتيح لى أن أقرأ هذا الكتاب وهو «مخطوط» بل لقد تحمست لنشره منذ ما يقرب من عشر سنوات ، وقدمته إلى صديقى شهيد الفكر والثقافة المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى ، الذى اغتاله أعداء وطننا منذ شهور قليلة فى مكتبه ببيروت ، واقنعت الكيالى بنشر الكتاب ، فاشتراه بالفعل من الدكتور لويس عوض ، وبدأ يستعد لنشره .

رغم اعتراضه على ما كان يتضمنه من آراء ، ولم يمنعه من ذلك إلا صعوبة نشره ، لما يمتلىء به من حروف يونانية قديمة ، كان من العسير أن تتوفر فى معظم مطابع الوطن العربى ، ولذلك لم يتمكن الكيالى من نشر الكتاب بعد محاولات عديدة ، واستطاعت هيئة الكتاب فى مصر أن تطبع الكتاب بعد أن تمكنت من توفير الحروف اليونانية القديمة ، ولعلها حصلت على هذه الحروف ـ فقط ـ من أجل إصدار هذا الكتاب وحده لأنها حروف « غير متداولة » حتى فى اللغة اليونانية الحديثة نفسها ، وصاحب الفضل فى طبع الكتاب هو الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور ، عندما كان رئيساً لهيئة الكتاب فى مصر .

وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله ، إذا قلت إننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطاً أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من أفكار ، فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض ، والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلا ، وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بادبها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شىء فيها ليست حضارة أصيلة ، وإنما هى حضارة «منقولة» عن الغرب ، وقد ناقشت الجوانب السياسية والفكرية لهذه النظرية فى كتابى « الانعزاليون فى مصر » ، ولذلك فلن أعود إلى هذا الجانب من القضية ، كما أننى لا أرى أن مقالى اليوم هو المجال المناسب لمناقشة هذه القضية ، فالقضية التى أطرحها ، هى حرية الكتاب والمفكرين فى التعبير عن آرائهم ، حتى لو كان هناك اعتراض على هذه الآراء . حقاً إننى واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض ، وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبداً على مصادرة الكتاب .

فالدكتور لويس ليس حزباً ولا دولة ولا يملك قوة مسلحة ، وإنما يملك قلمه وفكره .

ومن حق الدكتور لويس أن يعبر عن آرائه ، ولسوف يجد بين المفكرين العرب المعاصرين من ذوى العلم الغزير والكفاءة

لماذا نصادر هذه الكتب؟

العالية من يستطيعون التصدى لآرائه وتفنيدها ، ولن يكون الدكتور لويس عوض اخطر نفوذاً لدى الرأى العام الفكرى فى الوطن العربى من طه حسين ، الذى حين اخطأ فى كتابه عن « الشعر الجاهلى » وجد من يردونه ويردون عليه ، وجاءت نتيجة الحوار العنيف بين طه حسين ومعارضيه مكسباً للعقل العربى والثقافة العربية ، ولقد « تشكك » الدكتور طه حسين فى « الأدب الجاهلى » وقدم بعض الأدلة على أن هذا الأدب الذى نسميه باسم الأدب الجاهلى ، لا علاقة له بالجاهلية ، بل هو أدب « منتحل » أو « مزيف » ، وكان شك الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى ، سبباً فى أن يتفرغ بعض العلماء والأدباء لتقديم أدلة علمية بالغة العمق والدقة ، ساندت الأدب الجاهلى ، واثبتت وجوده وصدقه ، وكان شك الدكتور طه حسين بادلته الضعيفة المحدودة ، خيراً على الأدب العربى وتاريخه ، ولم يكن شراً على أحد .

الفصحى والفأر الكبير

على أن الحرب على اللغة العربية بالذات ، ليست جديدة ، وكتاب الدكتور لويس عوض ليس أول كتاب « يحمل » على اللغة العربية ، وإن كان واحداً من أهم الكتب وأخطرها فى هذا المجال . فمنذ أواخر القرن الماضى والحملة على اللغة العربية قائمة ، وقد اشترك فيها عدد من كبار علماء أوروبا الذين عملوا فى الشرق ، مثل « سبيتا » الألمانى فى كتابه « قواعد اللغة العامية فى مصر » ، والدكتور « كارل فولرس » الألمانى أيضاً فى كتابه « اللهجة العربية الحديثة فى مصر » ، و « وليم ويلكوكس » الانجليزى فى محاضرته التى كانت بعنوان « لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين » ، وهذا المستشرق الأخير بالذات ربط « قوة الاختراع عند المصريين » بضرورة تغيير اللغة العربية والكتابة باللهجة العامية ، حيث قال بصريح العبارة : « إنكم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا ، فانه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط ـ الضرورية لذلك ـ ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم ، لم تتحصلوا على شىء ، واضعتم أعمالكم سدى ، والسبب فى ذلك أن الكتب الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال ، وفى آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأراً صغيراً ، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة . فبمجرد وضع الأفكار فى الكتب ـ باللغة العربية الفصيحة ـ تموت ولا تعود إلى الحياة ، فكأنهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود » ..

والحل عند هذا المستشرق هو فى اللهجة العامية المصرية ... وهكذا يتم انقاذ مصر ـ فى نظره ـ من العروبة ولغتها الفصيحة ، ويتم ـ أيضاً ـ دخولها فى مجال التقدم العصرى الأوروبى .

على أن المسألة لم تقتصر على المستشرقين الأوروبين ، فقد كان هناك مفكرون عرب نادوا بنفس الأفكار ، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير سلامة موسى الذى أصدر سنة ١٩٤٥ كتاباً بعنوان « البلاغة العربية واللغة العصرية » وفى هذا الكتاب يقول بصراحة كاملة : « نحن بين اختيارين :

١ ـ إما أن نهلك ونبيد ، كما باد الديناصور ، إذا التزمنا عاداتنا الذهنية والاجتماعية والثقافية لا نغيرها .

٢ ـ وإما أن نعين لشعبنا ، وسائر العرب آفاق التطور البشرية ، يتطلعون إليها وينشدونها ويهيئون لها ، فنبقى ونحيا .

ووسيلة البقاء والحياة فى عصرنا هى العلم والصناعة .

ولا سبيل إلى الصناعة بغير العلم .

ولا سبيل إلى العلم بغير الحروف اللاتينية » .

أى أن سلامة موسى يدعو العرب بصراحة إلى تغيير الكتابة بالحروف العربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية كما فعل الأتراك ، فى لغتهم التى كانوا يكتبونها بالحروف العربية ، فغيروا ذلك وكتبوها بالحروف اللاتينية منذ الثلاثينات إلى اليوم ، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً سوى أن يخسروا ارتباطهم بالعالم العربى وفى ذلك للأتراك خسران مبين .

المجادلة بالحسنى

فالدكتور لويس عوض إذن ، يقدم لنا كتابه الكبير « مقدمة فى فقه اللغة العربية » فى نفس الاطار الذى سبقه إليه مفكرون كبار من الشرق والغرب على السواء ، ومع ذلك لم يطالب أحد بمصادرة كتبهم ، بل لقيت هذه الكتب والآراء مناقشات واسعة عنيفة ، ترد عليها ، وتواجه حجتها بحجج أخرى قوية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية ، لمجرد أن كاتباً كبيراً مثل « سلامة موسى » هاجمها ودعا إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية لأن مفكراً انجليزياً ذكياً مثل « ويلكوكس » دعا إلى إحلال العامية محل الفصحى ، كل هذه الآراء واجهتها آراء أخرى ، كسبت للغة العربية حججاً قوية دقيقة ، ساندتها ووقفت فى صفها وجعلت قضيتها أقوى وأشد .

وهذا ما يجب أن نفعله مع كتاب الدكتور « لويس عوض » فالمصادرة لا جدوى منها ولا معنى لها ولا يمكن أن تمنع ما فى الكتاب من أفكار ، ولا أن تقنع أحداً بخطأ هذه الأفكار ، والطريقة الصحيحة الوحيدة ، هى أن نسمح بظهور الكتاب ، وأن نترك الأمر لعلماء اللغة والسياسة والحضارة ليردوا عليه ، والأمة العربية غنية بالقادرين على محاورة الدكتور لويس عوض بالحجة والعقل والرأى ، مهما كان فى كتابه من العمق والجهد العلمى ـ والعقل العربى لم يعد قاصراً ، والرأى العام العربى ليس طفلا صغيراً بحاجة إلى من يحميه بمنع الأفكار عنه خوفاً من الضرر والأذى .

وأكرر هنا أننى أختلف مع الدكتور لويس عوض ، جملة وتفصيلا ، فى كتابه الكبير ، ولكننى أرى فى نفس الوقت أن المصادرة خطأ ، وفيها الكثير من التجنى على الثقافة العربية المعاصرة ، كما أن من الخطأ أيضاً أن نستسلم ـ بجانب المصادرة ـ إلى ذلك الأسلوب السهل فى وصف رجل مثل الدكتور لويس عوض بأنه « متآمر » وأنه « عميل فكرى » للغرب وما إلى ذلك من الشطط فى الفهم والتقدير والتعبير ، إن المعركة فى جوهرها معركة فكرية ، والدكتور لويس صاحب رأى وجهد واجتهاد ، والحل هو مواجهة رأيه برأى آخر يرد عليه ويفند حججه ويثبت ما فيها من خروج على الصواب .

هذا هو الطريق الصحيح أمام الفكر العربى ولا طريق سواه ، حتى ننهض وننمو ونتقدم .

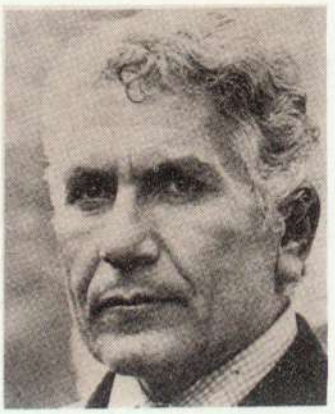
فالمصادرة لا خير فيها ولا نفع منها .

والحل هو المحاورة ، ومواجهة العقل بالعقل ، والأخذ بالمبدأ القرآنى العظيم : « وجادلهم بالتى هى أحسن » .

صدق الله العظيم .

رجاء النقاش

شخصيات



يوسف إدريس

محاكم التفتيش العربية والأجنبية

حسن جداً . لنواصل ما انقطع من حديث ولكن كيف ؟ إن الكاتب كاتب أولا وأساساً لأنه انسان مرهف الحس إلى درجة تكون مرضية . بل أجسر وأقول إنه حساس إلى درجة مرضية فعلا . ولولا أنه بكتابته تلك ينتج فناً ، أى أروع وأجمل وأصح ما فى الوجود من إنتاج بعد إعجاز الخلق الأعظم والحياة لولا هذا لكان على البشرية أن تودع كل إنسان تظهر عليه علامات الكتابة أو الفن ،

تودعه فى مستشفى لعلاج الأمراض النفسية ، كما تودع الخطرين على الحياة .

بل إننا لو راجعنا تاريخ الفن لوجدنا أن

البشرية قد فعلت هذا فى كثير من الاحيان ، وأدت شدة الحساسية ببعض من الفنانين والكتاب إلى أن يدخلوا مصحات نفسية ، وأحياناً عقلية . ذلك أن البشرية ليست فى كافة عصورها تلك الأم الرءوم التى تحنو

على أبنائها جميعاً وتستجيب وتربت عليهم وتستجيب لصرخاتهم وآهاتهم ، وتكون البلسم الشافى لأى وكل مـــا يعانونه . البشرية فى معظم أحوالها ومجتمعاتها غليظة القلب لا ترحم ، تدوس ، كالقطيع

المذعور الاهوج ، على أقدام بعضها البعض بل أحياناً على رقاب بعضها البعض ، وهى تمضى خائفة مرعوبة تلهث وراء لقمة العيش والوجود . وجود إنسان حساس من المحتم عليه أن يعيش وسط هذا القطيع الحيوانى المهرول ، كارثة ، ليست كارثة البشرية ومجتمعاتها وقطيعها المهرول ، ولكنها كارثة لهذا الكائن ، ولهذا فعلى الانسان إذا خلق حساساً خلق أن يدفع ثمن حساسيته تلك . ومثلما ذكاء المرء محسوب عليه وليس محسوباً له ، فأيضاً حساسيته محسوبة عليه لابد أن يدفع ثمنها كل يوم من

محاكم التفتيش العربية والأجنبية

عمره ، وربما دفع عمره كله ثمناً لها دون أن يوفى بالثمن !

وطوال الأسابيع الماضية وأنا أحس أن بعض كتابنا وشعرائنا العرب مستهدفون . وأنا لا أتحدث عن نفسى هنا باعتبارها نفسى . فالحديث عن النفس دائماً شىء مكروه لقائله ولسامعه على حد سواء . ولكن إذا أصبحت تلك النفس نموذجاً و « عينة » لبشر يحيون بيننا ، وندرسهم ونحن نهرول فى طريقنا لتحقيق الوجود الأحمق التائه ، أحمق واتفه وأحط لون من ألوان الوجود ، فانه لا يصبح حديثاً عن النفس بقدر ما يصبح حديثاً عن النوع كله ، وحينذاك ينتفى الحرج ، فالموضوع عام ، والقضية خطيرة ، ولابد من حل .

أقول مستهدفاً وأتوقف عمداً عن الافصاح فقد كانت الطعنات تأتي من أكثر من جهة ، ومن الأصدقاء والأعداء على حد سواء . بل ويحدث ويا للغرابة أن يتفق هدف الأعداء مع هدف الأصدقاء ، ويلتقون جميعاً للنيل منك ، وإلا فبربك فسر لى هذه الحملة الضارية التى تأتينى من صحفى وكاتب إسرائيلى ينشر فى جريدة عالمية كبرى ويحاول أن يشكك فى ولائى العربى لأننى فى نفس الوقت الذى تحاول فيه أقلام وصحف عربية لا أشك لحظة فى أنها قومية وخالصة القومية والاتجاه والهدف ، تحاول هى الأخرى أن تشكك فى انتمائى القومى !

أما أن يهاجمك الأعداء فهذا شىء طبيعى لابد أن تتوقعه باستمرار ولا تتوقف عنده ، بل تتوقف عنده فقط إذا كف هجومهم عليك ، لأنك بموقفك أو بحسن نيتك لابد حينذاك أن تكون قد خدمت قضيتهم .

هجوم الأعداء هذا شىء طبيعى . محاولاتهم المستمرة للتشكيك فى قومية بعض الكتاب العرب وبالذات بعض الكتاب المصريين ، مسألة كما يقولون واردة . وكان الرد عليها مفروض أن يكون تلقائياً . كان مفروضاً أن يدرك القارىء الذكى سواء فى مشرقنا العربى أو مغربهم الأوروبى الأمريكى ، أنه لولا أن هذا الكاتب لازال يقاوم ، وبشدة أن يحنى للعاصفة رأسه ، ولهذا فهم يلوون ذراعه ، وبطريقة فى غاية الذكاء والاحكام ، ويحاول أن يظهروه بمظهر أنه صديقهم وأنه لا يعاديهم ، لما تعمدوا التشكيك فى مواقفه ، بل ولفعلوا العكس تماماً وحاولوا أن يظهروه فى نظر قومه على أنه قوى ووطنى وعنيد لتغطية موقفه . هكذا يفعلون مع كتاب غيره يعرفون تماماً ميولهم وكنه معسكرهم الحقيقى ، وتظهرهم الدعاية الصهيونية بمظهر البطل الرافض الصنديد ، بل وأحياناً يهاجمونه لتزداد نحن تقديراً له ، وإيماناً به .

أى قارىء ذكي كان باستطاعته أن يدرك هذا ؟ !

ولكن مالا يستطيع أن يدركه أبداً ذكاء أى قارىء فهو أن يحدث ، وفى نفس الوقت أن تتولى أقلام عربية قومية التشكيك فى انتماء هذا الكاتب . وإن لم يكن فى انتمائه فالتشكيك فى موقفه وإهالة التراب على رأسه وتصويره على أنه قد « سقط » أخيراً هو الآخر ، وتحس من لهجتهم أنهم سعداء تماماً بهذا « السقوط » وكأنهم كانوا يستعجلونه أو بالأصح يتمنونه . فالانسان المخلص حقاً يحزن لكل رجل فى المعركة يسقط أو لكل قلم صادق يسقط أو حتى يتعثر ، ذلك أنهم جميعاً فى النهاية قواته التى تدافع عنه والتى يشكل كل فرد منها درعاً لابد أن يحزن الانسان حقاً إذا سقط ، أما أن يفرح ويهلل ويزعق قائلا : انظروا .. ها ها ها .. ها هو ذا أخيراً قد سقط .

إنهم بسرعة يريدون أن يلحقوك بطابور الذين سقطوا فعلا ، ربما لكى تخلو لهم الساحة ، ويمرحون كتابة ووجوداً باعتبارهم هم « الاشراف » وهم « الأطهر » وهم « الذين لا ينافقون » وهم فى النهاية العظماء وحدهم .

وليت سقوط كل الكتاب ـ حتى إذا كل الكتاب سقطوا ـ يصنع من غير الكاتب كاتباً ، أو يعطى للتافه منهم مهما كان شريفاً أو خيل إليه أنه شريف ، يعطى له مقاماً وقدرة . فقدرة الكتاب ومبلغ عطائهم مسألة لا يحددها حتى الكاتب نفسه . إنها خاصية فيه يعطيها له الله سبحانه وتعالى يوم يخلقه ويدرجه فى سجلات الوجود . وكما يقول الكاتب المسرحى « بريخت » فى مسرحيته عن جاليليو : إن سقوط نملة من فوق ناطحة سحاب لا يقتلها أو حتى يصيبها بكسر أو جرح ، ولكن سقوط جواد من الطابق الثانى فقط يقتله .

وهذا عن سقوط « جواد » فما بالك والذى يسقط « كاتب » .

لقد انتقلت العدوى وكان لابد أن تنتقل من بعض السياسيين العرب إلى بعض الكتاب العرب ، وأصبح الحديث عن سقوط فلان الكاتب أو خيانته أو نهايته هكذا وبجرة قلم مسألة نضعها بمنتهى البساطة وفى أى مجلس شراب أو جلسة قهوة . مع ان سقطة الكاتب شىء مدو تماماً ، وخطير جداً إذ وكأنها أمة بأسرها هى التى تسقط . إن موقف « إزرا باوند » من النازية لم ولن تغتفره له البشرية بأية حال ، والأمثلة على سقوط الكتاب الأوربيين أو الأمريكيين أو الروس المعروفين ليست كثيرة ، لأنها لا تحدث ، وليست أبداً القاعدة ، بل هى الشاذ الخارج على كل عرف . فالكاتب ليس كالسياسى يحترف مبادئه . الكاتب هو مبادئه ، وسقوطه يعنى تخليه عن أى مبدأ أو عقيدة ، بل وأكاد أقول إنه يعنى أنه لم يكن موهوباً أبداً ، مشهوراً ممكن ، أما موهوباً وفعلا جاءت موهبته تعبيراً عن إخلاصه وحرارة صدقه ، فسقوطه مسألة تكاد تكون مستحيلة .

وحين تذكر كلمة سقوط تعنى عند المتحضرين كافة أن إنساناً « خان » مواقفه أو مبادئه أو أمته . أما أن نقولها لأن هذا الانسان تحمس لقائد أو لحاكم ، مجرد تحمس فهو أمر لا يحدث الا فى بلادنا العربية دوناً عن بلاد الدنيا . فكان ، وبالضرورة لابد أن يكون موقف الكاتب هو موقف المعارض الدائم لأى نوع من الحكم ، ولكن هذا هو بعينه موقف الطفل المريض ، أما موقف الانسان والرجل العاقل فهو أن يقول للمحسن أحسنت ، مثلما يقول للمجرم أجرمت . أجل لقد تحمست للرجل حسنى مبارك ولا أزال لأنى اعتبرته اخر عربة نظيفة فى اخر قطار يحمل أمانى مصر الوطنية فى التحرير الوطنى والاجتماعى والحياة الدستورية . ولقد قلتها يوم لم يكن للرجل أو بالأصح قبل أن يكون للرجل مواقف تؤكد هذا المعنى وتدعمه ، وحمداً لله أن جاءت



نزار قبانى



بلقيس

مواقفه وخطواته وإجراءاته تؤكد كلها أن حماسى كان فى محله تماماً . كل ما فى الأمر أن الناس كلهم لم يكونوا قد التقوا به أو عرفوه ، وانى أردت لا أن أفعل مثلما يفعل قضاة العفة الثورية فى وطننا العربى وما اكثرهم أولئك الذين لا يعملون أبداً للتغيير إلى الأصلح ، أو حتى للثورة على الفاسد ، إنما هدفهم الدائم الدائب هو انتظار الناس لكى يسقطوا أولكى يسقطوهم هم ،فى النهاية زهقا من انتظار سقوطهم ليهللوا ويرقصوا ويقولوا : أخيراً .. ها ها ها .. ها هو ذا يسقط . أردت أن لا انتظر سقوط التجربة مرة أخرى لأهتف أو أحكم ، وأن لا أترك للشياطين الحرباويين المغيرين لألوانهم دوماً ، مجال أن يفرغ المسرح لهم ، ويلعبوا لعبتهم المفضلة من تغمية وتعمية ونفاق وتهديم داخلى حتى فعلا ، فى معسكرهم ، تسقط التجربة . أردت أن أهتف بكل الشجعان وبكل المخلصين أن نتحرك ونغير نحن بأيدينا ، وأن نمنع ، ليس بقلوبنا فقط ، وإنما بأقلامنا وبكلماتنا ، نمنع الزيغ ونغير إلى الأحسن والأكثر صدقاً ووطنيـــــة وديموقراطية وشعبية ، ومن هنا ، من هنا فقط أخذت كلماتى « شكل » الحماس الزائد الذى لا تستطيع أن تفرقه عن أى نفاق ،الا إذا مرة أخرى أقول : إلا اذا استعملت المقياس الحقيقى الوحيد لمعرفة الصدق من الكذب ، والحماس النابع عن الاخلاص ، من كلمات النفاق النابعة عن زيف وعن رغبة ذاتية جشعة تستعمل الكلمات والأقلام وسيلة لتحقيقها . ذلك القياس الوحيد هو : تاريخ القلم الذى كتب الكلمة ، وتاريخ الكلمات التى قالها الرجل . نعم ، حين تتشابه علينا الرؤيا ، وما أكثر ما تتشابه علينا ، فى عالمنا العربى ، الرؤيا ، فليس سوى التاريخ ملجأ يقينا شر أن نخطىء . أن نخطىء فى الحكم على شهادة الشاهد ، وأن نخطىء بالتالى فى الحكم على شخص المشهود له أو ضده فليس كل الحكام «فلانا» وليس كل الكتاب « علانا » وكلمة الشرف تستعملها أى امرأة لا شرف لها أكثر مما تستعملها المرأة الشريفة فعلا ، والتى تعتبر مسألة شرفها مسألة لا تستحق أبداً أن تباهى بها وإنما هى مجرد سلوكها العادى الذى لا حاجة لها أن تفخر بانه سلوك شريف لأنها لا تعرف سلوكا اخر ، أو تدرك أن لسلوكها هذا فى سوق التوصيف والتوظيف قيمة . والمنظر بالمناسبة ، فى قاهرتنا العزيزة هذه الأيام حقاً يدعو للتفرج ، فما أكثر المقالات التى تكتب الآن مطالبة الناس بالالتزام بالشرف وضرورة القدوة الحسنة ، وحتمية « النظافة » « هل يذكر بعض القراء مقالة كتبتها ذات يوم عام ١٩٧٧ عن ضرورة أن « ننظف » مصر ؟ » الآن ، هم ، أولئك الذين طلبت ذات يوم أن ننظف مصر منهم ، هم الذين الآن يدعون لتنظيف مصر ، وفى يقينى أنهم يدعون لتنظيفها من كل نظيف فعلا ، بحيث لا يبقى سواهم نظيفين ، وما أروعها آنذاك من نظافة . المنظر مضحك فعلا وليتصوره معى أولئك الذين يحيون فى لندن أو باريس حين تقوم مظاهرة من محترفـات « ســـوهو » مثـلا يطـــالبن الانجليزيات بأن يتصرفن بشرف وبنظافة ، يطالبن ربات البيوت الطيبات ، والزوجات المحبات الوفيات المتفانيات ، يطالبهن بأن يصبحن مثلهن شريفات ، ويضربن من أنفسهن مثلا للشرف وقدوة !!

قد تضحك ، والمنظر مضحك فعلا ، لكنه ليس كذلك هنا ، إنه حقيقة نحياها ونقرؤها كل صباح ، ونضحك !

مرة أخرى أعود فأقول سامح الله أولئك الذين أرادوا بسوء أو بحسن نية ، وعفا الله عما سلف ، وليساعدنا الله أن نكون عند حسن الظن من من أحسنوا الظن بنا ، وأن يخيب الله أصحاب النيات الخبيثة ، ولا يحقق لهم ذلك الهدف الذى تمنوه طويلا : أن نسقط .

وأنا لا أدعى أن الكتاب منزهون أو أنى شخصياً منزه ، بل إنى لأرجع الأمر كله إلى مواقف شديدة التهافت والتخاذل اتخذها نفر من كتاب القمة فى مصر وفى بعض البلاد الأخرى ، ولكنى أؤكد لهم أن قاهرتنا على طول تاريخها لم يكن السقوط فيها هو المودة ، وإنما كانت وستظل دائماً وأبدا هى الصمود ، وكل ما أستطيع قوله اننى شخصياً ، وإلى الآن على الأقل لم أسقط بعد ، وفى نيتى ألا أسقط ، بارادة الله سبحانه طبعاً ، إذ لو تخلت عنى إرادته ، أو عن أحد لسقطنا جميعاً ، ولأصبحنا والعياذ بالله مثل تجار النظافة .

الحق أن كل ما كان يشغلنى ويلهينى طوال تلك الأسابيع عن مشاكلى وبالذات الشخصى منها ، هى أن المشكلة الغريبة الرهيبة التى جمعت بين فجيعتنـــــا الشخصية وفجيعتنا القومية معاً ، مشكلة صديقى وأخى ووجهى الجميل ولسانى الفصيح نزار قبانى . كلما كانت تدلهم الأمور وأبدأ فى الرثاء لنفسى أتذكر جلسة نزار التعسة أمام أنقاض السفارة العراقية المدمرة فى بيروت والتى يرقد تحت أنقاضها أعظم حب له ، وأعظم حب شهدته عيناى لشاعر حى .. بلقيس .

أتذكر الجلسة ، وأتذكر الصديق ، وأتذكر الفاجعة ، وأتذكر بلقيس الانسانة ، وفى صمت أبكى ، عاجزاً عن أن أوافى نزار فى بيروت ، أو حتى أكتب عنه أو إليه . فأنا رغم أنه أصدق أصدقائى فى الشام ، إلا أنى لا أعرف له الآن عنواناً . فاسمح لى يا نزار أن أكتب لك عبر « الدوحة » وأن يكون موعدنا عددا قادماً إذا عشنا .

يوسف إدريس

"إني أتهم"

بين الروائي الإنجليزي جراهام جرين ومدينة نيس الفرنسية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

● هذه القضية هل هي تذكير جديد بالانحطاط الذي تعاني منه أوروبا.. أم أنها دليل على حيوية الضمير الأدبي ويقظته ضد الانحراف؟.. لنبدأ القصة أولاً من بدايتها ولنؤجل الحكم حتى النهاية

يبدو ان الريفييرا الفرنسية تعطى الحرية للجميع للكشف عن أجسامهم فى شواطئها تحت شمس النهار، بينما هى تخفى أشياء وأشياء تحت جنح الظلام فى عالمها « السفلي » المرعب ..

هذا ما حاول أن يقوله، بكلمات أخرى، الروائى الانجليزى المعروف، غراهام غرين البالغ من العمر السابعة والسبعين، وأحد المعجبين باجواء « شاطىء اللازورد » حيث يقضى الآن سنوات تقاعده بهدوء فى قرية « أنتيب » الساحلية التى لا تبعد عن «نيس» عاصمة الشاطىء سوى عشرة أميال، وليس له من سلوى غير الكتابة والشراب.

ولكن يبدو ان شيئا ما قد جعل الروائى العجوز، المشهور بمغامراته الاستكشافية والبوليسية فى افريقيا والبرتغال والشرق الأقصى، يقرر ثانية الخروج من هـــدوء الشيخوخة وعزلتها ليخوض معركة شخصية اكثر منها ادبية ضد سلطات مدينة « نيس »، التى تستضيفه والتى اختارها سكنا نهائيا له، وضد ما اسماه بعصابات « العالم السفلي » التى تتحكم كما يقول باقدار الناس واموالهم فى المدينة، بل وتسيطر على رجال الشرطة والقضاء وترغمهم على الصمت! ليس هذا فحسب، بل انه سارع إلى طبع كتيب صغير للتداول المحدود فى الاوساط الصحفية والسياسية والقضائية جاء فى مقدمته بصريح العبارة: « الى كل اولئك الراغبين فى المجيء والاقامة فى شاطىء اللازورد، اقدم هذا الانذار: تجنبوا مدينة نيس لانها اصبحت معقلا لاقوى الاوساط الاجرامية فى جنوب فرنسا. هذه الاوساط التى يمكن ان يتورط معها حتى الاجانب كما حدث لى ولاصدقائى فى السنوات الثلاث الماضية ».

هذه « النصيحة » الصادرة من اديب شهير انتشرت عبر معظم صحف اوربا وامريكا، بينما محافظة مدينة « نيس » تستعد لكرنفال الربيع، وتمنى النفس



غراهام غرين والخط الفاصل بين الرواية والحقيقة .



ماكس غالونائب نيس الاشتراكي:غرين عنده حق



لونوفل ابزرفتور حولت الاتهام الى موضوع غلاف !

بازدهار موسم الصيف المقبل بعد شهور .. !

ولو اقتصر الامر على احتمالات الخسارة السياحية لهان الامر ولكن الانكى من ذلك ان ادباء فرنسا وسياسييها استيقظوا على صرخة روائى انجليزى عجوز وهو يدق جرس الانذار ضد فساد خطير يتهدد مصير نجم مدنهم . ويحمل عاليا راية الاصلاح لحماية المواطن الفرنسى والزائر الاجنبى القادم الى فرنسا :

مدينة فرنسية لا تجد من يصلح امورها غير اديب انجليزى ؟ يالثارات واترلو ! .. يالثارات نابليون !

وماذا حدث لادباء فرنســـا ، المتميزين تاريخيا بين كل الامم بخوض مثل هـــذه المعارك الاصلاحية والتطهيرية ؟

إني أتهم

بل ان غراهام غرين إمعانا فى استثارة الكوامن الفرنسية اختار عنوانا فرنسيا لكتيبه عن القضية ـ الفضيحة هو « انى اتهم » « J 'Accuse " » وهو العنوان الشهير الذى اختاره الاديب الفرنسى اميل زولا ، فى القرن التاسع عشر ، لاثارة إحدى القضايا الشهيرة فى عهده ، وكان « غرين » يقول للفرنسيين : لم تعودوا اوفيـــــاء لتقاليدكم وها نحن نحملها نيابة عنكم !

اما أساس القضية كلها فهو ان « غرين » يعيش قريباً من أسرة فرنسية ـ سويسرية تعرف إليها منذ زمن بعيد أثناء إقامتـه فى الكونغو . فلما انتقل إلى الحياة فى الريفيرا الفرنسية وجد ان هذه العائلة المكونة من أب وام وابنة قد انتقلت هى الأخرى الى الاقامة فى الريفييرا ، فظل قريباً منها يرقب ابنتها التى اصبح أباً ثانياً لها وهى تكبر وتتزوج وتصبح مذيعة تليفزيون بمحطة مونت كارلو . وقد تزوجت الفتاة ، واسمها (مارتين) ، من سمسار عقارات

"إني أتهم"

فرنسي شاب اسمه (دانيال غاي) وعاشت معه ست سنوات وانجبت منه ابنتين . ثم جاءت المشاكل والطلاق . وحاول دانيال أن ياخذ حق حضانة ابنته الكبرى من مطلقته . ولكن الاخيرة كسبت القضية جزئياً بابقاء الابنة معها على أن تبقى في نفس الحي الذي يقيم به الاب وان تعود إلى ابنتها كل ليلة في الساعة الثامنة والنصف مساء .

هذا الحل لم يعجب الأب دانيال ، فاعاد الكرة ثانية وكسب حكماً قضائياً بحضانته لابنته بعد أن « اقنع » المحكمة بطريقة ما أن مطلقته غير صالحة لتربية الابنة .

كان « غراهام غرين » يرقب هذه القضية من خلال علاقته الحميمة باسرة مارتين . ورأى كيف تحطم قلب الشابة بفقدها لابنتها الكبرى ثم اضطرارها للهرب من نيس إلى مكان مجهول مع ابنتها الصغيرة .

واستغرب « غرين » كيف كسب « دانيال » هذا الحكم القضائي .. وتساءل عن سر قوته وأخذ يراقبه ويتتبعه وهو القاص المغرم بالأسرار البوليسية وحياة العوالم السفلية منذ كان شاباً يغامر في الحرب العالمية الثانية وما قبلها ويتصيد الجواسيس الألمان في البرتغال ، ومهربي الأفيون في الشرق الأقصى .. ليكتب عنهم قصصه الحافلة بالالغاز !

واكتشف « غرين » في « دانيال » صيداً ثميناً .. فهذا السمسار الفرنسي يركب السيارات الفارهة من نوع الروز ـ رايس ، ويكسب الملايين على موائد القمار في الريفييرا ، ويوقع اكبر أندية القمار في الافلاس ليشتريها ، ويتعاون مع شبكة من الايطاليين « العريقين » في هذه العمليات . ثم تبين انه قد دخل السجن ثلاث مرات في شبابه الباكر ومع ذلك فهو الآن على اوثق الصلات مع رجال الشرطة في البلد ، بل ويشهدون في المحاكم لصالحه !

ما بين الأديب والسمسار

بدأ « غرين » يثير التساؤلات حول هذا الرجل ومداخلاته ، في الأوساط الأدبية والسياسية المقربة منه . واحس « دانيال » بهذه المتابعة ولم يرتح لها .

وذات يوم جاءت صديقة قديمة لدانيال ، اختلفت معه هي الأخرى ، لتقول للأديب الانجليزي العجوز بان دانيال يخطط للتخلص من والدي الفتاة مارتين ومنه هو شخصياً ، وانه قال امامها بان « الشرطة في جيبي » ولن : « ادخل اي سجن » وبان حماته وحماه السابقين « سيذهبان ضحية حادث سيارة » وان « المدعو غراهام غرين » سيكون في تلك السيارة أيضاً » !!

وهنا احتدمت المواجهة بين الرجلين . وقال دانيال لغرين متحدياً : انا جدار صلب لا اختزق ، فرد عليه غرين : انا هو ذلك الجدار !

واخذ الرجلان ، الاديب الانجليزي والسمسار الفرنسي ، وبين الاديب والسمسار ما بينهما من نفور طبيعي في كل مكان ، وبين الانجليزي والفرنسي ما بينهما من جفاء تاريخي عبر الأزمان ، نقول اخذ الرجلان يستعدان لمناطحة « جدرانية » طويلة الأمد .

وللمصادفة المريبة ، فان صديقة دانيال القديمة التي اخبرت الأديب غراهام غرين بخطط غريمه للقضاء عليه في حادث سيارة قد وجدت من « يزورها » في مكتبها ليكسر لها انفها بضربة تحذيرية يستطيع أن « يشم » معناها .. حتى الأنف المكسور !

اسماك كبيرة

اتجه غرين أولا للبوليس وطلب منه التحقيق في مخالفات الرجل . ولكن الايام مرت والتحقيقات بلا نتيجة .

وقال رجل بوليس كبير للأديب الانجليزي : « ان دانيال واعوانه أسماك كبيرة لا نقدر عليها » ـ والعهدة على الراوي .

ثم اتصل غراهام غرين بما له من سمعة وشهرة بوزارة العدل في باريس وطلب منها التدخل في الأمر ، وأرسلت الحكومة مسئولا كبيراً اعترف ان الصورة تبدو « مخيفة » بالفعل ، ولكن فجاة حدثت تنقلات للقضاة في المدينة أضفت غموضاً أكبر على سير التحقيق ، وتركت المسألة تبرد ، واعصاب غراهام غرين تحترق على نار هادئة !

ورد غرين بتصعيد الأمر ، فقرر إعادة وسام الشرف الممنوح له من الحكومة الفرنسية قبل سنين ، وذلك للفت انظار كبار المسئولين في العاصمة لخطورة الأمر في « نيس » ، ولكن الحكومة الفرنسية ردت عليه وسامه قائلة انها لا تستطيع ان تسترجعه منه إلا في حالتين : إذا توفاه الله أو اذا أوقع نفسه في عمل مشين مخل بالشرف .

عندها أصدر غرين كتيبه الذي يتضمن معلوماته وتحقيقاته الخاصة عن المسألة ، والذي حذر فيه السياح من القدوم إلى نيس ..

وهنا تحولت المسألة الى قضية سياسية بين الحكومة والمعارضة واخذ كل طرف يعمل على تحويلها لصالحه واتسعت الدائرة بما يتجاوز « نيس » وموائدها الخضراء وشاطىء اللازورد الحالم ..

.. وقضية سياسية

خرجت صحيفة « لونوفل ابزرفتور » المقربة من أوساط اليسار الحاكم بموضوع غلاف يقول : « بعد (اني اتهم) لغراهام غرين : نيس تصبح تحت القذائف الحمراء » .

وفي معالجتها للموضوع اتخذت موقفاً مزدوجاً مؤيداً ومعارضاً لحملة غراهام غرين في وقت واحد ، وذلك ليحقق اليسار الحاكم من القضية اكبر كسب ممكن ضد اليمين المعارض ، دون ان يستفز مشاعر الفرنسيين وسكان « نيس » بصفة خاصة الذين انزعجوا من تدخل الأديب الانجليزي في شئونهم .

وقد نشرت الصحيفة المذكورة مقالا لنائب نيس الاشتراكي « ماكس غالو » ـ وهو في الوقت ذاته اديب وروائي ـ ذهب فيه الى ان اتهامات غراهام غرين لها اساس من الصحة في بعض جوانبها على الأقل ، وان رائحة الفساد تنبعث من وقت لآخر من اقبية المدينة ، وان هذا الوضع هو من مسئولية النظام اليميني الذي حكم فرنسا في ربع القرن الاخير ، ومن مسئولية محافظ « نيس » اليميني ايضا ومن مسئولية بعض اجهزة الأمن والقضاء ذات الميول اليمينية ايضا وايضاً !

واضاف : على الدولة الفرنسية ان تفتح ملف هذا كله ولا تنتظر حتى تنشر صحيفة « التايمز » البريطانية رسالة لاديب بريطاني حولها لتاخذ علما بالموضوع ، كما كان يحدث



فى نيس أضواء تخفى أكثر مما تكشف !

فى المستعمرات البريطانية ، وهو يسير بذلك إلى أن بداية تسرب المعلومات حول هذه القضية قد بدأت برسالة من غراهام غرين الى صحيفة « تايمز » فى لندن ، بينما كانت اجهزة الاعلام الفرنسية ، الكثيرة الكلام حول كل قضايا العالم ، غافلة عن هذه القضية رغم ارتباطها بصميم الاوضـــاع الفرنسية .

اما محافظ نيس اليميني ، المهتم بتنشيط السياحة فى مدينته وتشجيع الســـياح الأثرياء على القدوم إليها بكل وسائل الاغراء – فقد رد على هذا كله بالقول : « ان غرين يفتعل هذه القضية كلها ، ويضـــخم مسالة عائلية صغيرة جدا ، ليلفت إليه الأنظار ويمهد الجو لقصته الجديدة ، بعد ان افلس ادبيا » .

بينما يتهمه غريمه السمسار الفرنسي بانه كان على علاقة خاصة بام مطلقته كل هذه السنوات ، وانه الآن يتحرك تحت تاثير تلك المراة ليثار لابنتها منه . ويرد غرين قائلا : انا رجل فى السابعة والسبعين وعندما يتهمني دانيال غاي بهذه العلاقة ، فانه يشرفني بها ، ويبعث فى نفسى الشعور بالشباب !!

اما الناقد الادبى فى صحيفة « لونوفل ابزرفتور » فقد ذهب لغراهام غرين ليساله : « ماذا لو ظهر اديب فرنسى فى بريطانيا واتهم السكوتلانديارد بالفساد والتامر مع المجرمين ، ماذا سيكون شعورك نحوه كبريطانى ؟ » .

فرد غرين بجفاء : « فى بريطانيا لا يحدث كل هذا ولا يستمر إن حدث ، كما لا يظهر لدينا زعماء عصابات اصحاب نفوذ ! » .

رأى فرنسى فى عقدة الانجليزى

ولكن الناقد الفرنسى لا يدعه يذهب سليما وسعيدا بهذه الاجابة ، فقد اخذ يحلله نفسيا إلى حد تقطيع الشعرة كما يقولون .

ومما قاله فيه : ان غراهـــام غـــرين البروتستانتي الذى تحول الى الكاثوليكية ، ولم يحسن إيمانه بها ، يريد الآن ان يشن حملة صليبية ضد الحياة الحرة الطليقة فى « نيس » لان نفسيته المتشددة لا تحتملها ، وانه يريد لنيس أن تعود كما كانت فى أوائل القرن نقطة مرور لبحارة الأسطول البريطانى ، الذين كانوا يتســـــكعون ويتشمسون على سواحلها فى طمانينة لم تعد متوفرة لهم الآن . وان بقاء غرين فى « نيس » حتى الآن ورفضه الذهاب الى بلده ليشرب فى حاناتها اللندنية ، دليل على حنينه لأيام المجد الاستعمارى البريطانى وبحاره الدافئة ! .. وان غرين الذى تعود على إثارة القضايا بمغامراته فى افريقيـــا والشرق البعيد ولم يعد قادرا عليها الآن يريد – بدافع الحنين لمغامرات الشباب – ان يثير قضية على حساب سمعة مدينـــة « نيس » ، بينما هو غارق فى الشراب لينسى اصدقاءه القدامى الذين ماتوا فى الكونغو وماليزيا وفيتنام .. وانه قد وقع بسبب ضعف الشيخوخة تحت تاثير صداقته لعائلة الفتاة مارتين التى تستغله لتصفية حساباتها الشخصية من مطلق ابنتها .. وبانه لم يقدم فى أدبه غيرصورة قاتمة عن الحياة ملؤها الشر والحقد والجريمة .

كل هذا قالته « لونوفيل ابزرفتور » فى الأديب البريطانى ولكنها قبل سوق هذه التهم صدرت تحقيقها كما اشرنا بمقالة نائب « نيس » الاشتراكى التى قال فيها ان غراهام غرين قريب جدا من الصدق فيما يقوله عن عصابات نيس المحمية من بعض أوساط اليمين .

فاين الحقيقة .. ولماذا هذا الموقف المزدوج ؟ إنهم يريدون استغلال ما يقوله غرين لفتح معركة ضد اليمين ، وضد ماضى الرئيس السابق جيسكار ديستان . ولكنهم فى الوقت نفسه لا يريدون الوقوف مع الأديب البريطانى أمام الرأى العـــــام الفرنسى . لذلك فهم يعترفون أن غراهام غرين على حق .. لينتقدوه بعد ذلك بقسوة !

وغراهام غرين لا يخرج هذه الأيام إلا وفى جيبه علبة خاصة تحتوى غازا مسيلا للدموع تحسبا لأى طارىء . وهو يطالب بمحاكمته على التهم التى ساقها ضد سلطات « نيس » فى كتيبه عن القضية وهو يقول إنه سيحول محتوى هذا الكتيب إلى قصة طويلة بالحقائق والأرقام بعد ستة شهور ، أى عندما يزداد عدد المصطافين في نيس !

والمعركة مستمرة بين الرجل والمدينـــة التى يعشق ! .. رجل عمره سبعة وسبعون عاما ومدينة عمرها سبعة وعشرون قرنا . هل حقا هى معركة ضمير وإصلاح وتطهير ، أم معركة نفوس مرهقة تريد التعويض عن شىء ؟

المهم أن يخرج لنا غراهام غرين باثر ادبى ناجح فى النهاية ... وهذا ما يشكك فيه الفرنسيون !

د . محمد جابر الأنصاري — باريس

«إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحي فحسب .. بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

«ديهاميل»

لا بأس ألا يكون لي تاج مادام معي قلم..!

هذه الكلمات الشامخة ، الصادقة والمتألقة ، قالها المفكر الفرنسى «فولتير» ولعله أراد أن يهديها الى كل كاتب حر صادق وشجاع .. ذلك أن الكاتب الذى يحمل الصفات ، يحمل على مفرقه تاجاً غير منظور .

إنه يصف لنا عالم الله ، ويهدينا الى الحقيقة ، ويضع عنا إصرنا وأغلالنا .. ولولاه لبقيت الأرض يطمرها اليأس وتغطيها الظلمات . فالكلمة منطوقة ومسطورة كانت في بدايات حياتنا بمثابة أجراس النصر تدق للانسان .

ومع الكلمات الأولى التي انفرجت عنها الشفاه أو سطرتها الأقلام أعطت المقادير إشارة البدء للقافلة البشرية ، وأصبح معروفاً من يومئذ أن لواء السيادة على هذا الكوكب سيعقد للانسان ، وأن المستقبل سيدخل في طاعته ، وأن المجهول سيفضى له شيئاً فشيئاً بأخباره وأسراره .

وأمام كل عمل وكل ابداع – من العصور الموغلة في القدم حتى يومنا هذا ، نجد الكلمة الحرة الشجاعة الذكية تنشىء العمل وتخلق الابداع .

كانت الكلمة منذ بدئها تعنى ميلاد فكر جاء على شوق وقدر ، ولقد بدأنا نعي وجودنا يوم تكلمنا ، ويوم فكرنا وكتبنا .. يومها شرعنا نجاوز الظلام ونتخطى العماء ونخترق أسوار العزلة . ولا نكون مغالين اذا قلنا : إننا يومئذ – لا قبلئذ – أعطينا شهادة ميلادنا ، ووثيقة آدميتنا .. ذلك أنه حين فضت عن الأفواه أقفالها وأمسكت الأنامل بأقلامها بدأت أولى خطواتنا في السيطرة على ما معنا وما حولنا ، وبدأ الوجود الانساني ينهض قائماً ..

ولكي نعرف قيمة الكلمة وما وراءها من فكر حر رشيد ، علينا أن نتصور الكوكب الذى نعيش فوقه وهو خال من صاحب الكلمة – الانسان .

أعزل الانسان عن هذا الكوكب ..

تصور أو تخيل الأرض في غياب الانسان ، وانظر ماذا ترى ؟!.

لن ترى سوى التيه والظلام .. حقاً سيكون هناك بحار تصطحب أمواجها ، وعواصف تزلزل الأرض بزئيرها ، ورجوم وشهب ، ووحوش ودواب وزواحف .. ثم ماذا ؟ لا شيء سوى الخواء والعماء ، وظلمات من فوقها ظلمات .

إن الطبيب والأديب الفرنسى «ديهاميل» يتساءل في كتابه «دفاع عن

بقلم
خالد محمد خالد

الأدب» ترجمة الدكتور محمد مندور فيقول : «إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحي فحسب . بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

أهناك إذن جلال يفوق جلال الكلمة ؟..

أهناك غرض مهما تكن قداسته وحتميته يستحق أن تعطل من أجله الكلمة ، ونقدم اليه قرباناً ؟! ..

إن الأمر ليبدو وكأنما أعدت الأرض وهيئت لتكون مسرحاً للكلمة ومجالا للفكر ليس غير ..

وبعد أن كانت الأرض ـ بالصمت ـ مكاناً موحشاً ، صارت ـ بالكلمة ـ مكاناً مأنوساً .

ولا شيء ينقص من عظمة دور الانسان على الأرض مثل الانتقاص من سيادة الفكر والتحديد غير المشروع لنشاط الكلمة ..

ولننظر مثلا .. ألسنا نؤمن بأن المسيح ومحمداً أخرجا الناس من الظلمات الى النور ، وأضاءا في الضمير الانساني نوراً سدد خطاه ؟ ..

فلننظر إذن أية جناية على العائلة البشرية كانت ستحيق بها لو استطاعت قوى الظلام أن تخنق الكلمات التي انبعثت من محمد وأخيه حاملة الهدى والنور ؟! .

لو أن «المسيح» في أولى محاولاته ساعة استقبل الدنيا ليقول لها «وقد اقترب ملكوت السماوات» راح ضحية قوة باطشة ، فمن الذى كان سيملأ الحياة ووجدانها بهذا اللحن المضيء الهادر المتمثل في «موعظة الجبل» ؟ ومن الذى كان سيجابه الكهنة المتجرين بالدين ، والطغاة الناهبين أجور الفعلة والحصادين ؟! ..

ولو أن «محمداً» حين وقف يعلن أنه لا إله إلا الله ذهب ضحية خصومه من أعداء الكلمة والصدق والحقيقة ، فمن ذا الذى كان سيبلغ رسالة الله ويتلو على الناس قرآنه ؟؟

من الذى كان سيرفع راية التوحيد فوق أنقاض الوثنية ، ويذيع نعي أرباب الأرض المتجبرين فيها ، وينادى الكادحين والبسطاء الى يومهم الموعود في عالم الناس فيه سواسية كأسنان المشط ؟؟ ..

حقاً إن الكلمة هي الحياة .. أطفىء الكلمة ينطفىء نور الحياة .. أعد الألسنة الى صمتها القديم ، واكبح الأقلام بالشكائم ترتد الحياة في نفس اللحظة ولنفس السبب الى بداوتها وخشونتها ووحشتها .

● ●

ذات يوم حمل رجل أوربى قلمه وراح يسجل رأيه في «العصيان المدنى» كسلاح تستخدمه الشعوب المهيضة والمظلومة ..

كان اسم هذا الرجل «ثورو» خط كتابه بيمينه عام ١٨٤٩ ، ثم مات .. وضاعت الصفحات التى خلفها فى زحام الحياة ، أو ظن أنها ضاعت وذهبت مع الريح ، حتى وقعت ذات يوم من أيام ١٩٠٧ فى يد شاب هندى كان يعانى فى جنوب افريقيا مع المغتربين من بنى وطنه اضطهاداً وقحاً واستبداداً مذلا ، فاذا الكلمات التى حسب الزمان أنها اختفت وتاهت تشعل فى قلبه النار المقدسة وتناديه الى طريق الخلاص .. ولندعه يحدثنا عن أثرها فى نفسه فيقول : «وبينما كنت أبدأ نضالى تلقيت من صديق لي كتاب ـ العصيان المدنى ـ فما إن قرأته حتى ملأنى قوة ويقيناً . وذهبت أترجم بعض فقراته وأنشرها فى المجلة التى كنت أنشرها فى ذلك الحين . ولقد كان فى كلمات «ثورو» من صدق التعبير وقوة الاقناع ما جعلنى أشعر بحاجتى الى المزيد من المعرفة به .. وأخيراً عرفت أن رجالا فرادى أمثال «ثورو» قد انتصروا لأنهم تقدموا الصفوف بتضحياتهم وكانوا قدوة للعالم» .

هكذا تأثر المحامى الشاب الهندى بكلمات ظن الكثير من الناس أنها تلاشت بينما هى رابضة فوق صفحاتها . وما إن لامست روح هذا الثائر الهندى الناشىء حتى أبانت له الطريق ، وسلحته بالوسيلة ، فهب ناهضاً وقهر الطغيان الذى كان يعذب قومه فى جنوب افريقيا ، ثم انتقل برسالته الى وطنه الكبير ـ الهند ـ وهناك ، وكلمات «ثورو» تنمو داخل ضميره قاد أمته المستعبدة حتى حققت تحت زعامته أعظم انتصار بأنظف وسيلة .

هل عرفتم ذلك الثائر الذى صنعته كلمات ثورو ؟! ..

إنه قديس عصرنا الحديث . غاندى !!! ...

وحين نقلب أبصارنا مستعرضين كل ثورات التحرير عبر التاريخ نجد بين أيديها جميعاً فكراً باسلا ، وكلمات أشد

لا بأس
ألا يكون لي تاج
مادام معي قلم ..!

مضاء من السيوف المرهفة ، وأهدى فى ظلمات الليالى من كل ضياء !!

والقوى التى هدمت صروح الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب ـ كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها ، وانتزعها من ظلام التأخر ـ كان الكلمة ..

احمل بيدك ورقة بيضاء ، وسل نفسك: كم تساوى هذه الورقة ؟ .. انها لا تساوى شيئاً .. ومع هذا فان ورقة ضئيلة مثلها خط عليها «اينشتاين» هذه الكلمات (الطاقة ، تساوى الكتلة ، مضروبة فى سرعة الضوء ، ثم مضروبة فى سرعة الضوء مرة أخرى) فاذا بها تغير وجه العالم وتنقله فى لمح البصر الى عصر الذرة والفضاء بكل فتوحاته واحتمالاته !! ..

وبعض الكلمات التى يخطها الكاتب لا تقل خطراً عن الكلمة أو «المعادلة» التى يضعها الرياضى .

ففى كراسة بيضاء ، تستطيع أن تشتريها بدراهم معدودة ، كتب «روسو» ـ العقد الاجتماعى ـ ، فأجج به الثورة الفرنسية !! .. وكتب «توم بين» ـ الفهم ـ فأجج به حرب الاستقلال الأمريكية !! ..

وكتب «ماركس» ـ رأس المال ـ فأجج به الثورة الشيوعية !! ..

وكتب «تولستوى» ـ الحرب والسلام ـ فأشعل به ثورة الضمير الانسانى فى كل العصور !! ..

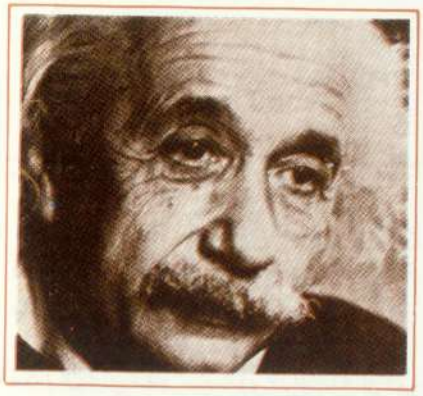
● ●

وهنا نصل الى ما للكاتب الحر من منزلة ومكانة .. وهنا نرى الكتاب والمفكرين بحق «أصحاب جلالة» إذا هم احترموا عقولهم ، ووقفوا الى جانب الحقيقة . باحثين عنها ، هادين اليها ، واذا هم فكروا من أجل المصير الانسانى

تولستوى



أينشتاين



فى مثابرة واحترام .

وقبل أن يدعو الكاتب الناس الى الايمان بالكلمة وتبجيلها ، عليه أولا أن يؤمن بها ، ويحمل تبعاة تجاهها .

وليس هناك سوى الكاتب المؤمن برسالته من يستطيع أن يمنح الآخرين هذا الايمان .

فالكاتب والأديب اللذان يخلصان لفنهما كل الاخلاص هما رعيلنا الوثاب نحو مستقبلنا المأمول .

يقول «ديهاميل» مخاطباً حملة الأقلام: «نحن إذا أردتم نملك العالم بأجمعه . وفى هذا التملك سنجد خلاص أرواحنا .. نحن نملك آلافاً وآلافاً من أشياء الحياة .. ونحن نملك نار الفكر التى لا تنطفىء والتى من لهيبها المقدس تنبعث كل حياة جديدة» .

صديقى الكاتب . هل أنت حر ، وصادق ، وشجاع ؟؟ اذن فانت صاحب جلالة . وعلى مفرقك يتألق تاج غير منظور .. أنت النور الذى تبصر البشرية طريقها فى ضوئه ، وأنت الروح الذى يملأ الحياة رشداً ..

لكن ذلك مرتبط بما تكنه لنفسك ولقلمك من احترام ، وبقدر ما تتحلى به من تواضع يرفض الزهو والغرور ، وبقدر ما تتحرر من إغواء الشهرة وإغراء النجاح .

لطالما كان رواد الكلمة الأحرار يحاذرون على موهبتهم من النجاح التجارى الذى يجرف الكاتب بعيداً عن المرفأ الآمن . حتى لقد قال أحدهم : «العبودية والانحطاط جزاء وفاق للنجاح والكتاب الذى يروج قبر مذهب للموهبة المتعجلة غير الممتازة» ..

ويحدثنا «ديهاميل» فيقول : «لو غامر أحد أولادى يوماً واحترف الأدب ، وسألنى أن أنصحه لما قلت له غير هذه العبارة : احذر النجاح !! وسأفكر وأنا ألقى اليه بهذه النصيحة فى النجاح الملتوى المخاتل الذى يثنى يوماً بعد يوم من أهداف الكاتب ، ويقص أجنحته حتى يزج بقدميه فى رفق الى مبازل المجد .. سأفكر فى هذا النجاح الذى ينال من الشجاعة الحقيقية برضاب قبلاته السامة .. أجل ـ احذر النجاح . فكل نجاح باب يغلق .. وكل نجاح أمل يكبل .. وكل نجاح مستقبل يقبر .. وكل نجاح عدو .. أجل ـ احذر النجاح . احذر هجماته ومكايده . واذا رغبت فى النجاح فاحذر أن تكون رغبتك اندفاع السغبان .. واذا احتقرته فاحذر أن يكون فى احتقارك نبرة الحقد .. وفى كلمة واحدة : احذر النجاح» !! ..

ويقول «جوركى» : «ليس من المستحسن أن يكون للكاتب كثير من

المعجبين ، وكل رجل ذى عمل مع الجمهور عليه أن يطهر الهواء المحيط به بمطهر الحقيقة» .

إن خوف «ديهاميل» من النجاح مرده الى أن النجاح فى كثير من حالاته يكون كما قال ملتوياً ومخاتلا يثنى من اهداف الكاتب ومبادئه ، ويطوعها للأغراض السافلة والأطماع الباطلة .. ثم إنه كثيراً ما يجرف الكاتب بعيداً عن الأصالة والخلق حين يطرح عن كاهله كل جهد يتطلبه التجويد والاتقان معتمداً على التوقيع الذى سيذيل به عمله الأدبى والذى يحمل اسماً ناجحاً لامعاً .

وهذه «اللامبالاة» لا تلد أعمالا ضحلة وحسب . بل إنها تصيب الموهبة بالهزال.

إن نجاحاً من هذا النوع ـ وكثيراً ما يكون النجاح كذلك ـ لا يكف نباحه وراء الكاتب ، مطالباً إياه بتموين سوقه الرائجة .

والعمل الفنى والأدبى الأصيل لم يكن فى يوم ما سلعة تصنع على عجل وتقدم عند الطلب .. وهذا ما أخاف «ديهاميل» حين قال ما تلونا ، وحين يقول : «إن الأفكار التى يمكن أن تكون مادة لعمل فنى تحتاج دوماً الى نضج بطيء . فهى تولد فينا كالنطف ، وتبقى زمناً طويلا بغير حراك . ثم نحس شيئاً فشيئاً أنها تتغذى وتأخذ فى التكون ، وأخيراً تبدأ الحركة المضنية . ومع هذا يمضى زمان قبل أن يتهيأ الكائن للمجيء الى الضوء .. ولكننا اذا انتظرنا حتى نهاية الحمل فستكون لدينا الفرصة لأن نخرج الى العالم كائناً قابلا للحياة ، كاملا حسن التكوين» ..

● ●

وبعد فاذا كان هناك ناس يعيشون والسروج فوق ظهورهم ، فان الكاتب الحر الصادق الشجاع لن يكون من هؤلاء أبداً .. ليس ذلك فحسب .. بل إن مهمته ورسالته أن يدعو الآخرين الى التمرد على الأغلال ، وإلقاء السروج أرضاً ..

واجبه ألا يكون بوقاً للسلطة ، ولا عبداً للشهرة .

مهمته أن يقف كحارس البرج يدفع عن الحقيقة كل زيف ، وينادى المأسورين الى الانطلاق .

وعاره الأكبر أن يشترى منصباً أو ثروة أو جاهاً بمكانه ككاتب ومفكر ومقاتل باسل فى سبيل الحقيقة والناس .

وكل كاتب .، إنما يكبر ويعظم بقدر استعداده للتضحية فى سبيل كلمته وقلمه .

وليس هناك أروع من هذا الذى يرفض أشياء كثيرة يسيل لها اللعاب من أجل أن تبقى له حريته وسيادته على فكره ونفسه ..

إن هذا الطراز من الكتاب ، هم الذين أبحروا بالبشرية الى مستقبلها الواعد العظيم .. هم الذين خلدوا قيمة الصدق ، وأثبتوا جدارة الانسان بأمسه ويومه وغده .

إن الكاتب الحر لا يحاول أن يوفق بين نفسه والدنيا فى ضعف وخور .. فكثير من الرجال كانوا رجالا ، لأنهم انشقوا على السائد المألوف . ولا شيء فى النهاية يبعث على احترامك مثل نزاهة عقلك ومضاء روحك .

ماذا ينتظر الناس من الكاتب حين يحمل قلمه بيمينه ويتهيأ ليكتب ؟؟

هل ينتظرون منه أن يسليهم أو يجاملهم أو يخدعهم ؟ ..

كلا ـ إنما ينتظرون منه أن يجلو لهم الحقيقة ويساعدهم على رؤيتها .. ينتظرون منه أن يفسر لهم التجربة الانسانية فى بؤسها وعظمتها .. ينتظرون منه أن يسبقهم الى الدروب غير المطروقة حاملاً روح الرواد .

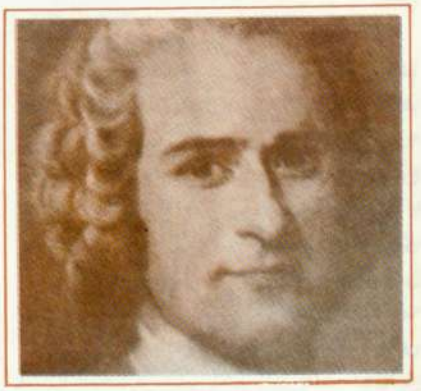
ينتظرون منه أن يحررهم من أوهامهم وأن يكون عوناً لهم فى مواجهة قراصنة الحياة .

هذه مهمة الكاتب وعمله المقدس .. الكاتب الذى لديه فكر يريد أن يبلغه للناس ، ولديه ايمان وثيق بالكلمة ، وبالانسان ، وبالحياة .. الكاتب الذى تعود أن يحمل قلمه كلما بدا له ، لا كلما طلب منه ..

أولئك يناديهم «بتهوفن» من مكان بعيد :

«ألا فلنفعل كل ما فى وسعنا من أجل الخير والصدق .. ولنحب الحرية فوق كل شيء آخر .. ولنتجنب خيانة الحقيقة ، ولو كان ثمن الخيانة تاجاً وعرشاً» !! ..

خالد محمد خالد



جان جاك روسو



فولتير

ملف كامل لقضية خطيرة

بقلم : فتحي رضوان

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام ؟

● قصة الجانى الخطير الذى لم نسمع به فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئاً ● نائب رئيس الوزراء الذى خرج من الوزارة إلى السجن ● قصة القانون الذى ألغى الطربوش وألزم المواطنين بلبس القبعة ● قانون آخر يفرض على شعب اسلامى أن يستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ● المسلمون الذين يأخذون اجازتهم يوم الأحد بدلا من الجمعة

من الحقائق الاجتماعية التى لا يكاد يثور حولها خلاف ، أن قرار الاتهام الذى يصدره أى مدع عام ، فى قضية جنائية ، يتضمن صورة المجتمع ، أو جزءاً من صورة هذا المجتمع الذى ينتمى إليه « المدعى والمتهمون » معاً فى تلك القضية ، فالجريمة ـ صغرت أو كبرت ـ سواء كانت فى مجال الاجرام العادى الذى يصدر من أفراد من عامة الناس ، أو عن أقوام يتصلون بالحكم والسياسية ويؤثرون فى مجريات الأمور العامة ، بالكثير أو بالقليل .. الجريمة هذه ، على أى صورة من صورها ، هى « عمل اجتماعى » ، والمجرم هو « ابن المجتمع » ، يحمل فى شخصه ، وفى تصرفاته ، السوية أو المنحرفة ، أجزاء أو أشياء من البيئة التى نشأ فيها ، والعائلة التى خرج منها ، والحى أو القرية التى يروح فيها ويغدو ، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاشة فى موطن المدعى والمتهم على السواء .

ولكن هذه الحقيقة لا تبدو أكثر وضوحاً منها فى هذه « الجناية » المقدمة إلى المحكمة العسكرية العليا التى انعقدت فى «أنقره» عاصمة الدولة التركية فى اليوم السابع من مايو سنة ١٩٨١ ، وكان « المدعى العسكرى » فى هذه القضية ، هو العميد « نور الدين سوير » ، وقد كان الاتهام فى هذه « الجناية » موجهاً ضد الدكتور « نجم الدين أربكان » ، ومعه ثلاثة وثلاثون متهماً آخرون ، من مختلف المهن والأعمار والدرجات الاجتماعية ، طالباً الحكم عليهم جميعاً بمواد القانون الجنائي ، منها المادة ٦٤ فقرة أولى ، والمادة ١٦٣ فقرة ٤ ، والمادة ١٧٣ فقرة ٣ والمادة ٣١١ فقرة أولى وثانية ، ومواد أخرى واردة فى قوانين خاصة مثل قانون الطوارىء .

خمسة عشر جناية

ونحن لا نذكر هذه المواد القانونية لأنها تعنى شيئاً لدى القارىء أو الكاتب ، فالحقيقة أننا لا نعرف فحوى هذه المواد ولا مضمونها ، ولكننا نذكرها لنبين مدى ما ذهب إليه المدعى العام من التشدد فى تلمس أسباب العقاب على الدكتور « نجم الدين أربكان » وأعوانه ، ومن ثم لا يجدر أن تفوتنا الاشارة إلى أن قرار الاتهام الذى نحن بصدده يتهم « الدكتور أربكان » بمخالفته لحكم الفقرة الرابعة من المادة ١٦٣ ست مرات ، كل منها تكون جريمة قائمة بذاتها ، وتحتاج إلى عقاب خاص ، ثم بمخالفة للفقرة الثالثة من المادة ١٧٣ من أحد القوانين الخاصة خمس مرات ، ومؤدى هذا كله : أن المتهم الأول فى هذه الجناية ، منسوب إليه ، وهو مقدم للمحكمة العليا أنه ارتكب فوق خمس عشرة جناية .

المتهم نجم الدين

فمن هو نجم الدين أربكان ؟

من هو هذا الجانى الخطير الذى لم نسمع عنه فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئاً قط .

إن « الدكتور نجم الدين أربكان » ليس شاباً غرا ، غلبته على أمره حماسة طائشة ، فدفعت به إلى مقاومة سلطات الأمن فى بلاده مروجاً دعاية ممنوعة ، أو الدعوة إلى أفكار مرفوضة ، بل هو رجل تجاوز منتصف العمر .. تلقى العلم العالى فى بلده وفى ألمانيا ، فحصل على أكبر الدرجات العلمية فى « الكهرباء » وعاد ليعمل أستاذاً بجامعة



المحاكمة التى لم يلتفت إليها العرب رغم أنها تعتبر محاكمة العصر .. ويظهر فى الصورة الزعيم نجم الدين أربكان أثناء محاكمته وعليـــة علامة (X)

« أنقرة » ، ثم اختير ليعمل على تنفيذ برنامج تنمية صناعى واقتصادى ، فحقق من النتائج الباهرة ما جعل اسمه على السنة الكثيرين من أهل الرأى ، ومعهم عامة الناس الذين تابعوا نشاطه المتدفق ، فى إعجاب عميق . وما لبث أن انتخب للوزارة ، ثم أصبح نائباً لرئيس وزراء بلاده مرتين . فهو إذن رجل مسئول ، اطمأنت إليه سلطات تركيا العليا فاسندت إليه أكبر المناصب ، وشهدت له أعماله وأقواله وتصريحاته أنه يبعث الثقة فى النفوس ، ويبشر بمقدم شخصية سياسية ذات أثر كبير ، يصلح وينصح ويقود .

وقد كان ممكنا أن يتقدم الدكتور « نجم الدين أربكان » لولا انه أقدم على شىء لا تطيقه سلطات تركيا ، ولا حلفاؤها ، منذ أكثر من ستين عاماً . ذلك هو التحدث عن الاسلام والشريعة ، والحق ، والله ، والرسول ، والأمة الاسلامية . فهذه كلها محرمات . وقد بالغ « نجم الدين » ، فى تحدى السلطات ، إذ ألف ـ كما يقول قرار الاتهام ـ حزباً هو حزب « السلامة القومى » واسمه بالتركية « ملى سلامات » ، إذ أن لفظ ملى فى التركية يساوي « قومى » بالعربية . أما الثلاثة والثلاثون متهماً الآخرون ، شركاء « نجم الدين » فى الجريمة ، فهم أعضاء اللجنة المركزية والتنفيذية للحزب ، وفيهم أعضاء فى مجلس الشيوخ التركى ، وأعضاء فى مجلس النواب أو المجلس الملى .

أركان الجريمة

وقد آن أن نعرف بالضبط ما هى جريرة هؤلاء الجناة .

باختصار شديد فان هؤلاء المتهمين ، بين رئيس وتابع ، قد عقدوا العزم على تأسيس وإدارة حزب هدفه تغيير أو تعديل القواعد الأساسية لدولة تركيا ، سواء كانت تلك القواعد سياسية أو اجتماعية أو تشريعية ، وإقامة حكومة دينية بدلا من الحكومة القائمة ، أى إحلال الحكم الدينى ، محل الحكومة « العلمانية » ، ثم الترويج لتلك الحكومة التى يؤمنون بها ويدعون إليها . وقد وضع السيد العميد « نور الدين سوير » المدعى العام العسكرى ، قرار اتهامه التاريخى ، فى نحو خمسين صفحة ، وقد أعانه فى تحرير هذه الوثيقة عدد من المحققين ومساعدى المدعى العـــــام ، واستنفدوا فى هذا العمل الضخم أكثر من أربعة أشهر ، ولما فرغوا منه وأذاعوه ، رأى قراء صحف « أنقرة » وباقى مدن تركيا ، أن قرار الاتهام ، تتقدمه مقدمة تشرح الأسباب التى تقوم عليها التهمة ، ولاشك أن الاطلاع على هذه المقدمة ، يكشف لنا ما يدور فى رأس زعماء وقادة تركيا العسكريين ، قالت المقدمة :

« إن الدولة التركية ـ بشكلها الجديد ـ قد نبتت فكرتها فى عقل وقلب « أتاتورك » وقد كان هذا الشكل هو : الجمهـــــورية ، فالجمهورية هى الساق الأولى التى تقوم عليها تركيا الحديثة ، أما السيقان الأخرى ، فهى ثورات أتاتورك السبع » .

الثورات السبع

ومن هنا يتضح أن أبناء تركيا الحديثة لا يؤمنون بأن « أتاتورك » قد قام فى سنة ١٩٢٤ وما بعدها ، بثورة واحدة ، أسقطت خلافة بنى عثمان ، وحررت تركيا من هذه الخلافة التى رآها الزعيم التركى عبئا على مواطنيه لن يكونوا قادرين على حمله ، وقيداً فى أقدامهم سيمنعهم من التقدم

ملف كامل لقضية خطيرة

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام ؟

والتنافس مع الدول الحديثة فى ميدان العمل السياسى والتجديد الاقتصادى . فالمواطنون الأتراك يؤمنون بأن التغييرات التى أدخلها زعيمهم « أتا تورك » ، والذى احتفلوا سنة ١٩٨٠ بمضي مائة سنة على ميلاده .. هذه التغييرات التى أحدثها « أتاتورك » هى « ثورات » عديدة ، لا ثورة واحدة . وقد تم نشر بيان رسمى بعنوان كل ثورة وتاريخ وقوعها ، وهذه الثورات هى :

١ ـ قانون توحيد التعليم فى تركيا بجعله تعليماً مدنياً فقط والغاء التعليم الدينى من البلاد ،وذلك فى ٣ مارس ١٩٢٤ ، وهذا القانون يندرج تحت رقم ٤٣٠ .

٢ ـ القانون الثانى ـ أو الثورة الثانية فى نظر الأتراك ـ هو القانون الذى فرض لبس « القبعة » على المواطنين بدلا من « الطربوش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ورقمه هو : ٦٧١ .

٣ ـ القانون الثالث هو القانون الذى يقضي بقفل « تكايا الدراويش » وتسريح هؤلاء « الدراويش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

٤ ـ القانون الرابع هو الذى الغى الزواج الشرعى ووجوب تسجيل وثيقة الزواج أمام موظف دينى ، وقد جاء هذا النص بتحويل الزواج من صيغته الدينية إلى صيغة مدنية فى المادة ١١٠ من القانون المدنى التركى الحديث وذلك فى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ .

٥ ـ القانون الخامس هو قانون العدول عن استعمال الحروف الأبجدية العربية وإحلال الحروف الأجنبية « اللاتينية » محلها ، وحسب هذا القانون أصبحت اللغة التركية تستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وقد صدر هذا القانون فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، وكان رقم القانون هو ١٣٥٣ .

٦ ـ القانون السادس هو إلغاء الألقاب التركية الموروثة عن الآباء والأجداد وهى « باشا » و « بك » و « أفندى » للرجال و « خانوم » للسيدات ، وقد صدر هذا القانون برقم ٢٥٩٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤ .

٧ ـ القانون السابع والأخير هو الذى حرم ارتداء ملابس معينة مثل « الكاكوله » لرجال الدين ، و « الحجاب » للمرأة ، وقد صدر هذا القانون فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وكان رقمه هو ٢٥٩٦ .

مقاومة وتضحيات

هذه سبعة قوانين ، تمثل عند تركيا الحديثة سبع ثورات ، كل ثورة منها قائمة بذاتها ، ولا يمكن إدخالها جميعاً فى نطاق واحد ، لأن لكل واحدة منها أثراً خاصاً فى حياة الشعب التركى ، وكان لكل منها رد فعل ومقاومة وتضحيات ، مما دفع الحكومة إلى استخدام القوة وشنق العديد من رجال الدين والدنيا ، ومن الحكام وعامة الناس ، واقتضت هذه القوانين أو الثورات السبع شدة وعنفاً عن جانب « أتاتورك » الزعيم الذى تصور كل قانون من قوانينها ، وقرر إصداره وتنفيذه ، تحريراً للأتراك ـ فى نظر هذا الزعيم ـ من ربقة الماضى ، وإطلاقهم فى مجال الحياة الدولية ، دون أن تثقل خطاهم العمائم الضخمة ، ولا تحجب عنها الرؤية الحسنة البراقع وأنواع الحجاب المختلفة ، ونفض أتاتورك بهذه القوانين هذه « المتاحف » التى كانت ترضى فضول السائح الأوروبى حينما يزور تركيا ، كما ترضى ذوق الكاتب الذى يريد أن ينقل لقرائه صورة عن الشرقيين والمسلمين .

فالمدعى العسكرى العام فى تركيا ، رأى فى أقوال ونشاط ومطبوعات وخطب وتصريحات الزعيم « نجم الدين أربكان » وأعوانه السائرين فى فلكه تدبيراً ضخماً ، يريد أن يبتلع البناء الذى أقامه أتاتورك .. تخيله أولا ، ثم رسمه على الورق ، ثم صاغه فى قوانين ، ثم أصبح عنصراً من عناصر الحياة التى يعيشها الأتراك ، وقد جاء الجيش التركى ليحمى ثورات أتاتورك السبع ، ويرد عنها كيد المتآمرين ضدها ، فالجيش هو أكثر مؤسسات تركيا الحديثة إيماناً بثورات مؤسس تركيا المعاصرة وهو « مصطفى كمال أتاتورك » .

بطل الأبطال

وقد نص دستور تركيا الصادر فى سنة ١٩٢٤ ، والمعدل فى دستورها فى سنة ١٩٦١ ، على « الجمهورية » و « العلمانية » ، وجعلهما شيئاً واحداً لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

وقد أصبح الأتراك ينظرون إلى « أتاتورك » على أنه أكبر وأعظم من مجرد بطل قومى ، أو زعيم وطنى ، فهو عندهم بطل الأبطال ، وصاحب الصفات الخارقة فى كل مجال .

ولا يهم عند الأتراك أن يرى غيرهم من الشعوب ، أو أن يرى علماء فى أوروبا وفى الشرق أن « الجمهورية » و « الثورات السبع » ليست إلا خواء فى خواء . على أن الثابت فى كل الأحوال أنه ليس هناك تركى يريد أن يسقط النظام الجمهورى ، حتى تحتاج الدولة إلى حمايته بالقوانين والجيش ووسائل القمع ، ربما تختلف الأحزاب والجماعات السياسية فى جعل الجمهورية التركية : ديمقراطية ليبرالية ، أو جمهورية إسلامية ، أو غير ذلك من صور النظم السياسية المعاصرة ، أما أن تعمل على تغيير النظام كله فذلك أمر غير مطروح بين الجماعات والأحزاب السياسية فى تركيا .

ونعود إلى ثورات أتاتورك السبع لنقول إنها لم تجعل تركيا حديثة على صورة لا يجوز تغييرها ، فان مقتضى التجديد أن تتابع الدولة كل تطور يأتى به الزمان ، وأن الجديد الذى طرأ منذ قرن أو نصف ، لا يمكن أن يبقى جديداً وجديراً بالبقاء على حاله لمجرد أن مصدره محبوب وعظيم ، فان ذلك يمكن أن يتحول إلى سد الطريق أمام التجديد والتطوير الحقيقيين ، لا دعمهما والانتفاع بهما .

والواقع أن هذا ماردت به دوائر المسلمين فى تركيا على ما جاء فى مقدمة الاتهام ضد « نجم الدين أربكان » وجماعته .

العلمانية والدين

وقد ردت الدوائر الاسلامية على تهمة أن « نجم الدين أربكان » وأعوانه قد تحدوا





كوبر نيكوس وجاليلو ـ اتهمتهما الكنيسة بالكفر لأنهما قالا إن الشمس مركز الكون....

مبدأ « العلمانية » وخرجوا عليه ، وهو المبدأ الذى فرضه « كمال أتاتورك » ، وجعله إحدى الدعائم التى تقوم عليها الدولة التركية ، ردت الدوائر الاسلامية على هذه التهمة فقالت : إن المدعى العسكرى العام فى أنقره لم يفهم جيداً المعنى المقصـــــود من « العلمانية » ، فالعلمانية هى عكس « الحكم الدينى » بالمفهوم الأوروبى المسيحى خلال عهود « ديوان التفتيش » ، والحكم الدينى فى ذلك العهد القاتم المظلم ، معناه تحكم « البابا والكنيسة » فى كل رأى يقال ، وكل كتاب يصدر ، وكل فكرة تظهر ، فاذا لم يوافق « البابا والكنيسة وديوان التفتيش » على أى نشاط فكرى أو علمى ، تم منعه واعتبر كفراً وألقى بالمؤمنين به فى جحيم التعذيب الوحشى ، وامثـــــال « جاليليـــــو » و « كوبرنيكوس » اعتبرا كافرين ، لأنهما قالا « إن الشمس مركز الكون » خلافاً لما كانت تؤمن به الكنيسة من أن « الأرض » هى مركز الكون ، لأن روما فى الأرض ، ولأن مدينـــة « الفاتيكان » فى روما ـ ومن هنا ثار المفكرون الأحرار ضد هذا الطغيان ورفضوا سيطرة رجال الكنيسة على الأفكار العلميـــــة والدراسات الانسانية ، فنشأت نظـــرية « العلمانية » التى تقضى باســـتقلال المدارس والجامعات ومعاهد البحـــوث العلمية عن سلطات الكنيسة ، وإخراج النشاط الدينى من أعمـــال الـــدولة واختصاصاتها . على أن العلمانية لا تعنى مطلقاً ، لا فى أوروبا ولا فى أى مكان آخر ، تحريم النشاط الدينى ولا تقف فى وجه نشر الدعوة الدينية بالطـرق المشروعة ، أى بالاجتماع والخطابة والكتابة ، فضلا عن ممارسة العقائد والشعائر الدينيـــة فى أبنية وأماكن يملكها المؤمنون بهذه العقائد فى هدوء وسلام ، دون أن يكون لسلطات الأمن أى حق فى التدخل فى اجتماعات ونشاط هؤلاء أو إلحاق أى أذى بهم .

ولكن السلطات العسكرية فى تركيا قلبت الأمر رأساً على عقب ، إذ حرمت على المؤمنين بالاسلام ، وهم أكثر من ٩٩٪ من سكان تركيا ، أن يدعوا إلى دينهم ، وأن يجهروا بايمانهم بعقيدتهم ، واعتبرت هذا العمل المباح بمقتضى دستور تركيا عملا خارجاً على القانون ، رغم أن الدستور يحفظ لكل صاحب رأى حقه فى أن يجهر برأيه ويدعو إليه بالطرق المشروعة ، مع أن السلطات العسكرية التركية تعلم أن المساجد تملأ البلاد ، حتى أصغر قرية فيها ، وأن الملايين تؤمها كل يوم جمعة ، وتؤدى فيها فريضة صلاة الجماعة ، وأن خطباء المساجد يدعون فوق منابرها إلى دين الله الحنيف .

هذا ماقاله رجال الدعوة الاسلامية رداً على اتهامات المدعى العسكرى التركى ضد « أربكان » وجماعته .

ونحسب أنه قد آن الأوان لأن نعرف الأدلة التى ساقها المدعى العام العسكرى فى أنقرة ضد « نجم الدين أربكان » وزملائه ، فان التأمل فى هذه الأدلة يطلعنا على حقائق كثيرة وطريفة عن أسلوب التفكير العسكرى التركى وفهمه لمبادىء الاسلام والدعوة إليه .

اتهامات عجيبة

بادىء ذى بدء يأخذ المدعى العسكرى على المتهمين أنهم رفعوا الشعارات الآتية :

الاسلام هو السبيل الوحيد .
ومحمد هو القائد الأوحد .
والشريعة هى الاسلام .
والقرآن دستورنا .

كل الأوثان المعادية للاسلام يجب أن تتحطم ، والاسلام يجب أن يعود إليه سلطانه .

وأعلنت السلطات العسكرية إلى جانب ذلك غضبها العنيف على استعمال المصطلحات الاسلامية مثل : لفظ « الحق » تعبيراً عن : الله والصواب والحقيقة ، ولفظ « الباطل » تعبيراً عما يضاد الحق ، أى الزائف وغير الصحيح .

ويقول « نجم الدين أربكان » :

« إن السلطات العسكرية تجهـل أن لفظ « الحق » ورد فى القرآن ٢٢٧ مرة ، وأن لفظ الباطل ورد فى ٢٤ موضعاً من سور القرآن .

كذلك قام اعتراض العسكريين على مصطلحات « الجهاد » و « التبليغ » بدعوى أن هذه الألفاظ لا تروج ولا تستعمل إلا بقصد تحويل تركيا إلى دولة دينية اسلامية

ويتساءل المتهمون : ما الذى يحول بينهم وبين تحويل تركيا إلى دولة اسلاميـــة ما دامت الوسائل التى يستخدمونها هى وسائل مشروعة يقرها القانون ، بل يقرها الدستور الذى لا يحرم سوى تغيير صـــفة « الجمهورية » عن الحكومة التركية ، أما الصفة غير الدينية التى تنص عليها المادة « ٢ » من الدستور ، فانها تدخل فى نطاق التغيير الدستورى إذا ما تم العمل على ذلك بوسائله المشروعة والقانونية ، وإذا لم يكن مسموحاً به فان تركيا تفقد خصائص حكومتها « الديمقراطيـــــة » وهى الديمقراطية التى يتباهى بها أتبـــاع « أتاتورك » وتلاميذه وحواريوه .

الفكر الدينى والأحزاب

ويستمر الاتهام فى تقديم الأدلة ضـد « نجم الدين أربكان » وجماعته ، فيقـول :

إن الرغبة المتأججة لبعض الجماعات المعروفة لدى سلطات الدولة فى تغيير أصول حكم الدولة التركية السياســية والاجتماعية وتحويلها إلى دولة اسلامية ، هذه الرغبة المتأججة ، لم تهدأ قط وقد سعت تنظيمات مختلفة لتحقيق هذا الهدف كما جرت مؤامرات عديدة للوصول الى الغاية ذاتها . وقد أرادت هذه الجماعات الانتفاع من المزايا التى تتمتع بها الأحزاب فى ظل الدستور ، فالبسوا جماعاتهم الدينية

ملف كامل لقضية خطيرة

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام ؟

ثوب الاحزاب ،وتزيوا بزيها ، من ذلك حزب « النظام الملى » ، أى القومى ، الذى سبق تجريمه سنة ١٩٧٢ بمقتضى حكم صادر من المحكمة الدستورية وقد صرح « أربكان » زعيم هذا الحزب المحظور فى اجتماع عقده فى السابع عشر من سبتمبر ١٩٧٠ ، بانه سوف يشكل حزباً ، مراعاة لمقتضيات الأحوال القانونية ، ولكنه هو وأعوانه ليسوا فى الواقع رجال احزاب ، بل إنهم – كما يسمون انفسهم – أتباع « الحق » أى اتباع « الله » ، وهذا كلام صريح الدلالة فى انهم يريدون التستر وراء مظهر « الحزب » ، والانتفاع بالحقوق الدستورية الممنوحة للأحزاب السياسية ، ليتيسر لهم أن ينظموا انفسهم فى طول البلاد وعرضها ، وليصلوا إلى أسماع الجماهير ، وليؤثروا عليها . والحق أن الجماعات الأخرى التى قلدت « أربكان » لم تنجح نجاحه ، فلم يتسللوا إلى الشعب ، ولم يظفروا بثقته .

ولكن عددا غير قليل من المواطنين تأثروا بهذه الدعوة الدينية ، وتكونت قوة لا بأس بها حول هذه الفكرة ، فكرة أن الشريعة الاسلامية ، يمكن أن تطبق فى البلاد ، بل ويجب أن تطبق على جميع فروع الحياة الوطنية ، كما أن حظر هذا الاتجاه من جانب المحكمة الدستورية لم يوقف النشاط فى هذا المجال ، كذلك فان القوى التى تجمعت حول حزب « أربكان » لم تتبدد ، بل تمت المحافظة عليها ، بفضل منشورات ومطبوعات متعددة ومتنوعة ، بل إن بعض أعضاء الحزب المحظور ، قاموا بتاليف حزب جديد ، وانضم إليهم العديد من أعضاء الحزب السابق .

ولقد أثبتت الأحداث التى وقعت فى الفترة ما بين منتصف سنة ١٩٧٧ حتى ديسمبر سنة ١٩٨٠ أن زعماء حزب « النظام الملى » « م . س . ح » مع أشخاص آخرين يعملون لنفس الهدف مثل « أحمد نوجور » قد ألفوا جماعة تسعى لهذه الغاية ، متحدين القانون فى مادته ١٦٣ والتى تحرم التنظيمات غير المسموح بها ، كما أنهم حاولوا الاختفاء تحت اسم جماعات مصرح بها ، وذلك بهدف القيام بعمل غير مشروع وهو قلب أساس الدولة إلى دولة إسلامية .

ويعترف المدعى العسكرى فى هذا الموضع من قراره ، أن عددا من المواطنين أكثرهم من الشباب قد تأثروا بدعوة هذه الجماعة ، وتورطوا فى أعمالها ، وقد عقدوا اجتماعات تحت أكثر من ستار .

الاسلام هو السبيل

وتوالت اجتماعات هؤلاء الدعاة ، من ذلك اجتماع تم عقده فى ٢٩ مايو سنة ١٩٨٠ فى «قونية» ، وهى إحدى مدن تركيا القديمة ، وكان قد سبق عقد اجتماع مماثل فى مدينة «يوزجات» فى ٢٩ مايو سنة ١٩٧٩ ، وفى هذين الاجتماعين هتفت الجماهير بشعارات مثل «لتسقط الدولة غير الدينية» و «الدولة الاسلامية لابد منها» و «الاسلام هو سبيلنا الوحيد» و «الشريعة هى الاسلام والدستور هو الحق » وقد رفعوا أعلاماً كتبوا عليها «من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » لقد جاء الحق وزهق الباطل» و «جهادنا صراع بين الحق والباطل» ، وقد وقع كل هذا أمام «أربكان» وأعوانه ، ومن بين الشعارات التى ترددت أيضاً : «محمد صلى الله عليه وسلم هو قائدنا الأوحد» و «الوثن سوف يسقط والاسلام سوف ينتصر» .

ويقول المدعى العام العسكرى : إن «الوثن» أو «الصنم» هنا مقصود به «أتاتورك» لأن المتهمين يعتبرون أتاتورك وما نادى به من مبادىء عائقاً فى وجه الدولة الاسلامية .

ويواصل المدعى العسكرى اتهاماته «لأربكان» وجماعته فيقول :
لقد تم تشكيل جماعتين للشباب ، إحداهما تحت اسم «أكين سيلار» والثانية تحت اسم «اك جش » ، وقد تشكلت الجماعة الثانية بعد أن بطل وجود الأولى بمقتضى نص فى قانون الطوارىء ، ولاشك – عند المدعى – أن هاتين الجماعتين وحزب «أربكان» على تعاون وثيق للوصول الى الهدف النهائى ، هدف اقامة دولة إسلامية فى تركيا ، وشباب هاتين الجماعتين يبدى اعجاباً وتقديراً عظيمين «لأربكان» وقد أثبتت اجراءات التفتيش التى جرت لمقر هاتين الجماعتين حقيقة أن حزب النظام يزودهما بالمعونات المالية ، وكان من بين المضبوطات منشور بعنوان «منظمة الشباب الاسلامى فى أوروبا» ، وجاء فى هذا المنشور : هذه المنظمة تقوم أساساً على الاعتقاد الدينى ، وانها تقيم معارضة ضد اضطهاد الحكومة للدين ، وتعبر فى الوقت نفسه عن حنين الشباب وأشواقهم نحو دولة تقام على أصول الدين .

التقدم والتخلف

وقد دافع بعض المتهمين عن انفسهم بقولهم إنهم حضروا اجتماعات دعوا اليها كضيوف وخطبوا فيها كمدعوين لا كمنظمين ، ولكن المدعى العام العسكرى يكذب هذا الدفاع ويقول : إن أحد كبار المتهمين افتتح أحد المؤتمرات فى سنة ١٩٧٧ بخطبة قال فيها :

«لييباركم الله لجهودكم النبيلة ، وليكتب لكم النجاح ، وإنى أود أن أقدم لكم تحياتى بمناسبة رأس السنة الهجرية ، ونحن اذ نطيع الله ورسوله ، نقيم أعظم الحضارات ولكن مانكاد نعصى الله حتى نتخلف ، لقد حاربنا فى الحرب العالمية الأولى فى سبع جبهات وكانت النتيجة أن الوطن احتل ، وقد بدأ شعبنا العظيم يقاتل لينقذ الأناضول نزولا على أمر الله ورسوله ، ولم يكن هذا القتال من أجل أن نخرج أبطالا بل لتعلو كلمة الاسلام ، ولكن ماحدث بعد ذلك النصر هو الطمع المتأجج الذى فرض علينا ثورات لاعلاقة لها بقضيتنا النبيلة .

ولكن مهما قالوا فان الشريعة لاتزال هى سبيلنا الوحيد لنصبح أمة يحترمها الناس ، ولتصبح دولتنا قائدة ، ودولة حضارة ، تحق الحق . ثم أشار «يازجان» بعد ذلك إلى «هؤلاء الذين يسيرون فى غير سبيلنا ، وعليهم أن يتبعوا طريقنا والدعوة لايمكن أن تتحقق بالعنف والقتل ، وأول ما يجب

علينا هو أن نقوم «بالتبليغ» ، ولكنهم إن أصروا على الرفض وطلبوا القتال فانه يحق لكم أن تقاتلوا حينئذ دفاعاً عن أنفسكم»

قوانين منقولة

وقد ألقى «أربكان» خطاباً فى الحجاج الأتراك فى مكة سنة ١٩٧٧ فتلا بعض آيات القرآن فى بداية خطابه ثم قال :

«إن الله قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله»

ثم قال :

«علينا أن نتأمل موقفنا كمسلمين أتراك ، ونتساءل : أنحن فى طاعة الله أم فى معصيته ، وهل تحكمنا أحكام الاسلام ، وآيات القرآن ، أم يحكمنا شىء آخر ، إن قوانيننا ليست سوى ترجمة للقوانين الغربية ، فالقانون المدنى منقول عن سويسرا ، والقانون الجنائى عن ايطاليا ، وببساطة نحن نحكم طبقاً لقوانين المسيحيين واليهود ، وبالتالى فان أحكام القرآن لاتحكمنا . ورسالتنا هى أن نعيد سيادة القرآن ، وهذا يقتضى جهاداً» ، وقد صرح «أربكان» يوماً فقال :

«إن طريقنا واضح ونحن ننشىء كتاتيب فى كل قرية ، ومدرسة فى كل مدينة ، وسنعيد فتح مسجد «آيا صوفيا» الذى جعله السلطان محمد الفاتح مسجداً بعد أن كان كنيسة ، ومهما فعل الآخرون فان ما نريد سوف يتحقق» .

وفى اجتماع تم عقده فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٨ فى مدينة «قونية» خطب «أربكان» فردد نفس المعانى .

وفى اجتماع عقد للاحتفال بذكرى فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتح ، وزعت رسالة جاء فيها :

بدلا من الاحتفال بأيام مجيدة أخرى ، كان يجب الاحتفال بيوم الفتح باعتباره «يوم الشباب» ـ ويقول المدعى العسكرى : إن هذه العبارة يقصد منها الحط من أهمية يوم ١٩ مايو ١٩١٩ الذى وصل فيه أتاتورك الى مدينة «ساسون» التى كانت بداية حرب التحرير .

الجمعة بدلا من الأحد

وفى اجتماع عقد تحت اشراف المؤتمر العام لشباب المسلمين قال «أوجلو» ، أحد الزعماء الاسلاميين : « إن ثورات أتاتورك قطعت تركيا عن ماضيها ، والاصلاحات التى قام بها أضرت بالقيم الروحية للشعب وعقب التوقيع على معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء «أنجلترا وفرنسا وايطاليا» ، مع الملحقات السرية لهذه المعاهدة ، ألغيت الخلافة ، وأصبح المسلمون بلا قائد ، وحلت الحروف اللاتينية التى لاتلائم اللغة التركية محل الحروف العربية ، والقوانين العثمانية القائمة على الشريعة حلت محلها القوانين الغربية التى لاتحقق احتياجات الشعب ، وبعد ذلك أصبحت الدولة «لادينية»وهو حدث لانظير له فى التاريخ ، وقد كان لهذه المواقف «الأتاتوركية» رد فعل عنيف عند الشعب ، انتهى بشنق الكثيرين» .

وفى ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، علق أعضاء حزب «أربكان» شعاراتهم المعروفة على تمثال «أتاتورك» نفسه ، والحقوا بالتمثال الأذى ، وهذا يكشف بجلاء شعورهم نحو الجمهورية وعداءهم ضد مؤسسها .

وقال «أربكان» : إنه حينما كان مشتركاً فى الحكم ، كان حكام الأقاليم يؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم كما يأمر الله ، ولكن هذا انتهى حينما ترك الوزارة .

ويقول المدعى العسكرى إن أعمال المتهمين ، عملا بعد عمل ، وخطبهم الواحدة وراء الأخرى ، تكشف عن نواياهم بجلاء ، وهو العمل على إقامة الدولة الاسلامية ، أو دولة الشريعة .

وفى اجتماع مغلق قال «أربكان» :

«إنى أشكر الله وأحمده ، إن حزب السلامة قدم اقتراحاً بجعل يوم «الجمعة» يوم العطلة الأسبوعية بدلا من يوم «الأحد» ولكن حزب الشعب الجمهورى ، وحزب العدالة رفضا ذلك الاقتراح لأنهما لايهتمان بالدين . وتوثيق الزواج لايتم على أيدى رجال الدين لأن الدين لم يعد «مهماً» ، ولكنى أدعو الله أن تتم دعوة سريعة الى عقيدتنا السليمة ، فان الله قد أرانا الحق من الباطل» .

ويقول المدعى العسكرى : إنه قد تم ضبط مسودة خطاب أرسله شاب لأبيه : إن نظام التربية فى المدارس يبعث فى القلوب حب أتاتورك واحترامه وليس حب الله ، وإن جميع القوانين غريبة عنا ، ولا يعلموننا العربية لأنهم يودون أن يقطعوا الصلة بيننا وبين سائر العالم الاسلامى .

الماسونية والصهيونية

وقد علق أربكان على جانب من تاريخ تركيا السياسى الحديث فقال :

«إن الحركة الماسونية سعت سعياً شديداً لعزل السلطان عبد الحميد ونجحت فى سعيها وإن أول محفل فتح فى تركيا كان على يد «أميل كورسو» وهو صهيونى ، وقد انضم اليه ضباط منطقة سالونيكا ، وكان من بين هؤلاء الضباط كمال أتاتورك ، فالحركة الكمالية كان من ورائها الصهيونية»

وتلك كلمات «أربكان» عن تاريخ بلاده ، وذلك رأيه الصريح المعلن أمام شعبه فى هذا التاريخ .

ولعل هذا كله يرينا كيف أن الحركة الاسلامية فى تركيا قد بلغت من القوة والاتساع والعمق ، ما يدعونا الى متابعة ما يجرى هناك ، وفهم دلائله العظيمة وإرهاصاته الكبيرة ...

فتحى رضوان

بقلم : عصام شريح

لبنان في انتظار الرئيس السابع..

وفقاً للدستور اللبناني ، يتوجب اجراء الانتخابات الرئاسية فى لبنان خلال الفترة الواقعة ما بين الثالث والعشرين من تموز (يوليو) والثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ . ومدة الرئاسة كما ينص على ذلك الدستور ست سنوات . وقد شارفت ولاية الرئيس الحالي الياس سركيس على نهايتها ، فيما بدأ الطامحون إلى منصب الرئاسة يستعدون لخوض معركتها ، والجدير بالذكر ان مجلس النواب اللبناني (البرلمان) هو الذى يقوم بعملية انتخاب الرئيس سواء من بين اعضائه أو من السياسيين من خارج مجلس النواب ، ولا يجوز للرئيس خوض الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية على التوالى ، غير أن بالامكان استصدار تعديل دستورى بهذا الشأن من مجلس النواب .

وقد نال لبنان استقلاله من فرنسا فى عام ١٩٤٣ ، وفى ٢١ أيلول منه انتخب المجلس النيابي أول رئيس للبنان فى عهد الاستقلال ، وهو الشيخ بشاره الخوري ، اما أول رئيس للوزارة فى فجر الاستقلال فهو السيد رياض الصلح . وقد تعاقب على منصب الرئاسة فى العهد الاستقلالي حتى الآن كل من الرؤساء بشارة الخوري ، وكميل شمعون ، واللواء فؤاد شهاب ، وشارل حلو ، وسليمان فرنجية ، وأخيراً الياس سركيس . ويبدو ان انتخاب رئيس جديد يخلف الرئيس سركيس هو عملية معقدة جداً ، نظراً للأزمة التى تعصف بلبنان منذ اندلاع الحرب الأهلية فيه فى عام ١٩٧٥ ، التى تعود فى جذورها إلى ما يسمى بـ « الميثاق الوطني اللبناني » الذى شاءه واضعوه ان يكون تسوية طائفية بعد رحيل الفرنسيين عن لبنان . ولأن « الميثاق الوطني » هذا يشكل لب وجوهر الأزمة اللبنانية المستعصية كان البحث التالى عن « الميثاق الوطني اللبناني » .

ليس هناك شك فى أن الحرب الدائرة فى لبنان منذ عام ١٩٧٥ ، والتى لا يستطيع أحد التكهن بنهايتها ، إنما تعود الى جملة أسباب وعوامل داخلية وخارجية ، وكان فى طليعة الأسباب الخارجية سياسات اسرائيل والولايات المتحدة ، الهادفة الى اشعال حرب طائفية فى لبنان ، على أمل نقل هذا اللون من الحرب الى بقية الدول العربية وبالتالى اشغال العرب بحروب استنزاف ذاتى فى الداخل والهائهم عن التصدى للكيان الصهيونى الآخذ فى التمدد كالسرطان فى الأرض العربية ، وعن سياسة النهب الاستعمارى لثرواتهم . لكن العامل الخارجى ، ليس هو فى الواقع السبب المباشر للحرب ، بقدر ما هو العامل الداخلى والعامل الخارجى فى الحرب اللبنانية ، إنما جاء نتيجة للعامل الداخلي .

ذلك أنه بعد اثنين وثلاثين عاماً من التعايش المشترك ، بين المسلمين والمسيحيين فى لبنان ، انفرط عقد ذلك التعايش فجأة ، وانهارت صيغته المسماه « الميثاق الوطنى » ، ورفع ابناء الطوائف الاسلامية صوتهم عالياً ، رافضين تلك الصيغة ، ومطالبين ببناء صيغة جديدة ، تنهى عهد الهيمنة المسيحية على الدولة اللبنانية ، بل عهد هيمنة الطائفة المارونية المسيحية بوجه خاص ، تلك الهيمنة التى فرضتها صيغة الوفاق الوطنى غير المتوازن فى عام ١٩٤٣ ، ويقترحون قيام دولة علمانية ديمقراطية .

أما الفريق الثانى ـ اى المسيحيون ـ فانهم يرفضون بدورهم العودة الى « الميثاق الوطنى » ويطالبون بدلا من ذلك بدولة فيدرالية أو كونفدرالية ، تقوم على اللامركزية السياسية والادارية ، وعلى التعددية الثقافية . والمهم أن الجميع باتوا متفقين حول فشل صيغة التعايش التى وضعت فى عام ١٩٤٣ ، عشية رحيل المستعمرين الفرنسيين عن البلاد ، وبدء عهد الاستقلال . والجميع يطرحون الآن صيغاً مختلفة لاعادة اللحمة بين ابناء المجتمع اللبناني (الفسيفسائى) .

ما هو الميثاق الوطنى ؟

عندما شعر المسيحيون فى لبنان ، أن فرنسا تفكر فى انهاء استعمارها لكل من سوريا ولبنان ، والرحيل نهائياً عن البلاد ، بدأوا يسيرون فى تظاهرات حاشدة ، كانوا ينددون خلالها بالعروبة ، ويظهرون تعلقاً غريباً بفرنسا .

أما المسلمون ، فكانت تظاهراتهم المعاكسة ترفع شعار الوحدة العربية ، وخاصة وحدة لبنان مع سوريا .

وفى هذا الوقت برزت الدعوة إلى

نظرة جديدة إلى الميثاق الوطني


بشارة الخورى


كميل شمعون


فؤاد شهاب


شارل حلو


سليمان فرنجية


الياس سركيس

« الفينقة » ـ أى كون اللبنانيين غير عرب وإنما ينحدرون من الفينيقيين القدماء ـ كرد على مشروع قيام اتحاد فدرالى عربى يدخله لبنان على قدم المساواة مع الدول العربية الأخرى .

وكان حزب الكتائب الذى ظهر فى عام ١٩٣٦ ، احد الأطراف المسيحية التى تبنت هذه الهرطقة « الوطنية » وعندما أصبحت « الفينقة » تياراً عاماً بين المسيحيين ، برزت الدعوة الى « القومية اللبنانية » لمواجهة القومية العربية ، وكانت البعثات التبشيرية المسيحية الأجنبية والفرنسية بوجه خاص وراء قيام وبروز هذه الهرقطة .

لكن بالرغم من هذا الانشقاق الخطير فى هيكل المجتمع اللبنانى ، فان الاتفاق على صيغة للتعايش والتفاهم المشترك لم يتم فعلياً قبل حلول عام ١٩٤٣ .

ولادة الميثاق الوطنى

ساهمت احداث محلية واقليمية ودولية فى عام ١٩٤٣ ، على بلوغ مرحلة الاستقلال عن فرنسا ، وكان أهم تلك الأحداث الهبة الوطنية الواحدة التى قابل بها اللبنانيون اعتقال السلطات الاستعمارية الفرنسية للقادة الوطنيين . وابرزهم رياض الصلح وبشارة الخورى . أما أهم الأحداث الاقليمية التى ساهمت فى صنع استقلال لبنان ، فقد تمثلت كون سوريا « الطرف الثالث » فى صياغة الميثاق الوطنى ، والتوفيق بين المسلمين والمسيحيين ، فالزعماء الوطنيون السوريون هم الذين «اقنعوا» العروبيين الوحدويين فى لبنان ، وعلى رأسهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامى ، بالاقلاع عن مطالبتهم بالوحدة السورية والقبول بكيان لبنانى منفتح على العرب والعروبة .

أما الحدث الدولى المهم الذى ساهم هو الآخر فى انجاز استقلال لبنان ، فهو الصراع الدولى انذاك بين فرنسا وبريطانيا إذ كان البريطانيون يشجعون «الوطنيين» فى سوريا ولبنان على التخلص من الفرنسيين ، أملا فى نشر النفوذ البريطانى فى البلدين فى مرحلة الاستقلال .

بنود الميثاق

المهم أن البنود تبلورت على قاعدة صريحة بين المسلمين والمسيحيين ، هى قاعدة الاستقلال عن فرنسا ، وقد جاءت الانتخابات العامة التى جرت فى عام ١٩٤٢ لتكرس نجاح اللوائح الانتخابية التى تضم الوطنيين المؤيدين للاستقلال ، ولتحجم المنادين بعقد معاهدة «أبدية» مع فرنسا بعد خروجها من لبنان ، باعتبارها « الأم الرءوم » للموارنة فى لبنان .

هناك من يقول ان البيان الوزارى الذى القاه رياض الصلح فى ٧ تشرين الأول ١٩٤٣ أمام مجلس النواب (البرلمان) هو بعينه « الميثاق الوطنى » أو انه على الأقل يتضمن أهم بنود الميثاق وخطوطه السياسية العريضة .

أما أهم مبادىء البيان الوزارى هذا فهى

أولا : الاستقلال التام والسيادة الكاملة :

فقد جاء فى البيان الوزارى لرياض الصلح : « ان هذا الاستقلال نريده حقيقياً ، وتلك السيادة نريدها كاملة ، بحيث نتمكن من تقرير مصيرنا كما نشاء وكما تقتضيه مصلحتنا الوطنية ، باستثناء أى مصلحة أخرى » .

ولتحقيق هذا الاستقلال ، اقترح البيان تعديل الدستور ، الذى يتضمن مواد تتعارض مع بناء الاستقلال ، ونصوصاً تعترف لغير الشعب اللبنانى وممثليه بحق ادارة الحكم .. « .. ولذلك فان الحكومة ستطلب فوراً بادخال التعديلات اللازمة حتى يصبح الدستور دستور دولة كاملة الاستقلال » .

لبنان في انتظار الرئيس السابع..

ثانياً : وجه لبنان العربى ، وأولوية التعاون مع الدول العربية :

جاء فى بيان الصلح ايضاً : « ان موقع لبنان الجغرافى ، ولغة شعبه وثقافته ، وتاريجه وأوضاعه الاقتصادية ، تحتم عليه وضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة فى مقدمة اهتماماته » .

إلا أن ما يجدر ذكره هنا ، أن البيان ، باعتباره موقفاً رسمياً ، اتخذ فى ظروف سياسية معينة ، وبنوع خاص بما يتعلق بتعديل الدستور اللبنانى ضد ارادة السلطة الاستعمارية الفرنسية ، فان بيان رياض الصلح الوزارى ، لم يتضمن ، جميع النقاط التى اتفق عليها بشارة الخورى ورياض الصلح ، ولا الأسس التى رمى اليها أو الاطار الدستورى الذى سيمارس فيه .

ومع الاعتراف بتقصير البيان عن التعبير عن مبادىء « الميثاق الوطنى » فانه دون شك يشكل مؤشراً اساسياً لمضمون الميثاق .

أما أهداف « الميثاق الوطنى » ، كما حددها بشارة الخورى ونقلها يوسف يزبك فهى :

- استقلال لبنان التام والحقيقى بالنسبة لكل الدول الغربية .
- استقلال لبنان التام والحقيقى بالنسبة لكل الدول العربية .
- لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ، ولا افضلية بالنسبة لاية دولة .
- التعاون الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة .
- الصداقة مع كل الدول الاجنبية التى تعترف باستقلال لبنان وتحترمه .

لكن قد يكون من المبالغة أو الخطأ اعتبار المبادىء المتقدمة هى التعبير الأوفى عن الميثاق ، تماماً كما أنه من المبالغة والخطأ اعتبار البيان الوزارى لأول حكومة فى عهد الاستقلال تعبيراً شاملا ووافياً عن مبادىء الميثاق .

فجميع الذين تحدثوا عن « الميثاق الوطنى » كانوا متفقين على التأكيد بان الهدف الرئيسي منه ، كان إيجاد صيغة وطنية ـ سياسية ، قابلة لاقناع جميع اللبنانيين باجتياز الخطوة الأخيرة التى تفصلهم عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة .

وكانت الفكرة الرئيسية فى الميثاق عند هؤلاء الباحثين السياسيين تتمثل فى « تخلى المسيحيين عن فكرة الحماية الأجنبية ، فى مقابل تخلي المسلمين عن فكرة الاتحاد مع سوريا » ، ويقول صائب سلام (رئيس وزراء سابق) : « إن المهم فى هذا الاتفاق ، هو أن الفريق الأول ، المؤلف من ابناء جبل لبنان (الموارنة) والمسيحيين بوجه عام ، تخلى عن حماية فرنسا واقتنع بسلامته فى إطار بلد مستقل وحر ، وفى إطار كيان وطنى يعترف به جميع ابنائه وجيرانه وان الفريق الثانى المؤلف من أكثرية المسلمين وابناء « ولايتى » بيروت ودمشق فى السابق ، يتخلى عن موقفه السلبى من الكيان اللبنانى ، ومطالبته بالاتحاد مع سوريا ، ويعترف بلبنان كموطن عربى مستقل .

اما إميل البستانى ، فقد شرح فى دراسة نشرها فى عام ١٩٥٨ موقف المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم فى عام ١٩٤٣ على فكرة التعايش المشترك ، فيقول : كان فريق من اللبنانيين يرى « استقلاله » مهدداً من الداخل السورى ، ومن العرب بوجه عام ، والمتطرفون فى هذا الفريق ينادون بوطن قومى مسيحي تحت حماية أجنبية (يقصد الموارنة) أما المعتدلون فكانوا يعتقدون أن لبنان يجب أن ينفرد بوضع خاص فى المحيط العربى ، وأن يتعاون مع الدول الأوربية ليدافع عن كيانه .

أما الفريق الثاني (المسلمون) فكان يطالب بالوحدة مع سوريا أو بالمحيط العربى أو باعادة بعض المناطق لسوريا مدفوعاً بعقيدته القومية ، إلا أن الزعماء المعتدلين فى هذا الطريق مالبثوا أن ادركوا أن قيام وطن قومى مسيحي بحماية الدول الأجنبية ، يشكل خطراً على الدول العربية المجاورة له ... ومن أجل المحافظة على مصلحة اللبنانيين والعرب مجتمعين ،

يقول إميل البستاني إن الفريق المسيحي تخلى عن مشاريعه الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الأجنبية وقبل بالتعاون مع الدول العربية مقابل أن يتنازل الفريق الثاني (الاسلامي العروبي) عن مطالبته بضم لبنان أو اجزاء منه الى كيان عربى وحدوى اكبر .

فالمسيحيون ، بتخليهم عن فكرة الحماية الأجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان (فى حدود لفظية) ، والمسلمون ، بتخليهم عن فكرة ضم لبنان لكيان عربى أو سورى ، اعتبروا لبنان فى حدوده الراهنة وطناً نهائياً لهم .

أما المبدأ الثاني فى الميثاق ، فهو اعتراف الدول العربية بكيان لبنان واحترامها لسيادته ، وقد اقتضى هذا المبدأ انفتاح لبنان على العالم العربى ، وتعاونه مع الدول العربية الشقيقة ، لما فى ذلك من « مصلحة مشتركة » .

لكن المبدأ الآخر الأهم فى بنود « الميثاق الوطنى » اللبنانى هو الاتفاق بين رياض الصلح وبشارة الخورى ، على مسألة توزيع مراكز السلطة بين الطوائف .

والواضح ـ برغم الاجتهادات المختلفة حول هذا المبدأ ـ أن الميثاق كرس توزيع مراكز السلطة بشكل غير متوازن ، بحيث ضمن هيمنة مسيحية واضحة ، فقد اعطيت رئاسة الجمهورية للموارنة ، ورئاسة الحكومة للسنة ، ورئاسة المجلس النيابى (البرلمان) للشيعة ، وقد اعترف للطائفة المارونية بأنها الأكثر تعداداً بين الطوائف ، وهو ما تنفيه الوقائع الديمغرافية الحالية فى لبنان ، حيث لم يسمح الموارنة باجراء أى احصاء للطوائف منذ عصر الاستعمار الفرنسى . وقد أسندت قيادة الجيش وماتزال حتى هذه اللحظة الى الموارنة ، وبذلك قبض الموارنة على أهم سلطتين فى الدولة .

أما بالنسبة لتوزيع مقاعد مجلس النواب ، فان الميثاق ضمن للمسيحيين نسبة من المقاعد تساوى ستة نواب لقاء خمسة نواب للمسلمين ، أى أن النسبة تساوى ٥/٦ ، وهذه النسبة تظهر تفوق المسيحيين فى البرلمان أيضاً وبذلك تكون جميع القرارات التنفيذية أو الاشتراكية بيد المسيحيين عامة والموارنة منهم بصورة خاصة .

وفى الواقع يمكن القول ، كما يذكر الدكتور انيس صايغ فى كتابه « لبنان الطائفى » . أن « الميثاق الوطنى » « لم يضع أسس النظام الطائفى فى لبنان ، ولكنه جمل وهندس واجهة لبنان الطائفية » « فالنظام الطائفى تكرس ، ضمنا فى عام ١٩٤٣ ، فعلى الصعيد الداخلى ، تكرست الطائفية بالابقاء على دستور ١٩٢٦ ، وبتعزيز

ممارستها على مستوى الادارة والحيـــاة العامة .

اهتزاز قواعد الميثاق

لقد عاش اللبنانيون على القواعـــد والمبادىء المتقدمة الواردة فى الميثـــاق الوطنى ، على مضض ، حيث كان فريق من المسلمين والمســـيحيين يحتفظ بارائـه ومعتقداته الخاصة حول طبيعة الكيـان اللبنانى .

وقد جاءت الهيمنة المارونية على الدولة من خلال رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش والنسبة المتفوقة للنواب المسيحيين فى البرلمان ، لتوسع الهوة بين المســـلمين والمسيحيين ، ولتزعزع قواعد الميثـــاق ومبادئه ، ولتظهر أن التعايش المشترك انما كان مجرد وهم كبير .

ففى عام ١٩٥٨ ، انفجرت ثورة لبنان ، كان شعارها المعلن الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة (التى كانت تضم مصر وسوريا) ، وكان دافعها الأساسى شعور المسلمين بالغبن والظلم فى دولة يشكلون فيها أكثرية مطلقة بالنسبة لمجموع الطوائف المسيحية .

وعندما وضعت الثورة سلاحها ، وجاء قائد الجيش آنذاك اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية ، حاول شهاب سد الثغرات ، واقامة توازن فى الامتيازات والسلطات بين المسيحيين والمسلمين ، وكان شعاره فى ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية ، والانمـــاء الاقتصادى ، معطوفين على التوازن الطائفى والنظام الديمقراطى البرلمانى ، ومحاطين بالتعـــاون الوثيق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة .

لكن فى عهد الرئيس شارل حلو ، الغيت قواعد السياسة « الشهابية » التى تضايق منها المسيحيون أشد الضيق ، حتى أن بعض الفئات كانت تنعت فؤاد شهاب بانه اقرب إلى المسلمين منه إلى المسيحيين . لقد عاد شارل حلو إلى القواعد التقليدية فى السياسة المارونية الاستئثارية التى ســار عليها بشارة الخورى – أول رئيس للجمهورية فى عهد الاستقلال – وعندما جاء الرئيس سليمان فرنجية الى رئاسة الدولة ، وسار على نفس سياسة سلفه أو أسلافه ،



رياض الصلح

بدأت نذر انفجار جديد تتجمع فى أفق لبنان وقد لعب فى تفجيرها دون شك العـــامل الاسرائيلى والعامل الاستعمارى جنباً إلى جنب ، حيث عمل الاسرائيليون والأمريكيون على تحريض الموارنة وتسليحهم وتمويلهم وتدريبهم فى بعض الأحيان ، لمقاومـــة انتفاضة المسلمين المتوقعة ، والتى أخذت بعض عناصر قوتها من تواجد الثـــورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية فى الجنوب فى أعقاب عام ١٩٧٠ .

وبالفعل استبق حزبا الكتائب والاحرار الانعزاليان انتفاضة المسلمين الذين أخذوا يرفعون شعار المشاركة فى الحكم وانهـاء الاستئثار المسيحي بالسلطة ، واجـــراء احصاء لعدد سكان لبنان ، وتوزيع السلطات الأساسية فى الدولة على أساس هذا الاحصاء ، ثم اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ، كما هو يوم الأحد عطلة رسمية .. الخ .

وفى ١٣ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ جرت « مجزرة عين الرمانة » على ايدى الانعزاليين ، حيث قتل سبعة وعشرون لبنانياً وفلسطينياً كانوا فى حافلة ركـــاب (باص) فى طريقهم من القطـاع الغربى من بيروت الى بيوتهم فى مخيم تل الزعتر ومنطقة الدكوانة فى القطاع الشرقى من المدينة ، عندما تصدى مسلحون انعزاليون للحافلة وأطلقوا عليها النيران والقنابل .

وكان هذا الحادث كافياً فى حـــد ذاته لتفجير الأزمة ، حيث بدأت الاشتباكات بين الفرقاء المتنازعين ، وما تزال حتى الآن .

لقد أكتشف اللبنانيون – مســـلمون ومسيحيون – فى عام ١٩٧٥ ، انهم كانوا يتكاذبون ، وانهم كانوا يعيشون « كاخوة اعـداء » .

وخلال الحرب (حـــرب الســـنتين ١٩٧٦/٧٥) اضطر الرئيس ســـليمان فرنجية الى اعادة النظر فى صيغة « الميثاق الوطني » فاذاع ما يعرف « بالوثيقـــة الدستورية » . التى رفضتها الحركة الوطنية فى حينه (اذيعت فى ١٤ شباط ١٩٧٦) ، نظرا لصيغتها الطائفية ولكن هذه الوثيقة جاءت لتلغى « الميثاق الوطنى » عملياً ، وليبدأ اللبنانيون مخاضا جديدا ، يبحثون من خلاله عن صيغة جديدة للتعايش الطائفى . فالوثيقة الدستورية طرحت توزيع السلطات بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين شكلياً لا جوهرياً فقد نصت على توزيع مقاعد مجلس النواب بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين ، واعتماد مبدأ الثلثين فى البرلمـــان لاقرار « القضايا المصيرية » واكثرية ٥٥ بالمـــائة لانتخاب رئيس الجمهورية فى الدورات التى تلى الدورة الأولى ، ثم اصدار جميع المراسيم ومشاريع القوانين بالاتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومـــة ، باستثناء مرسومى تعيين رئيس الحكومة وقبول استقالة الوزارة وإقالتها ، وتعزيز اللامركزية واستقلالية القضاء .

لكن « الوثيقة الدستورية » أبقت رئاسة الجمهورية للموارنة وكذلك قيادة الجيش ، أى أنها كانت محاولة تجميل « للميثاق الوطني » على حد تعبير الدكتور أنيس صايغ .

والآن .. ما هو مستقبل لبنان .. وأية صيغة سيتمكن اللبنانيون من التعايش مجدداً على أساسها ، وكم سنة سيدوم هذا التعايش . ؟؟

اسئلة تلقى فى المجهول .. لأن جميـــع الصيغ التجميلية ، ليست حلولا ، والتسويات بين المسلمين والمســـيحيين لا يمكن أن تعيش طويلا ، لأنها أيضـــا ليست حلولا .. ويبقى فى نظرنا أن مستقبل لبنان مرهون بالحل القومى ، وبكون لبنان جزء لا يتجزأ من وطن أكبر وأن الحدود المصطنعة التى رسمها الاستعمار قبل رحيله من البلاد العربية يجب أن تزول يوماً ما .

عصام شريح

من أوراق
سياسي عربي كبير

من القدس .. إلى القاهرة بالقطار



الملك فاروق

● فى الأزهر كان الطالب يختار أستاذه والمواد التى يدرسها ● أول درس للأزهريين كان عنوانه : كيف تكون على خلق حسن ؟ ● عندما كان مكرم عبيد المسيحى يستشهد فى خطبه بالقرآن الكريم ● ملامح من العصر الذهبى للحركة الفكرية فى مصر .

الورقة الأولى

فى صيف عام ١٩٤٥ ركبت القطار من القدس متجها إلى اللد ، ومنها إلى القطار القادم من حيفا فى طريقه إلى القاهرة .

وفوجئت منذ بداية رحلتى بوجود حشد من الجنود البريطانيين الذين يحتلون عربتين متجاورتين من القطار فى طريقهم إلى مصر . وكان لهم ضجيج عال مازال صداه يرتج فى ذاكرتي منذ ذلك اليوم ، فلقد اخاف امثالى من الطلاب صغار السن الذين تركوا اهليهم لأول مرة .

بقى الانفعال الحاد مرسوماً على وجهي ، ومحفوراً فى قلبى حتى وصلنا إلى محطة حديد غزه ، وفيها التقيت بشيخ فلسطينى معمم تبدو عليه سمات السماحة والوقار فدعاني للجلوس معه فى احدى المقصورات الخاصة .

ترددت فى البداية ، ولكنني - امام الحاحة - استجبت للدعوة ، وعرفت فيما بعد ان هذا الشيخ الجليل هو الاستاذ محمد ابو سردانه الذى يعمل الآن قاضياً شرعياً فى الأردن .

بدأ الشيخ محمد يحدثني عن الأزهر ، وعن علوم الدين واهميتها فى هذا العصر الذى كاد الناس فيه أن يبتعدوا عن دينهم امام مغريات الحياة وغزوات الملحدين . وذكر لى - ضمن ما ذكر - كثيراً من قصص المعاناة التى واجهها السلف الصالح فى سبيل طلب العلم ، كما ذكر لي ما اعده الله سبحانه وتعالى من خير وبركة ومثوبة لطلاب العلم .

والواقع انني سعدت بحديثه ايما سعادة لاننى ما تركت وطني ، وابتعدت عن أهلي واحبابى الا من أجل ان اتعلم اصول الدين والفقه واللغة فزادني هذا العالم - جزاه الله خيراً - ايماناً وقناعة بما ان مقدم عليه .

عندما وصلنا إلى محطة (باب الحديد) بالقاهرة أصر الرجل بأن يصحبني فى عربة (الحنطور) التى اوصلتنا إلى الأزهر الشريف .

بين اروقة الأزهر

كان القسم الداخلي بالأزهر - وما زال - مقسماً الى عدة أروقة منها : رواق الشوام ويسكنه الطلاب الوافدون من فلسطين والأردن والعراق وسوريا ولبنان ، ورواق الصعايده ، ويسكنه الطلاب القادمون من صعيد مصر ، وكذلك رواق الاتراك والسودان وهكذا ، كل مجموعة اسلامية لها رواق خاص . ولكل رواق وقف معين ينفق على طلابه ، واذكر ان رواق الاتراك كان اغنى الأروقة جميعها .

وكانت ادارة الأزهر تخصص لكل رواق شيخاً معيناً له وكيل يباشر مهماته التنفيذية بهدف تنظيم حياة الطلاب .

وكأى طالب جديد على الأزهر نزلت فى بدروم عمارة من ثلاثة طوابق ، وهناك

كاتب هذه « الأوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الأوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والأحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما أحب هو أن يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .



مصطفى النحاس



مكرم عبيد



احمد حسين

سلمني الشيخ محمد ابو سردانه إلى الشيخ حافظ صندوقه ـ رحمه الله ـ حتى يقوم بولاية امري ورعايتي ، وذلك بناء على توصية حملتها إليه من احـــد أقاربي بالقدس .

وكان أول عهدي بالدراسة الأزهرية استماعي لدرس بعنوان : كيف تكون على خلق حسن ؟ وهو عبارة عن توجيهـــات وارشادات فى فن الاستماع ، والمناقشـــة ، واجابة الامتحانات وخلاف ذلك .

وعندما اردت ابتياع الكتب الدراســية رافقني أحد الزملاء إلى احدى المكتبـــات ، فقال صديقى للكتبي : هذا زميل جديد شافعي المذهب ، وإذ بالرجل يعطيني مجموعة كاملة من الكتب عبارة عن جميع مقررات السنة الأولى !

واعترتني الدهشة لذكائه ، فقد كانت هذه العبارة ذات الخمس كلمات كافية لأن يعطينا حاجتنا بدون ذكر الاســـماء والمؤلفين .

لقد كانت الدراسة يومذاك « حرة » بمعنى ان الطالب يختار « الشيخ » الذى يستريح له ويشعر بالفائدة الأكثر من علمه ، وهذه الطريقة ـ فى رأيي ـ ذات دلالات كثيرة ، لأنها تترك للطالب حرية الاختيار بما يعود عليه بالنفع والراحة النفسية . وبدأنا الدراسة بحفظ المتون ، وكانت المقولة فى الأزهر حينذاك تقول : « من حفظ المتون حاز الفنون » بمعنى أن الذى يحفظ متن اللغة أو متن الأصول مثلا ، فانه مؤهل قبل غيره من الطلبة لكى يحرز السبق والنجاح .

كانت الدراسة التمهيدية فى الجامع الأزهر ـ القسم العام ـ تعني التمهيد لدخول احدى الكليات الثلاث فيه وهى : كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

ولا يحق للطالب ان يدخل احدى هذه الكليات الا اذا نجح فى امتحان القسم العام واذا نجح فى هذا القسم حصل على الشهادة (العالمية) ، ثم تبدأ الدراسة الجامعية التى تستمر لمدة أربع سنوات يحصل المتخرج بعدها على (الشهادة العالية) التى تؤهله للعمل فى حقل التدريس أو المحاكم الشرعية أو الوعظ والارشاد .

ومن ابرز المظاهر الايجابية فى الدراسة الأزهرية هو التعارف الوثيق ، والتآلف الوطيد الذى كان يتم بين الطلبة القادمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى وغير الاسلامى ونتيجة لذلك اتسعت دائرة معرفتنا الانسانية ، وتوطدت علاقاتنا الأخوية ، فهذا شامي مع مغربي ، وذلك سوداني مع تركي ، وذاك افغاني مع مصرى .. وباختصار فان الوحدة الاسلامية كانت متجسدة وقتذاك فى طلبة الأزهر الشريف .

ومن حسنات فترة دراستنا فى ذلك الوقت ـ والتى نسجلها بمداد الاعزاز والفخار ـ اننا عاصرنا احداثاً مهمة فى مصر ، وتركت فى نفوسنا اطيب الذكريات .

مع الاحزاب فى مصر

لابد من المرور هنا على مجمل الأحزاب المصرية التى كانت تتصارع كلها من أجل الوصول إلى سدة الحكم ، وكانت لكل حزب افكاره ومبادئه ، وصحفه ومجلاته التى تبشر بتلك الأفكار والمبادىء .

وكان الشارع المصرى موزعاً بين هذه الأحزاب ، فئة تؤيد هذا ، وفئة أخرى تناصر ذاك ، وفئة ثالثة ملتزمة بتأييد حزب معين ،

وهلم جرا .. وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن كطلبة كنا نستفيد من مثل هـذه الصراعات ، فكنا نعرض بعض مشاكلنا على الحزب المعارض للحكومة القائمة ، فيفسح لنا المجال لنشر ما نريد لتحقيق اهدافنا ، فكانت صحف المعارضة هى النافذة لكل مظلمة أو شكوى .

من القدس .. إلى القاهرة بالقطار

فيوم يكون الوفد خارج الحكم يفتح لنا صحفه ومنابره ، ويوم يكون السعديون خارج الحكم يفتحون لنا صحفهم ومنابرهم . وهكذا ومن هنا أيضاً برزت لنا ـ كطلاب ـ ناحية مهمة ، وهي اننا كنا نشبع رغباتنا في المعارضة من خلال احزاب المعارضة نفسها .

كنا نتصل باحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، نستمع إلى خطاباته الحماسية التي كانت تنمي فينا بذور النقمة ضد التخلف والقهر ، والملك فاروق والحكومة المؤيدة له ، فنستفيد من كل هذا سعة في المدارك ، ومعرفة ببواطن الأمور ، ولو كانت من وجهة نظر مغايرة .

وما زلت اذكر يوم انفصل مكرم عبيد عن حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس باشا بسبب خلاف وقع بينهما فأسس « عبيد » حزباً جديداً اسماه « الكتلة الوفدية » . نكاية في النحاس .

والحقيقة اننا كنا في ذلك الوقت نحب أن نستمع لخطابات مكرم عبيد بالذات نظراً لما يمتاز به من فصاحة اللسان ، وسلاسة التعبير ، والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم ، فلقد كان ـ وهو من اتباع سيدنا عيسى عليه السلام ـ يحفظ القرآن عن ظهر قلب !

وكنا نحب أن نلتقي بأغلب زعماء الأحزاب السياسية في مصر . نقرأ افكارهم ونستفيد من تجاربهم وحنكتهم بغض النظر عن الافكار التي كانوا يطرحونها ، وكان كل زعيم يؤكد على صحة نظريته ، وصدق مقولته ويصف نفسه بانه الوطني المخلص الذي لا يشق له غبار ، وأن غيره بحاجة إلى دخول المدرسة من جديد ليتعلم فيها مبادىء الوطنية كي يصبح في درجة مناسبة تؤهله لمبارزته ، والوقوف امامه !

والجدير بالذكر ان زعماء الأحزاب كانوا من الطبقة الارستقراطية المصرية ، وكانت لهم مميزات يفتقدها رجل الشارع العادي .

وفي رأيي ان جميع الأحزاب فشلت في خلق كوادر حزبية واعية ، بدليل انها لم تستطع كلها ان تحقق للشعب المصري هدفه الرئيسي في طرد الاستعمار البريطاني الذي كان جاثماً على صدر مصر في تلك الفترة .

لقد كانت الأحزاب كلها تعتمد على الكم الكلي ، دون الكيف النوعي ، بمعنى انها كانت تعتمد على الكثرة العددية دون الالتفات الى نوعية القيادات التي كان يجب عليها أن تخلقها لتتحمل المسئولية ، وتضع القرار .

ان الشعب المصري الذي يمتاز بطيبته وبحسه الوطني المرهف قد ضاع بين مصارعات الأحزاب التي كان همها الأوحد ان تصل إلى السلطة .. والى السلطة فقط !

العصر الذهبي

خلال فترة وجودي بالقاهرة كنت اشعر بأن المرحلة التي اعايشها هي مرحلة العصر الذهبي العلمي ، عصر النهضة الفكرية في مصر .

كانت القاهرة يومذاك تغص بالعمالقة من الأدباء والعلماء والرواد والمفكرين في شتى مناحي المعرفة الانسانية .

كان لا يمر يوم الا وتشهد فيه محاضرة أو مناظرة أو ندوة ، وما شابه ذلك ، وكنت شغوفاً بذلك النشاط المكثف انتقل من محاضرة إلى أخرى ، ومن مقر إلى آخر ، أغترف من هذا علماً وحكمة ومن ذاك أدباً وقولاً ، ولن انسى « دار الحكمة » التي كانت المحاضرات القيمة تقام فيها اسبوعياً ويحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم .

كثيراً ما اسرح اليوم بخاطري اتذكر تلك المرحلة الذهبية ، واعض على بنان الاسى والألم حين اتأمل ندرة هذه الأنشطة في يومنا الحاضر ، وانظر بعين الاشفاق على لا مبالاة الناس في حضور الندوات والأمسيات والمحاضرات التي تقام بين حين وآخر هنا وهناك .

فما الذي غير الامزجة يا ترى ؟ عصر ذهبي في الاربعينات والخمسينات ، وعصر جفاف فكري في الثمانينات ؟

هل عقمت الامهات ولم يعدن يلدن عباقرة من امثال طه حسين والعقاد والمازني وشوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم ؟

تلك لعمري قضية ملحة في حاجة لمن يسبر غورها ويكشف اسرارها .

في العدد القادم تلتقي مع هذه الأقلام

نعمان عاشور ـ الدكتور حافظ الجمالي ـ سعد مكاوي ـ حسين أحمد أمين ـ الدكتور محمد عماره ـ عباس خضر ـ جميل العابد ـ فوزي تادرس ـ نهى سماره ـ جمال الكناني ـ الدكتور عدنان رشيد .

وفي العدد القادم أيضاً :

النص الكامل لقصة « مستوطنة العقاب » ـ إحدى روائع الأديب العالمي فرانز كافكا ترجمة كامل يوسف حسين .

الساعة الثانية

شعر: محمد المهدي المجذوب

إحدى القصائد الأخيرة للشاعر العربى السودانى الكبير محمد المهدى المجذوب الذى رحل عن دنيانا فى نهاية الشهر الماضى وفى العدد القادم سوف ننشر مجموعة أخرى من قصائد الشاعر الكبير الراحل .



محمد المهدى المجذوب

وضاقت الذرة بالكتمانْ
الســـاعةُ المجهولةُ الثانيـــةْ
تدق دقةً تتبعها بدقةٍ وتُصغى
ينهارُ في أشلاءِ عشِّها الزمنْ
يتَّساقط الريشُ على رؤوســـنا
بكارةُ الموتِ يفضها العقمُ وناجزاكى نثرت دماءَهَا
على وسائدِ الحضارةْ
والبيضةُ الحمقاءُ نزعتْ أستارَهَا واخْرَجَتْ أثقَالَها
ونَطَقَ الغرابُ حين شابْ
وامَّحت الألوانُ فى عماية الوهجْ
وينظر الصبحُ إلى مصباحِه اختلَجْ
ويكذبُ العيـــانْ
الموتُ والميلادُ أعميان صفة واحدة وارتفَعَ الحجابْ
وأمِنَ الخرابُ فى سكينةِ الغيابْ
واتَّحـــد الذهابُ والأيابْ

• •

وشبحٌ يبحثُ عن أحفادِه
يحمل أثداءً تَحِنُّ للرضَاع يابسَاتْ
تظلّها شمسيةٌ بلا غِطَاءْ
يذكر ألوانَ الصباحِ ذهبَتْ مع الصِّغار
يجمِّـعُ المحَـارْ
يسمع فيه البحرَ آهةً بعيدةً خاويةً محبوسةَ الأفاقْ
فى إطـــارْ
وغارة الموج على الأفاق زَبَدٌ فى الشاطىءِ الحبيسْ
الموجُ ورقٌ يبيسْ
ودَمْعتى يابسةٌ على وسَادَتى
وانبسطت يدى وأجفلت منها رجية بلا جسدْ
وفى فمى رمادِى

• •

هل أقفر الانسانُ من ميلاده الشجاعْ ؟
من يبدأ الصراع مرة ثانية ويدمن الضياع؟

• •

يرتحلُ المساءُ وحـــدَه يفارقُ السوادْ
يرتحـــلُ النهَـــارْ

• •

الساعةُ الراحلةُ الثانيـــةْ
تدق خارجَ الزمَنْ
وضحكتْ جمجُمَةٌ تنظُرُ نظرةً وتُصْغى
تحنُّ والموتُ لها جَسَـــدْ
هل عَرَفَتْ احلامَهَا سـيدةُ الأبَدْ

• •

من الذى يســـهَرُ فى الكونِ بلا سُهادْ
من الذى مَضَى بذلك المِهَادْ
المـــاءُ فى الظهورِ احتجبا فكيف غَارْ ؟

• •

وبقيَتْ أنثى على انتظَـــارْ
تشكّل الخواء شبحًا يزورُ قلبَهَا الوحيـــدْ
واعترفَتْ أنوثةُ الجرح بلا ادِّعاءْ
واحتَدَمَ اللقـــاءْ
وفى مدى سمعىَ شـــهْقَةٌ ولبَنٌ جديدْ

• •

حبيبتى
صبّحك الهوَى بصبْحِهِ الجَميلْ

السفر على الرمال

بقلم : عبد الله الجفري

● ● إن الأحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين والطيبين والمسالمين ، وحولوها إلى سلاح يطعن ويدافع ● ●

ليلة الصيف هذه :
مركبة رمل تتحرك رتيبة .. تحمل الأحلام المنتهبة المتفائلة . والخطوات الملولة الساذجة وهى انطباع مناخ نفسى سادر ،، تحمل الزمن كله تساقطا ، وغورا ، وإغماضة !!

وبدأت رحلة المساء الصيفى فوق الرمال هذه .. التى التفت سياجا حول البحر المغفى .. سياجا تحت نجوم الليلة الواحدة بعد الالف عندما غابت «شهرزاد» وأصبح لزاما أن يسترق «شهريار» نومه من صدى ما مضى !!
سافرت الخواطر فوق الرمال فى عتمة (صافية اللون) !
واضطجع جسد انسان متحمس للصمت .. يتحد مع ذرات الرمال ، ويفتت الكلمات المتيبسة الهشة بجانبه كساق زهرة حرقتها الشمس ، وذرتها الريح !!

والرحلة طويلة فى أحشاء المساء ..
النسمة مبللة بالتعب ..
المسافة مشروخة بالبرق المتقطع .
الانسان يحاول استراق ما يلوح أمامه ، أو فى ذهنه ، أو بين جدران صدره ، ومشية الرمال كسلى من حوله ... كل شىء رتيب سوى الأحلام فهى التى تسابق أجزاءها ، ومسافاتها والبرق المتقطع !!

عندما تسترخى حوافزنا نستطيع أن نسرق الكثير من الأحلام ، وندعى ملكيتها ، ونخبئها فى أعماقنا حتى لانعرضها للفضح لأنها ليست ملكنا .. لأن قدرتنا على حيازتها قدرة متهالكة وخائفة ومفجوعة ! .. أما حينما تسترخى أحلامنا فاننا نستطيع أن نحقق الكثير من انتصاراتنا المادية الخاضعة لتوقيت الحاجة !!

وعلى أرضية العالم اليوم يعانى الانسان من «ورقة النشاف» التى اندلعت عليها أحلامه وامتصتها ، ولم يحقق من انتصاراته المادية الا ما كان خاضعا للحاجة الملحة لدرء أخطار الكوارث النابعة من استرخاء الحوافز . إنه عالم يحلم ، غير أن أحلامه ليست ملكا له ، وقدرته على حيازتها ، متهالكة وخائفة ، ومفجوعة !!

إنها أحلام مذبوحة .. يتاملها إنسانها بنفس الصورة التى رسمها – ليبولد سنغور – فقال : «أتأمل أحلامى ودمها المجانى المهدور على مدى الشوارع» !!

وأكثر من ظاهرة تدل على ذلك الهدر ..
إن أغانينا باتت لا أكثر من أحلام نعزفها فى منتصف الليل بعد تعب حارق ، أو نرددها فى أوقات القيلولة بعد أن نسدل الستائر ، ونشيع المتعة في الغرف المهياة بتثاؤباتنا ، ونغنى الاه ، وتدليل الجراح .. تلك المطلوب منا أن نربيها وأن نضمدها بالصحو ، وبرفعة الأمانى ، وبصلابة الاحتمال !

إن نكسات المبادىء والقيم .. تكاد تجرف الكثير من الحق العادل .. ذلك المرغوب في تقويم المجتمع الانسانى .. واضحت قاعدة العصر التى يقف عليها انسان اليوم تخضع لبوادر الانحرافات الفكرية والارتطامات الخلقية ، والتفتت الحسي !!

إن الصورة مرهقة ، ومصدوعة .
إنها تعكس ما يمارسه الرمل تحت أقدام السائرين !!

والانسان المعاصر يمشي ايامه الحاضرة – مسافرا على الرمال – وكل ثمينه وذخائره ، وحتى انتصاراته الخاضعة لتوقيت الحاجة تغور جميعها فى الرمال تحت أقدامه .. تحت سنابك قسوته على زمنه !!

إنه لم يكن هناك زمن قاس ، ولكن هناك أفكارا قاسية ، ونوايا قاسية ، وقوة قاسية وأحقادا قاسية ، وحرمانا قاسيا ، وضعفا قاسيا !!

إن الافكار القاسية دفعت الانسان أن يفكر فى القنبلة الذرية ويخترعها ويدمر بها وينتزع الانتصار الخاضع لتوقيت الحاجة !
إن النوايا القاسية جعلت كل انسان يشك في الآخرين ، ويخافهم ويتالب ضدهم ، ثم يحاربهم ، ويموت بنواياهم !!

إن القوة القاسية زينت سرقة أحلام



الذين استرخوا . انها قوة تسرق السرقة ، وتجسدها وتفتعل بها حياة جديدة ، مبنية جدارها من الكرتون !

إن الاحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين ، والطيبين ، والمسالمين ، وحولوها الى سلاح يطعن ويدافع ، وسقطت فى الرمال تلك العبارة التى قالها : «أندريه جيد» من زمن : (ليس الحكمة فى العقل ، وانما هى فى الحب) !!

إن الحرمان القاسى طمر الرقة ، والحنان والانسانية فى رماله الكثيفة ، ولم يتبق فى النساء إلا اثداء ناهدة تحجرت من رفض الرضاع بالهرب من الأمومة ، وخضعت لضرورة جمال الشكل ، والفزع من انشغال الذكور ! .. ولم يتبق فى قلوب الرجال الا المجابهة ، وتلحفت بالرمال أنشودة ـ ليبولد سنغور ـ التى غناها ذات يوم فقال (نحن فى الحقيقة رجال الرقص الذين تزداد اقدامهم حماسة كلما ضربت الأرض القاسية) !!

إن الضعف القاسى هو انتصار الافكار القاسية ، والنوايا القاسية ، والقوة القاسية والاحقاد القاسية ، والحرمان القاسى !!

• • •

وفوق الرمال .. ومعاناة السفر عليها وهى تبدو مركبة رمل تتحرك رتيبة تحمل الاحلام المنتهبة المتفائلة ، والخطوات الملولة الساذجة .. فوقها تعتادنى أناشيد «سنغور» وهو يتحدث فيها عن حبيبته الزنجية التى قذفوها بالقسوة المتحدة أفكاراً ، ونوايا ، وقوة ، واحقادا ، وحرمانا ، وضعفاً !

إن «سنغور» فى أشعاره .. يصف أحلامه المذبوحة لحظة هدر دمها المجانى على مدى الشوارع .. يصفها على أوراقه الرتيبة وهو متعب ، وهو يتأوه قائلا : «آه يا لضجيج المطر فوق الأوراق الرتيبة» !!

ذلك الضجيج بدأ وهو ينادى رياح الفصل البديع .. يقول لها : «احرقى كل زهرة وكل فكرة باطلة ، فحين يعود الرمل يتساقط على كثبان القلب» !!

إن كل أحلام الانسان وأمانيه لاتظهر بوجهها الحقيقى . إنها مثل «كومباتام» زنجية سنغور التى أهدى قناعها الى الرسام العالمى بيكاسو ، وخاطبه بعد ذلك قائلا :

ـ هذه حبيبتى التى كانت تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل ، وقد أغمضت جفنيها .. وهما ينبوعان مزدوجان مخبوءان !!

• • •

ان الصيف قائظ .. ان الرمال تسافر ، ولكن ببطء ، والذى يركض فى هذا الكون كله هى أحلامنا !!

لقد سئمنا أحلامنا .. لقد استهلكناها حتى الملل لكثرة ما نضاجعها هذه الأحلام !!

إن الحب العصرى أصبح رطيناً وسافلا

وملطخاً بالدم وبالسادية . إنه هذا الذى امتهن به «تشارلى مايسون» زعيم الهيبيز مشاعر الناس ، وامتهن به حريته هو ، وكرامته كانسان !

ان القيم .. بلغت درجة انحرافها حد العدم ، والعدمية تبلورت سلوكاً اجتماعياً يقود الانسان الى تنازلات اليمة !!

والحب ، والقيم : هما بنيان الانسان ، وهذا البنيان يقف على الرمال .. تكسوه أوراق النشاف التى تمتص عرق الانسان ، ودموعه ، ورحيقه ، وبســـماته ، ويبقى «بيكاسو» أبدع ريشة تعكس ملامح الوطن العالمى !! .. بينما ما تزال «كومباتام» حبيبة «سنغور» تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل وما تزال عبارة ـ توم بين ـ القائلة : «حيث لا حرية فهناك وطنى» .. عبارة تستلقى على الرمل عند سفح الانسان !!

أما الحب والقيم ... فهما دائماً : هما السفر على الرمال .

عبد الله الجفرى

جده

كان يوم السبت ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م ، أطول أيام الجنرال كليبر فى مصر .
حين بدأ اليوم ، لم ينبىء بشىء جديد عما تعوده الجنرال منذ تولى القيادة العامة لجيش الشرق قبل عشرة أشهر ، فشمس يونيو الساطعة توحي بيوم صيفي حار ، مكتظ بالعمل ومبلل بالعرق .. وفى جدول أعماله ، مهام لا تخلو من مشقة ، ولكنها لا تفتقد إلى الترفيه ، أما الذى لم يكن يعلمه الجنرال ـ حين فتح عينيه فى الصباح بمسكنه المؤقت فى معسكر الجيزه ـ فهو أن هذا اليوم سيكون آخر أيامه فى الدنيا ..

الموت على تلّ العِقاب

عندما لقي قائد جيش الشرق مصرعه على يد أزهري من حَلَب



س. الحلبى يقتل كليبر و بروتان يهم باللحاق به.

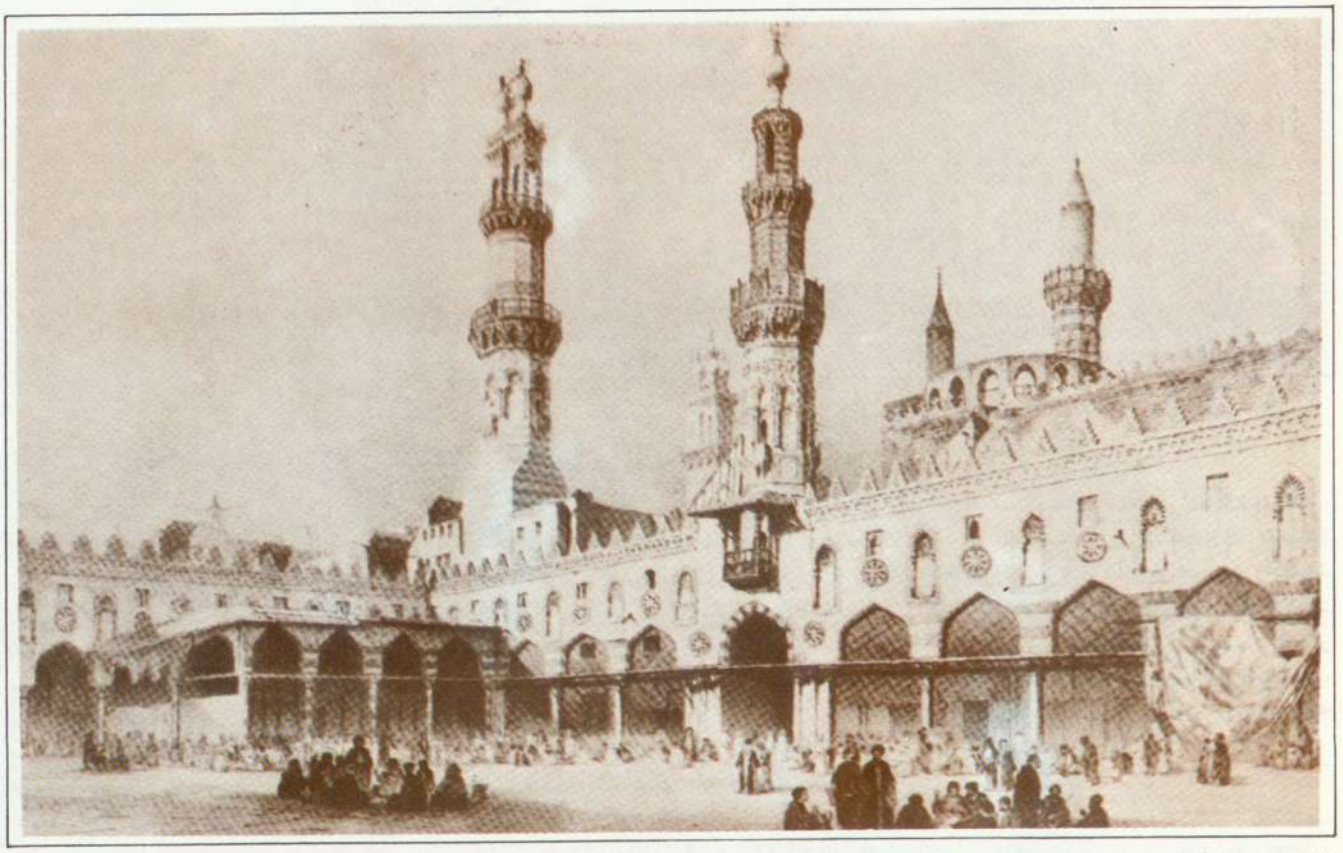


القائد الفرنسى كليبر



نابليون بونابرت

يرويها : صلاح عيسى



الازهر من الداخل ، حيث التقى سليمان الحلبى بأصدقائه الأربعة

كان عليه أن يعبر النيل إلى الروضة ، ليستعرض الجنود اليونانيين ، الذين تتكون منهم « كتيبة الأروام » ويلتقى بقائدهم القبطان « نيقولا بابا زوغلو » لعله يسمع منه ما يطمئنه على كفاءة فرقته ، وقدرتها على دعم الجيش الفرنسي ، إذا ما اضطر للدخول فى مواجهة جديدة مع العثمانيين أو الانجليز أو المصريين ..

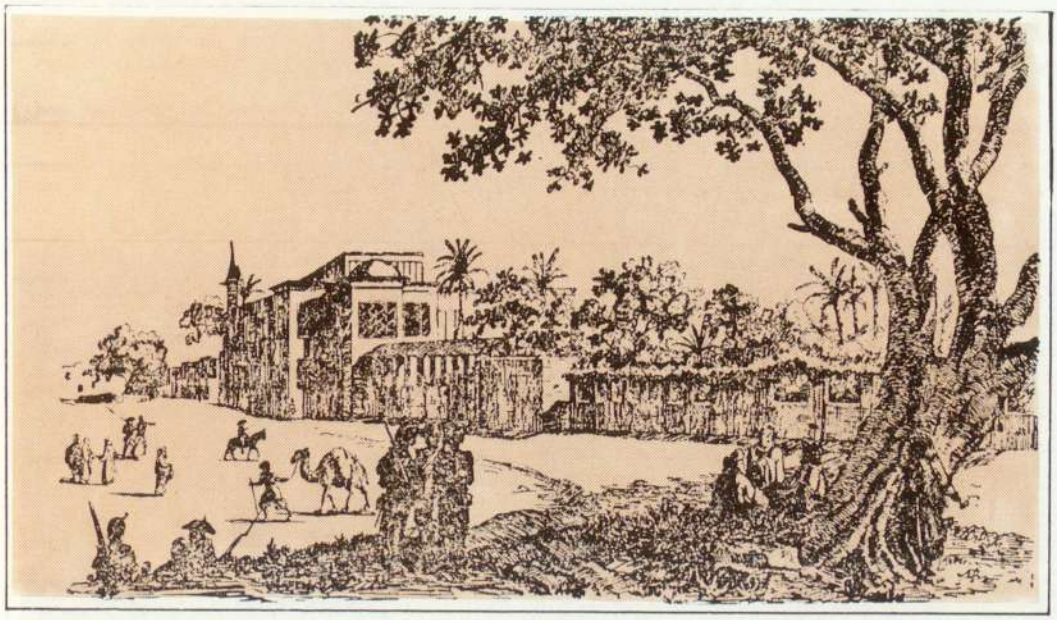
ومع أن أحوال الكتيبة كانت تدعو للتفاؤل ، إلا أن « كليبر » لم يهضم بسهولة الواقع الذى قضى بأن يحتاج جيش الشرق لمن يدعم قدرته على المواجهة والصمود . أين الأحلام الجامحة التى قاد بها نابليون بونابرت هذا الجيش نفسه ـ قبل ثلاثة أعوام ـ ليبني امبراطورية فرنسية شرقية ، تضرب انجلترا فى الصميم ، وتقطع طريق تجارتها إلى الهند ، ؟ .. اين صيحة نابليون امام الأهرام : أيها الجنود .. ان اربعين قرنا تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام ؟ وأين قاموسه الذى خلا من كلمة مستحيل ؟ .

ضاعت جميعها بين الصحراء والبحر ، كما ضاع نصف جيش الشرق فى الطواعين والثورات وأمام أسوار عكا تبدد الجيش والحلم . هرب قائده « المظفر » . نابليون بونابرت تحت جنح الليل ، مخلفا أربع خطابات مليئة بالنصائح ، وتركة مثقلة بالديون ورثها كليبر : خزانة مفلسة بها عجز يصل إلى عشرة ملايين من الفرنكات ، وجيش فقد نصف قواته ، وتدهورت معنوياته ، وبلغت متأخرات رواتبه أربعة ملايين فرنك ، يرتدى ملابس باليـــــه ، لا يستطيع أن يجددها ، لأنه إذا وجد النقود اللازمة لذلك ، فلن يجد السبيل لاستيراد الأخواج ، وهو محاصر بين البحر والصحراء ..

فهل تصلح « كتيبة الأروام » التى يقودها القبطان « نيقولا بابا زوغلو » ما أفسده الدهر ؟ هل تمكن جيش الشرق المحاصر من الخروج من المحنة حيا ؟ فتنقذه من براثن الأعداء الكثيرين الذين يتربصون به : الانجليز فى البحر .. والاتراك فى الصحراء .. وهؤلاء المصريون الذين لم تمض سوى أسابيع قليلة على إخماد ثورتهم اللاهبه ؟ .

كانت آثار الثورة ما تزال واضحة على مبنى القيادة العامة للجيش الفرنسى ، حين وصل إليه الجنرال كليبر قادما من الروضة ، ليتفقد أعمال الترميم الذى أمر باجرائه به . طالت قنابل الثوار غرف القصر وطرقات حدائقه ونافوراته ، وثكنات الجنود المحيطة به . لم يتمتع أحد بالاقامة فى هذا الترف الجنونى ، حتى صاحبه الأمير المملوكى ، « محمد بك الالفى » ، الذى بناه وزخرفه ، واستورد له نافورات من ايطاليا ، وانواعا من الرخام والأعمدة ، وخرط له مشربيات وشبابيك يزينها زجاج ملون ، وفرشـــــه بالوسائد والمساند والستائر ، واضاءه بالقناديل والشموع والمشكاوات ، لم يمكث

الموت على تل العقاب



سراى الالفى .. مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى حيث قتل كليبر ، وتقوم مكانها الان محطة بنزين على ناصية شارعى الألفى والجمهورية بالقاهرة

به سوى ستة عشر يوماً ، ثم جاء جيش الشرق ، فهرب الأمير المملوكى فيمن هرب ، أما البيت فسكنه سارى عسكر بونابرته الكبير ، قائد الجيوش الفرنساوية الذى جاء ليلتقى بأربعين قرناً من التاريخ ، فحوصر ، ودمر الانجليز أسطوله فى « أبى قير » ، ولم يجد متعة تخرجه من الحصار إلا أن يدفن إحباطه فى أحضان المواطنه « بولين فورييه » .

● ●

صعد الجنرال « كليبر » سلالم القصر المصنوعة من الرخام والمرمر والجرانيت المصقول المجلوب من أسوان ، يتفقد العمال الذين انهمكوا يصلحون ما طال الجدران من قذائف ، وينزعون النوافذ المحترقة ، ويستبدلون الزجاج المحطم ، تأمل النافورة الفخمة فى قاعة الاستقبال التى شهدت احتفال « الألفى » الأول والأخير بقصره الذى لم يسكنه بعد ذلك أبداً ، وسمعت أكاذيب نابليون على شيوخ الأزهر يوم أعلن أمامهم إسلامه ، وأكاذيبه على جنوده يوم وعدهم بأن يحصل كل جندى منهم عند عودته إلى فرنسا ما يكفى لشراء ستة أفدنة من الأرض ، فمات معظمهم دون أن يجدوا قبراً يدفنون فيه .. أما فى غرفة النوم ، فقد كانت وعوده الباطلة لمدام فورييه بالزواج منها منقوشة على الجدران ، كأثر تذكارى للكذب والجبن ، فقد دبر رحيله من مصر فى سرية تامة وتركها دون أن يصحبها أو يكتب لها حرفاً واحداً .

لم يكن المهندس « جان بروتان » هو الذى تنبه لذلك الشاب الرث الملابس الذى يرتدى عمامة خضراء ، وقفطاناً رديئاً ، ويمشي فى إثر الجنرال من غرفة لغرفة خلال تفقده للاصلاحات التى تجرى فى القصر ، إذ كان بروتان مشغولا بتقديم إيضاحات حول عمليات الترميم للجنرال ، ولكن الملازم « فورتينيه » ياور كليبر ، تنبه لذلك الفتي الذى أخذ وجهه يظهر أمامه فى كل غرفة أو قاعة استقبال يدخلها الجنوال ومرافقوه . ولم تكن ملامحه تشى بشىء ، ولعل آخرون قد تنبهوا أيضاً له ، لكن أحداً لم يفسر الأمر بأكثر من مظاهره ، فالقصر مليء برجال مثله يصلحون ما أصابه من دمار ، فلعله واحداً من العمال الذين يصلحون الزجاج أو يخرطون الخشب ، فجميعهم يرتدون ملابس رثة ، وحتى لو لم يكن ، فليس هناك أدنى احتمال لأن يقوم أى انسان فى مصر الآن بعمل طائش ، وأطلال حى الأزبكية شاهد على أن الطيش سيء العاقبة ، فقد احترقت عن بكرة ابيها ، لأن حفنة من المهيجين ظنت أن رحيل « بونابرت » يمكن أن يضعف موقف الفرنسيين فى مصر .

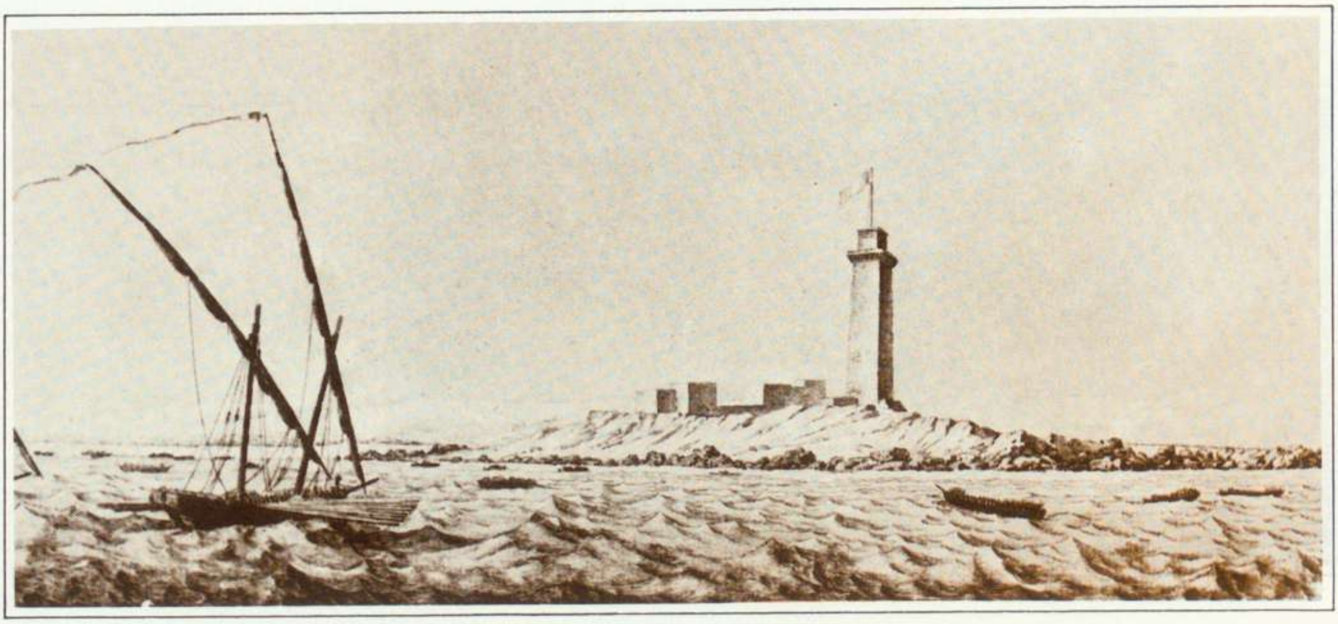
● ●

وحين اقترب موعد الغذاء ذكر المهندس بروتان ، الجنرال بدعوة للغذاء ، كان قد وجهها إليه « الجنرال داماس » رئيس أركان حرب الجيش ، فغادر الاثنان القصر إلى الحديقة ، وبصحبتهما الحاشية ، واخترقاها عبر الأرض المصنوعة من الفسيفساء الملون ، إلى ممشى يقود إلى حديقة بيت داماس المجاور للقيادة العامة ، ولاحظ فورتينيه أن الشاب ذا العمامة الخضراء مازال ضمن صفوف حاشية الجنرال ، ولما كان ذلك فى رأيه تطاولا ، فقد أمر أحد الخدم بطرده قبل أن يدلف إلى دار رئيس الأركان ، وحين ألقى نظرة أخيرة ، وهو على سلم منزل « داماس » ، لم ير وجه الرجل ، فتنهد براحه .

الشاب ذو العمامة الخضراء

فى قاعة الطعام بمنزل « داماس » تخفف « كليبر » من سترته العسكرية بسبب حرارة الجو ، وسرعان ما شمل المدعوين جو من الألفة ، وزاد « كليبر » الجو مرحاً بسخريته اللاذعة من « البطل القوى القادر » بونابرت الذى هرب فى جنح الظلام ، وترك له خلافة لم يكن يريدها ، وخطاباً مليئاً بالأكاذيب عن فرنسا التى هرول لنجدتها ، ولو كان صادقاً لقال : عن السلطة التى لابد أن آخذ لنفسي نصيباً منها قبل أن تتوزع وأنا محاصر هنا فى مصر ..

وإذ تطرق الحديث إلى الأحوال فى مصر ، بدأ كليبر مطمئناً ، صحيح أن مشروعه للجلاء عنها بشكل مشرف قد فشل ، ولكنه انتصر على الأتراك فى معركة عين شمس ، وأخمد الثورة التى قام بها المصريون ضده خمسة أسابيع متصلة ، وهو واثق أن سياسته ستثمر ، فالشىء الوحيد الذى



الأسطول الفرنسى يقترب من شواطىء الاسكندرية

يحترمه المصريون هو القوة ، ومصر ـ فى نظره ـ اقليم تحت الاحتلال العسكرى ، وينبغى أن تخضع له ، وسوف يخضعها شاءت أم أبت ، فأى محاولة لكسب مودة الأهالى عن طريق التظاهر بالأخوة مقضى عليها بالفشل ، فهى خدعة لا تنطلى على هؤلاء القوم الماكرين ، الذين يخطئون فهم التسامح ويظنونه ضعفاً ..

فى الساعة الثانية بعد الظهر غـادر «كليبر » المأدبة قبل أن تنفض ليواصل تفقد أعمـال الترميم وليستعرض مـع كبير المهندسين بروتان تصميماً أعده لمبنى جديد يلحق بقصر الألفى عبر حديقة قصر الجنرال داماس بقامته المديدة التى تقرب من ستة أقدام دون أن ينتظر ياوره الملازم ديفوج الذى لم يكن قد انهى طعامه بعد ، ولحق به بروتان ، وانهمكا فى حديث حول المبنى الجديد الذى يريد كليبر إضافته لمقر القيادة العامة ، لكى يتوقى فى المستقبل أى محاولة يقوم بها الغوغاء المصريون ، للهجوم على القيادة ، كما حدث منذ أسابيع ، وحين مر الاثنان أمام بئر اقيمت عليه ساقيه ، لم يتنبها لذلك الشاب ذى القفطان والعمامة الخضراء ، الذى كان يكمن متستراً بدواليب الساقية .

دلف الرجلان إلى رواق طويل ، يفصل بين الحديقتين ، وتظللة تكعيبة من العنب وهما يواصلان الحديث ، وفى حين التفت المهندس بروتان إلى الخلف يتفحص بعض التدمير الذى لقيه فى طريقه ، واصل كليبر سيره فتقدمه بخطوات ، آنذاك ، ظهر ذو العمامة الخضراء من خلف الساقية ، وتقدم نحو الجنرال ، الذى ظنه متسولا جاء يطلب عطاءه ، أو صاحب حاجة جاء يعرضها ، فقال بعجرفة :

ـ مافيش ..

* * *

واصل الشاب تقدمه بلا تردد . مادأ يده اليسرى إلى أمامه . ظن الجنرال أنه يريد تقبيل يده . ما أن اقترب منه حتى مد إليه يده مبسوطة كي يقبلها . فى ثوان قليلة كان الشـاب قد اخرج يده اليمنى من صدره ، وفيها خنجر حاد طعن به كليبر فى صدره ، فى اللحظة نفسها كان بروتان يتلفت وراء كتفه . رأى القاتل يسحب مديته ، وبينما كان كليبر يترنح أغمدها فى بطنه ، ثم فى ذراعه اليسرى وخده الأيمن . أذهلت المفاجأة بروتان للوهلة الأولى فالقى بنفسه أرضاً ، وحين سمع « كليبر » ينادى حراسه بصوت ضعيف ، استرد شجاعته فقام مسرعاً ليلحق بالقاتل ، ورفع عصاً كان يحملها وانهال بها ضرباً على رأسه ، التفت إليه الشاب ، تماسكا فى شبه شجار ، حسمه الشاب بمديته فطعن بروتان ست طعنات حتى سقط فاقد الوعى .

انقضت ست دقائق قبل أن يتنبه احد لما جرى ، أما الشاب ذو العمامة الخضراء فقد اختفى وحين اكتشف الحراس ما جرى ، كان « كليبر » قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وعلى اثرها انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر ، فجاوبته على الفور كل الطبول الفرنسية فى القاهرة ، تدعو الجنود إلى مراكزهم . « واحتاطوا ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ بالبلد ، عمروا المدافع ، وحرروا القنابر ، وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم » . واندفع الجنـــود الفرنسيون كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم وقد اشتد غضبهم ، وبدا أن جنوناً وبائياً قد أصاب الجميع ، قتل الفرنسيون بسيوفهم وخناجرهم جميع من صادفهم من الرجال والأطفال .

لم يترك القاتل وراءه أثراً يدل عليه سوى جزء من شال عمامته الأخضر الذى تمزق خلال المعركة القصيرة التى وقعت بينه وبين بروتان ، وانتشر الجنود يفتشون المنطقة التى جرى بها الحادث وما حولها من بيوت ، وبعد ساعة عثر عليه الجنديان « بيران » و « روبير » فى حديقة مجاورة لبيت الجنرال داماس . كان منهكاً ، تتساقط الدماء من رأسه ـ التى أصابتها عصا المهندس بروتان إصابات مؤثرة ـ فتلطخ ثيابه ، وتلون الجدران القصيرة نصف المتهدمة التى استند إليها . وكان عارى الرأس إلا من غلالة من قماش اخضر ، وكان يصلى . !

قال الجندى جوزيف بيران ـ فى التحقيق الذى أجرى فى وقت لاحق من اليوم نفسه :

ـ لقد اضطررنا أن نضربه بالسيف عدة ضربات لكى نحمله على المشى ..

... ...
... ...

تحولت المأدبة فى بيت الجنرال «داماس»

الموت على تل العقاب



سور مدينة عكا

إلى مكتب للتحقيقات ـ أشرف الجنرال « مينو » ـ اقدم جنرالات الجيش وقائد القاهرة ـ على التحقيق . قال « المتهم » أن اسمه سليمان عمره ٢٤ عاماً ، وصناعته : كاتب عربى ، وسكنه : حلب . انكر انه قتل الجنرال كليبر . وبرر العثور عليه فى الحديقة بانه كان جالساً هناك لأن الخياله كانوا يحاصرون جميع الطرق ، فلم يستطع أن يغادرها إلى أى مكان . وحين ووجه بالخنجر الذى عثر عليه « بيران » و «روبير» مدفوناً فى التراب فى نفس المكان الذى قبض عليه انكر أنه يخصه . وسئل عن غلالة القماش الأخضر التى وجدت بجانب جثة الجنرال ، وتبدو مكملة لغلالة أخرى مماثلة لها توجد فى ملابسه ، فاجاب بانها ليست له . وقال ان الجروح التى برأسه احدثها من قبضوا عليه .

تقول الترجمة العربية لنصـــــوص التحقيقات « فلما أن كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، أمر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد . فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ، ووعد أنه يقر بالصحيح ، فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد .. » .

● ●

مات الجنرال جان بابتست كليبر ، قبل أن يحتفل بعيد ميلاده السابع والأربعين . وحين ولد فى مدينة ستراسبورج عاصمة الالزاس عام ١٧٥٣ م ، لم يكن احد يظن أنه سيلقى حتفه فى ركن من حديقة بيت مملوكى بميدان الأزبكية بمصر المحروسة ـ تشغله الآن محطة بنزين على ناصية شارع الألفى ـ على يد رجل لم يولد ـ فى مدينة حلب السورية ـ إلا بعد ذلك التاريخ بثلاثة وعشرين عاماً كاملة .

فروق كثيرة فصلت بين الرجلين ، أهونها شانا العمر والمقام ، فنحن نقرأ أكثر من اللازم عن كليبر « بطل معركتى ما يستريك وعين شمس » وصاحب « المواقف العسكرية البطولية على ضفاف أنهار الراين والنيل والأردن » . وهذا طبيعى ، فالقائد الالزاسى ترك مذكرات ووثائق وسكرتيرين ومصورين وشعراء ، كتبوا عنه وأشادوا به ، وأبنوه قبل أن يدفن فى حديقة « قصر العينى » بالقاهرة . أما سليمان الحلبى ، فان أحداً لم يعن بأن يكتب تاريخه ، وهو لم يكتب مذكرات ، ولم يترك صوراً جرافيكية أو زيتية ولا شك أن شاعراً مجهولا قد أبنه ، ولكن المؤرخين الذين يعنيهم هذا النوع من الشعر ، كانوا نادرين فى ذلك الزمان . وهكذا لم يبق لنا من سليمان الحلبى إلا معلومات قليلة ، وأقوال بسيطة غير مزوقه ـ بل وأحياناً ركيكه ـ أدلى بها أمام هيئة من الجنرالات المتزمتين الذين تنوشهم مشاعر الثار والانتقام ، بعد أن « انضرب لحد أنه طلب العفو » ، وأوصاف تافهه منحها له الجبرتى ـ مؤرخ القاهرة ـ الذى قال عنه انه « رجل أفاقى أهوج » ، وأهم تلك الكلمات البسيطة الأسرة ، قالها « بعد أن ارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده » ، سألوه لماذا جئت من غزه إلى مصر . قال :

ـ كان مرادى أن أغازى فى سبيل الله !

رأس سليمان الحلبى ـ التى قطعوها بعد ذلك ـ كانت خالية من ذلك الذى يسمونه « أحلام المجد » . وكان هدفه عارياً عن أى تزويق أو تهويل أو أوهام بشرية . لذلك جاءت كلماته بسيطة . فهو لم يكن يملك خبرة « كليبر » الواسعة فى وضع هالات العظمة حول ما يفعل ، ومن المؤكد أنه كان خالياً تماماً من أى احساس مريض بالذات ، أو حرص على ابراز العنجهية والعظمة كما كان القائد الالزاسى يفعل . كان شاباً تطهرياً يرى المسائل فى مباشرتها ونقائها ، ففعل ما فعل ، لأن « مراده أن يغازى ـ أى يجاهد ـ فى سبيل الله » ولا لشىء أكثر من ذلك ..

والمواجهة الدموية التى حدثت فى « رواق العنب » بين سليمان الحلبى وبين جان باتيست كليبر تصور على لسان مؤرخين كثيرين باعتبارها مواجهة بين رجل متعصب مصاب بهستيريا ـ أو هلاوس ـ دينيه ، وبين قائد عظيم من أبناء حضارة الحرية والاخاء والمساواة ، جاء لينشر العلم والعمران والتقدم فى الوطن العربى ، ولينقله من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ..

تلك بعض أكاذيب المؤرخين ، وهى ليست قليلة ، فلا أحد يعرف ـ على وجه التحديد ـ أين تكمن الحضارة فى تاريخ حياة الجنرال « جان باتيست كليبر » ، ولا أحد يستطيع أن يضبط ذلك الانتماء لمقولات الثورة الفرنسية فيما فعله ـ هو وسيده بونابرت ـ بأهل القاهرة وأهل يافا وأهل رشيد ، وكل الذى نضبطه ، هو المدافع والبنادق والبارود والمذابح والقسوة التى لاحد لها ، وحفنة من الشعارات عن الحرية والاخاء والمساواة ، اعترف بونابرت ـ بعد نلك ـ بأنها كانت دجلا من أعلى طراز !



مدينة يافا ـ للرسام وود وارد ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

وفى السنة التى رزق فيها الحاج محمد أمين ، تاجر الزبد بمدينة حلب السورية بابنه سليمان (١٧٧٦ م) ، كان جان باتيست كليبر قد أنهى دراسته للعمارة وللهندسة الحربية ، والتحق بجيش مملكة بافاريا ، حيث خدم ثمانى سنوات وحين انشىء الحرس الوطنى ـ فى بداية الثورة الفرنسية ـ انضم إليه ، وهكذا أصبح الضابط السابق المتفوق فى خدمة الامبراطورية ماريا تريزا والملك لويس السادس عشر ، جمهورياً متحمساً ، وهو أمر يصعب فهمه على الذين يأخذون الحياة ببساطة ، ولكننا نجد أن أشباهاً ونظائر فى حياة كل جنرالات الثورة الفرنسية ، الساعين إلى مجد السيف وعظمة السلطة ، دون أن يشغلوا أنفسهم بالبحث المزعج عن أهداف عليا أو غايات سامية ، فهم يقاتلون ويقتلون ، وليس فى مرادهم أن يغازوا فى سبيل الله أو سبيل الوطن ..

كليـــــبر حاكماً للاسكندرية

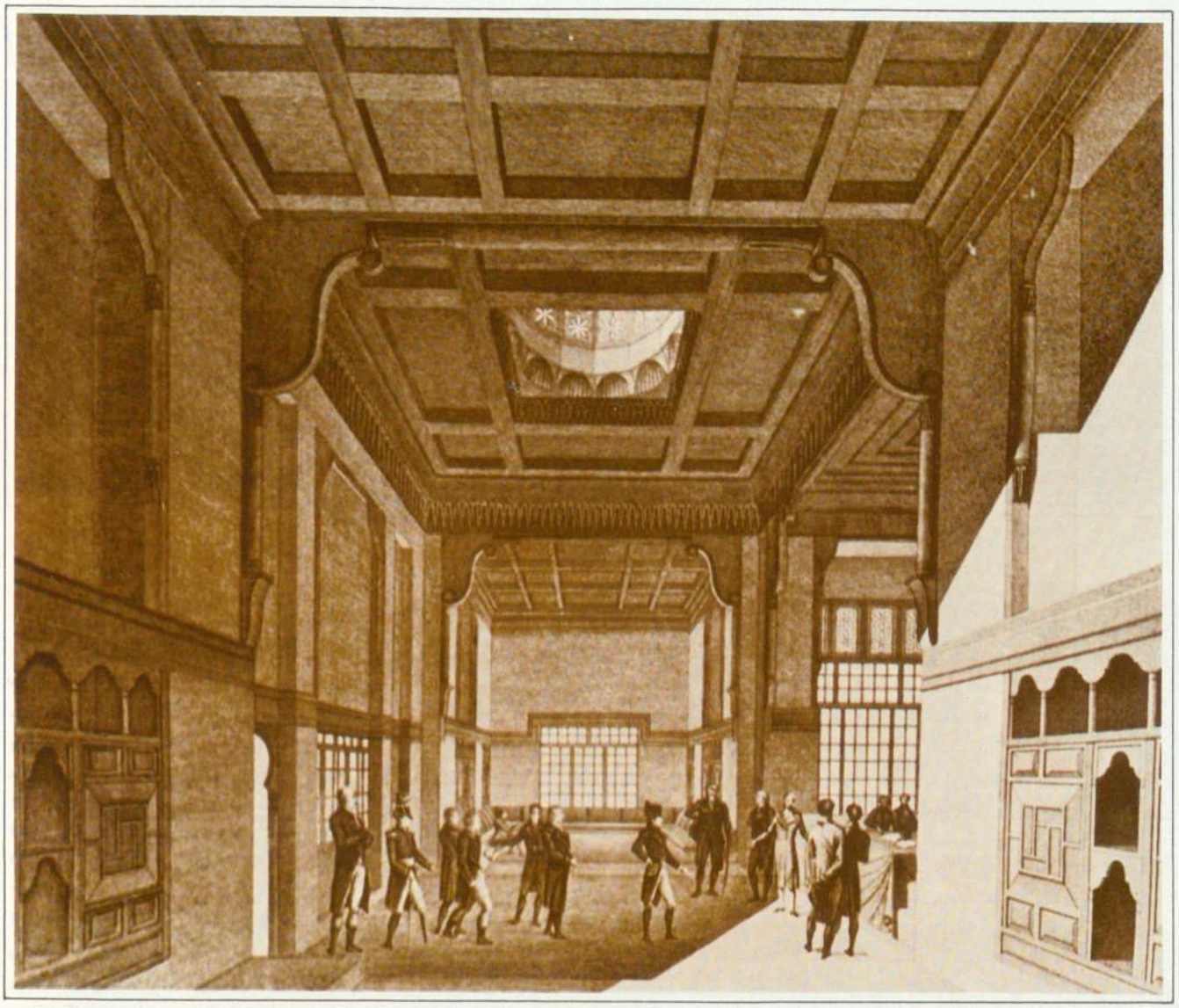
وهكذا شارك كليبر بكفاءة عسكرية فى قمع الاضطرابات التى قام بها فلاحو الأقاليم الغربية الفرنسية ضد الثورة فى الفندية واللوار وسيفرو بريتانى ، وشارك فى حروب الثورة ضد التدخل الأوروبى فدافع عن ماينز التى حاصرتها القوات البروسية شهرين ، وانضم إلى جيش الجنرال بونابرت الذى فتح ايطاليا ، ولمع اسمه فى معارك شامبانيا وشالروا ومايستريك وحين قرر بونابرت أن ينشىء امبراطورية فرنسية شرقية ، صحبه معه إلى مصر ، حيث كان مقدراً له ، أن يموت فى « مواجهة دموية » بعد عامين من رحيله إلى الشرق .

ولا أحد يعرف أين كان سليمان الحلبى حين وصل كليبر إلى الاسكندرية فى ٢ يوليو (تموز) ١٧٩٨ م ، لعله كان فى القاهرة ، أو فى مكه أو فى الاسكندرية ذاتها . فالذى نعرفه من تاريخه ، انه شاب قلق ، كثير التجوال ، فهو ابن لتاجر فى زمن كان التجار فيه موضـــع عسف من يحكمون ، تتوالى عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات ، وينتقلون بسرعة من الحياة الرخية السهلة إلى حياة تصل إلى حد الفاقه . وهو لم يأخذ عن أبيه إلا أنه كثير التجوال ، فقد عاش ثلاث سنوات فى مكة والمدينة مجاوراً للبيت العتيق ولقبر الرسول ، وعاش ثلاث سنوات أخرى فى القاهرة ، مجاوراً للازهر الشريف ، يدرس القرآن ويحفظه على يد شيخ تركى عجوز اسمه مصطفى افندى . وهو قد زار القدس ونابلس ، وكان على صلة وثيقة بأهل غزه ، حتى أن الشيوخ الثلاثة الذين عرفوا مشروعه لقتل الجنرال كانوا جميعاً من غزه !

وكان أول ما فعله « كليبر » حين نزل إلى البر على شاطىء العجمى بالاسكندرية ، أن ارتوى من ماء بئر قريبه ، واستغرق فى نوم طويل أيقظه منه البرد ، وفى الصباح التالى بدأ هجوم المتحضرين على « المتوحشين الهمج .. العرب .. المسلمين .. المصريين » من أهل الاسكندرية . وفى الهجوم تلقى كليبر طلقة إنذار أصابته فى جبهته ، أطلقها جندى من قوات الدفاع عن المدينة المحاصرة كان يقف على سور المدينة ، ولم يفهم «كليبر» مغزى الأنذار الذى أصابه فى جبهته ، فقد شغل بعد ذلك بعلاج إصابته ، وبالضيق من قائده بونابرت ، الذى تركه فى الاسكندرية قومندانا وحاكماً ، واصطحب الفرقة التى كان يقودها فى زحفه لفتح القاهرة ، وحرمه من رؤية القرون الأربعين التى أطلت على الغزاة من قمة الأهرام .

وفى الفترة التى حكم فيها « كليبر » الاسكندرية أثبت أنه مخلص حقاً لمبادىء « الفرنسوية المبنية على الحرية والتسوية» ـ كما جاء فى الترجمة العربية للمنشور الذى وزعه نابليون على المصريين ـ وآية ذلك الاخلاص أن سكان الاسكندرية احتموا ـ بعد أن اقتحم الغزاة مدينتهم ـ بالمساجد فذبحهم الغزاة : الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الأطفال ، ذبحوهم عن بكرة أبيهم .. وبعد أربع ساعات هدأت سورة جنود الحضارة ، رافعى أعـــــلام « الحرية والتسوية » !

وتلك واقعة لم يروها الدفاع عن سليمان الحلبى فى المحاكمة الهزلية التى اجريت له عقب مقتل كليبر . ذلك أنه لم يكن هناك دفاع أما هو نفسه فقد ظل صامتاً هادئاً كرجل فعل ما يريد ولا يعنيه ما يجرى أمامه . ولو أنه تكلم لنقلت جثة كليبر التى كانت حتى ذلك الوقت فى منزل الجنرال داماس المجاور لمقر المحكمة ، لتوضع فى قفص الاتهام . ولكف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ـ مدير مهمات جيش الاحتلال ـ عن الاندفاع فى مرافعته الشائنة . وتعرف حقاً من هو صاحب « اليد الأثيمة والروح الخائنة المتعصبة » الذى جاء ليقتل « القائد العظيم



قصر حسن كاشف بالناصرية المقر الرئيسى لبعثة العلوم والفنون التى صاحبت الحملة الفرنسية، بالقرب منه يقع تل العقاب الذى أعدم فوقه سليمان الحلبى

الموت على تل العقاب

المجلل الرأس بغار المجد ، الذى تراجعت عنه فى المعامع أخطار الحروب » .

« أكاليل الغار » التى تزين رأس كليبر أكثر من أن تحصى ، لكن سليمان الحلبى أثر الصمت ، أما مؤرخو الحضارة فقد تحدثوا أحياناً . فبعد عشرة أيام من تعيينه قومندانا على الاسكندرية أمر الجنرال كليبر بالتحفظ على عدد من كبار أعيان المدينة ووجوهها واتخذهم رهائن . والسبب أن جثة لأحد جنود مدفعية الأسطول الفرنسى وجدت فى أحد الشوارع ، ولقظ البحر ـ فى اليوم نفسه ـ جثة لخادم فرنسى لأحد الضباط ، فغضب الجنرال ، وطلب تسليمه الجناة ، وتهدد بشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن إذا لم يسلموا له . مؤكداً بذلك فهمه للمساواة ، فلا أحد فى شعب مغلوب ومقهور أيـا كان مقامه ، يساوى جندياً قتل غالباً لأنه تسلل إلى بيت يريد أن يدب على نسائه فنال جزاء عدوانه على حرية الآخرين ، ولا أحد فينا نحن المتخلفين الجهلة ، يساوى خادماً طوح به السكر إلى مياه البحر . أما أخذ الابرياء رهائن والتهديد بقتلهم على جريمة ارتكبها غيرهم ، فهو أفضل تطبيق لقاعدة « شخصية العقوبة » وهذا هو فهم الغزاة لما قاله روسو ومونتسكيو وفولتير ..

وكما اثبت بونابرت ـ حين حكم مصر ـ أنه مجرد عاهل مستبد ، فضلا عن أنه غازى فقد اثبت كليبر نفس الشىء ، الفرق بين الرجلين ، أن الأول كان بشوشاً ، أما كليبر ، فكان جهماً . يقول الجبرتى أن أكابر البلد من المشايخ والأعيان ،حين قابلوه « لم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشاً يباسط الجلساء ويضحك معهم » ، وكان بونابرت ينطلق من قاعدة ثابتة هى أن يقطع ست رءوس كل يوم ، ويحتفظ مع ذلك ببشاشته ، أما كليبر ، فكان يقطع الرءوس ـ بنسبة أقل ـ ويعوض

الفرق بجهامة تفرض هيبته ، وبفرض غرامات جماعية تستنزف المال بلا رحمة ، واجتمع المنهجان ليطيحا برأس السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، إذ أصدر الجنرال كليبر فى ٢٠ يوليو (تموز) ١٧٩٨ قراراً بالقبض عليه بتهمة إثارة العصيان ضد الحملة ، وبعث به إلى نابليون فى القاهرة فاصدر أمره باعدامه ، وخيره بين الموت بالرصاص ، وبين افتداء نفسه بدفع غرامة ثلاثين الف ريال ، فلم يقبل ، وقالوا له : انت رجل غنى ، فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟ قال : إذا كان مقدراً لى أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت مال مهما كثر ، وإذا كان مقدراً لى أن أعيش ، فلماذا اشترى قدرى !

ولم يكن سليمان الحلبى « الأفـــاقى الأهوج » بتعبير الجبرتى ، يملك ثلاثين الف ريال ليفتدى نفسه ، وكل الذى كان معه ، حين قدم إلى القاهرة من القدس ليقتل كليبر أربعون قرشاً قيمة كل منها أربعون باره ، ولم تكن رأسه محملة بأكاليل الغار وأوهام المجد ، إذ كان يسعى مختاراً للفداء ، لمعانقة قدره ، للمغازاة فى سبيل الله ..

وهو قد ولد فى حلب ، وجاء من القدس عبر الخليل ويافا ونابلس وغزة ، أى جاء من الشام : الأرض التى كانت بعض حلم نابليون وكليبر ببناء امبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها فى الصميم . يضربها فينا ، يدميها برءوسنا المقطوعة ، بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن نصلى ، ملوحاً أمامنا بالجوكارد شارة الثورة الفرنسية المثلثة الالوان ، وبزخارف الحرية والاخاء والمساواة التى لم نشهد شيئاً منها ..

فى الطريق إلى عـكا

كليبر أيضاً ذهب إلى غزة ويافا . حدث هذا قبل مقتله بعام . فلم يكن أمام بونابرت ، بعد أن حطم نلسون ـ قائد الأسطول البريطانى ـ أسطوله ، قبل أن يمر شهر على نزوله مصر ، وبعد أن ثارت عليه المدن المصرية جميعاً ، إلا أن يحاول خرق الحصار وأن يؤكد لنفسه ، ولجيشه وللشعب الذى يرفض « جوكارده » ولأعدائه فى أوربة ، أنه مازال منتصراً وقوياً وفى ذروة المجد ، فكان قراره بغزو الشام . وفكر فى أن يولى كليبر قيادة الحملة ، لكنه عدل عن ذلك وآثر نفسه بالمجد المتوقع فتولى بنفسه القيادة ، وحرم القائد الالزاسى المتكبر الذى كان يعتبر نفسه أقدم من بونابرت وأكفأ منه عسكرياً ، من مجد الشام !

وفى الشام لم يكن هناك مجد لبونابرت أو كليبر ، وفيما بعد قال أولهما « لو استطعت الاستيلاء على عكا ، للبست عمامة ، ولجعلت جنودى يرتدون السراويـــل الفضفاضة ، ولجعلتهم فيلقاً مقدساً ، ولنصبت نفسى امبراطوراً على الشرق ، ولعدت إلى باريس بطريق القسطنطينية .. ولكن هذه الأحلام قد دفنت تحت أسوار عكا » !

المجد الذى تحقق فى حملة الشام ، حققته عكا التى صمدت للحصار ٦٢ يوماً كاملة رغم ضرب الأسوار والأبراج بالمدافع ، وما فتحته المدفعية الفرنسية فى أسوارها من ثغرات ، وموجات الهجوم عليها ، موجة بعد موجة ، لكنها لم تفتح أبوابها للغازى الذى يحلم بعمامة وسروال فضفاض ، أما أكاليل الغار التى عاد بها كليبر وعاد بها بونابرت ، فهى تملأ كتب التاريخ : مذابح وقسوة وولوغ فى الدم تخجل منه الوحوش نوات الظفر والناب التى لم تقرأ فولتير ، ولم تتأثر بروسو .

فى الطريق إلى عكا سقطت العريش وغزة والرمله ويافا ، ونال كليبر بعض « مجد » هذا الفتح ، فقد كانت فرقته طليعة الجيش . أما التفاصيل فهى كثيرة . فقد تسللت كتيبة من فرقته إلى معسكر العريش فقتلت بالسلاح الأبيض خمسمائة من الجند والأهالى ، كانوا نائمين فيما بين إفطار يوم رمضانى وسحوره ، لم يستيقظ الباقون إلا حين شم كلب المعسكر رائحة الدم بعد أن تشبعت بها الرمال ، فنبح ، حينئذ أخذوا أسرى ، ولولا ذلك لواصلت الكتيبة مهمتها فى محو الفارق بين المحاربين وسفاكى الدماء . معلقاً على ما جرى فى معســـكر العريش قال نابليون « والحقيقة أن هـــذا الهجوم يعتبر من أجمل العمليات الحربية التى يتصورها العقل » . والشىء المؤكد أن سليمان الحلبى ـ القذر الثياب والزرى الهيئة والذى كان كثير التجوال فى فلسطين وسوريا ومصر والحجاز ـ كان يفهم معنى مختلفاً للجمال عن مفهوم الجنرال بونابرت

ما جرى فى يافا كان تنويعاً آخر على تلك المفاهيم الفرنسية للجمال ، فمع أن المدينة قد سقطت بعد ساعات من الهجوم ، إلا أن الفاتحين بدل أن يناقشوا مع الحامية شروط التسليم ، اندفعوا يقتلون كالمجانين كل من يلقهم من أهلها ، فعلوا ذلك طوال ليلة ونهار نبح خلالها كل من له وجه انسان : الشيوخ والفتيات .. الرضع ومن لم يبلغوا الحلم ، المسلمون والمسيحيون . أصبحت السيوف والمدى سيدة الموقف وقائدة البشر . جنون مجنون يعربد فى شوارع يافا ظامىء للدم . يتضاعف هياج الفاتحين حين يسمعون صرخات الاسترحام . ينزون شهوة . ينتعظون رغبة حين يرون فتيات تتشبث بأحضان أمهاتهن المائتات فيغتصبونهن . وحين يتعبون : يكفون .

يتذكر قادتهم أن حامية المدينة ما تزال فى قلعتها ، يفاوضونها فى التسليم . يطلب جنود الحامية بالا يعاملوا كما عومل المدنيون من أهل يافا . يبذل لهم الوعد سخياً بأن يعاملوا كأسرى حرب . يسلم ثلاثة الاف جندى ســلاحهم . فيهم مغاربة وسوريون وفلسطينيون ومصريون واتراك . يعقد بونابرت مجلساً عسكرياً يضم قادة حملته على الشام . فيهم كليبر . يناقش المجلس مشكلة الأسرى : كيف يطعمهم الجيش الفرنسى وهو بعيد عن خطوط تموينه ؟ . من يحرسهم والحملة فى حاجة إلى كل جندى من جنودها ؟ . كيف يطلق سراحهم وقد ينضمون إلى عكا فيحاربون الفرنسيين مرة أخرى .

قرار باعـــدام حامية كاملة !

لم يقل أحد من الذين ثبتوا أكاليل الغار على جبين « كليبر » أنه تحدث ـ فى هذا الاجتماع ـ عن كلمة الشرف التى استسلم جنود الحامية تصديقاً لها . ولم نسمع أنه تحدث عن قوانين معاملة أسرى الحرب الذين سلموا سلاحهم ، وكفوا عن القتال . تلك القوانين « الحضـــارية » التى لا نستحقها نحن « الهمج المتوحشين » ، ولأن « كليبر » ـ أو غيره ـ لم يثر هذا الدفع البسيط ، فقد صدر القرار باعدام حامية يافا عن بكرة أبيها (٣٠٠٠ عربى ومسلم من مصر والشام والمغرب وتركيا) .

وصف التنفيذ كتبه المواطن الفرنسى ـ بيروس ـ فى خطابه لأمه .. قال فيه :

ـ فى صباح اليوم التالى أخذ المغاربة جميعهم إلى شاطىء البحر ، وبدأت كتيبتان فى رميهم بالرصاص ، وكان أملهم الوحيد فى النجاة هو أن يلقوا بأنفسهم فى البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ، وأسعد الحظ نفراً قليلا فوصلوا إلى بعض الصخور ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء أثرهم فى قوارب والاجهاز عليهم وصـــــدرت التعليمات للجنود بألا يسرفوا فى الذخيرة فبلغت بهم الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن بالسونكى . وقد وجدنا بين الضحايا أطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بأبائهم .



بولاق .. بدأت منها ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين وأمر كليبر بحرقها

الموت على تل العقاب

على شاطىء البحر ، كان من بقى من أسرى حامية يافا ، يخوضون بحر الدم دفاعا عن حياتهم ، ويصنعون من جثث رفاقهم الذين ماتوا بالرصاص ، متاريس تحميهم من طعنات السونكى .

بعد خمسة أسابيع من ذلك التاريخ تكرر المشهد بمعظم تفاصيله أسفل جبل طابور جنوبى بحيرة طبرية . وكان البطل هذه المرة كليبر نفسه ، إذ طوقه جيش والى دمشق أسفل الجبل ، واستمر يحاصره عشر ساعات ، حتى كادت ذخيرته تنفد ، واستبد العطش بالجنود ، وأمامهم — على مسافة قريبة بحيرة عجزوا عن الوصول إليها ، وانقذ نابليون الموقف ، وقاد بنفسه فرقة من الجيش بدأت فى إطلاق المدافع من مرتفع جنوبى ساحة القتال ، وحين بدأ جيش والي دمشق ينسحب توقياً للمدفعية التى أصبحت هدفاً سهلا لها ، أمر كليبر رجاله المجهدين عطشاً بمطاردة الجيش الدمشقى المنسحب . خاضوا فى البحيرة ، لا ليشربوا ، ولكن ليقتلوا . كتب أحدهم فى مذكراته يقول :

كنا نموت ظمأ .. ولكن ظمأنا للانتقام أطفأ ظمأنا للماء ، والهبت ظمأنا للدماء . رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التى كنا نشتهى أن نشرب منها قدحاً قبل لحظات ، غير اننا لم نعد نفكر فى الشراب ، بل القتل وفى صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج ، حتى امتلأت بجثثهم ..

فى تلك الأيام كان نابليون قد طبع منشوراً لأهل فلسطين قال فيه « ... وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام ، لأن جميع الطيبات من عند الله .. والنصر من عند الله » .

جثث أهل يافا المتعفنة فى شوارعها ، متاريس جثث الحامية التى ظلت على الشاطىء . الدم الذى روى عطش جيش كليبر أسفل جبل طابور . كل هذا أثمر طاعوناً مالبث أن هزم الجيش الغازى تحت أسوار عكا . يقول هيرولد « فى اليوم الثانى من مذبحة يافا ، أرسل الله — الذى من عنده تأتى جميع الطيبات — الطاعون على الجيش الفرنسى »

ومع أن أحداً من المؤرخين لم يذكر شيئاً عن سليمان الحلبى ، فمن المؤكد انه كان يومها فى مسجد ما من مساجد حلب ، أو دمشق ، أو القاهرة ، يقرأ بخشوع :

— وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول .

... ...

... ...

قضى سليمان الحلبى الشهور الخمسة الأولى من عام (١٨٠٠ م) فى فلسطين . وصلها فى الشتاء ليصلى فى المسجد الأقصى ويجاوره زمناً . ولابد أنه سمع هناك بما فعله الفرنسيس بأهل يافا وبحامية دمشق ومعسكر العريش . كان مكدوداً وضائقاً ، ذلك أن والى حلب العثمانى ابراهيم باشا ، فرض على أبيه غرامة ضخمة وألزمه بدفعها ، فرحل الشاب القلق عن عمل يقتات منه ، وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالى الظالم .

وكانت فلسطين أيامها قد أصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التى تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر . أما كليبر ، الذى تولى قيادة الجيش فى مقتبل الخريف ، فقد كان يقرأ ساخراً رسائل نابليون إليه :

ولا تنس يا مواطنى الجنرال أن قمبيز واجزرسيس والاسكندر الأكبر وعمرو بن العاص وسليم الأول كلهم دخلوا مصر من فلسطين .

فماذا تفيد تلك البديهيات التاريخية ،

قائداً استخلف على جيش هبطت قوته المقاتلة الى النصف ، وهذه الطاعون ، والحصار يخنقه من البر والبحر . ويكتب كليبر إلى حكومة الديركتوار الفرنسية قائلا :

إنى اعترف بأهمية احتلالنا مصر ، وقد كنت أقول فى أوربا ان مصر بالنسبة لفرنسا كنقطة الارتكاز التى نستطيع بها أن نقبض على ناصية التجارة ، ونتولى زمامها فى سائر انحاء العالم ، ولكن يجب أن يكون لفرنسا محرك قوى . وهذا المحرك هو البحرية ، ولقد كانت لنا بحرية ثم ضاعت فتغير كل شىء ، وتغيرت المسألة من كل وجه ولم يعد لنا فيما يظهر لى سوى عقد صلح مع تركيا لنمهد لأنفسنا طريقاً شريفاً نخلص به من حملة لا يمكن أن تحقق أغراضها التى دعت إليها !

ولأن أحداً فى فرنسا ـ حتى بونابرت ذاته ـ لم يرد عليه ، فقد دخل مفاوضات الصلح مع العثمانيين ، ووقع معهم ـ فى ٢٤ يناير (ك ٢) ١٨٠٠ م ـ معاهدة العريش وتطبيقاً لها بدأ جيش الشرق فى الرحيل ، لكن اللعبة الدولية أبت عليه هذا « الطريق الشريف » ، فالانجليز الذين كانوا طرفاً فى المفاوضات ، لم يرضهم أن يرحل جيش الشرق بأسلحته لينضم إلى جبهات القتال ضدهم فى أوروبا ، فقطعوا طريق البحر عليهم ، وأسروا كل من خرج منهم . ولم يجد العثمانيون بدأ من الهجوم على الجيش الفرنسى لاجلائه بالقوة . فكانت معركة عين شمس ..

بين « العظمة » و « الوحشية»

لم يتطلب الجيش العثمانى سوى يوم واحد ليهزم فى معركة عين شمس ، لكن « القاهرة » تمردت خمسة أسابيع كاملة ، فما كاد كليبر ينتصر على العثمانيين ، حتى تحولت شوارع المدينة إلى متاريس ، امتد الغضب من بولاق إلى كل أنحاء المدينة . خرجت السيوف والبنادق والرماح والعصى بل والمدافع المدفونة فى باحات المنازل . وسرعان ما استولى الثوار على المدينة ، اقاموا متاريس قوية فى مداخل الشوارع ، هاجمت فصائل منهم مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال ، حيث يسكن كليبر ، فى ميدان الأزبكية . أنشأوا معملا لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه . استعانوا بكرات الحديد التى تستخدم فى الموازين « كقذائف » . أخذوا يجمعون القنابل التى تتساقط من المدافع الفرنسية فى الشوارع فيحيلونها إلى قذائف جديدة . تشكلت لجان للاعاشة ، وللتجنيد ، ولمراقبة المتاريس ورسم الخطط

وحين دخل كليبر المدينة ،كانت فى أيدى الثوار ، فلم يبق أمامه سوى النار . بدأت مدافع الفرنسيين تطلق قذائفها على المنازل واحتلت فرق من جيش الاحتلال الأكام المشرفة على المدينة ، فاحاطت بها شمالا وشرقاً ، وحوصرت بحيث لا يصلها طعام ولا ماء . وتقدم جيش الشرق يشعل النار فى المتاريس والمنازل تطفئها الأمطار الغزيرة التى هبطت على القاهرة ، فيعيدون اشعالها من جديد . خمسة أسابيع كاملة والقاهرة تقاوم ، والنار ترعى فى مساكنها ، ولا أحد يقبل التسليم .

وأخيراً .. اقتحم الفرنسيون بولاق ، ففعلوا بأهلها ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ ما تشيب من هوله النواصى . « صارت القتلى فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الدور والقصور » ، أما الأزبكية وما جاورها من الأحياء التى دار فيها القتال ، فقد صارت كلها « تلالا وخرائب ، كانها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن انس ونزهات ، جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها . تسكب عند مشاهدتها العبرات » .

بكى الجبرتى المؤرخ ، أما الجنرال كليبر ، فقد أضيف إلى أكاليل غاره ، إكليل جديد ، وبات من الدقة العلمية أن نسمية : بطل معارك مايستريك وشارلوا وفانييه وجبل طابور وعين شمس وبولاق .

فى القدس كان سليمان الحلبى ـ القادم من قلب القهر ـ قد قرر أن يغازى فى سبيل الله ..

... ...
... ...

لا أحد يدرى كيف نبتت فكرة مشروع اغتيال كليبر ، ومن الذى أوحى بها ، ذلك أن سليمان الحلبى ، لم يكن من هؤلاء الذين يدونون خواطرهم ، كما أنه لم يعن كثيراً باطلاع الآخرين على مادار فى رأسه . وحين قبضوا عليه ، وعذبوه « حكم عوائد البلاد » لم يفض كثيراً فى الحديث . ومع أن جوهر روايته لما جرى ، صحيحه ، إلا بعضاً مما قاله ، وقاله الآخرون ، يحتمل الشك وربما الاهمال .

وطبقاً لروايته ، فقد نبت المشروع فى حوار بينه وبين « أحمد اغا » محافظ القدس وكان المحافظ قد تسلم منصبه فى نهاية مارس (آذار) ١٨٠٠ م ، وذهب اليه سليمان يشكو ما يلاقى أباه ، الحاج محمد أمين ، تاجر المسلى بحلب ، من اضطهاد ، إذ تعود ابراهيم باشا ، محافظ حلب ، أن يفرض عليه ـ وعلى غيره من التجار ـ غرامات فادحة ينوءون بها . وأسفر اللقاء عن مواعيد أخرى متعددة ، جرت فى الأيام التالية ، وتراجعت خلالها المشكلة بين تاجر المسلى ومحافظ حلب ، ليطرح مشروع اغتيال كليبر ..

وأسفرت اللقاءات بين الرجلين عن اتفاق بأن يتوجه سليمان إلى القاهرة لتنفيذ المهمة ، وطلب منه أحمد أغا أن يسافر إلى غزة ، ليلتقى هناك بشخص اسمه « ياسين اغا » ، سيقدم له المساعدات الضرورية لتنفيذ مهمته . ولم يزوده بأى خطابات تقدمه أو رسائل تعريف ، إذ فضل أن يرسل ذلك عن طريقه ، حتى لا تتعرض الرسائل للوقوع فى يد غريبه ، أو تطلع عليها عين متطفله .

ولم تستغرق تلك المباحثات جميعها سوى ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع غادر سليمان « القدس » إلى الخليل ، حيث ظل عشرين يوماً فى انتظار قافلة يرافقها إلى غزة ، ليكون فى مأمن من قطاع الطرق . وحين وصل إلى غزة فى نهاية ابريل (نيسان) ١٨٠٠ ، التقى بياسين اغا ، الذى قال له بأن لديه علماً بالمهمة التى قدم من أجلها ، ورتب له إقامة مؤقتة بجامع غزة الكبير ، وتردد عليه هناك عدة مرات ، تباحثا خلالها فى المشروع ، وكان ياسين اغا حريصاً على أن يكون اللقاء خفية عن الأعين ، لذلك تمت معظم اللقاءات ليلا . وحين تمت الصفقة ، وعده ياسين برفع الاضطهاد عن أبيه ، وأن يشمله بحمايته فى جميع المناسبات ، وأعطاه أربعين قرشاً تركياً ـ قيمة كل منها أربعون باره ـ لمصاريف سفره ، وأوصاه أن يكون حذراً ، وألا ينفذ المشروع إلا بعد أن يضمن نجاحه وألا يحدث أحداً بشأنه .

وخلال الأيام العشرة التى أمضاها بغزة فى انتظار قافلة تقوده للقاهرة ، اشترى سليمان الخنجر الذى أغمده فيما بعد فى صدر كليبر ، ولم يبذل مجهوداً كبيراً فى الانتقاء ، إذ اشترى أول خنجر صادفه ، والتحق بأول قافلة مسافرة ، وكانت محملة بالصابون والدخان ، قطعت المسافة بين غزة والقاهرة فى ستة أيام ، قضاها سليمان على ظهر هجين .

ولأن القاهرة كانت ـ حين وصل إليها سليمان فى منتصف مايو (١٨٠٠ م) ـ ما تزال تلعق جراح الثورة ، أبوابها مخفورة وآثار الحريق فى كل شوارعها ، والبحث لا يهدأ ـ ليل نهار ـ عن الجنود العثمانيين

الموت على تل العقاب

الذين تسربوا إليها ، والمتمردين الذين قادوا المقاومة ، فقد أثرت القافلة ألا تدخل المدينة ، وحطت رحالها فى قرية صغيرة بجوار الجيزة اسمها : العياط . ومن هناك استاجر سليمان الحلبى حماراً ، دخل به المدينة فى ١٤ مايو ١٨٠٠ م .

أمضى سليمان الحلبى شهراً كاملا فى القاهرة ، كانت الثورة قد خمدت ، أما أعمال الثأر فكانت فى قمتها . وكان كليبر يطبق قاعدته : رؤوس أقل تذبح ، وأموال كثيرة تنهب ولا بشاشة هناك . لذلك صمم ـ كما قال ـ أن يعصر مصر كما يعصر الشربتلى الليمونة . وتطبيقاً لسياسة « الارهـــاب المالى » تلك ، فرض على المدينة العاصية ، غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك ، واعتقل خمسة عشر رجلا من أعيان المصريين حتى تجمع الغرامه الذى وزعت ـ كما يقول الجبرتى ـ على « الملتزمين وأصحاب الحرف حتى الحواة والقرداتية والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة عليها مبلغ معلوم ، وكذلك بياعو الدخان والتنباك والصابون والخروجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع أهل الصنائع والحرف ، وجعلوا على الأملاك والدور أجرة سنة كاملة » .

وعند التنفيذ ، كان البلاء عظيما ، يقول الجبرتى « مضى عيد النحر ولم يلتفت إليه أحد ، بل ولم يشعروا به ، ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف . وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشانه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى ، اذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه ، فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه . ثم وقع الترجى فى قبول المصوغات والفضيات ، فاحضر الناس ما عندهم ، فيقوم بابخس الأثمان ، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من ياخذه ، وحين يشتد الطلب ، وينبث المعينون والعسكر فى طلب الناس ومهاجمة الدور ، وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم ، والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره » .

وهكذا دخل سليمان الحلبي ، ليجد القاهرة ، بتلخيص الجبرتى ـ فى شر حال ، فـ « الطرق مجفرة ، والأسواق مقفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والحانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميمـــة ، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة .. وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

انتهى التحقيق فى اليوم نفسه ـ السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠ م ـ وتحدد اليوم التالى لبدء المحاكمة ، وأصدر الجنرال منو ـ الذى خلف كليبر فى القيادة العامة ـ أمراً بتشكيلها من تسعة من قادة الجيش . وفى جلستها الأولى ، ندبت المحكمة رئيسها ، وممثل الاتهام فيها ، لاجراء التحقيق ، وجمع أدلة الاتهام . فاسفر تحقيقهم عن اتهام سليمان الحلبى ، والأزهريين الأربعة الذين أفضى اليهم بعزمه ، وهم محمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى واستاذه مصطفى أفندى الذى بات عنده عند حضوره الى مصر ، فكان عدد المتهمين ستة ، ولما كان رابع المتهمين « عبد القادر الغزى » قد فر قبل المحاكمة ، فقد حوكم غيابياً ..

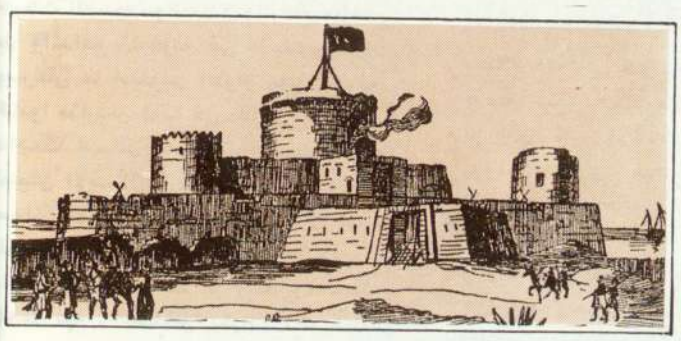
وحين انعقدت المحكمة فى اليوم التالى ـ الاثنين ١٦ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م ـ وقف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ، يترافع ضد المتهمين ، فتحدث عما يكتنف الجيش الفرنسى فى مصر « من حداد عام ، وحزن عميق فيهما الدليل على عظم المصاب ، ففى مجال المجد والنصر ، اختطف من بيننا قائدنا قتيلا » ، وتساءل « ماذا عسانى أن أضيف الى التعبير عن الألم المبرح الذى نشعر به من أجله ؟ هل أذكر دموع جنوده ؟ الذين كان لهم بمثابة الوالد ، أم أذكر ما يملأ قلوب قواده ـ الذين حضروا فعاله وزاملوه فى مواطن المجد ـ من أسى » .

وفى مجال المقارنة بين عظمة كليبر ، وجيشه ، وبين « وحشية » سليمان الحلبى ورفاقه ، تحدث سارتلون عن « بحبوحة التسامح والكرم التى يرتع فيها المصريون من قاهريهم » أما العثمانيون والمصريون والعرب ، فقد وصفهم « سارتلون » بأنهم « متوحشون ، جبناء ، لا تحمر وجوههم خجلا من اقدامهم على الانتقام لهزيمتهم بالاغتيال ، لذلك لن يكسبوا أمام العالم سوى العار » .

وأرجع المدعى العمومى « جريمة » سليمان الحلبى ، الى التعصب والهلاوس الدينية ، فهذا « الشاب المتوحش الموصوم بوصمة الاجرام ، أثرت روح التعصب الدينى أبلغ الأثر فى رأسه المضطربة بخاطىء الأقاويل عن مقتضيات الاسلام الصحيح ، حتى بات يعتقد أن أقوى دعائم الدين ، وأعز وسائله هى الجهاد فى سبيل الله وموت المشركين » .

وفى ختام مرافعته طلب المدعى العمومى من المحكمة ادانة سليمان الحلبى والحكم بحرق يده اليمنى ، ثم يوضع على الخازوق حتى يموت وتنهش الطيور الجارحة جسمه وأن يقضى بادانة الشيوخ الثلاثة محمد وعبد الله وأحمد الغزى فى الاشتراك بالجريمة ، لعدم ابلاغهم عنها رغم علمهم المسبق بها ، ويحكم بقطع رؤوسهم ، وأن يحكم على رابعهم عبد القادر الغزى ـ الذى هرب ولم يتمكن الفرنسيـــون من القبض عليه ـ بنفس الحكم ، على أن تنفذ الأحكام إثر تشييع جنازة الجنرال كليبر بحضور الجيش وأهالى البلاد ، وأن يحكم ببراءة ساحة مصطفى أفندى ويفرج عنه ، إذ لم يثبت أن سليمان الحلبى قد انباه بمشروعه وأن يطبع من الحكم وأوراق الدعوى خمسمائة نسخة وتنشر مع ترجمتها الى اللغتين التركية والعربية فى مختلف انحاء مصر بالمواقع المعتادة والمخصصة لذلك ..

وبعد أن انتهى المدعى العمومى من مرافعته ، أعادت المحكمة استجواب المتهمين ، فاعترفوا بالوقائع كما وردت فى أقوالهم النهائية ، وسالتهم هل يريدون توكيل محام للدفاع عنهم ، فلم يردوا ،



استحكامات يافا

فانتدبت المحكمة المترجم « لوكاهاما » للدفاع لكنه قال ان لا شيء لديه ليقوله .

اختلت المحكمة للمداولة فى الحكم ، وسأل الرئيس اعضاءها إبتداء من أصغر الأعضاء رتبة ، عن كل متهم على حدة ، فكان قرارهم أنهم جميعاً مذنبون ، ما عدا مصطفى أفندى الخطاط واستفتاهم جميعاً عن نوع العقوبة التى توقع على كل منهم ، فوافقوا على ما اقترحه المدعى العمومى فى مرافعتـــه ..

... ...

... ...

أمضى سليمان أول ليلة له بالقاهرة بمنزل أستاذه مصطفى أفندى ، واستضافه الشيخ العجوز الذى جاوز الثمانين من عمره ، إذ كان هو الذى علمه الخط وحفظ عليه القرآن حين كان بالقاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات . وفى الصباح ،اعتذر له ، فهو شيخ عجوز فقير ، لا قبل له بضيافته . وقبل سليمان عذر الرجل ، واستأذنه أن يمر عليه بين الحين والآخر لزيارته ، فأذن له ، فظل يتردد عليه طوال الشهر التالى كل اثنين وخميس .

ونقل سليمان اقامته الى الجامع الازهر ، حيث التقى باربعة من أصدقائه ، جميعهم من غزة ، ويقيمون كغيرهم من طلاب فلسطين وسوريا ، فى رواق الشوام ، وكان أكبرهم « عبد الله الغزى » فى الثلاثين من عمره ، أمضى منها عشر سنوات فى الأزهر ، وهى المدة التى قضاها ثانيهم « أحمد الوالى » الذى كان يناهزه عمراً ، أما أحدثهم إقامة فى القاهرة وفى الأزهر ، فكان الشيخ « محمد الغزى » ، إذ لم تمض على إقامته فى الجامع الكبير سوى خمس سنوات . وهرب الرابع « الشيخ عبد القادر الغزى» بعد مقتل كليبر ، فلم يترك أى معلومات تخصه .

سهل المشايخ الأربعة لسليمان الحلبى الالتحاق بالجامع الازهر ، والاقامة فيه ، دون إخطار السلطات الفرنسية ، التى كانت قد أصدرت أمراً بالاخطار عن كل عثمانى يصل الى القاهرة . ومنذ البداية أخطرهم بمشروعه ، فنصحوا له بعدم الاقدام عليه ، وأشاروا الى الصعوبات التى تحول دون تنفيذه ، ونبهوه الى أنه سيقتل ، لكن سليمان لم يقتنع بما قالوه ، وواصل الحديث عن مشروعه خلال الأيام التالية ..

وطوال الوقت كان سليمان مشغولا بالبحث عن كليبر ، ودراسة أنسب مكان لتنفيذ مشروعه ، وكان القائد العام قد نقل إقامته الى معسكر الجيزة ، حتى تنتهى الاصـــلاحات التى كانت تجرى فى بيت الألفى ، مقر القيادة العامة ، الذى كان يقيم به قبل أن تصيبه قنابل الثوار باضرار ، أصبح معها غير صالح لاقامته قبل ترميمه ، كما أنه كان كثير التجول فى المدينة ، يراجع متطلبات الدفاع عنها ، ويطمئن الى سلامة قلاعها وحصونها ، ويشرف على اجراءات تحصيل الغرامة التى فرضها على أهلها ، فلم يكن له خط سير ثابت يسهل معه اقتناصه ..

ولظنه أن الفرصة المتاحة لتنفيذ مشروعه ، قد تتأخر بعض الوقت ، فقد أخذ سليمان يبحث عن عمل يقتات منه ، ككاتب عربى ، ومع أن الفرصة لم تسنح ، الا أنه وجد أعمالا متفرقة . وكان يقضى معظم أوقاته بالأزهر ، ويكتب أحياناً أوراقاً تتضمن أدعية وآيات من القرآن ، يوزعها على الطلاب والمصلين فى الجامع الكبير .

وحين عرف مقر إقامة الجنرال بالجيزة ، انطلق الى هناك ، وراقب موكبه ، وسأل النوتية الذين ينقلونه عبر النيل من الجيزة الى القاهرة عن السبيل للقياه ، وحين استفهموا منه عن سبب سؤاله ، قال لهم انه يود أن يقدم اليه شكوى .. فأخطره أحدهم أن الجنرال يذهب عصر كل يوم الى حديقة الأزبكية ليتفقد أعمال الترميم فى مبنى القيادة العامة .. لحظتها كان قدر كليبر قد أدركه ..

... ...

... ...

آخر مشاهد « المجـــد »

القاهرة

الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م .

حين بدأت جنازة الجنرال كليبر تحركها من مبنى القيادة العامة ، انطلقت طلقة مدفع القلعة ، مرة كل ثلاث دقائق . وتقدمت كتائب الجيش من الفرسان والمدفعية ثم حرس القائد العام ، فموسيقى الجيش موكب الجنازة ، حمل الجنود بنادقهم منكسة ، ووضعوا أشرطة سوداء على أكمامهم ، أما الطبول التى كانت تدق دقاً جنائزياً خافتاً ، فكانت هى الأخرى مجللة بالكريب الأسود .كذلك كان النعش الذى حمل على مركبة تجرها الجياد ، وفوقه سيف كليبر وقبعته وشاراته والسكين الذى قتل به . خلف النعش وفد من فرسان المماليك ، ثم الجنرال منو ـ خليفة كليبر ـ وقواد الجيش وأعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، ثم أعيان القـاهرة من التجـار والعلماء والقساوسة ، ومندوبو طوائف الصناع ، وسارت الجنازة من الأزبكية الى درب الجماميز الى الناصرية ، حتى تل العقاب ..

وهناك توقفت الجنازة ، وما احتشد فيها ، ليشهد كليبر ـ قبل الدفن ـ آخر مشاهد المجد !

أنزل نعش كليبر من فوق عربته ، ووضع على تل العقاب ، حيث كانت مراسم تنفيذ الحكم فى سليمان الحلبى وشركائه فى انتظار وصول النعش . وما أن انطلقت المدافع ، حتى بدأ الشطر الثانى من الاحتفال . تقدم « بارتليمى » محافظ القاهرة اليونانى ، فأطاح برؤوس المشايخ الثلاثة . وكان الفحم آنذاك ، يحمى فى مجمرة ، وحين انتهى المحافظ من مهمة اعدام المشايخ ، تقدم الى سليمان ، ووضع كفه فى المجمرة ، لكنه لم يشك ، ولم يتكلم والنار تأكل لحمه الحى ، غير أنه اعترض حين تعمد « بارتليمى » أن يعدل من وضع يده ، لتطول النار مرفقه ، منبهاً أن الحكم لم يذكر المرفق بل اليد فقط ، وتشاجر سـليمان مع « بارتليمى » ونعته بالكلب ، وأصر على حقوقه حتى أزيحت عن مرفقه الجمرة ..

وبعد أن احترقت يد سليمان ، بدأ تنفيذ القسم الثانى من الحكم الصادر بحقه . وقام « بارتليمى » بعملية الخوزقة بمهارة ، أحضر قضيباً مدبباً من الحديد ، ثم بدأ فى إدخاله فى شرج سليمان الحلبى ، بالدق عليه دقات خفيفة ، حتى لا يحدث نزيفاً يؤدى الى موته قبل أن يتعذب بما يكفى ، وبعد أن انتهى ذلك الاجراء التمهيدى ، رفـع الخـازوق قائماً ، وعليه سليمان ،ثم غرس فى الأرض. طلب سليمان من جندى فرنسى كان يقف على مقربة منه ، أن يعطيه شربة ماء . كان الجندى على وشك أن يعطيه زمزميته ، منعه «بارتليمى» ، إذ سوف تؤدى أى نقطة ماء الى موته فوراً ، فتنقذه من عذابه ، وهذا مخالف لمنطوق الحكم ..

على تل العقاب .. فارق جثمان كليبر سليمان الحلبى .. مضوا به ، تتقدمهم الفرسان والموسيقى ، وحين وصلوا الى فناء قصر العينى ، حيث أعدوا فى حديقته قبراً للجنرال ، على درج عال زرعوا حوله أعواد السرو . وبعد انتهاء مراسم الدفن ، القى المواطن فورييه ـ سكرتير المعهد العلمى الفرنسى ـ كلمة طويلة ، تحدث فيها عن الجنرال كليبر بطل معارك فانديه وشارلوا وفلوريس ومايستريك والفكريش وفريدبرج ، ومقتحم الاسكندرية وبطـــل معركة جبل طابور وعين شمس ، من أخمد ثورة القاهرة ، وجاء ـ مع جيشه ـ لينشر أعلام الحضارة والعدل على ضفاف النيل ..

فى تلك اللحظة .. كان سليمان الحلبى جالســاً على خازوقه فـوق تل العقاب .. يصلى . !!

صلاح عيسى



الحياة بكل بساطتها فى مقهى شعبى كما صورها الفنان جوزيف اوستن بينويل فى عام ١٨٦٥ ميلادية .. واللوحة بالألوان المائية ، ومقاس ١٦ X ٢٢ بوصة ، وتبدو فيها بعض التقاليد القديمة التى اندثر معظمها ودخل إلى دنيا التراث !

سوق السلاح فى القاهرة .. كان من أهم زبائنه التجار المسافرون إلى شبه الجزيرة العربية .. واللوحة من أعمال الفنان تشارلز روبرتسون الذى حاول اظهار أهم أنواع الأسلحة المستخدمة فى القرن الماضى .

معرض فني للتراث العربي في شيراتون الدوحة :

هؤلاء الفنانون ليسوا مستشرقين.. ولكنهم عشاق للحياة العربية !

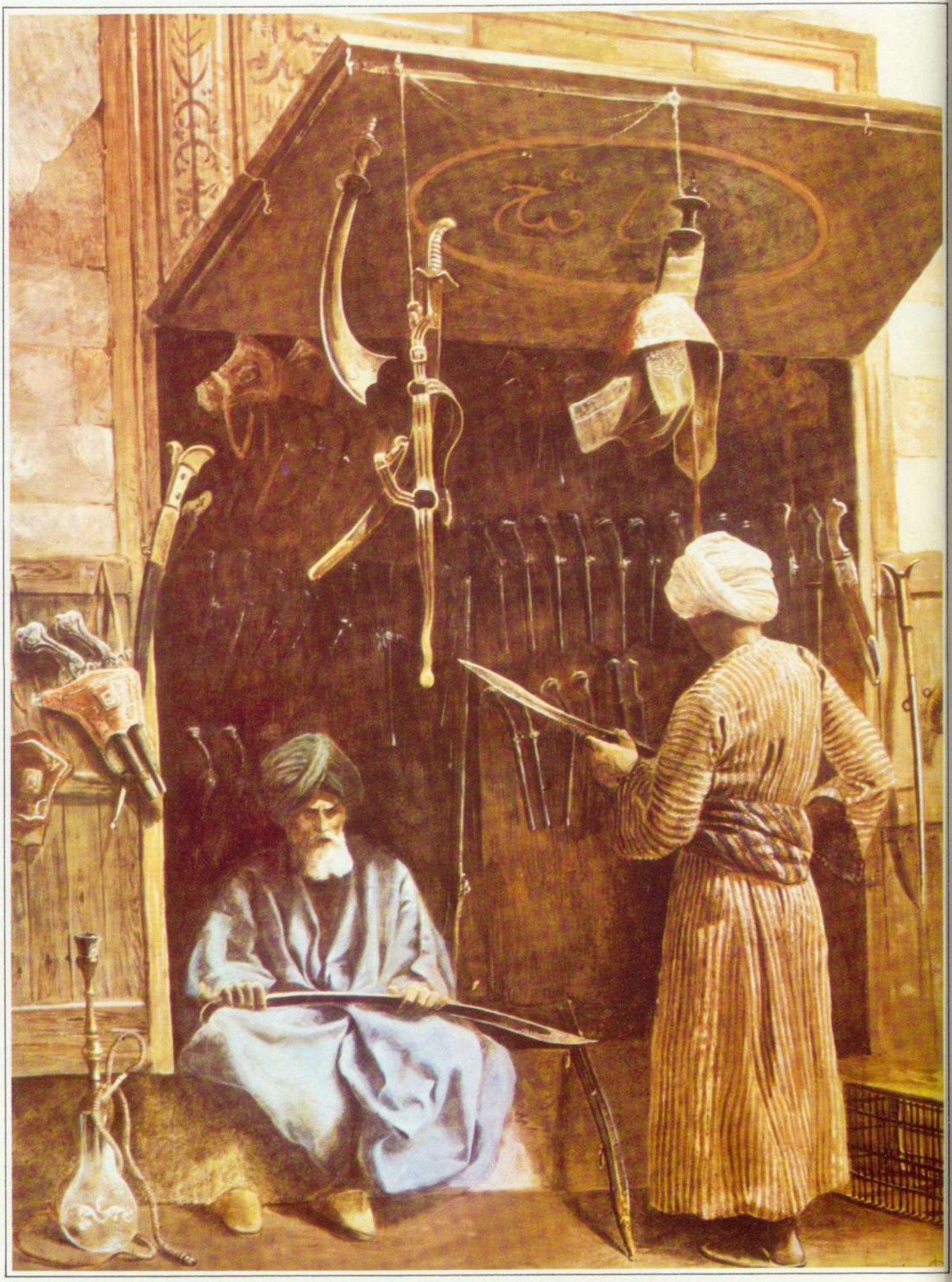
أقام متحف (جاليرى لندن) فى هذا الشهر معرضاً هاماً فى فندق شيراتون الدوحة ، ضم ٧٢ لوحة زيتية ومائية ، تمثل التراث العربى خلال القرن التاسع عشر ، وتراوحت أسعار هذه اللوحات ما بين ١٨ الف ريال قطرى و ٦٠ الف ريال قطرى ، أى أن الثمن الاجمالى للوحات المعروضة يفوق المليون ريال أو ما يعادل ١٤٠ الف جنيه استرلينى ..

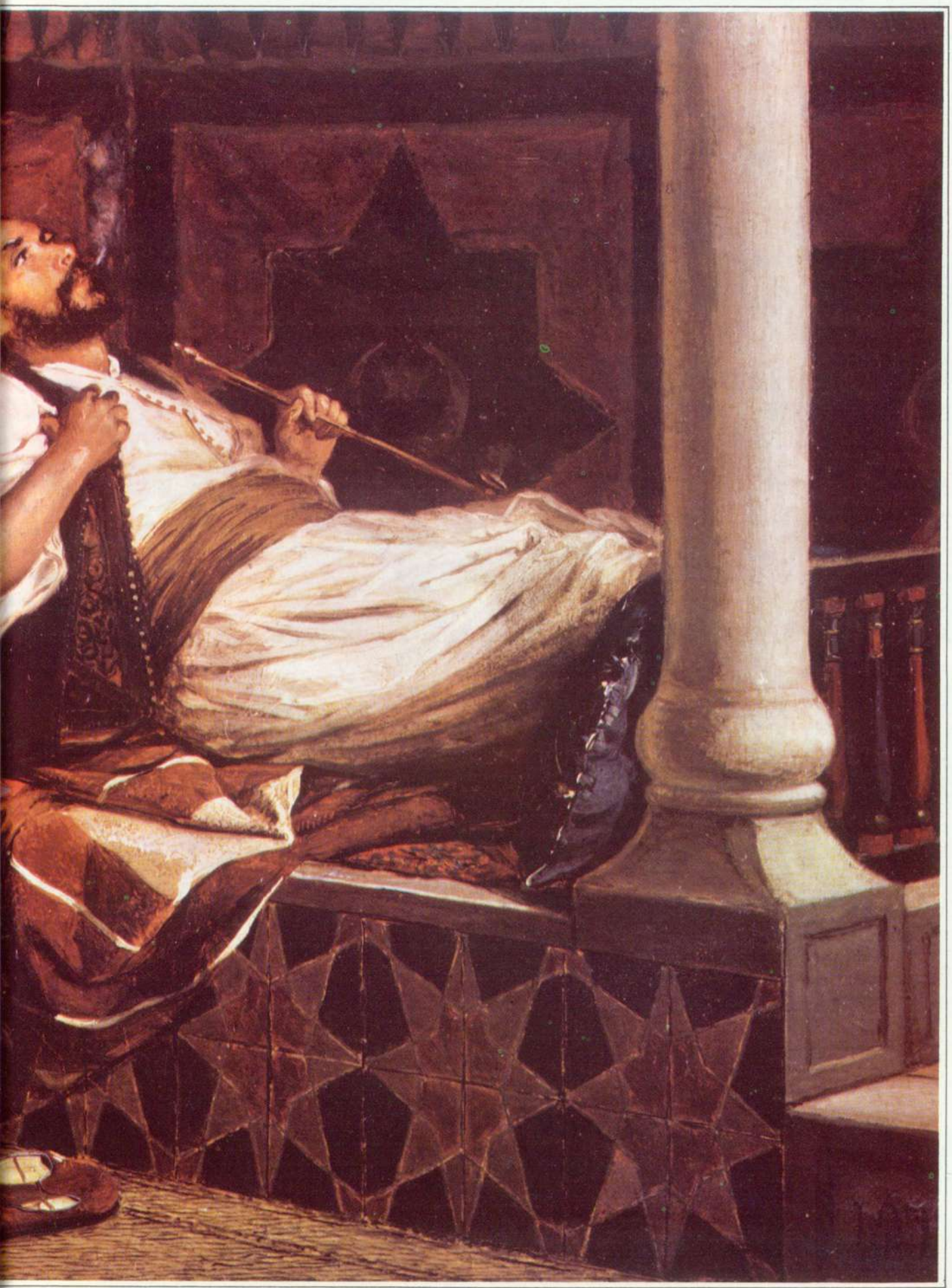
وأهمية هذا المعرض تأتى من ناحية تخصصه المتميز فى اللوحات التى تعبر عن واقع الحياة العربية أيام زمان ، الأمر الذى جعلها محط اعجاب وتقدير هواة الفن فى كل مكان ..

ويقول المسئولون عن المعرض أن هذه اللوحات تمثل سجلا قيما للعادات والحضارة العربية القديمة الأصيلة فى بلدان الخليج والمملكة العربية السعودية .. وأن صاحب هذا المعرض واسمه « هـ . ماكديرمت » قضى سنوات عديدة فى البلاد العربية ، وعايش البدو فى حياتهم اليومية ، ولم يمنعه عمله كمنتج أفلام ومدير استثمارات فى لندن ، من أن يعبر عن حبه للمنطقة بجمع مجموعة من اللوحات تعبر عن الواقع الحى لتقاليد شبه الجزيرة العربية بكل ما فيها من الوان زاهية وموضوعات جذابة ، حيث أن الكثير من هذه التقاليد أصابها التغير السريع نتيجة لنمط الحياة الجديد فى المنطقة ..

واللوحات التى تم عرضها فى مدينة الدوحة ، جاءت من صالة متحف « جاليرى لندن » الذى أنشىء فى عام ١٩٧٥ ، وقد نظر البعض الى هذه اللوحات على أنها من انتاج فنانين مستشرقين ينظرون الى الحياة العربية بعين السائح المغامر الذى يرى هذه الحياة من الخارج ولا يحس بها أو يتذوقها ، ولكن الحقيقة أن هؤلاء الفنانين هم من الغربيين القلائل الذين أحبوا العرب وأحسوا بهم إحساساً عاطفياً عميقاً ، انعكس على أعمالهم الفنية ، التى جاءت فى حقيقتها عملا من العشق والفهم والمحبة ، وليست عملا من أعمال السياحة والاستشراق والرؤية السطحية السريعة .

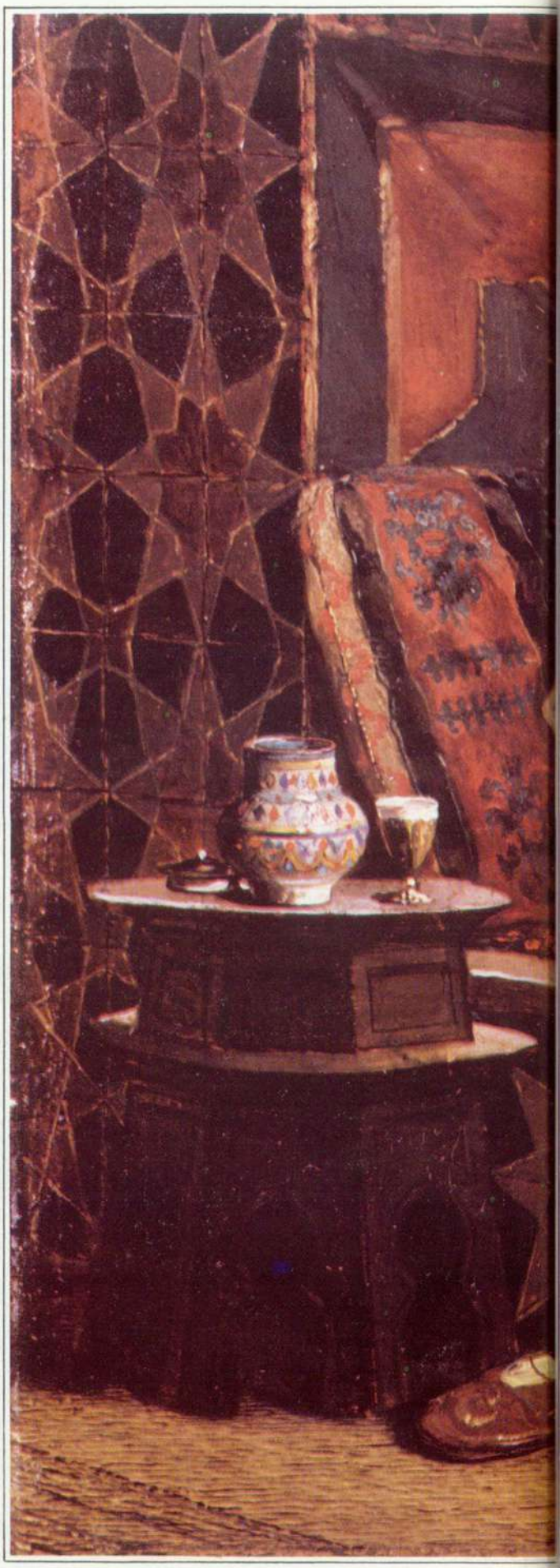
ولذا فاننا باختيارنا لأهم لوحات المعرض ، انما نقدم عملا فنياً رائداً يصور التقاليد والعادات القديمة التى ستظل راسخة فى ذهن المواطن العربى كجزء عزيز من تراثه ، حتى وان أخفى الزمن والتطور بعض معالمها !





هـــــــؤلاء
الفنـــــــانون

تدخين الغليون .. لوحة رائعة اضافت فيها تفاصيل زخرفة المكان للواقع الانسانى بعداً زمنياً جعلنا نحس بواقع الحياة فى القرن التاسع عشر .. اللوحة للفنان جان بابتست هوسمنز .





تدريب الخيول .. تلك الرياضة المحببة إلى قلوب العرب .. إنها هواية عشقها سكان شبه الجزيرة العربية ...واللوحة هنا للفنان جون هارنجتون وهى بالألوان المائية ومقاسها ٥ر٢٠ × ١٤ بوصة.



أمومة .. الحصان العربى الأصيل يقف شامخاً فوق الأرض الشاسعة الأرجاء .. بينما المهر الصغير يستلقى فى اطمئنان فوق هذه الأرض الطيبة وفى لحظة الغروب .. اللوحة للفنان جون هارنجتون بيرد ، وهى مرسومة بالألوان المائية ، وحجمها ١٤X ٥ر٢٠ بوصة

هـــــؤلاء
الفنـــــــــانون

محارب عربى يودع أطفاله قبل الرحيل وهى للفنان الايطالى جوليو روزاتى الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨٥٨ إلى ١٩١٧ ، ودرس فى متحف مدريد ، وقد وجدت كل مجموعته الخاصة فى ايطاليا ، ولكنها تسربت فى مجموعات إلى انجلترا وأمريكا .





▲ البتراء فى الأردن .. لوحة من القرن التاسع عشر للرسام ديفيد روبرت الذى زار سوريا والقاهرة . فى عامي ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ وذهب إلى القدس العربية وأعد مجموعة من اللوحات .

▼ ملتقى الماء للقوافل .. لوحة زيتية للفنان تيرينس . ج . جلبرت ، ومقاسها ٢٠ X ٣٠ بوصة ، وقد حاول فيها الفنان أن يعطى للصحراء غموضها وسرها الذى لا يدرك مغزاه غير الذين عاشوا على أرضها فى القرن الماضى .



هـــــــؤلاء
الفنـــــــــانون



مرفأ عربى .. حيث يصل المسافرون بقواربهم من كل صوب من أجل البيع والشراء والراحة بعد عناء السفر وأهوال البحر .. اللوحةللفنان الفرنسى تشارلز ثيودور فرير الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨١٤ و ١٨٨٨ وذهب إلى الجزائر واليونان وتركيا وفلسطين وسوريا ومصر والنوبة فى عام ١٨٥٠ وانتشرت اعماله عقب وفاته فى باريس فى كافة متاحف العالم .

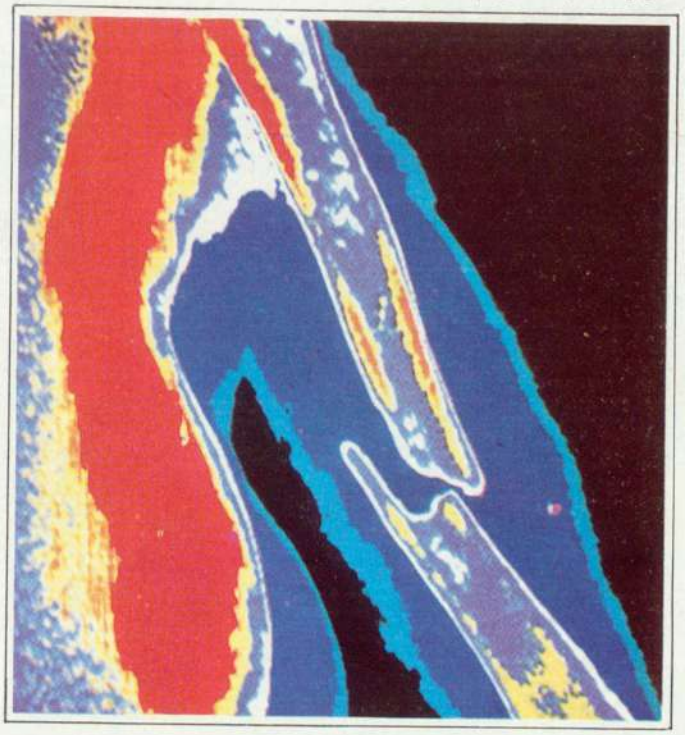
استراحة المسافرين .. وهى لوحة للفنان هول لازيرييه قدم لنا فيها إحدى عادات المسافرين بعد عناء الطريق فى الصحراء ، إذ كانوا ما إن يجدوا ربوة عالية تطل على أرض خضراء ، حتى يستريحوا من مشاق الطريق ومخاطره .. اللوحة رسمها الفنان فى عام ١٨٨٤ ميلادية .





عيون تنفذ إلى باطن المستور

صورة بالتصوير الاشعاعى اللونى ، وفيها يمكن مشاهدة رصاصة أثناء انطلاقها (الأثر البرتقالى فى ماسورة المسدس) .. وكذلك جزء من رسغ واصابع الانسان الذى يمسك بالمسدس (المشار إليها بعلامات X)



تستطيع أن ترى هنا بسهولة تامة الكسر الكائن فى عظمة الذراع ، فالصورة الملونة توضح الانسجة المختلفة .. الجلد والعضلات والعظام والنخاع وغيرها

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

ممـــا لاشك فيـــه أن العين البشرية تنطـوى على تكوينات مذهلة ، و « تكنولوجيا » بيولوجية متقنة مع موجات كهرومغناطيسية محددة ، ذات أطوال مقدرة فتتحول هـــذه الموجات الى نبضـات عصبية لتصب فى مراكز الابصار فى امخاخنا ، فتحيل الاشـــارات الواصلة إليها إلى صور ملونة .. تماماً كالتى نراهـــا فى عالمنا .



صورة لونية بالرسم السطحى لليد بالاستعانة بأشعة إكس .. واختلاف الألوان قد يوضح أية أعراض شاذة ، وهى تبين هنا أن اليد مصابة ببعض الالتهابات المفصلية

عيون تنفذ إلى باطن المستور



صورة حرارية لوجه انسان ، وفيها نرى ما يشبه الخريطة التى توضح تضاريس غريبة ، ومن الممكن عرض مثل هذه الصور على شاشة ، ومنها يستدل على اى شذوذ لا تراه عيوننا .

لكن رغم كل هذا الاتقان فى الخلق ، إلا أن عيوننا لاشك قاصرة ، ويرجع قصورها الى تعاملها فقط مع موجات الضوء المنظور – أى أنها لاترى الا فى حدود ضيقة وضئيلة

فهى لا تتعامل الا مع موجات تتراوح أطوالها ما بين ٠,٠٠٠٤ر٠ ـ ٠,٠٠٠٧ر٠ من المليمتر ، فاذا طالت الموجات أو قصرت عن هذه الحدود ، فان العين تتخبط فيها كالاعمى سواء بسواء ، فهى مثلا لا تستطيع أن ترى في الأشعة فوق البنفسجية ، ولا في الأشعة الحرارية (أى تحت الحمراء) ، لأن أطوال موجاتها أقصر أو أطول من حدود الموجات الكهرومغناطيسية التى قدر لعيوننا أن ترى فيها ، فلا تستطيع أن تتخطى الحدود الى ما عداها !

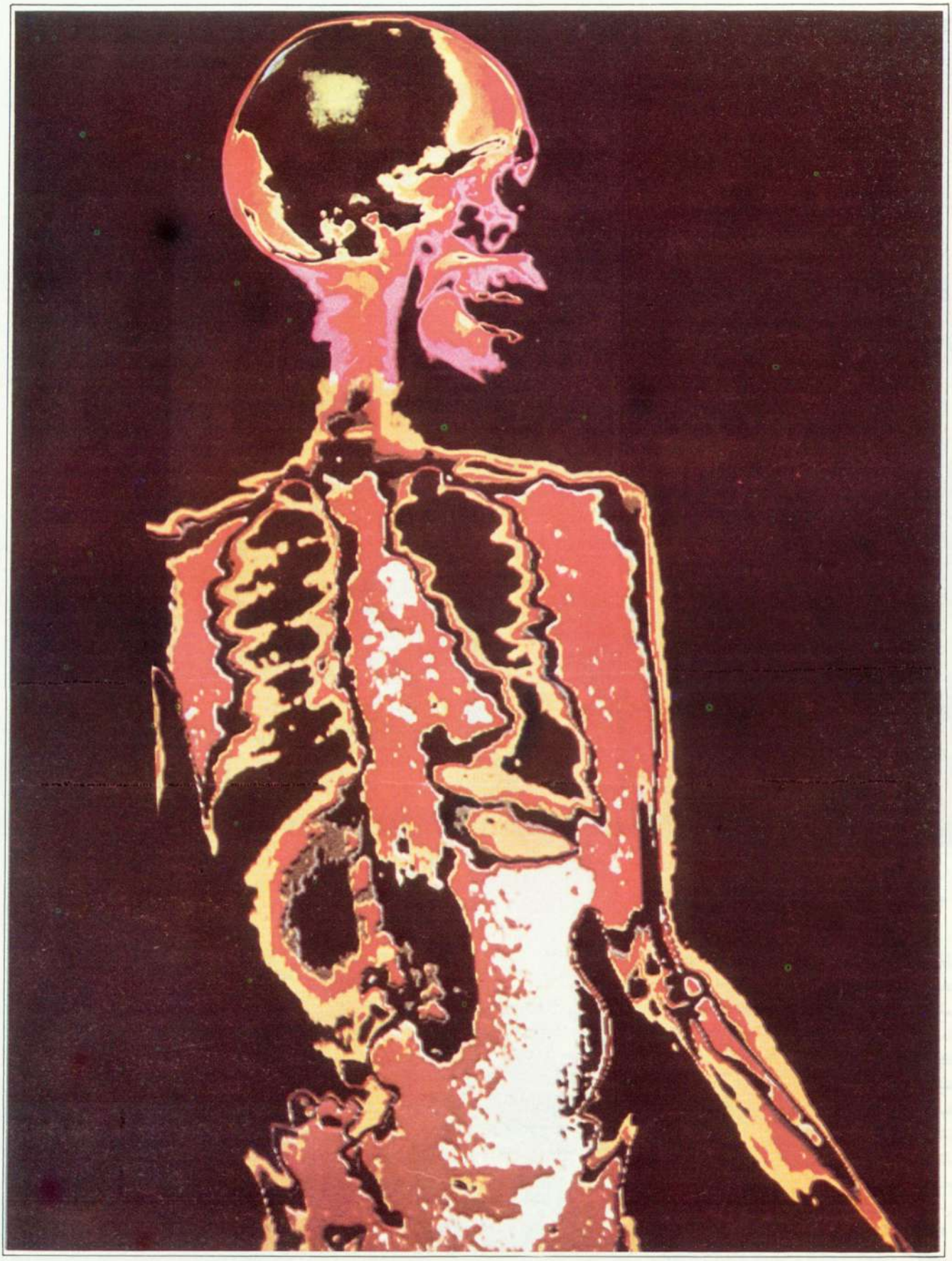
ثم أن عيوننا ايضاً قاصرة ، لأنها لاتستطيع أن تكبر الصغير جداً ، لنراه على حقيقته ، ولا أن تقرب البعيد جداً لتتجلى لنا طبيعته ، وهى كذلك عاجزة عن أن تنفذ الى باطن الخلق ، لنرى ما انطوى عليه ذلك الخلق من تكوينات من داخل تكوينات من داخل تكوينات .. الخ .

وكان نتيجة هذا القصور فى توضيح ما انطوت عليه بواطن الأمور ، ان لجأ العلم الى عيون أخرى كثيرة ومتنوعة ، لترينا «ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

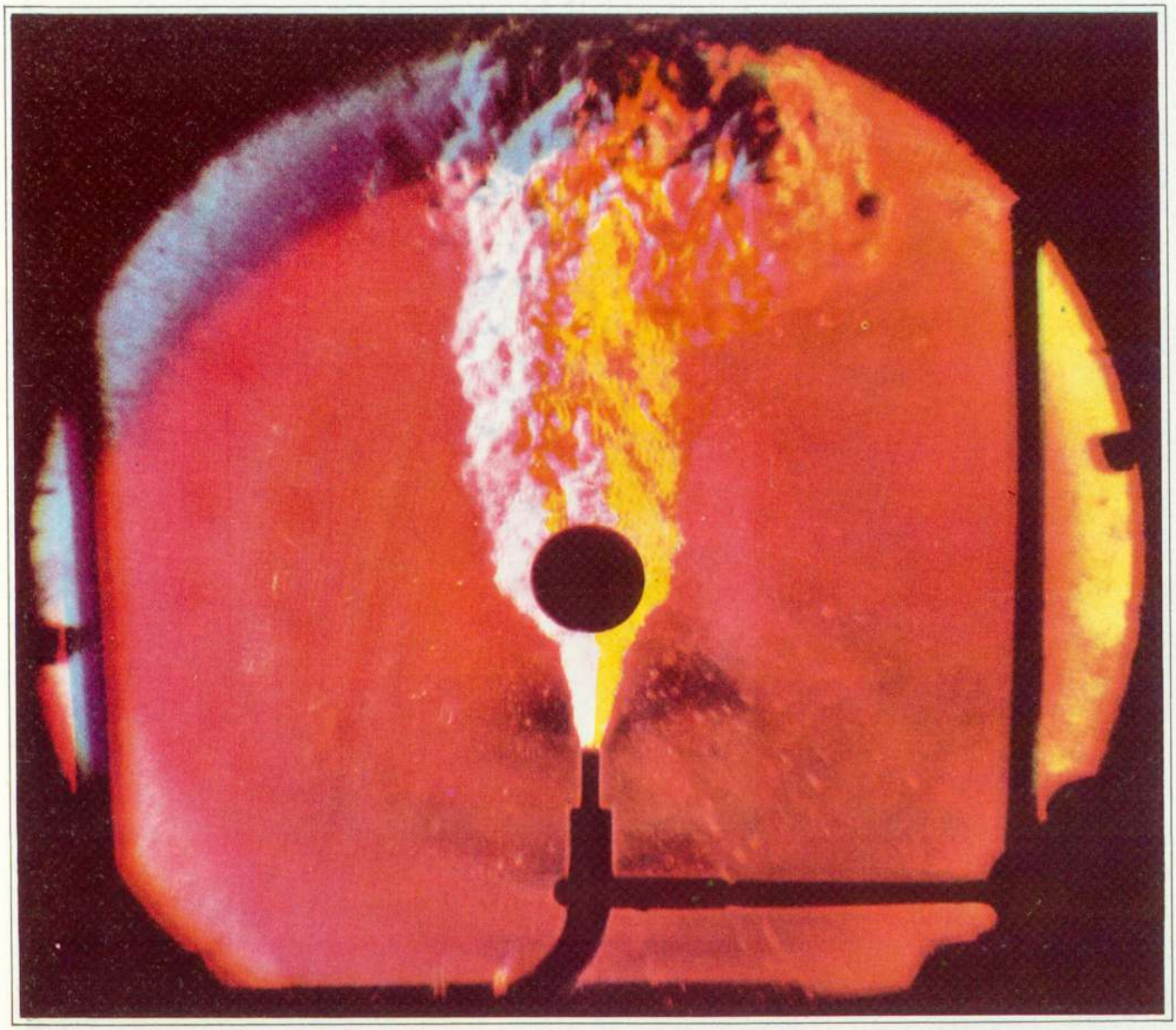
عيون متنوعة وغريبة

وطبيعى أننا لو اعتمدنا على عيوننا ، لما رأينا الا ظواهر الأمور ، وسيبقى باطنها الى الأبد عنا فى حكم المحجوب أو المستور ، إذ ما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد ، وما أغرب ما يزخر به الكون ، وتنطوى عليه الحياة .

ولاشك أن عيون العلم كثيرة وغريبة ومتنوعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها بالاسهاب ، والا لخرج الموضوع من أيدينا .. لأن هذه العيون العلمية قد اختلفت باختلاف الهدف الذى تتسلط عليه ، فللسماوات عيون ترصدها ، ولاجسامنا



الجزء العلوى من الجسم البشرى ، وقد ظهر بهذا الشكل الغريب من خلال استخدام نوع من التصوير الحديث ، وهو فى سبيله إلى التطوير والاتقان ليكون وسيلة من وسائل الكشف عن الداء .



ما نراه هنا هو كرة تنس الطاولة فى مسار تيار هوائى يخرج مندفعاً من أنبوبة ، وكأنما الهواء قد تحول إلى انبثاقة من لهب ، وطبيعى أن مثل هذه الصور لم تكن متاحة فى الماضى ..

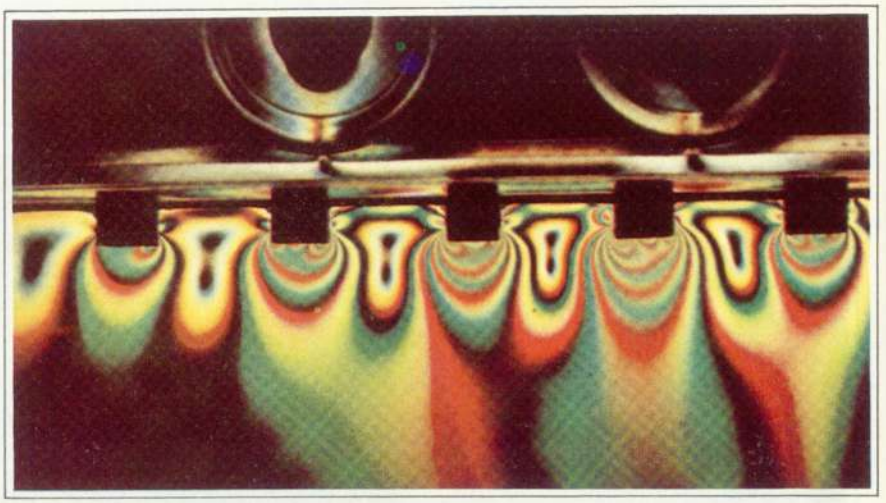
عيون تنفذ إلى باطن المستور

عيون أخرى تنفذ الى باطنها ، وللأقمار الصناعية عيون حساسة تستكشف من البعد ما يكمن فى باطن الأرض من ثروات ، وما ينتشر فى البحار من خيرات ، وللبحوث الذرية والبيولوجية وسائل للابصار الصناعى ، لتتعرف على التكوينات الدقيقة للمادة التى تدخل فى بناء الكون والحياة ، وللأسلحة الحديثة «عيون» توجهها إلى أهدافها بدقة تامة ، وكأنما هى بدورها ترى ما لا نستطيع أن نراه ، حتى ولو كان ما نراه مختبئاً فى باطن الأرض ، أو تطويه ظلمات فوق ظلمات ، ثم ما أكثر العيون التى دخلت عالم الطب ، لترشد الأطباء الى مواطن الداء وتحدد لهم ما شذ وما استقام من الأنسجة والأعضاء ، وكأنما هى تتجسس وتحدد وتصور وتنقل الى عيوننا صوراً دقيقة لما كان علينا فى الباطن خافياً ، وبحيث تتجلى أجسامنا وكأنما هى أكوان داخل أكوان من داخل أكوان .. وهلم جرا !

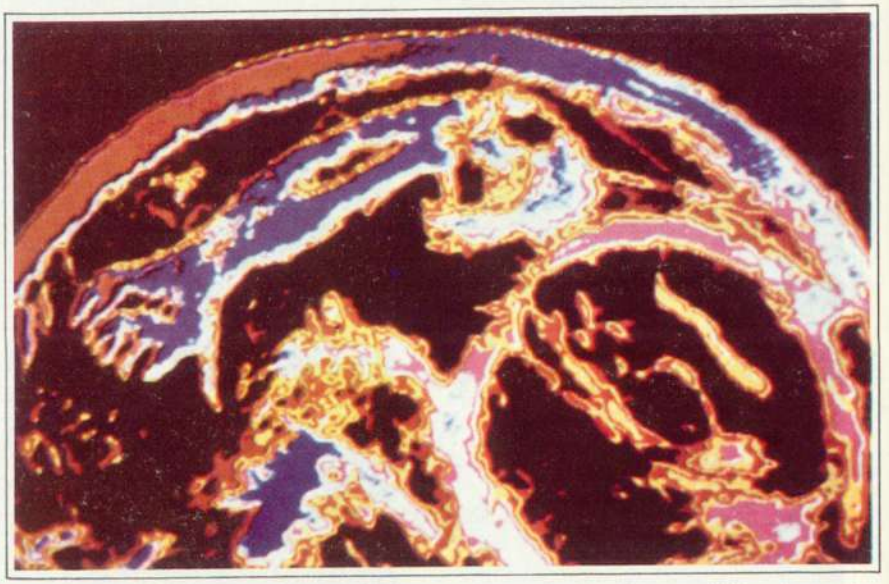
والعلم دائماً فى حالة تطور الى الأحسن فكأنما هو ينشد الاتقان ، أو هو يسعى للاقتراب منه على الدوام ، إذ كلما عرفنا أكثر ، واستخدمنا أجهزة أتقن ، كلما اقتربنا من فهم كوننا وأنفسنا بدرجات أحسن وأقوم وأدركنا الآيات البديعة والمذهلة التى تدل على قدرة «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .. وعندئذ يحق لنا أن نردد عن علم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» !

أكتشاف العوالم الحية

فمن العيون والأجهزة الحساسة التى نستكشف بها العوالم الحية بوجه عام ، والعوالم الكائنة فى أجسامنا بوجه خاص ، من هذه العيون نذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ جهاز مسح الجسم البشرى باشعة



هذه الصورة الغريبة توضح الاجهاد الواقع على شريحة من البلاستيك . فتنبعث منها خريطة حرارية تبين للعلماء شدة الجهد الواقع ، فيراجعون حساباتهم وتقديراتهم على أساسها ، خاصة أن المواد كثيراً ما تتعرض لاجهادات تضعف من مقاومتها



جدار رحم أم بداخله جنين يظهر منه رأسه وذراعه .. وللأطباء المتمرسين فى هذه الألوان المتداخلة تفسير وتعليل .. والصورة بالموجات فوق الصوتية

اكس ، وبحيث يقدم لنا «خريطة» متقنة لجميع مستويات الجسم أو «تضاريسه» إن صح التعبير ، وغالباً ما يتصل بهذا الجهاز حاسب الكترونى ، ليختزن المعلومات التى راتها هذه العين العلمية ، ثم يعرضها بطريقة توضح ما كان يخفى على الأجهزة القديمة (مثل جهاز الكشف باشعة اكس التقليدى) ، ثم إن هذا الجهاز المتطور يستطيع أن يعطينا معلومات دقيقة عن المخ ويحدد موقع أى شذوذ بداية من ورم خفيف الى خراج ، الى نزيف ، الى انسجة متكيسة .. الى كل ما يتوق الطبيب والجراح الى معرفته ـ ليس على مستوى المخ فقط ، بل على مستوى الرئات والقلوب والاكباد والكلى والأمعاء .. الخ

ومن هذه العيون ما ترى بالأشعة الحرارية ، أو تحت الحمراء ، وهى التى نطلق عليها اسم التصوير الحرارى ، اذ تستطيع بدورها أن تعطينا خريطة حرارية للاشعاعات المنبعثة من الأنسجة المختلفة وبحيث تستكشف بدورها أى شذوذ حرارى قد يستدل منه على بداية ورم أو قرحة أو اصابة ... الخ .

ومن هذه الأجهزة ما يرى ويحدد باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومنها ما يعرف باسم التصوير السكليرينى ، وهى كلمة المانية تعنى التخطيط أو الرسم الضوئى ، وترى على هذه الصفحات بعض الصور التى التقطت بتلك الوسيلة ، والواقع أن هذا النوع من التصوير كان يستخدم أساساً فى بحوث الديناميكا الحرارية ، وفى سريان الغازات ، والاشعاع الحرارى من الأجسام ، وفى بحوث الانفاق الهوائية المستخدمة فى تجارب الطيران ، ومدى تأثر جسم وحركة الطائرة عندما تحتك بجزيئات الهواء ، خاصة عندما تطير بسرعة أسرع من الصوت .

لغة لونية للعلماء

ونحن لانريد أن نسترسل هنا فى ذكر المزيد ، ولن نزج القارىء فى معمعة علمية قد لايكون مؤهلا للخوض فى أسرارها ، بل إن هدفنا فى هذه الدراسة ينصب أساساً على عرض ما توصل اليه عالمنا المعاصر من انجازات تكنولوجية ليوضح بها ما خفى عن عيوننا ، وبها يتخطى الوسائل القديمة نسبياً في الكشف عن تلك الألغاز المدفونة فى طبائع الاشياء ، وبهذا نمهد للقارىء أن يعيش دائماً مع عصره ، ويعرف بعض ما حققه هذا العصر من أمور كانت بالنسبة للأقدمين ضرباً من الخيال .

ولاشك أن الصور هنا تغنى عن أى كلام يمكن أن يقال فى هذا المجال ، ومن أجل ذلك ، فقد اخترنا بقدر الامكان صوراً تمثل فروعاً مختلفة من العلم ، وبها يتضح لنا أهميتها فى البحوث التى تتعامل مع الحياة والجماد والغازات ، فنرى من خلالها عالماً آخر ينطوى على أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال .

بـقيت نقطة أخيرة : فلقد بدأ كل شىء فى أوله بسيطاً ، لكنه تطور وتعقد ، فأراح وأضفى على النفس بهجة ، من ذلك مثلا أن التصوير الفوتوغرافى قد بدأ بعرض صور ليس فيها إلا الأبيض والأسود ، أو ظلال ما بين هذا وذاك ، لكننا عرفنا فيما بعد الصور الملونة ، والأفلام الملونة والتليفزيونات الملونة .. وأخيراً بدأنا ننظر الى الباطن «بعين ملونة» ، فنرى الأنسجة مثلا وقد اتخذت ألواناً شتى ، نتيجة لتصميمات تكنولوجية ، وليس لوناً طبيعياً فى الأنسجة ، وطبيعى أن هذه الاختلافات في الألوان تعكس حالات خاصة ، وكأنما هى «لغة لونية» للعلماء فيها تفسير وتعليل ،

وهم أدرى بها ، لأنهم المكلفون بكشف الغموض الذى تنطوى عليه الأكوان المحيطة بنا .. وكل قد جاء لما هو له ميسر .. «ولكن أكثر الناس لايعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

حوار
مع فنان عربي

مدير متحف اللوفر يتجنى على الفن العربي

بقلم : حسن الملا

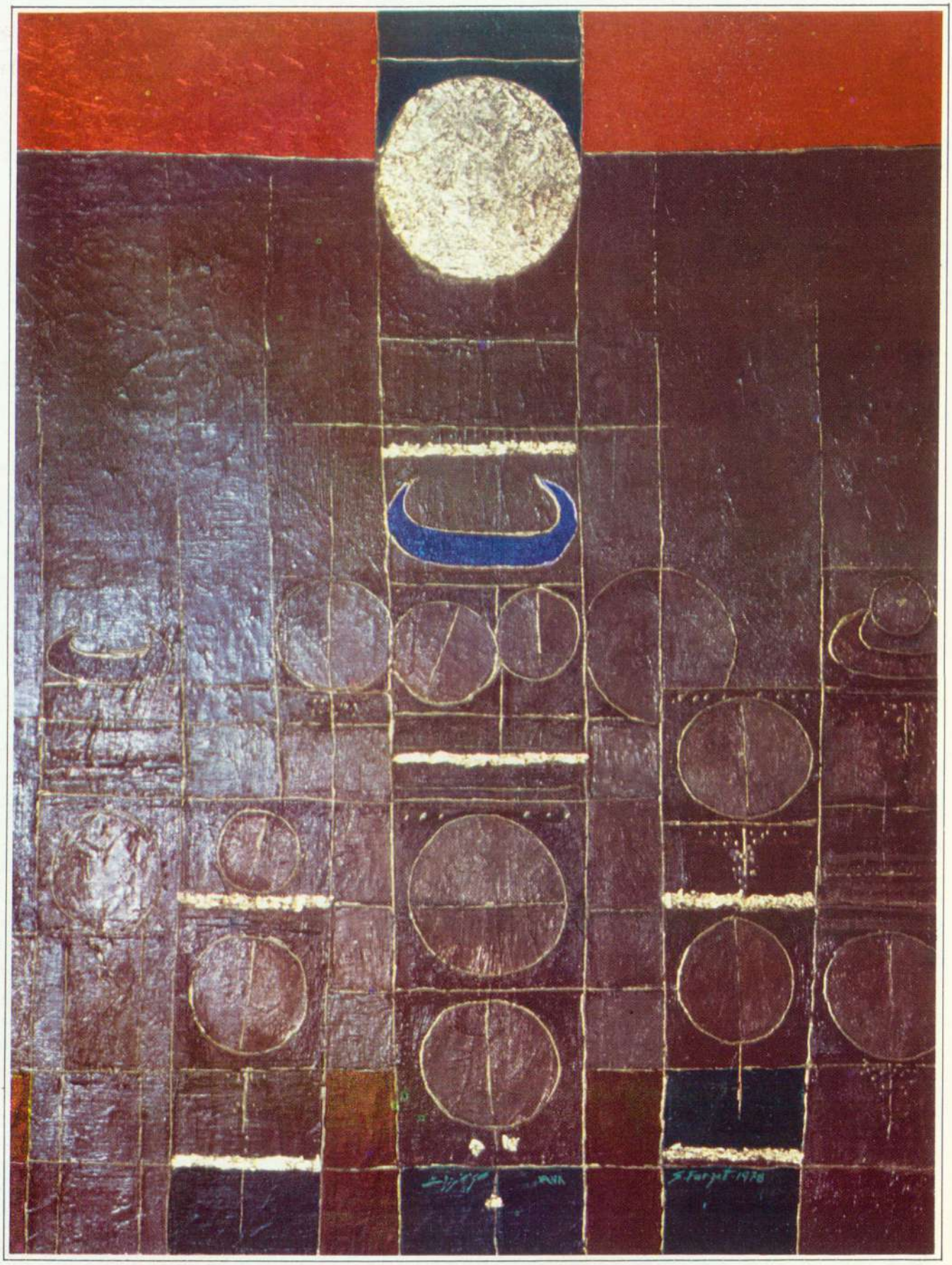


في معرض الفنان العربي صخر فرزات الذي اقيم مؤخرا في الدوحة.

أقيم مؤخراً في متحف قطر الوطني معرض للفنان العربي السوري صخر فرزات بدعوة من إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ..

وتضمن المعرض ٣١ لوحة تشكيلية ، تميزت باصالتها العربية وصدق خطوطها والانغام المتشابكة في الوانها وعمق موضوعاتها التي تعالج مشاكل الانسان واحلامه وذكرياته وكافة شجونه على الأرض العربية ..

والمعروف أن الفنان صخر فرزات من الفنانين العرب الذين حملوا على أكتافهم سلاح الفن العربي ليحاربوا به في الساحة الفنية في باريس ، مزاحمين بذلك أهم فناني العالم ..



ولادة الحلم .. إحدى لوحات الفنان التى تميزت بصدق الخطوط وعمق الموضوع والألوان ذات الأنغام المتشابكة.

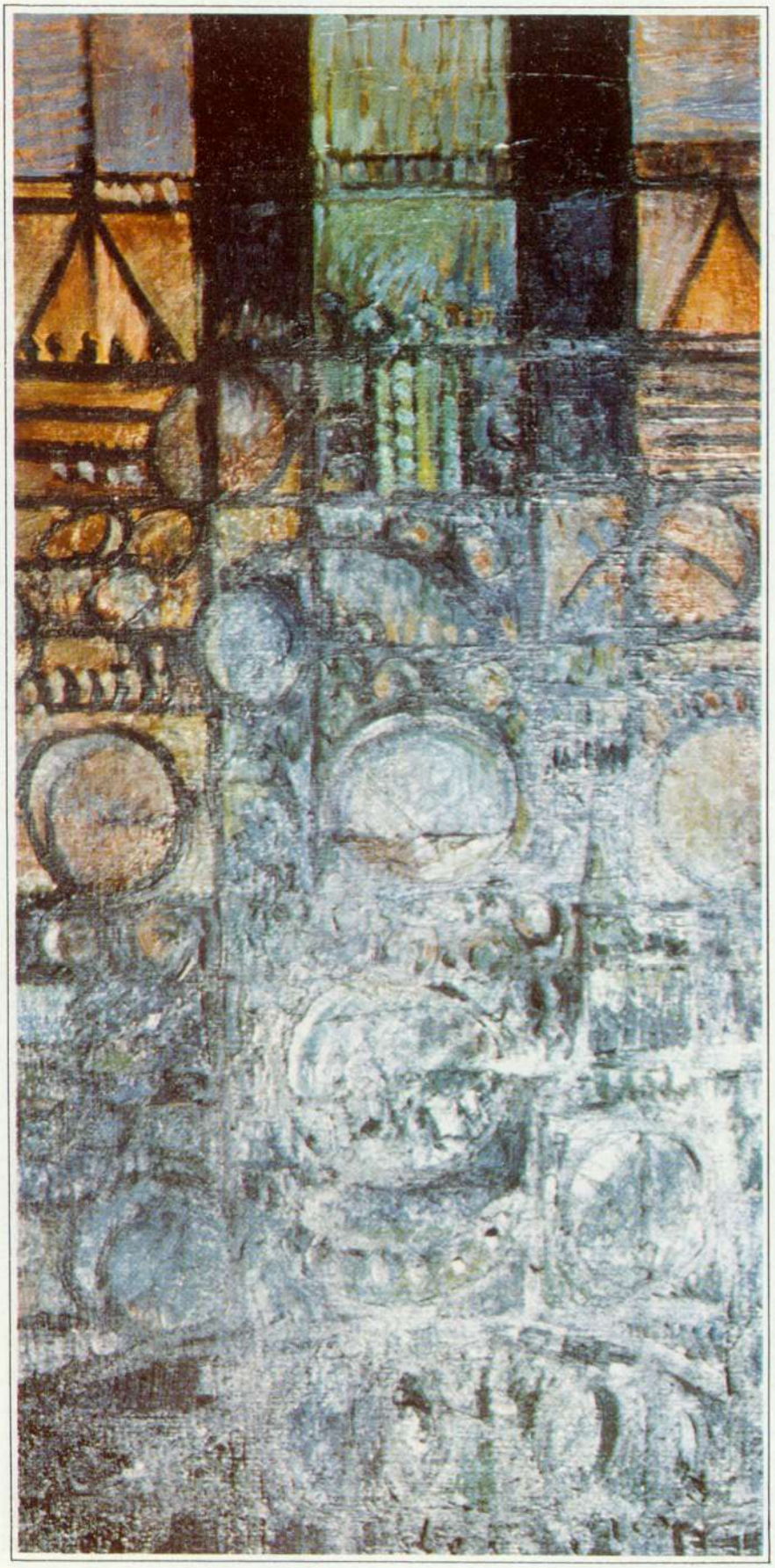
حوار مع فنان عربي

وقد ولد هذا الفنان عام ١٩٤٣ فى سوريا وأقام فى باريس منذ عام ١٩٧٦ ، وتفرغ للعمل الفنى منذ تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى سوريا ، ليصبح اليوم أحد الأعضاء المؤسسين لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ، وعضوا فى دار الفنانين الفرنسيين بباريس ، وعضوا فى الاتحاد العالمى للفنانين المحترفين ، وليشترك فى عدة معارض فنية ما بين دمشق وتونس وباريس ، ولتقتنى عدة دول أعماله لتضعها فى متاحفها فى فرنسا وانجلترا والأرجنتين واستراليا والمانيا والنمسا ، والبرازيل ، وبلغاريا ، وهولندا وايطاليا ، وأمريكا ، وفنزويلا ، وبولونيا وسويسرا وغيرها ..

ولأجل كل ذلك وغيره ، جرى هذا الحوار مع الفنان صخر فرزات حول مشوار حياته والحركة التشكيلية فى سوريا والعالم العربى ..

رواد الفن

قلت للفنان العربى : هل يمكن أن نتعرف على بداية الحركة التشكيلية فى سوريا قال لى : بداية الحركة التشكيلية فى سورية قديمة ، لأن سوريا بقيت لفترة طويلة مركزا من مراكز انتاج الفن الاسلامى والصناعات التقليدية والزجاج الملون والمعشق ، بالاضافة إلى الزخارف الاسلامية التى وجدت على جدران البناء القديم .. وكما تعرف فان الغربيين عندما سحرتهم الحضارة العربية والاسلامية ، جاءوا إلى سوريا ورسموا لوحات عديدة عن الحياة الشعبية والأماكن التاريخية ، وجاءت معهم أيضا بعثات تبشيرية كانت تضم رساميها الذين استخدموا فى تزيين الكنائس والجداريات .. وكل هؤلاء مع أهمية المركز التجارى للمنطقة حيث أنها تربط الشرق بالغرب ، كان له أثره على الفنان السورى ،



ذكريات .. لوحة تعبر عن الفنان الذى تقتنى أعماله معظم الدول الأوربية والحاصل على جائزتين عالميتين

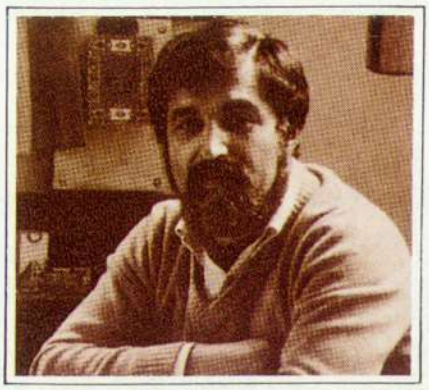
الذى تأثر بما رآه ، واصبح على اتصال دائم مع أوربا فى بداية القرن العشرين ، وكانت النتيجة هى ظهور عدد من الفنانين السوريين الأوائل الذين نضعهم فى مرتبة الرواد ، ومن بينهم سعيد تحسين وتوفيق طارق الذى كانت لوحاته قبل الحرب العالمية الأولى تتميز بالأصالة العربية رغم دراسته فى أوربا ، ثم عبد الوهاب أبو السعود وميشيل كرشه الذى نعتبره أول فنان انطباعى فى سوريا بعد عودته من أوربا فى الثلاثينات ، وكذلك محمود جلال ورشاد قصيباتى .. وتلى هؤلاء فاتح المدرس الذى اهتم بالفن التدمرى واستنبط منه اسلوب جديدا ..

وعدنان ميسر وادهم اسماعيل الذى اهتم بالعودة إلى التراث وحاول تقديم لوحة لها علاقة لونية بالفن الاسلامى واهتم بالخط اللامنتهى ، أى أنه حاول احياء الزخرفة الاسلامية .. ويبقى بعد كل هؤلاء عصمت رضا الذى كان أول من رسم اللوحات التجريدية .. وكذلك الفنانون البارزون حاليا أمثال : لؤى كيالى ، وفؤاد المدرس وغيرهم ممن درسوا فى أوربا وخاصة ايطاليا ..

الحرب على الفن العربى

وهنا انتقلت مع الفنان العربى صخر فرزات إلى الحديث عن العالمية فى الفن ، وكيف نصل إلى هذا المستوى ، وهل للفنان العربى قيمة فى بلاد العالم ، أم أن انتاجه مازال جليسا فى نطاق بلاده فقط ؟

وقال لى : ان هناك حقيقة مؤكدة بان الغرب يهملنا تمام الاهمال ويتحاشى كل ما يمت بصلة للفن العربى ، والدليل على ذلك ظهور كتاب من الكتب الهامة فى الفن فى فرنسا ، وهو كتاب موسوعى من تاليف « رينويك » محافظ متحف اللوفر عن الفن فى العالم ، وقد اختصر المؤلف الفن العربى كله فى هذا الكتاب إلى نصف صفحة ، أما باقى الدول ـ والكثير منها أقل منا فى المستوى الفنى بكثير ـ أعطاها عدة صفحات .. وهذا يعنى بالتحديد التجاهل التام للفن العربى بل والحرب الحضارية على الأمة العربية .. ونتيجة لذلك وغيره فليس من البساطة أن يحصل فنان عربى على مكانته فى هذه المجتمعات طالما أنها تحارب أفكارنا وحضارتنا سعيا نحو التقدم .. وهناك مثل آخر ممثل فى الفنانين المتواجدين فى المغرب العربى الذين على مستوى ممتاز تعرفه أوربا جيدا بحكم قرب المغرب العربى وكثرة احتكاكه بالعالم الغربى .. إن هؤلاء الفنانين لا يستطيعون الحصول على صالة لعرض أعمالهم ذات القيمة الفنية إلا بصعوبة بالغة وفى مناطق متطرفة وبعيدة



الفنان العربى صخر فرزات الذى يقيم فى باريس منذ عام ١٩٧٦

تجعل معارضهم فى معزل عن جمهور المتفرجين وزوار المعارض فى أوربا !

وبالاضافة لكل ذلك فانه من الممكن أن يقيم الفنان العربى معرضا فى أماكن التبادل الثقافى بين الدول ، ولكن هذا لن يؤكد بأى حال وجود الفن العربى ضمن السوق العالمية الفكرية والفنية ، ولهذا فان الفنانين العرب فى فرنسا وغيرها يقاتلون من أجل دخول مجالات العالمية فى الفن !

لماذا الهجرة ؟

قلت للفنان صخر فرزات : مادام الأمر بهذه الصعوبة ، لماذا إذن هاجر الفنان العربى إلى أوربا وأمريكا ؟

وقال لى : فى الواقع ، هناك غربة يعيشها الفنان العربى فى بلده ووطنه ، فهناك ثغرة بين فكر الفنان العربى وثقافته وبين الثقافة العامة للمجتمع ، فالفنان عندنا يشعر بالأسف لأنه غير مفهوم فى مجتمعه ، وحتى الفنانين الذين يغوصون فى بيئتهم ومجتمعهم ويطرحون موضوعات اجتماعية يجدون أنهم فى النهاية غرباء لا يجدون من يهتم بفنونهم ..

وأنا فى ذلك لا أوجه اللوم إلى الفن العربى ، ولكن أحمل المسئولية لنظام التعليم فى الوطن العربى ، فهو نظام يتجاهل وسائل تنمية التذوق لدى النشء ويهملها بشكل متعمد .. وساحكى هنا تجربة حدثت لى عندما رأيت أحد المواطنين فى دمشق ينظر من وراء زجاج خارج معرضى ، فدعوته لأجده على درجة من الوعى الفنى ممتازة ، فسألته : هل درست ؟ فقال لى : لا .. عندئذ تعجبت وسالته كيف وصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟ فقال لى : أذهب إلى كل معرض وأعايش اللوحات واهتم بالوانها وزخارفها وتفاصيلها الأخرى .. وهكذا نرى أن هذا المواطن درب نفسه على التذوق الفنى الذى أهملته التربية المدرسية وهى تخطط لصنع أجيال المستقبل !

تنمية التذوق الفنى

وعندئذ قلت للفنان العربى : مادام لدينا قصور فى التذوق الفنى ، هل يمكننا التعرف على الوسيلة ؟

وقال : نبدأ بأبسط الأشياء ، يجب ألا يخرج أى كتاب للطلاب إلا باخراج جيد واشراف فنى .. ويجب ألا يعرض برنامج فى التليفزيون إلا بمراقبة فنان حتى لا نعطى نتاجا متخلفا من الناحية الذوقية .. وحتى الشارع يجب أن نعطى للمواطن احساسا بمسئوليته عن نظافة الشارع واحترامه وعدم رمى القاذورات بدون مسئولية .. وإذا ما طبقنا ذلك الاحساس القومى بأهمية الجمال والنظافة والنظام فى المدرسة والبيت والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والشارع وغير ذلك ، لأصبح لدينا فى سنوات قليلة جيل يتذوق الفن ويحب الجمال ويحافظ عليه !

الحركة النقدية ومشاكلها

وفى نهاية لقائى مع الفنان سألته عن أهمية الحركة النقدية الفنية فى العالم العربى ، فقال أنها كانت معدومة ، وأن هناك من يحاول أن يضع لها اليوم حجر أساس بجهود فردية ، فهناك جبران ابراهيم جبران وبلند الحيدرى تتابعان مشوارهما فى وضع أسس للنقد الفنى فى العالم العربى .. وغيرهما هناك دراسات حول علم الجمال يقوم بها أسعد عرابى .. إلا أننا لا نستطيع بالطبع أن نقول أن لدينا فعلا حركة نقدية محسوسة أو نقاد مثل انجريه مونغو وزير الثقافة فى عهد ديجول أو مثل روجيه جارودى وغيرهم من أصحاب الدراسات النقدية العظيمة .. وفى فرنسا هناك بعض الكتاب العرب المشهورين فى الصحف الفرنسية أمثال طاهر بن جلون من المغرب والذى يكتب عن الصحافة العربية والفن العربى والمجتمع العربى فى جريدة الليموند الفرنسية ، ومن الكاتبات المشهورات بالنقد فى فرنسا الكاتبة اللبنانية أمية عدنان .. وهناك فنان تونسى استطاع بصعوبة أن يعرض فى مركز بومبيدو وبينالى باريس لوصوله إلى مستوى عظيم من العالمية وهذا الفنان هو التريكى .. وغيره هناك الفنان السورى الحلبى « كرزو » الذى أصبحت تعرفه الأوساط الفنية فى باريس ، وكذلك الفنان السورى شفيق عبود .. وهذا دلالة على أن الطريق يمكن تمهيده واقتحامه إذا تجملنا بالصبر والعمل والبحث الدائم عن كل جديد فى الفن !

حسن الملا



سعادة عيسى غانم الكواري وزير الأعلام وسعادة علي بن أحمد الأنصاري وزير العمل والشئون الاجتماعية أثناء افتتاح مجمع الأعلام ومسرح قطر الوطني .

مسرح قطر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

كمال سعد

لاشك أن بناء أى مسرح فى أى بلد عربى ، لابد أن تتبعه حركة نشطة من أجل تأصيل مسيرة المسرح العربى وربطها بالتراث الأدبى والشعبى والصور المختلفة فى المجتمع ، حتى تكون هناك علاقة حية بين المتفرج وخشبة المسرح تدعمها الكلمة الموضوعية والمعالجة الجذابة للفكرة وكافة المؤثرات الفنية ذات المستوى والمدلول !

وقد لخص هذا الهدف الهام سعادة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام عندما قال فى كلمته أثناء افتتاح مجمع وزارة الاعلام ومسرح قطر الوطنى ، أن المسرح بما يتضمنه من ثقافة وفنون يمثل واجهة حضارية متميزة فى صرح النهضة ، ونتيجة لتقدم البلاد فى مجال المسرح فى السنوات الأخيرة ، كان لابد من الأخذ بيد العناصر الصاعدة والبراعم الواعدة فى هذا الميدان الحضارى ومساعدتها على تادية رسالتها فى مسرح حديث جامع للأدب والفن والتراث الشعبى والحضور الانسانى من غير هدر لجانب القيم الأخلاقية الموروثة والتقاليد العريقة ..

وحدد وزير الاعلام رسالة المسرح الجديد وتنمية قدرات المواهب المسرحية بقوله : استقر الرأى على بناء مسرح حديث يتمشى مع



صالة المسرح مزدحمة بالمتفرجين أثناء العروض التى رأيناها على خشبته أثناء احتفالات ٢٢ فبراير



موسى زينل.. مدير ادارة الثقافة والفنون

متطلبات العصر وتعمل فيه أحدث المبتكرات الفنية والمعدات التكنولوجية ، بحيث تستطيع بواسطته الحركة المسرحية فى قطر ان تؤمن لنفسها ولعشاق هذا الفن الرفيع مكانا للعرض والمشاهدة والاحتكاك مع المسرح العربى والعالمى من خلال ما يقام على خشبته من عروض .. وانه لجدير بالذكر أن نشير الى أن وزارة الاعلام بصدد انشاء مسرح اخر يوفر الاتساع فى القاعدة المسرحية ويساعد الفرق المسرحية الموجودة فى قطر على تنمية قدراتها وصقل مواهبها ..

جاهز للفرق الكبيرة

إن مسرح قطـــــر الوطنى ، الذى اقيم ضمن مجمع اعلامى يضم مبنى وزارة الاعلام ، يعتبر أول مسرح من نوعه على مستوى الخليج والوطن العربى من حيث الاستعدادات الحديثة والامكانيات الفنية ، فقد اقيم المسرح الجديد على الحيز الاكبر من مبنى المجمع الاعلامى الذى روعى فى تصميمه الطابعان العربى والحديث والذى بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ريال قطرى ..

وتحتوى صالة مسرح قطر الوطنى على ٥١١ مقعدا كل منها مزود بجهاز للترجمة الفورية الى اربع لغات ، كما يضم خشبة مسرح مكونة من ثلاثة أجزاء ، الأول تقليدى ثابت ، والثانى دائرى ، والثالث يستخدم كمقدمة لخشبة المسرح تنخفض وترتفع حسب احتياجات العمل وهى بالطبع مقرا للاوركسترا والموسيقيين ..

ويعمل المسرح بواسطة جهاز كمبيوتر لتنفيذ الاضاءة والصوت وتحريك لوحات الديكور وخشبة المسرح الدائرية !

وهناك ثلاثة طوابق خلف المسرح مخصصة للعاملين والممثلين ، كل منها به غرفتين للماكياج وتغيير الملابس ، إضافة الى قاعة كبرى لاجراء البروفات . .

ويضم المسرح ـ كذلك ـ مطعما كبيرا واستراحة لكبار الزوار .

أى ـ باختصار ـ تتوفر فى مسرح قطر الوطنى كل احتياجات الفرق الكبيرة ، بالاضافة الى مراعاته لكافة الظروف التى تعمل على راحة المتفرج وتهيء أمامه فرصة الاستمتاع بالعمل الفنى والاستغراق فى جوانبه الذهنية ...

أول العروض

وقد كان أول عرض رأيناه على خشبة مسرح قطر الوطنى عقب افتتاحه فى يوم ٢٢ فبراير



احدى اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح؟



مجموعة من معهد الموسيقى القطرى قدمت أعذب الألحان العربية



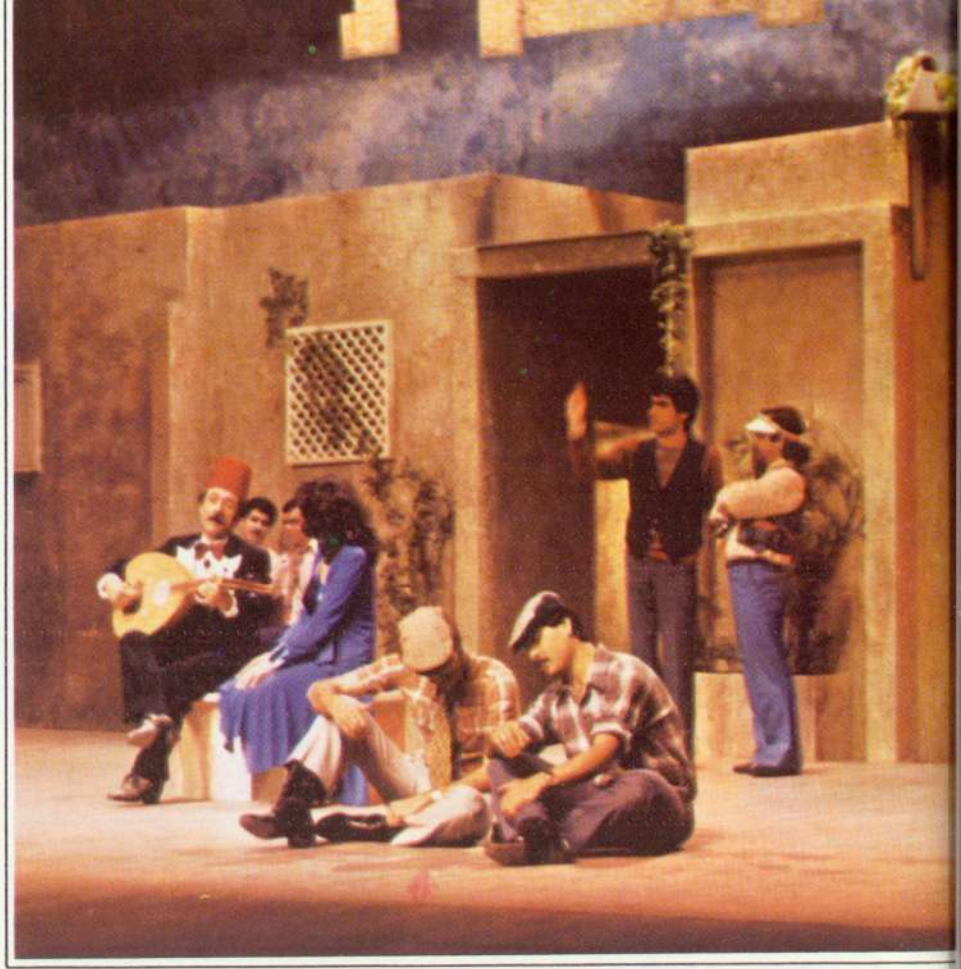
سالم ماجد



محمد أبو جسوم

١٩٨٢ ، هو اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية فى المناسبة الوطنية ، والتى استطاعت ـ بحق ـ أن تستخدم الامكانيات الهائلة فى المسرح من أجل ابراز ماقدمته من صور جذابة ، بداية من المقدمة الموسيقية المستقاة من لحن شعبى خليجى «ياحمام اللعب» إلى رقصات العرضة والمراداة والطحن بالرحى والليوه والطنبورة وغيرها ، فقد اتضح مع اتساع المسرح ورشاقة الحركة فوقه وجاذبيتها مدى الجهد المبذول من أفراد الفرقة ومديرها سامى يونس من أجل العمل على ميلاد فرقة قومية تخدم رسالة الفن الشعبى بالمحافظة عليه وابراز طابعه التراثى ، الذى أصبحت كافة دول العالم تنظر إليه بكل تقدير واحترام ، بل وتعتبره دليلا على مدى اصالة الأمة وتطورها

أما العرض الثانى على مسرح قطر الوطنى فكان يتضمن سهرة موسيقية غنائية ممتعة



المسرحية الغنائية « الربيع السابع » التى اشتركت فى تقديمها الفرقة الشعبية اللبنانية

مع النغم العربى والخليجى الأصيل ، قدمها معهد الموسيقى القطرى ، والذى بدأ حفله بمقطوعة موسيقية عنوانها «للأمير التهانى» مهداة من حامد نعمة مدير المعهد ، ثم توالت عروضه التى قدم اثناءها الوانا مختلفة من الغناء والموسيقة العربية والخليجية التى جعلت الحاضرين يستمتعون بأحلي وأرق الأنغام والالحان ..

وفى هذا الحفل كان للتراث الخليجى حظا حيث استمعنا الى بعض الأغنيات التراثية مثل « ياذا الحمام ... كما كان للتراث الغنائي العربى نصيب أيضا فى السهرة ، حيث استمعنا الى أغنية «ياصلاة الزين» التى لحنها الموسيقار الراحل زكريا أحمد الذى أداه فى الحفل أحد البراعم القطرية الواعدة وهو الطالب جبر عيد المهندى وموشح «يامنيتى عز اصطبارى» للموسيقار خالد الذكر سيد درويش .. كل ذلك بالاضافة الى عزف منفرد على القانون وفواصل موسيقية من طلبة المعهد وبراعم المدارس واساتذة المعهد الذين قدموا – بانفسهم – فاصلا من الموسيقى العالمية !

وكانت السهرة الثالثة على المسرح الجديد هى المسرحية الغنائية «الربيع السابع» التى قدمتها فرقة «الأخوين رحبانى» وأخرجها عاصى الرحبانى واشتركت فيها الفرقة الشعبية اللبنانية ،وكان من بين أبطالها ملحم بركات ، ورنزا ، ويوسف شامل ، وخليل ثابت ، وفؤاد فاضل ، وميريام ، وموريس عقل ، وفائق حميصى ..والمسرحية تدور فكرتها حول الحلم ودوره في تغيير الواقع ، والفكرة عولجت بطريقة فنية واعتمدت على اللوحات المبهرة ذات المضمون .

العروض القادمة

إلا أنه بعد تلك العروض الثلاثة ذات المستوى الفنى الرفيع ، هل هناك خطة للعروض القادمة ..وماهو نصيب المسرحيات القطرية من هذه العروض ؟ ...

فى حوار مع موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون قال أن مسرح قطر الوطنى كمبنى وكامكانيات يمثل قمة الاستعداد في المجال الفنى ، وفى كل دول العالم المتقدم والنامى هناك مسارح لايسمح فيها إلا بالأعمال الرائدة أو ذات المستوى الفنى الجيد ، وهذا ما سنتبعه على مسرح قطر الوطنى الذى لن نقدم على خشبته إلا الانتاج المحلى المتميز بالمستوى الفنى الرفيع ..ومن أجل ايجاد هذا المستوى الجيد من المسرحيات المحلية سيتم اختيار نصوص جيدة لانتاجها بامكانيات فنية تتناسب مع العرض على هذا المسرح الكبير .. كما أننا وضعنا في خطتنا لتشغيل المسرح ضرورة إحضار فرق عربية وعالمية على مستوى الاحتراف لا الهواية ، وذلك عن طريق التبادل الثقافى أو العقود .. أما بالنسبة للمسرحيات الخليجية والتى استقبلت قطر الكثير منها ، فاننا سنستقبل فرقا من الكويت والبحرين وغيرها .. وفى مخططنا عدة أمور يدخل فى نطاقها المهرجانات المحلية والخليجية والعربية واللقاءات والندوات مع أهم رجال المسرح والفنون المختلفة ، إلا أن كل ذلك سيتم وفق برنامج مدروس ، فنحن فى مرحلة نحاول فيها أن نرتقى بالتذوق الفنى حتى نزيد من أعداد الجماهير المستقبلة لفن المسرح ، وبالطبع هذا الهدف لن يتحقق إلا باصرارنا على إختيار الأعمال الجذابة ذات المستوى الرفيع والتى لاتقيم جدارا من الغربة بين المتفرج وخشبة المسرح .

فرقة قطرية قومية

وهنا قلت لمدير الثقافة والفنون : هذا عظيم .. ولكن فى نطاق هذا التفكير المتطور يظهر سؤالان .. أولهما : مع الرغبة فى الارتقاء بفن المسرح لماذا لانجد أنظمة تنظم العمل المسرحى فى قطر وثانيهما : هل عملنا خطة لتوفير مسارح جديدة مناسبة للمسرحيات التى لا يمكن عرضها على المسرح الجديد بامكانياته الكبيرة .؟ .

وقال لى بالنسبة للاجابة عن السؤال الأول فنحن نسعى الآن لاستحداث أنظمة ولوائح تنظم العمل المسرحى في الدولة وتنظم العلاقة بين الفرق المحلية وادارة الثقافة والفنون ، فالفرق الثلاثة – القطرى والسد والأضواء – نشأت كفرق أهلية بدعم غير رسمى ثم أصبحت بدعم رسمى ، ورغم أن هذا الدعم يزداد عاما بعد عام فما زالت العملية غير محكومة بأية ضوابط ، ولذا فان تدعيم علاقة هذه المسارح بالادارة سيؤدى الى ظهور الكيان المستقل والشخصية الاعتبارية لكل مسرح ، ولدينا الآن فكرة ندرسها لانشاء فريق قومى للتمثيل على غرار الفرق القومية المتعارف عليها فى البلاد العربية ، وبحيث تصبح هذه الفرقة هى المسرح الرسمى للدولة ، وقد وضعنا بديلا لهذه الفكرة فى حالة عدم اتفاقنا حولها ، بأن نستعين عند ذلك مرحليا بعمل مسرحيات ذات مستوى فنى رفيع على أن ننتخب لهذه المسرحيات فنانين من الفرق الثلاثة الموجودة فى قطر ، ونوفر لهذا العمل كافة الامكانيات الفنية والمادية التى تجعله يحقق هدفه الأسمى وهو تطوير المسرح القطرى ..

أما بالنسبة للسؤال الثانى المتعلق بتوفير المسارح الجديدة ، فهناك مسرح فى داخل منطقة الاذاعة والتليفزيون انتهى تصميمه ويطرح للمناقصة والتنفيذ هذا



الايقاع الشعبى حيث الحركة ودقة الأداء أثناء العرض

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

العام ويستغرق بناؤه عامين وستضم صالته ٣٥٠ مقعداً ، وسيضم هذا المسرح قاعة تدريبات للفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وقاعات أخرى للتدريب الموسيقى والمشاغل الفنية .. وسيقام فى المركز الثقافى بمدينة الخور خشبة مسرح لتنمية هواية التمثيل بين أبناء المنطقة .. وهذا بخلاف مسرح جاهز للتصنيع نامل استخدامه خلال عشرة شهور ... وإذا ما اضفنا لهذه المسارح الجديدة مسرح الدوحة بلايرز الذى تم بناؤه للجالية الانجليزية بمساعدة الدولة فى فريق بنى عمران ومسارح وزارة التربية لا تضح لنا أن الفرق الهاوية أيضا تستطيع أن تقدم انتاجها وأن تجد مكاناً تخاطب من فوقه جمهور المتفرجين !

امكانيات المكان

وفى داخل مسرح قطر الوطنى التقيت بمدير عام المسرح بالوكالة محمد أبو جسوم الذى قال لى أنه ليس معنى افتتاح المسرح هو استكمال تجهيزه ، فمازلنا نسعى لاستكمال كوادره فى أسرع وقت ، خاصة فى الاضاءة والصوت وهندسة الديكور وتنفيذه وأعمال النجارة والطلاء ومختلف النواحى الفنية الأخرى .. فالتجهيزات الفنية الكبيرة للمسرح تحتاج إلى خبرات عديدة للتشغيل ويكفى أن نعلم أن خشبة المسرح مزودة فى أعلاها بامكانية استخدام اكثر من ٣٦ منظراً فى العرض الواحد .. وهذا مع وجود شاشة سينما تنزل أتوماتيكياً من أعلى .. وحاجز للطوارىء يفصل الخشبة عن الجمهور .. وصالة مكيفة تكييفاً مركزياً .. ومقاعد مزودة باجهزة للترجمة الفورية .. وحوائط جانبية يمكنها تصغير وتكبير صالة العرض .. ونظام اضاءة يعتمد على حوالى ٢٢٠ كشاف مختلف الأحجام .. وكل ذلك بالاضافة إلى أن هذا المسرح مجهز بعازل صوت ومزود بسمعات فى حجرات الممثلين تجعل كل مشارك فى العمل الفنى يتابع كل ما يجرى على خشبة المسرح !

إلا أن وجود دار للعرض بهذه الامكانيات يجعلنا نامل فى أن يثرى هذا الشكل ما نتمناه من مضمون ، بمعنى أن تعيد الفرق المسرحية تنظيمها وتطوير امكانياتها حتى تخدم الثقافة والفن فى البلاد بعروض تضيف لنا الجديد وتتناسب مع المساحة المكانية والامكانيات المتوفرة فى هذا المسرح وعلينا أن ندرك أن الفرق التى وصلت إلى مجالات الشهرة لم تصل للقمة بين يوم وليلة ولكن بالعرق والعمل ، ولهذا فان واجبنا الآن أن نعمل بكل طاقتنا لرفع مستوى سمعة هذا المسرح فى الداخل والخارج ، خاصة وأننا فى عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وضاع مستوى الأداء الفنى الجيد من اغلب الأعمال الفنية فى مسارحنا العربية !

يوم المسرح العالمى

ولكن وبعد كل ما عرفناه من جديد عن مسرح قطر الوطنى ، هل يشارك هذا المسرح فى يوم المسرح العالمى الذى يقام فى نهاية هذا الشهر (مارس) ؟

الواقع أن سالم ماجد رئيس قسم المسرح بادارة الثقافة والفنون يؤكد هذه المساهمة ، بقوله : سنقدم فى هذه المناسبة ثلاثة عروض للفرق المسرحية القطرية ، وستكون هذه العروض أشبه بالمهرجان الذى يتضمن الجوائز لأفضل ممثل وأفضل ممثلة وأفضل عرض وأفضل مخرج .. ففى يوم ٢٧ مارس سنقدم فرقة المسرح القطرى فى مسرحية « ولكنه تركها تموت » للكاتب الأسبانى « فرناندو ارابل » اخراج علي ميرزا وفى يوم ٢٨ مارس تقدم فرقة مسرح السد مسرحية بعنوان « الفيل يا ملك الزمان » للكاتب السورى عبد الله ونوس اخراج عبد الرحمن المناعى ، وفى يوم ٢٩ مارس تقدم فرقة مسرح الأضواء مسرحية « الكافيتريا والزنجبيل » واسمها الأصلى « البوفيه » للكاتب المسرحى علي سالم ويخرجها سالم ماجد .. والعروض الثلاثة ستكون باللغة العربية الفصحى ..

● ●

وهكذا نرى أن المسرح القطرى فى ظل ما يتوفر له اليوم من امكانيات مطالب بأن يشكل جمهوره عن طريق الصدق الفنى والانسانية .. فنحن أحوج ما نكون اليوم – باعتبار المسرح فى قطر جزءا من المسرح العربى – إلى الاهتمام موضوعاً وصياغة بوجدان وعواطف الشعب العربى ، وأن تصبح مسارحنا أداة فنية دائمة العطاء وقادرة على الاشعاع المباشر ، وأن يكون الانسان وطموحه هو محور مسرحنا المعاصر حتى تكون لنا هوية عربية فى المسرح يعترف بها كافة المتفرجين فى الداخل والخارج على حد سواء !

كمال سعد

درويش مصطفى الفـــار

معجـــم عـــربي .. للتعـــريف بالعـلوم

تعاقبت قرون مذ طفق أهل الفكر يحاولون إيجاد تعريف مناسب يميز الانسان عن الخلائق الاخرى ، فقال قائل ، إنه حيوان (ناطق) ، وقال غيره انه حيوان (مغن طروب) . واضاف آخرون إنه مخلوق (ذو حياء) .. ونحن نقول تمييزاً للانسان عن غيره ، إنه وحده حيوان (كاتب) ... اذ لم يثبت للعلماء والباحثين ، بعد ، وسوف لا يثبت أبداً ، أن من بين مخلوقات الله ، المعاصرة ، أو البائدة التى اندثرت ، غير بنى آدم ، من عرف (الكتابة) بالمعنى الذى اتخذه الانسان خلال مسيرته الحضارية على سطح الأرض .. صحيح أن من المخلوقات المنقرضة ، منذ أن أوجد الله الحياة على هذا الكوكب الثالث من المجموعة الشمسية ، من ترك آثـــاراً مستحجرة فى طيات الصخور والحجارة ، كالمحارات ، والهياكل ، وآثار الأقدام ، والأسنان والقشور التى استعصت على الفناء ، وظلت ملايين الأعوام على حالها ، تحكى قصة مخلوقات الله الحية ، نباتاً وحيواناً ، على سطح الأرض أو فى بحارها ، بيد أن تلك الآثار المستحجرة ، ليست بحال من الأحوال ، كتابة تركها أصحابها على صفحات كتاب الصخور الرسوبية عن قصد كذلك الذى عناه الانسان واخترع له القلم والقرطاس والحبر ، لينقل عن قصد ، فكره ، وتاريخه ، ورأيه ، لغيره من بنى آدم وحواء .. فالكتابة ، هى الميزة الحقيقية للجنس البشرى عن بقية الأجناس .

والكتاب ..مع احترامنا للرأى الذى ساقه شاعرنا ابو تمام حبيب بن أوس الطـــائى (١٩٠ ـ ٢٣٢ هـ) فى إعتزازه المطلق ، بالسيف ، الصانع للأنباء والتاريخ ، هو السمة الحضارية الصادقة لفترات تاريخ الانسان على الأرض ، مذ بدأ ، يكتب ، على الحجر والطين والبردى والرق والكاغد والورق والشاشة الالكترونية ... ولقد سجل الكتاب المعرفة الانسانية عبر القرون ، عن الأفلاك والأجواء والبحار والأرضين والصخور والحجارة والنبات والحيوان والطير والتقنية والطب والقصص والأساطير والشرائع والقوانين والأشعار ، كما سجل وحى الله تعالى إلى انبيائه ورسله ، صلوات الله عليهم أجمعين ..

ولقد بين لنا العلامة محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فى كتابه النادر (مفاتيح العلوم) أنواع العلوم والمعارف الانسانية بأسلوب لم يتفوق عليه فيه سابق أو لاحق فى لغة الضاد ... وظلت سمة العالم العارف لقرون عدة أن يكون خبيراً بكل أطراف المعرفة ابتداء من الرياضيات وانتهاء بفنون الشعر ، حتى جاء (روبرت لوفيل) عـــام ١٦٦١ م ، وقسم جملة المعرفة العلمية والتقنية الى صنفين :

● ثيولوجيا ، أو علوم سماوية ، تتناول ما فى الجو والفضاء المحيط من أجرام سماوية وشهب ونيازك وشفق ورياح وسحب وبرق ورعد وصواعق، وتعاقب الليل والنهار والفصول والكسوف والخسوف ..

● جيولوجيا ، أو علوم أرضية ، تدرس كل ما على على الأرض من نبات وحيوان وجماد ، فى البحر والنهر وعلى سطح اليابسة ، وتسجل خصائصها الفيزيائيـــة والكيماوية والحيوية ، وتحاول تفســـير الزلازل ، وعلاج الأمراض والأوبئة ..

وتعاقبت القرون ، وازدادت المعرفة البشرية عن خصائص المادة وصفاتها ، المرئية وغير المرئية ، من خلال انابيب الاختبار والمجاهر الضوئية والالكترونية ، والتلســـكوبات البصرية واللاســـلكية والمطياف . واندمج الزمان والمكان ، وتفرعت العلوم ، وتشعبت فروعها ، وأصبح لكل فرع أغصان ، وأفنان ، وبراعم ، وتعددت المسميات والأطر والتخصصات ، حتى أنك لترى الرجل ، من المشتغلين فى تخصص علمى عميق ، يجهل العديد من المسميات ، ليس فى وطننا العربى وحده ، من محيطه الى خليجه ، ولكن فى العالم كله ..

وهنا أصبح الأمر يقتضى ، للصالح الثقافى العالمى ، ان يبزغ من بين ظهرانينا مرة أخرى واحد مثل (الخوارزمى) ليكتب الجزء (الثانى) من مفاتيح العلوم على هيئة معجم أو قاموس مبوب ، يسرد ، كل الألفاظ التى تعبر عن فروع مستحدثة للعلم فى علوم الأرض والحياة والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتقنية وأبحاث الفضاء والخلايا ، سرداً أبجديا معرباً عن المسميات الأصلية من لاتينية وإغريقية وانجليزية وروسية والمانية وفرنسية ويابانية ، ومقابل كل مسمى بضعة أسطر تشرح ما يتناوله ذلك الفرع من العلم شرحاً مبسطاً جيداً ، وتبين للقارىء تاريخ دخول هذه اللفظة أو تلك الى الأوساط العلمية ، ومن هو العالم الذى اشتقها ، وفى محاولة وضع مقابل عربى لتلك اللفظة لا ينبغى ان يفوتنا ، تحت ضغط الشعور بالنقص ، والجنوح إلى التقعر والتنطع ، إن اســـــلافنا إبان سلطانهم السياسى وتفوقهم العلمى لم يجدوا أدنى غضاضة فى استخدام ألفاظ معربة كالكيميـــاء ، والفيزيقا ، والبركسيس والاســـطرلاب ، واخضعوها ، وغيرها ، لقواعد النحـــو والصرف ..

نريد كتاباً عربياً جاداً ، لا يحار فى وجوده الانسان العربى الذى يحترم عقله ويسعى لثقافته ، عندما تصادفه كلمات ، مثل الباثولوجيا واليمنولوجيا والايرودنياميكا ، والسيبرنيطيقا ، والكوارك ، والدايود ، ومئات المسميات الأخرى لفروع العلوم الطبيعية ... وان اضطلاع بعض العلماء العرب بعبء إخراج كتاب كهذا بعنوان (مفاتيح العلوم المعاصرة)لن يقتصر نفعه على الناطقين بالضاد وحدهم ، بل إنه سينفع شعوب الأرض بمختلف لغاتهم والسنتهم ، وسيجد من ينقله ، شاكراً للعرب صنيعهم ، إلى تلك اللغات .. وإن من يتصدى لاخراج مثل هذا القاموس سوف يحيى فى النفوس موات تاريخ مضيء منذ قرون ، كنا فيه نعلم الناس الأخلاق ، والعلوم والفنون (والتكنولوجيا) فهل يعيد التاريخ نفسه ، رغم كل الظلام المحيط ؟؟؟

درويش مصطفى الفـــار

شعر: محمود درويش

سنة أخرى.. فقط

اصدقائي ، مَنْ تَبَقَّى منكمُ يكفي لكي احيا سنةً
سنة أخرى فقط
سنةً تكفي لكي اعشق عشرين امرأة
وثلاثين مدينة.
سنةً واحدةً تكفي لكي ترتديَ الفكرةُ جسمَ
السوسنة
ولكي تسكن ارضٌ ما فتاةً ما ونمضي نحو بحر
ما وتعطيني على ركبتها
مفتاح كل الامكنة
سنةً واحدةً تكفي لكي احيا حياتي كلها
دفعةً واحدةً
او قبلةً واحدةً
او طلقةً واحدةً
تقضي على اسئلتي وعلى لغز اختلاط الازمنة.

اصدقائي لا تموتوا مثلما كنتم تموتون
رجاء لا تموتوا انتظروني سنة أخرى
سنة
سنة أخرى فقط
ربما نُنْهي حديثاً قد بدا
ورحيلاً قد بدا
ربما نستبدل الافكارَ بالمشي على الشارعِ
احراراً من الساعة والروايات ...
هل خُنّا احدْ ؟
لنُسَمِّي كُلَّ عصفورٍ بَلَدْ ؟
ونُسَمِّي كلَّ ارضٍ ، خارجَ الجرح ، زَبَدْ
ونخاف الدندنة ؟
ربما نحمي اللغة
من سياقٍ لم نكن نقصدُهُ
ونشيدٍ لمْ نكن ننشده للكهنة ....

اصدقائي ، شهدائي الواقفين
اذهبوا عني قليلا .
فلنا حق بأن
نحتسيَ القهوةَ بالسُكّر لا بالدمِ .. ان نسمع
اصوات يدينا وهما تستدرجان
الخَجَلَ الباكي الينا ...
لا سقوطَ الاحصنة
ولنا حَقٌّ بان نحصي الشرايين التي تغلي
بنار الشهوات المزمنة

ولنا حَقٌّ بان نشكر هذا الزغب النامي على البطن
الحليبيِّ
وان نكسر ايقاع الاغاني المؤمنة.

اصدقائي ، لا تموتوا قبل ان تعتذروا من وردة
لم تبصروها
وبلادٍ لم تزوروها ،
وان تعتذروا من شهوة لم تبلغوها
ونساء لم يُعَلِّقن على اعناقكم ايقونةَ البحر ووشم
المئذنة.
لا تموتوا قبل ان نسأل ما لا يَسأل الباقي على
الارض لماذا تشبه الارض السفرجلِ ؟
ولماذا تشبه المرأةُ ما لا تشبهُ الارض وحرمانَ
المحبين ونهرا من قرنفل ؟
ولماذا عرفوني
عندما مت تماما .. عرفوني ؟
ولماذا انكروني
عندما جئت من الرحلة حيا ؟
يا الهي ، جثتي دلت عليا
واعادتهم اليا
وبنوها بينهم كالمدخنة

اصدقائي ، شهدائي ،
فكروا فيَّ قليلا
واحبوني قليلا
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء ، لا تموتوا ،
انتظروني سنةً أخرى ، سنة .
سنةً أخرى فقط
لا تموتوا الان ، لا تنصرفوا عني ،
احبوني لكي نشرب هذي الكأس ، كي نعلم انَّ
الموجة البيضاء ليست امرأة
او جزيرة ...
ما الذي افعله من بعدكم
ما الذي افعله بعد الجنازات الاخيرة ؟
ولماذا اعشق الارض التي تسرقكم مني ،
وتخفيكم عن البحر ؟
لماذا اعشق البحر الذي غطى المصلين واعلى
المئذنة ؟
ولمن امضي مساء السبت ،
مَنْ يفتحُ قلبي للقطط
ولمن امدحُ هذا القَمَرَ الحامضَ فوق المتوسط ؟
ولمن احمل اشياء النساء العابرات الفاتنات



يزور الدوحة خلال شهر ابريل الحالى الشاعر العربى الفلسطيني الكبير محمود درويش
وذلك للاشتراك فى الأسبوع الثقافى الفلسطينى الذى يقام فى الدوحة من ١٠ إلى ١٧ من ابريل
وهذه القصيدة هى أحدث ماكتبه محمود درويش !

القاتلات

ولمن احمل هذا الضجر اليوميَّ ؟
ما معنى حياتي
عندما يسندني ظلي على حائط ظـلي حينما
تنصرفون
مَنْ سيأتي بي الى نفسي ويرضيها بان تبقى
معي ؟
لا تموتوا ، لا تموتوا مثلما كنتم تموتون رجاء
لا تجروني من التفاحة ـ الانثى الى سفر المراثي
وطقوس العبرات المدمنة ..

ليس قلبي لي ـ لارميه عليكم ، كتحيةْ
ليس جسمي لي ـ لكي اصنع تابوتا جديدا
ووصيةْ
ليس صوتي لي ـ لكي اقطع هـذا الشارع
المرفوع فوق البندقيةْ
فارحموني ، اصدقائي وارحموا أُمَّ الزغاريد
التي تبحث عن زغرودة اخرى لميلاد
المرايا من شظيه
ارحموا العُمَّالَ في مطبعة الكرملَ
والجدرانَ اذ تشتاق للاعشابِ ،
والكُتَّابَ في باب الوفياتَ ،
ارحموا شعبا وعدناهُ بان نُدْخِلَهُ الوردةَ ، من
باب الرماد المُرِّ
لا تنصرفوا الان كما ينصرف الشاعر في قبعة
الساحر من يقطف ورد الشهداء
انتظروا يا اصدقائي ، وارحمونا
فلنا شغْلٌ سوى التفتيش عن قبرٍ وعن مَرْثِيَّةٍ لا
تشبه الاولى
وما اصغر هذا الوردَ
ما اكبر هذا الدمَ
ما اجملكم يا اصدقائي
عندما تغتصبون الارض في معجزة التكوين او
تكتشفون النبع في صخر السفوح الممكنة ،

اصدقائي ، مَن تَبَقَّى منكُمُ يكفي لكي احيا سنة
سنة فقط اخرى
سنة تكفي لكي نمشي معا
نسدل النهر على اكتافنا مثل الغَجَرْ
ونهدُّ الهيكل الباقي معا
حجرا تحت حَجَرْ
ونعيد الروحَ من غربتها
عندما نمضي معا

فاذا انتم ذهبتم اصدقائي الان عني .
واذا انتم ذهبتم
وأقمتم في سديم الجمجمة
لن اناديكم وارثيكم
ولن اكتب عنكم كلمةْ

فانا لا استطيع الان ان ارثي احد
بلداً في جسدٍ
او جسداً في طلقة
او عاملاً في مصنع الموت الموحد
لا احدْ
لا احدْ

وليكن هذا النشيدْ
خاتَمَ الدمع عليكم كلكم يا اصدقائي الخونة
ورثاءً جاهزاً من اجلكم ـ .....
ولذلك
لا تموتوا اصدقائي لا تموتوا الان
لا وردة اغلى من دَمٍ في هذه الصحراء
لا وقت لكم
لا ترقصوا الان هنا
لا ترقصوا . ليس هنالك
مستقلون عبيد
او عبيد مستقلون

لذلك
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء لا تموتوا
انتظروني سنة أخرى
سنة
من تبقى منكم يكفي لكي احيا سنة
سنةً أخرى فقط
سَنَةً تكفي لكي اعشق عشرين امرأة
وثلاثين مدينة
سَنَةً تكفي لكي امضي الى أُمِّي الحزينة
وأناديها : لديَّ من جديد
لارى الوردةَ من اوَّلها
واحبَّ الحُبَّ من اولهِ
حتى نهايات النشيد
سنةً اخرى فقط
سنة تكفي لكي احيا حياتي كُلَّها
دُفْعَةً واحدةً
او قبلة واحدةً
او طلقةً واحدةً تقضي على اسئلتي
سنةً أخرى فقط
سنة اخرى
سنة .....

سينما

رؤوف توفيق



المخرج محمد خان

حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات

بعد مرور ثلاثة أسابيع على عرض الفيلم للجمهور .. شعر المخرج ان غالبية المتفرجين يخرجون من صالة السينما ، وهم فى منتهى الغيظ من نهاية الفيلم ، حيث يموت البطل فى حادث سيارة .. وتاتى كلمة النهاية على جثته وهو ملقى فى الطريق ، بعد ان عاشوا معه على مدى ساعتين رحلته فى الحياة بحثا عن الحرية والحب ..

احمد زكى اثناء بحثه عن الحرية

● هل من حق المخرج تغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور..؟



المخرج محمد خان والمصور سعيد شيمى فوق رافعة عملاقة لتصوير لقطة لاتتجاوز مدتها على الشاشة ثوان معدودة .

وسبب غيظ المتفرجين ، ان موت بطل الفيلم جاء مفاجئاً وقاسياً فى لحظـــة لم يتوقعوها أبداً .. ولهذا قرر مخرج الفيلم ان يخفف الصدمة على المتفرجين .. فسحب نسخة الفيلم من دار العرض ، وقام بتعديل النهاية .. بحيث يحذف مشهد موت البطل ، ويكتفى بحادث التصادم .. ثم تاتى كلمة النهاية على خروج بطل الفيلم من بين حطام سيارته ليواجه الحياة من جديد .. وتثبت الصورة عليه فى نهاية مفتوحة ، لا تعطى اجابة محددة !

حدث هذا فى القاهرة خلال الاسابيع الماضية .. مع فيلم « طائر على الطريق » لمخرجه « محمد خان » .

وقد كان هذا الحدث ، مثـــار كثير من التساؤلات الفنية .. فضلا عن غرابته اصلا .. فلم يحدث اى حادث مشابه فى تاريخ السينما المصرية ، سوى ما جرى منذ ثلاث سنوات لفيلم « المتوحشة » الذى لعبت بطولته سعاد حسنى واخرجه سمير سيف . فقد اضطر المخرج لتغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور بأيام قليلة .. وبدلا من ان تكون النهاية بمقتل بطلة الفيلم .. قام باعادة تصوير مشهد النهاية بما يضمن عدم موت البطلة !!

وقد كان السبب ايضاً فى هذا التغيير .. هو رفض الجمهور لنهاية الفيلم بموت بطلته !

● رغبات المتفرجين .. أولا

وتغيير النهاية بناء على رغبة المتفرجين .. أو ارضاء لأذواقهم .. مسالة تحتاج لوقفة تامل .

فمن المعروف ان الفيلم يعتبر وحدة فنية متكاملة ـ مهما كانت نوعية الفيلم او مدى جودته ـ وبالتالى يصبح اى تغيير فى



○ مديحة كامل فى قصة اعتمدت على الشكل الجمالى



نور الشريف « المصور » ومعه « نورا » فى شوارع القاهرة فى فيلم ضربة شمس .

حكاية مخرج.. تعنبه الحكايات

احداث الفيلم بعد عرضه على الجمهور .. هو نوع من اعادة التاليف .. سواء بالتصحيح .. او التراجع .. أو اذعان لرغبات ومزاج بعض المتفرجين !

وخطورة هذه المسالة .. ان الفيلم هنا ، يتحول الى فيلمين مختلفين .. البعض يراه فى صورة معينة .. والبعض يراه فى صورة اخرى .

وقد حدث مع فيلم « المتوحشة » .. انه عندما فكر التليفزيون المصرى فى شرائه وعرضه على شاشته .. طلبت سعاد حسنى ان يعرض التليفزيون نسخة الفيلم الأصلية والتى لم تعدل نهايتها !!

وقال لى المخرج محمد خان ان فيلمه « طائر على الطريق » سيعرض فى البلاد العربية بنسخته الأصلية .. أما نسخ الفيلم المعدلة فستعرض للجمهور المصرى !!

محمود عبد العزيز وسعيد صالح ومطاردة داخل المواسير في فيلم « نصف آرنبب » .





فردوس عبد الحميد .. أداء بارع أمام فريد شوقى .

● نكتة .. أم حقيقة

وهذه الظاهرة فى تغيير نهايات الأفلام .. لا تفسير لها سوى الخضوع لمزاج بعض المتفرجين الذين تعودوا على النهايات السعيدة فى الأفلام .. ورفضهم التلقائى لأن يصاب بطل الفيلم بأى مكروه .. فما بالك بموته .. !!

وهذه العلاقة العاطفية بين المتفرج العربى وبطل الفيلم .. كانت سبباً فى نكتة شهيرة يتداولها بعض صناع السينما المصرية .. تقول النكتة .. ان شخصاً ذهب ليقطع تذكرة دخول الى السينما .. وعلى باب السينما أراد ان يتأكد من حفلة العرض السابقة .. وساله .. « هل الفيلم يستحق » ؟ .. رد الآخر بعصبية واضحة ، مختصراً رأيه : « البطل يموت .. فى النهاية » .. وهنا انتفض ذلك الشخص قائلا فى دهشة : « كيف يا أخى .. ؟ .. البطل لا يموت !! » وأسرع غاضباً يحاول استرداد ثمن التذكرة التى قطعها .. فقد قرر ألا يدخل الفيلم !

وقد تكون هذه نكته .. وقد تكون واقعة حقيقية .. ولكنها بالتأكيد تعبر عن حالة المتفرج الذى لا يريد ان يفجع بنهاية مأساوية .. وهنا أكثر من تفسير لحالة هذا المتفرج ..

فالبعض يقول انه يذهب للسينما ، للتسلية والترفيه أساساً .. وعلى هذا فهو لا يقبل بأن يخرج من الفيلم حزيناً على موت البطل !

والبعض الآخر يقول .. ان هذا المتفرج يعانى فى حياته اليومية الكثير من المشاكل والهموم والمضايقات .. ولذا فهو لا يريد ان يزيد من همومه بهموم موت البطل فى الفيلم الذى يراه . !

والبعض يقول .. ان هذا المتفرج يعتبر بطل الفيلم نموذجاً له شخصياً .. ولهذا فهو يضع نفسه فى هذا التخيل ، ويعيش فيه باحساس من يريد ان ينتصر على كل اعدائه .. ولا يقبل أبداً هزيمته .. وبالتالى لا يقبل موته !

ومهما كان التفسير .. الا ان تتبع خط سير الأفلام المصرية ـ والعربية عموماً ـ يؤكد حرص صناع أغلب هذه الأفلام على تجنب صدمة مشاعر المتفرجين بعدم سقوط البطل فى نهاية الفيلم !

● أعتراف المخرج

ولكن الغريب تماماً .. ان يستسلم الى هذا الطريق .. مخرج شاب مثقف « محمد خان » ، الذى يعتبر من ألمع مخرجى السينما المصرية الجديدة .

ومن هنا كانت المفاجأة .. وسعيت الى لقائه .. أستوضح منه كيف قبل تغيير نهاية فيلمه « طائر على الطريق » بعد أن أستمر عرضه للجمهور ثلاثة أسابيع . ؟!

قال بوضوح شديد : « لقد فعلت هذا من تلقاء نفسى .. ودون أى ضغط من منتج أو موزع أو ممثل » . !

وأنا أصدقه فى هذا .. فهو مخرج عنيد .. يرفض تدخل أى شخص فى عمله .. ويصر على طلباته لتنفيذ ما يراه حتى ولو كلفه هذا فقدان الفيلم .. أو أشتباك المنتج معه .. كما حدث أخيراً أثناء تصوير فيلمه الجديد « أرنب » . فقد اشتبك مع منتج الفيلم حول مدة التصوير الخارجى فى احد فنادق الاسكندرية .. كانت وجهة نظر المنتج انه بدلا من تكاليف السفر والتصوير الخارجى ، يمكن اقامة ديكورات فى الاستوديو مماثلة لديكورات الفندق .. ولكن المخرج محمد خان أصر على موقفه ، فهو يعتبر ان المبنى لا ينفصل عن المكان .. ولهذا فهو لا يقبل غير السفر إلى الاسكندرية وتصوير المكان بكل تفاصيله الحقيقية .. وتطور الخلاف بينه وبين المنتج وأسفر فى النهاية على انسحاب المنتج من استكمال الفيلم .. وأنتقل الفيلم إلى منتج اخر . !

وهو يفعل نفس الشىء ، بالنسبة لكبار الممثلين .. فهو يرفض أى تدخل منهم فى عمله ، أو فى رؤيته للفيلم .. واثناء تصوير فيلم « دعوة على العشاء » وضع نفسه داخل سياج قوى ضد أى تدخل أو تعديل من سعاد حسنى ، بطلة الفيلم ، وهى المعروفة بكثرة تدخلاتها أثناء العمل .. ونفذ كل ما أراده بالصورة التى تخيلها .. بل أتفق معها على عدم تواجدها فى غرفة المونتاج ، وحرم عليها رؤية مشاهد الفيلم ، الا بعد الانتهاء منه تماماً .. وبالفعل شاهدت سعاد حسنى الفيلم لأول مرة معَ النقاد والصحفيين فى حفلة العرض الخاص للفيلم !

● قلت لمحمد خان .. لماذا اذن غيرت نهاية فيلم « طائر على الطريق » .. مع انك لم تقع تحت أى ضغط خارجى ؟!

قال : لقد تعودت أن أشاهد افلامى مع الجمهور .. اجلس بين الصفوف واراقب انفعالاتهم ومع فيلم « طائر على الطريق » أحسست ان الجمهور مع الدقيقة الأخيرة من الفيلم ينزعج تماماً لصدمة النهاية .. وقد تأكد لى هذا الاحساس مع مرور الأيام .. واختلاف العروض التى شاهدتها مع الجمهور .. ولهذا فكرت فى ان أخفف من حدة هذا الانزعاج .. وقد قمت بتغيير مشهد النهاية باقتناع كامل .. لم أغير شيئاً فى الموضوع .. الموضوع كما هو .. ولكنى توقفت عند لقطة قبل النهاية ، وحذفت اللقطة التالية .. وتركت النهاية مفتوحة .. ولو كنت أريد أن أريح الجمهور تماماً أو أستسلم لعادته فى رؤية الأفلام .. لكنت أنهيت الفيلم بزواج البطل من البطلة .. وما أسهل أن أفعل هذا .. ولكن ما قصدت هذا اثناء صنع الفيلم .. كل ما غيرته اننى بدلا من أن انهى الفيلم .. تركته معلقاً .. وعلى المتفرج ان يضع النهاية التى يقتنع بها !

● قلت له ـ « من المعتاد ان تنتهى علاقة المخرج بالفيلم ، بمجرد خروج الفيلم الى صالة العرض ومشاهدة الجمهور له » .

قال ـ « بالنسبة لى .. الفيلم لا تنتهى علاقتى به أبداً .. اننى أتابعه فى دور العرض الصغيرة وفى الأقاليم .. ومراقبة انفعالات الجمهور ، أعظم متعة بالنسبة لى وأعظم درس » .

سينما

حكاية مخرج.. تعذبه الكاميرا

● هذا المخرج

والمخرج محمد خان ـ عمره ٤٠ عاماً ـ دخل السينما المصرية بفيلم « ضربة شمس » لنور الشريف ونورا ـ عام ٧٨ ـ ثم فيلم « الرغبة » لنور الشريف ومديحة كامل ـ ثم فيلم « الثأر » لمحمود ياسين ويسرا .. وعرض له اخيراً فيلمه « موعد على العشاء» لسعاد حسنى وحسين فهمى واحمد زكى ـ و « طائر على الطريق » لأحمد زكى وفردوس عبد الحميد وفريد شوقى ـ .

وهو فى كل هذه الافلام .. يقدم لغة سينمائية متميزة ، تعتمد على تحليل المكان .. والتوقف أمام التفاصيل الانسانية الصغيرة .. فهو مراقب حساس وذكى لانفعالات النفس البشرية .. يختزن كل هذه التأملات ثم يختار منها ما يطعم فيلمه .. وكأنه أحد فنانى القاهرة القديمة الذين يعشقون تطعيم الصدف .. أو كأنه أحد النساجين اليدويين الذين ينسجون الخيط بالخيط فى صبر ومهارة وابداع تلقائى .

وهو يعترف بأنه « تلقائى .. اعشق لحظات المشاعر .. واكره المبررات .. واكثر ما يزعجنى أن اتعمد ايجاد مبرر لتصرف الشخصية .. وهذا ما يسبب خلافاً كبيراً بينى وبين كتاب السيناريو .. لأننى أعتقد ان محاولات ايجاد تبريرات لتصرفات الشخصية ، هو بمثابة التقليل من ذكاء المتفرج » !

● علامة استفهام

ولكن بالرغم من هذا الايمان بذخيرته من الملاحظات الحية ، وقدرته البارعة فى عرضها على الشاشة .. الا انه يمثل علامة استفهام كبيرة فى السينما المصرية .. فهو فى موضع شد وجذب دائم بين النقاد .. فهناك ترحيب شديد بلغته السينمائية ، المتجددة ، المتدفقة بالمشاعر والاحاسيس .. وفى نفس الوقت هناك تحفظات كثيرة حول موضوعات أفلامه ، والتى يكتب قصصها بنفسه !

مثلا فى أول افلامه « ضربة شمس » يقدم مطاردة بوليسية من خلال قصة مصور فوتوغرافى (نور الشريف) التقطت كاميرته صورة لأحد افراد عصابة تهريب .. ومع تتبع صاحب هذه الصورة .. يزداد الغموض .. وتقع أكثر من جريمة قتل .. وتصبح مهمة كشف اسرار هذه العصابة ، هى القضية الوحيدة التى تشغل المصور الفوتغرافى ، والتى تتورط فيها ايضاً صديقته « نورا » .

ورغم غرابة هذه القضية عن الواقع المصرى (عصابة تهريب تتزعمها امرأة صامته ، حديدية « لعبت الدور ليلى فوزى » تسيطر على عدة شخصيات ويستخدمون مادة سامة يضعونها فى أكواب الشاى والقهوة) .. رغم هذه الأحداث البوليسية الأجنبية الأسلوب .. إلا انه كمخرج استطاع ان يضع فيلما مشوقاً ، ينبض بالايقاع الساخن المتدفق .. وقدم مع رفيق رحلته الفنية المصور المبدع « سعيد شيمى رؤية جديدة للقاهرة بأحيائها ومبانيها ، واشخاصها العاديين . !

وفى فيلم « الرغبة » اختار ان يعيد الفيلم الأمريكى « جاتسبى العظيم » للروائى « سكوت فيتز جيرالد » برؤية سينمائية مصرية .. أعتمدت على الشكل الجمالى ، والتناسق الشديد فى كل كادر .. ايضاً مع المصور سعيد شيمى والذى اشترك معه فى كل أعماله الفنية (ما عدا فيلم دعوة على العشاء الذى صوره الفنان محسن نصر) .

وفى هذا الفيلم « دعوة على العشاء » يقدم قصة الزوجة (سعاد حسنى) التى لم تتزوج عن حب .. فارتبطت برجل (حسين فهمى) يعاملها كما يتعامل مع مشروعاته التجارية .. بعواطف باردة ، وعقل حسابى .. وتشعر هى مع مرور الأيام انها تفقد أجمل سنوات عمرها فى هذا المنفى الأنيق .. انها ضحية أم جاهلة .. وزواج خاطىء .. وعندما تحاول تصحيح وضعها بالطلاق ، وخروجها الى العمل ، والاعتماد على نفسها ، واكتشاف الحب الحقيقى .. عندما تبدأ هذا الطريق ، تطاردها القوة المدمرة التى يمثلها



أحمد زكى فى دور مصفف الشعر فى فيلم دعوة على العشاء .



يحي الفخرانى .. فى دور بطولة سينمائية لأول مرة فى فيلم « نصف أرنب » .

طليقها ، والذى يدبر لاغتيال حبيبها ، زوجها الثانى (أحمد زكى) ذلك الشاب الممتلىء بالحيوية والصدق والمشاعر ، والذى يعمل كصفف للشعر .. ومع صدمة اغتيال حبيبها ، تصمم على الانتقام .. فتدعو طليقها للعشاء معها ، لتضع له السم فى الطعام .. وتضطر ان تشاركه الطعام والسم حتى لا يكتشف ما دبرته له ، وحتى تتخلص منه ، ولو كان الثمن ان تضحى بنفسها !

● افلام من قراءة الصحف

● قلت لمحمد خان ـ « كيف تعثر على مادة افلامك التى تكتب قصصها » ؟ .

قال ـ « من خلال مشاهداتى .. وقراءاتى للصحف .. ان مجرد سطر فى صفحة الحوادث قد يفجر فى ذهنى موضوعاً لفيلم .. كما حدث مثلا فى فيلم دعوة على العشاء .. فحادثة امرأة تقتل زوجها بالسم .. هى حادثة حقيقية وقعت فى لبنان ونشرتها الصحف اللبنانية .. وما اخذته من الحادث المنشور ، هو مجرد طريقة الانتقام بالسم .. ثم بدأت بناء الموضوع من جديد حسب رؤيتى الخاصة .

● سألته : ـ « لماذا لم تفكر فى الاعتماد على نص أدبى لتحوله الى فيلم ؟ » .

قال ـ « ما أحاول ان اقدمه فى السينما .. هو شىء خاص بالسينما .. أما الاعتماد على النص الأدبى فهو يقلل من فرصة الابداع السينمائى .. وان كنت لا أعمم هذا الرأى .. فبعض الأعمال الادبية تصلح تماماً للسينما .. مثلا قرأت أخيراً رواية الافيال لفتحى غانم وعشقتها .. واتمنى ان قدمها فى فيلم »

● تجربة حياة حافلة

والمخرج محمد خان .. عاش سنوات طويلة فى لندن .. حيث سافر إلى هناك ليدرس السينما .. وأستهواه الجو الفنى هناك ، وكمية الأفلام العالمية التى تعرض فى دور السينما .. فكان يعمل فى الصباح ثم يدرس فى المساء ، وينفق ما يكسبه من العمل على ارتياد دور السينما .. ودخل فى تجارب حادة رغم صغر سنه وقتها .. فقد كان لم يتجاوز العشرين من عمره فعمل مثلا كسائق تاكسى فى شوارع لندن .. وافتتح متجراً صغيراً لبيع الملابس «الجينز» .. وعمل فى بيروت لفترة كمساعد مخرج .. ثم عاد الى لندن وكان على وشك ان يواصل حياته هناك ، من خلال المشاركة فى فتح مطعم صغير للفول والطعمية .. لولا خطابات صديق عمره المصور سعيد شيمى ، الذى حاول اقناعه بالعودة للعمل فى السينما المصرية .. وكان قد عمل فى فترة سابقة بهيئة السينما المصرية ضمن لجنة قراءة السيناريوهات واخرج فيلماً قصيراً بعنوان « البطيخة » .. ولم يستطع ان يقتحم ميدان الاخراج .. فعاد مرة أخرى الى لندن .. حتى التقى مصادفة بفنانة المونتاج المصرية « نادية شكرى » والتى أكدت له أن هناك أبواباً مفتوحة للعمل فى السينما المصرية .. وكان وقتها يفكر فى قصة واحداث فيلم « ضربة شمس » .. وراوده الحنين للعودة .. فحمل مشروع فيلمه وعاد إلى القاهرة .. وليشكل مع المصور سعيد شيمى وفنانة المونتاج نادية شكرى فريق عمل . وبدأ انطلاقه فى السينما المصرية .

وقد ترك فى لندن كتابين قام بتاليفهما عن السينما .. احدهما بعنوان « مقدمة فى السينما المصرية » والكتاب الآخر عن ملامح من السينما التشيكوسلوفاكية .

وهو يلخص تجربته الحافلة فى الغربة ، بقوله « لقد كانت رحلتى يأساً من العمل فى السينما المصرية أدرس وأقرأ وأشاهد كل ما يتعلق بالسينما العالمية .. وتشكل وجدانى بالاقتراب أكثر من الشخصيات التى وقع عليها ظلم ، ولم تاخذ حقها .. وأصبح الموضوع الأثير عندى .. هو موضوع الحرية .. والشخصية التى تناضل من أجل تحقيق حريتها » !

● الاسم .. والمضمون

وربما كان أفضل افلام المخرج محمد خان .. هو فيلمه الأخير « طائر على الطريق » ـ الذى تم تغيير مشهد النهاية فيه ـ .. ففى هذا الفيلم يقدم المخرج قصيدة شعر سينمائية عن شاب يبحث عن حريته .. واختار ان يكون هذا الشاب ، سائق سيارة أجرة تنقل المسافرين من مدينة الى مدينة .. وفى كل لحظة يتعرض هذا الشاب لمفاجات الطريق والركاب .. وكانه مسافر دائما فى بحار المجهول ، يحلم بالحقيقة ، والصدق ، والحب .

وأختار ان يسمى هذه الشخصية باسم « فارس » لعب الدور باقتدار بالغ الممثل أحمد زكى .. حتى يتعرض هذا الشاب لقصة حب مع امرأة تعانى من الاعتقال ، والجفاف ، والقسوة مع رجل شرس عاجز يكبرها سناً ... انه الحب المستحيل .. كلاهما يبحث عن حريته .. ولكن هل هذا أمر بسيط ؟ !

وقد غامر المخرج محمد خان باسناد دور البطولة النسائية لوجه غير متداول سينمائياً ، الفنانه فردوس عبد الحميد .. الممثلة القديرة بالمسرح المصرى ، والتى لعبت أكثر من دور ناجح بمسلسلات التليفزيون .. وتمسك بها المخرج لبطولة فيلمه ، رغم كل مخاوف المنتج والموزع .. فاسم فردوس عبد الحميد ليس من اسماء نجوم الشباك .. ولكنه صمم على اختياره .. وقدمت فردوس نموذجاً رائعاً فى الاداء .. ونجحت تماماً فى دورها .. وأستقبلها النقاد والجمهور بحفاوة بالغة .. وكسب محمد خان معركته !

وهذه احدى ميزاته كمخرج .. انه لا يلعب على المضمون .. يعشق المغامرة ، والبحث عن المجهول .. انه كشخصية « فارس » .. ومن شدة عشقه لاسم «فارس» .. فهو يفكر فى فيلم جديد بعنوان « الحريق » عن قصة شاب اسمه « فارس » ، يحترف رياضة كرة الشراب ـ وهى لعبة معروفة فى شوارع مصر ـ ومن خلال هذا الشاب يريد ان يقتحم عالم الرياضة الشعبية وأسرارها .. أو بمعنى أدق .. الحياة الخاصة للاعبى الشارع ونزواتهم وأحلامهم ..

● قلت له ـ « شخصياتك غريبة على السينما المصرية .. سائق سيارة أجرة .. مصفف شعر .. موظف صغير فى بنك .. لاعب كرة شراب ؟!

قال ـ « اننى أتعمد أختيار المهنة الغير متداولة فى السينما المصرية .. حتى أهرب من دائرة المهندس والطبيب والمحامى . لقد حفظنا هذه الشخصيات والكلام الذى يقولونه فى الأفلام .. ولابد من التغيير » !

● سألته ـ « ما الذى تسعى لتحقيقه فى السينما » ؟

قال ـ « اتمنى ان أتخلص من قيود الحدوتة .. وضرورة ان يكون لكل فيلم قصة .. لماذا لا يكون الفيلم رحلة تأمل داخل شخصية عادية .. ان ما أسعى إليه حقيقة ، هو اللا حدوتة .. وهذا لا يمكن ان يتحقق الا بالعثور على ممثل بارع يستطيع ان يتفرغ لدوره تماماً .. وان يعيش الشخصية كما تخيلها .. فاكثر ما يزعجنى ان يؤدى الممثل دوره بلا صدق » .

● ●

انه فارس جديد فى السينما المصرية .. وبقدر ما يثير حوله من الدهشة والاعجاب للغته السينمائية الزاخرة .. بقدر ما يثير علامات الاستفهام حول موضوعات افلامه ..

ولكن الشىء الأكيد .. انه فى ظرف أربعة اعوام من العمل .. أستطاع ان يفرض اسمه .. وان يصبح احد المخرجين الذين تتعلق بهم أنظار وعشاق السينما .. وعلينا ان نؤجل حكمنا عليه .. حتى يخرج لنا كل اوراقه المخبأة .

« رءوف توفيق »

شـــاعـــرة..





..على خلاف المعهود

قصائد امرأة تشكو الوحدة وتبحث عن الحنان

ترجمة وتقديم
عبد اللطيف عبد الحليم
بريشة
حلمي التوني

شاعرة كبيرة ، على خلاف المعهود بين من ينظم الشعر من النساء ، إذ يشيع بينهن ـ عموماً ـ أن يخفين مشاعرهن ، فلا يبدين منها إلا ما يستشف وراء برقع العرف وحجاب التقاليد ، لذلك ندر بروز « الشخصية » فيما تنظمه الشاعرات في اللغة العربية ، وفي غيرها مما استطعنا الاطلاع عليه .

وروساليا دى كاسترو شاعرة حقيقية فى أغلب ما نظمته ، فشعرها هو حياتها فى لحظات توهجها وانطفائها ، لاتكاد تخفى فيه خالجة ولا هاجسة مما مر بها فى حياتها المصطخبة اليائسة ، يشيع فى شعرها نغم أسيان دامع كأنه صدى لطبيعة منطقتها « جليقية » وهى صادقة فى هذا الحزن ، لأن حياتها كلها نغم متواصل من لذاعة الحسرة ، ومرارة المجهول وكوارث الأيام ، فاذا رأى القراء فى شعرها هذا القنوط ، وهذا الحزن الشجى فليعلموا أن صاحبته تنتشل من كهف نفسها المتجاوب بعزيف الوحدة ، وتوله الضياع ، وليعلموا أن البسمة ـ والحال هذه ـ ضرب من الزيف الذى يفسد الانسانية الحقة ، بقدر ما ينخر فى الشاعرية ، فلا ترى فيها إلا إهاباً معروقاً بتمويه النفاق ، وطلاء الصنعة والتكلف وليحمدوا الصدق وإن كان أليم الوقع ، شجى الجرس ، لأنه صدق نفس شاعرة ، يكربها أن تدور ببضاعة مزجاة من التزييف والتمويه المشفوعين ببسمة خادعة ، لأن الحياة ذاتها ـ حياتها هى ـ لم تمنحها غير الحزن اللاعج ، وحين وهبتها ما يشبه العزاء مزجته بالصاب فكان عزاء خير منه الالتياع والقنوط .

نحن ـ فى الحقيقة نأتى أمراً ادا حين ننشد من شاعرة مثل روساليا دى كاسترو أن تكون متفائلة باسمة ، والدنيا حولها كهف من الأسى والضياع ، وهى امرأة تطلب اللياذ والكنف فلا تصادفهما ، وحين أتيح لها شىء منهما كان برقاً خلباً !!

ولدت شاعرتنا وهى لا تدرى من أبواها ، وقيدت فى شهادة الميلاد « ابنة أبوين مجهولين » تولت رعايتها امرأة قيل إنها عمتها ، تتكشف أمور حياتها شيئاً فشيئاً ، هى ثمرة نزوة لامرأة فى الثالثة والثلاثين من عمرها عانس ، ولرجل راهب فى التاسعة والثلاثين يحول دون الاعتراف بابنته صرامة التقاليد وقسوة الأعراف الدينية ، وسطوة الكنيسة آنذاك . والا فان مثل هذه الأمور تحدث الآن فى بلد مثل اسبانيا ـ تحكمه الكاثوليكية فى صرامة شديدة ـ ويظهر أصحابها فى الصحف وعلى شاشة التليفزيون يتحدثون عنها بلا أدنى خجل أو حياء وهم أشخاص يحظون بقدر هائل من الشهرة فى عالم الفن !! .

لم تتح لصاحبتنا قسامة ولا صباحة مما سبب لها حساسية شديدة وحسبك أنها ابنة امرأة عانس صدف عنها الرجال ، ربما ورثت عنها الابنة معارف الوجه والأعضاء ، وربما كان أبوها أيضاً على غير وسامة ، يضاف إلى ذلك سوء رعايتها وهى فى دور الصبا واليفاعة ، فأضافت إليها أوصابا وعللا ظلت تعانى من نتائجها حتى هلكت بالسرطان ، فضلا عما لقيته من حساسية شاعرية شديدة تضاعف رؤيتها للأشياء ، وما وقر فى نفسها من خجل بسبب أصلها المجهول ، وكان من الممكن أن تقاوم كل هذه الكوارث لو ركنت فى الدنيا إلى زيجة صالحة ، وإلى حياة مستقرة ، لكن لم يتح لها شىء من هذا فلم تعرف الهناءة الزوجية فيما يحكونه عنها ، ولم يتيسر لها موارد مادية تكفكف الضوائق التى أحاقت بها ، وكأنما تأبى الدنيا أن تحلو لها فهزت ذلك البنيان الوهنان بموت بعض أبنائها ـ بعضهم نزل ميتاً ـ وبموت أمها بعد أن عاشت مع الابنة ردحاً من الزمن لم يكن طويلا ، كل هذه الأعاصير زلزلت ذلك الكيان ، فعصفت به فى المطلع والختام ، قبل أن يبلغ تمام النضج والأوان ، هلكت عن ثماني وأربعين سنة (١٨٣٧ ـ ١٨٨٥) ، بعد أن أتت عليها العلل والأوصاب ، وطوال هذه الرحلة كانت دائبة البحث عن شىء فقدته :

شـــاعـــرة.. على خلاف المعهـــود

لا أدرى ما أبحث عنـــه دائماً
فى الأرض ، وفى الفضاء ، وفى السماء
لست أدرى ما أبحث عنـــه
لكن شيئاً قد فقدته ، لست أعلم متى ،
ولست أعثر عليه .

بيد أن الشيء الذى تبحث عنه فى كل شعرها هو أصلها الضائع ، إنها تنشد ظل رجل أى رجل كان أظلع أو مبتور الساقين كما تقول فى إحدى قصائدها ، إنها تبحث عن أبيها ، ولعل قصيدتها « ذكرى » تصلح لأن تكون نمطاً جيداً لمنهج التحليل النفسى فى الأدب والنقد ، وهو المنهج الذى نعتد به ونراه محطاً جيداً وفيصلا حاسماً حين تشتجر مناهج الدراسة الأدبية ، ولا بأس عندنا من الافادة من ثمرات المناهج الأخرى ، ولا بأس بالاشارة هنا على وجه العجلة إلى أن المنهج البنائى الذى يشيع بين المتأدبين هذه الأيام وبخاصة ما يكتبه فيه كثير من إخواننا الدارسين العرب إنما هو ـ فى معظمه ـ ضرب من التخليط والثرثرة وعدم الفهم ، وجل الذى يسطرونه ترجمة شائهة لما يقرأونه فى اللغات الأجنبية دون نكر المصادر ، فيأتى بعضهم مثلا على دراسة كتبها أحد الأساتذة فى الغرب عن أحد الشعراء فيسلخها من سياقها ليطبقها على أحد الشعراء العرب فيتولد فى النهاية شيء مرتبك التركيب والمعنى إن كان ثمة معنى مفهوم ، جل ما قرأناه ـ فى الحقيقة ـ فى لغة العرب ضرب من التدجيل والشعوذة على القارىء ، وغير مفهوم حتى لمن يكتبه هو نفسه ، وتستر وراء عباءات المنهجية ، وعلمية النقد ، وصعوبة البنائية والحق أننا اهتممنا بهذا الموضوع جداً ، فقرأنا فيه طرفاً مما كتبه الاسبان ونقاد أمريكا اللاتينية ، وما نقلوه إلى اللغة الاسبانية من لغات أخرى وهرعنا مراراً كثيرة إلى المحاضرات التى يلقيها الأساتذة المتخصصون الكبار ، وبعضهم عضو فى المجمع الملكى للغة الاسبانية فوجدنا ـ والله عجباً ـ ما قرأناه فى ذلك مفهوم ، وما سمعناه من الأساتذة ـ وبخاصة تطبيقهم هذا المنهج على الشاعر الاسبانى جنجرة وهو من أصعب الشعراء ـ كان مفهوماً سائغاً ، فالعيب إذن فى إخواننا الذين يكتبون بلغتنا ولا نفهم ما يكتبون ولا نخالهم فاهمين !!

قصيدة « ذكرى » كما قلنا آنفا تصلح نموذجاً لتطبيق المنهج النفسى ، بل ان شعر صاحبتنا يصلح كله لهذا المنهج ، ويفسد لو طبقنا منهجاً آخر ، فالقصيدة تلك تتحدث عن رجل مر بها وكفكف بكاءها ، من الممكن أن يكون حباً فى زمن المراهقة تتذكره الشاعرة ، لكننا نميل إلى أن هذا الرجل كان أباها وهى لا تعرفه ـ أوانئذ ـ مر بها « نغماً بلا اسم » واقترب منها وداعبها ، وسكب لها حبه ، وربت فوق جبهتها ثم ترك لها أغنياته ، لكن هذا كله كان هباء ، فقد هجعت السعادة ، وأشاح ذلك السرور العابر ، بيد أن لهذا الحديث أواناً آخر نود أن نؤوب إليه ، وأن ندع الآن حضرات القراء مع هذه الطائفة من قصائد روساليا دى كاسترو ، فلعلهم أن يعجبوا بها كما طاب لنا الاعجاب بها ، والثناء عليها وعلى صاحبتها ، عسى أن يكون هذا لونا من المشاركة فى الشعور ، وضرباً كريماً من العزاء الصادق لهذه الشاعرة الحزينة الصادقة ..

١ ـ ذكرى

آه !! من البكاء الذى يحرق عينى
ويكوي خدى !!
كيف يسممنى العذاب الفظ ، ويتسلل الى فؤادى
كيف أشعر بأسف نفسى لدى الاندفاع الشديد
متذكرة يوماً حلواً وحزيناً مر مرور الريح !!
ما أكثر الأسماء والتنهدات الماثلة فى ذاكرتى
صفحة غريبة من حياتى الطويلة
من شيء طيب أهذى به
كنت أصغى إلى صوت مفعم بالبهجة
إلى نغم بلا اسم
كان يمضى ، يترنم ، ململماً بكائى
كان صوت رجل
اقترب ظل عابر فى خفة ، يسكب حبه
مر فوق صدغى الباكر ألف زهرة حبيبة
ربت فوق جبهتى التى تغوض فى كوارث فظة
كان مليئاً بالعذوبة ، والانسجام
ثم ترك لى أغنياته
آه ! كانت لذيذة هاتيك القيثارة الرنانة

التى تخفق ، ونحن نشعر بها من أيكة قصية
الى حيث يتلاشى أنينها الأليم
لقد أحسست بحنانها الالهى ، وهو يتوغل فى روحى
يبدد المرارة الآسية التى كانت تختلس هدوئى
ويحل شوقى الملتهب محل ذاكرتى الباردة
لقد شعرت ـ فى عنف ـ بقلبى ينبض بذلك المجد الجديد

• • •

سعادة بلا تخوم ، اقتربت مبكرة
مع ملذات غريبة ، مثل لمعة الصباح الجميلة
التى تحلم بها النساء
زهرة تولد حين يطل الصباح ، وتموت عند الأصيل
صورة من البهجة والاحتضار تعلق بالفؤاد
إنها صورة أمينة لهذا الأمل الباطل
الذى يتحول الى هباء
مثلما يقول المرء ـ وهو آمل ـ «غداً»
بينما «غداً» هو الموت

• • •

هكذا كان : جبهتى الوسنى
عادت متوردة فيما بعد
قايضتنى بفجر سرورى
زهرة تذبل ، ثم تلقى
صمت صوت النغم الكبير ، وهجعت السعادة
وحين استيقظ البريق الجديد ، مات ما هو ماض
بقى اليوم فحسب النشيج عى آلامى
فاهجعى ياأحلام الحب فى فؤادى
فان السعادة الكبيرة تنكر وجودى
فاهربى إذن ايتها السعادة ، وأشح بوجهك أيها المجد والسرور

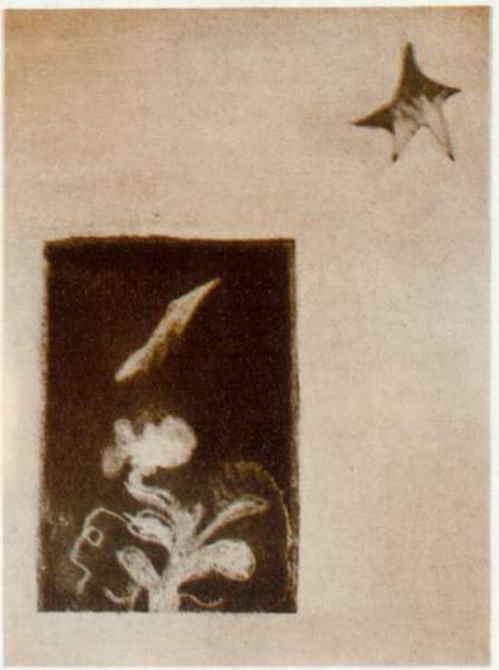
٢ - أنشـــودة حـب

أيها القديس أنطونيو المبارك ، هب لى زوجاً
حتى ولو قتلني ، حتى ولو ســـحقني
قديسى ، القديس أنطونيو ، هب لى زوجاً ودوداً
حتى ولو كان فى حجم حبة الذرة ، هبه لى يا قديس
حتى ولو كان به ظلع فى كلتا رجليه ، ومقطوع اليدين
فان امرأة بلا رجل ـ أيها القديس المبارك ـ



هى جسد بلا روح ، عيد بلا حنطة ،
عصا رديئة ، حيث تمضى ـ هى جذع مبتور
لكن حين يكون ثمة زوج ـ يا عذراء الكارمن ـ
لا تقبل الدنيا لكى يستريح الانسان .
فانه من الحسن دائماً أن يكون ثمة رجل كى يكون معيناً
حتى ولو كان أظلع ، أو معوج الساقين .
اننى أعرف رجلا أوده من أول نظرة
ناحل الجسد ، أشقر ، متورداً ، أبيض ،
عذب الكلمات ، مثل الأكاذيب
من أجله أعانى صباحاً ومساء أفكر فى عينيه
اللتين لهما زرقة السماء
بيد أنه ماهر يفهم فى الحب ،
ولا يفهم كثيراً فى الزواج .
فلتجعله ـ أيها القديس أنطونيو ـ قديسى ـ أن يأتى بجانبى
لكى يتزوج منى ،فاننى فتاة آنسة أحمل مهرى
ملعقة من حديد ، وأربع شجرات ، وأخاً صغيراً ،
نبتت له أسنان ، وأحمل بقرة عجوزاً لاتدر لبنا .
آه يا قديسى ، حقق لى هذا الشىء الذى
أنشده منك .
أيها القديس أنطونيو المبارك هب لى زوجاً
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو سحقنى
فانه من الحسن دائماً أن يكون ثمة رجل
كى يكون معيناً لي
حتى ولو كان أظلع ، أو معوج الساقين

شـــاعـــرة.. على خلاف المعهـــود



٣ - أجراس المســاء

تكر الرياح ، ويسرى النهر
ويمر السحاب ، يمر السحاب
على طريق بيتى
بيتى ، مثواى ، كل شىء يمضى
وأنا أجثم وحيدة ، بلا صديق
أقبع متأملة دخان أفران المنازل
إنها الأنفاس التى أعيش أزفرها
ها قد هبط المساء ، ومات النهار
ومن بعيد تقرع الأجراس ، تعلن موعد الصلاة
إنها تقرع لكى أصلى ، وأنا صلاتى الانتحاب
كأنى أغرق ، على الأجراس أن تصلى من أجلى
يا أجراس باستبالس حين أسمعك أموت من
العزلة

٤ - يقولون إن الأجراس لا تتحدث ولا الينابيع ، ولا الطيـــور

يقولون إن الأزهار لا تتحدث ، ولا الينابيع ، ولا الطيور ،
ولا الموجة بدمدتها ، ولا النجوم ببريقها
يقولون ذلك ، بيدأنه غير صواب ، لأننى دائماً حين أمر
تغمغم كل هذه الأشياء ، وتتعجب منى :
هناك تمضى هذه المجنونة ، حالمة
بربيع الحياة الخالد ، وبربيع الحقول ،
وشيكاً ، وشيكاً ، سيهجم عليهما المشيب ،
سترتجف أوصالها ، ويصيبها الفالج ،
وسيغطى الجليد المروج .
ها قد اشتعل الرأس شيباً ،
هل قد جلل المروج الجليد
وأنا مازلت أحلم ، مسكينة ، لا أبرأ من سيرى الحالم
بربيع الحياة الخالد الذى ينطفىء ،
وببكارة الحقول الباقية ، والنفوس ،
وإن كان البعض يذوى ، والبعض الآخر يحترق
أيتها النجوم ، والينابيع ، والأزهار !!
لا تتعجبى من أحلامى :
لأننى بدونها ، كيف أغرم بكن ، بل كيف أحيا بدون أحلام ؟

٥ - وحـــدى

كان الأصيل رقيقاً ، والصباح باسماً
وكان حزنها أسحم مثل اليتم
كانت تذهب فى الصباح ، وتقفل آيبة فى المساء ،
حسنا ، ما كان أحد ينظر إليها فى جيئتها وذهوبها ،
ذات يوم وديع مضت ، مشت فى طريق الرملة ،
وبما أنه لا ينتظرها أحد ، فلم تعد .
بعد مرور ثلاثة أيام ، طرحها البحر
هنالك حيث يجثم جسدها .
هكذا دفنت وحـــدها .

عبد اللطيف عبد الحليم
مدريد ـ اسبانيا

الصخرة والهزيمة

شعر: م. كجراي



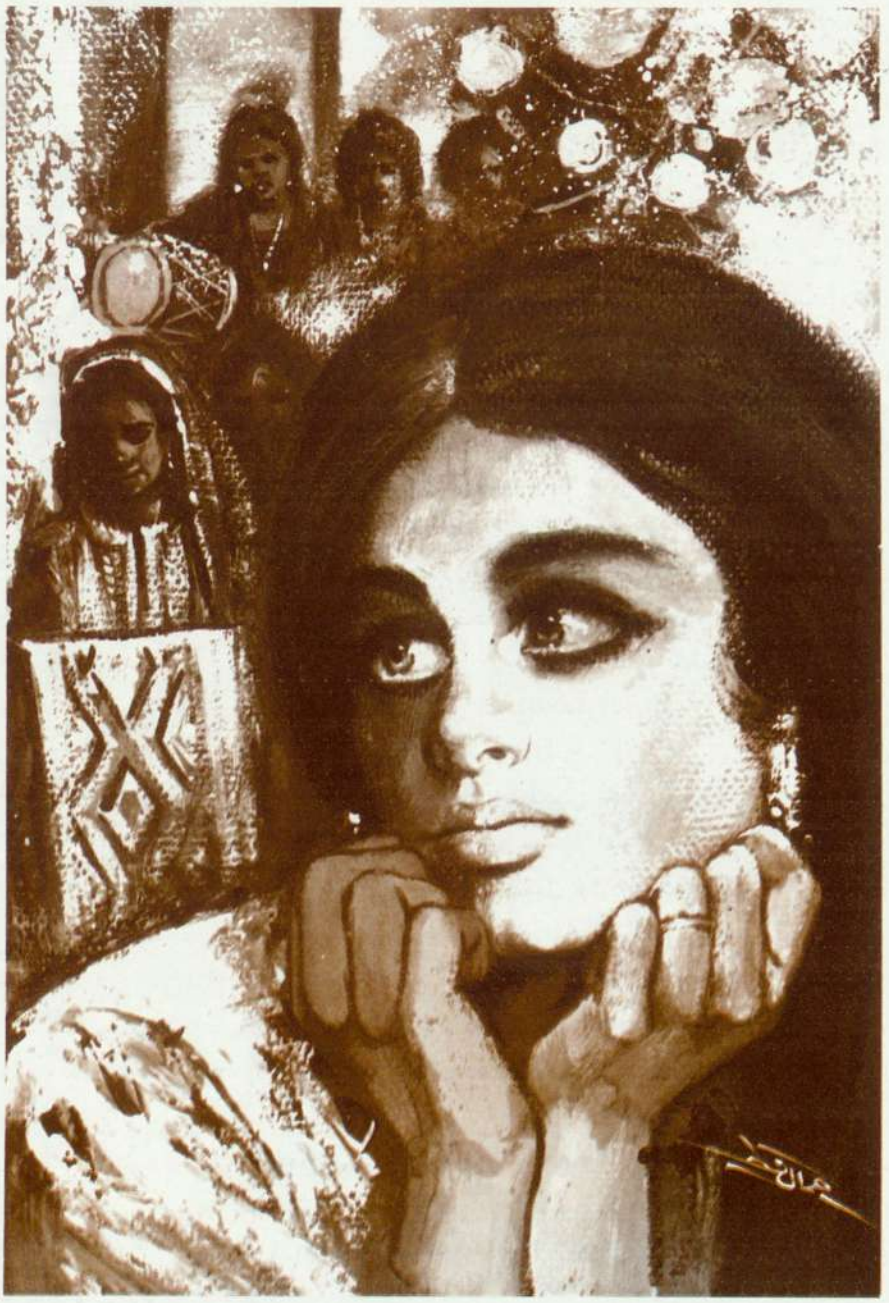
ينسابُ فى مجاهلِ الأعماقِ صـــوتٌ نايْ
يذيبُنى ينقشـــعُ السَّديمُ فى رُؤَايْ
أكتبُ عن دائرةِ الصحوِ التى تضيءُ كالشّعلةِ فى دِمَايْ
أعرفُ صحرائِى التى يعبثُ فى رمَالِهَا الظلامْ
ويُفرخُ الصَّمتُ فلا يُورِقُ فى شحوبِهَا الكلامْ
أشهدُ فى حديقَتِى تَفَرُّقَ اليمَامْ
أَوْغَلَ فى طريقِهِ وآثر الهجرةَ فالظلامُ عنكبوتْ
مَدَّ خيوط الغدرِ فى مخابىءِ الأَغصانْ
فى مداخِلِ البيوتْ
يا شـــهداءَ الغدرِ عَبْرَ وَطَنٍ
فى لحظةِ المخَاضِ فى عشيّةِ انتصارِه يموتْ
أنا هُنَا أمقت ظلَّ الصَّمْتِ يُلْقى بِى
كريشةٍ بيضاءَ فى بحيرةِ الســـكوتْ
أنا هنا أنشدُ يا أحبَّتى مقاطِعَ القصيدةِ المحترقهْ
أسأل فى مسالِكِ الغربةِ فى المهجَرِ عن قمريَّةٍ نيليَّةٍ مُطَوَّقهْ
فاجأها الظلامُ فانحازتْ إلى مسالِكِ الضياعْ
عن البقاءِ فى جدارِ الصَّمتِ فى عرائِشِ الحدائِقِ المنمَّقَهْ
أنا هنـــا أرفعُ فى سماءِ وطنى
الرايةَ الغريبةَ الألوانِ كالصحيفةِ القديمةِ الممزَّقهْ
وأَختَفى فى غيمةِ الذهُولْ
فى بُقعةٍ ضيِّقةٍ تجرحُنى جَهَارَةُ الطُّبولْ
تمتد فى تداعياتِ حُلُمى الأيامُ والفصُولْ
أرى مَثَارَ النَّقْعِ مشدُوهاً
أشمُّ حينَ يسقُط الرجالُ كلَّ عَرَقِ الخيُولْ
حاصَرَنى الخيالْ
فاجأَنى السّؤَالْ
أين اختفَتْ مواسمُ الخضرةِ فى ازدهارِها الوريقْ
يا شاهِدَ العصْرِ لماذا نحن فى مُفْتَرَقِ الطريقْ
فلنعبر الدخانَ والحريقْ
حدثنى الصمتُ بأن الصَّخر لا يَقْبلُ بالنكسة والهزيمَهْ
وأننى إذا رفعتُ رأسى مَرَّةً
فلن تكونَ المرَّةَ الوحيدةَ اليتيمَهْ
أسألُ أيْنَ اختبأَتْ حبيبَتِى النارِيةُ العظيمَهْ
ما بين تَوْقِ صدْرِها وبحَّة الصَّوتِ الذى يذيبُنى
عَلاَقةٌ حميمَهْ
حوريتى التى عشقتها على ضفاف النيلْ
تحت ظلالِ البَرْكَلِ العظيمِ فى أطلال مَرَوِى القديمَهْ(١)
أبحثُ فوقَ آلَقِ العيونِ عن بسْمَتِها
فلا أرى غيرَ جحيمِ الصمتِ فى المواكِبِ المسحوقةِ الأليمَهْ
كلُّ الحروفِ هذه الليلة فى شُحُوبها فارغةً عقيمَهْ
الحلوةُ السمْراءُ تحت وطْأَةِ الضَّياعْ
فى مجاهِلِ الغربَةِ فى ثيابِها تخطُر كالفَرَاشَهْ
وأنت يا قلبىَ فى صَمْتِك عبْر لحظَةِ الذّهولْ
لا تملكُ غيرَ خفقةِ ارتعَاشَهْ
هأنت لا تكتُبُ غيرَ مقطَعَيْن للفِرَاقِ والأَسَى
على جدارِ الصَّمْتِ أو بوابة المسَا
فمن تُرى يجرحُ قلبَ الليلِ فى اندحارِهِ
ويحتفى بمَقْدِمِ الحوريةِ العظيمَهْ ؟ ؟
حدَّثَنى الصمتُ بأنَّ الصَّخْرَ لا يقبل بالنكْسةِ والهزيمَهْ
وأنَّ زهْرَ العارِ لا ينبتُ فى السهولِ والحقولْ
على ترابِ مَرَوِى المنســـيةِ القديمَهْ
من أجلِ هذا فأنا
أفتح بابَ الغضَبِ الساطِعِ والمواجِدِ الخبيئةِ الأليمهْ

---

(١) مروى اسم لعاصمة مملكة مروى التاريخية القديمة تقع فى الجزء الشمالى من السودان .

قصـــــة

تلك الليلة



لم أحدد خطوط الملامح الأولى لأحاديثى معهم .. فوضى متداخلة تحول دون وضوح الرؤيا ، ضبابية شديدة تعكر صفاء الذهن ، خليط عجيب من كلمات غير مركبة وقرارات مفككة الأجزاء ، وآراء تتراقص كأنها على سطح من جليد وليس فى منطقة الفكر المحصن ضد هوائية الأمزجة الآنية .

لم تساعدنى فترات الراحة التى اعتكفها ، والهدنة المستوحاة من عمر الزمن الفاصل بين لقائهم على نتيجة مقنعة تجعلنى أملك زمام القضية وتحولنى الى سيدة موقف ، تطمئن الى وقع قولها ... الضجة خارج غرفتى تزداد عنفاً ، أصوات كالمنشار تحفر أخاديد فى قلبى ، توسع مساحات الخوف ... وتبذرها بمشاعر الظلم والألم ضالة عنيفة تحول كتلتى الآدمية الى فأر قزم محاصر من الجهات الأربع . فى ثوان قليلة يسلبوننى حقى الطبيعى فى الاعتراف بابسط وأغلى ممتلكاتى الانسانية ... الشعوب جميعها تناضل من أجل حرية المصير ... وأنا يشعلون فى لسانى الحريق اذا اهتزت حبالى الصوتية بلفظ « لا » ... أصداء ضربات الباب تلاكم أعصابى . تضخم الهمهمة المتآمرة ضد إرادتى .. يشتد التحدى بين صمتى الرافض لشتى اللغات المتحذلقة فى تذويب شموخ فكرى ... وبين طلباتهم المتراكمة الممزوجة بين الطلب الآمر والرجاء الواثق .. وانا استمرىء سيولة شخصياتهم الجبارة ، أصلب أحجامهم على عنادى النابع من ألمى المتذبذب خلف الحياة والهارب منها ... وأمى تناديني بأن افتح الباب الموصد أمام أعصابهم الثائرة ، وان اخرج واستعيذ بالله من الشيطان .. وأسخر بألم من قولها . وأفعالهم هذه أليست شريحة سواها الشيطان وزينها لعقولهم العفنة

الجمهرة المحتشدة خلف جدار غرفتى ، تضم خالى المستبد ، وأبى الطيب المسلوب الارادة الذى ارتضى بأفعال الآخرين خجلا وليس طوعاً ، والمأخوذ بالحياء كالمأخوذ بالسيف ... هم أحكموا الحبل حول رقبتى ، حتى لو نسجها أبى بخيوط من حرائر وعطرها بدمعة ، فعتابى يتضاعف عليه لأنه يملك القلب الوحيد بين حجارة مشاعرهم . يخرج صوتى متهدجاً : ناولينى ...

بقلم : مايسه الخليفي

وتعيق العبرة مجرى الحديث .. والشهيق يطغى على .. تكمل أمى حديثى .. أتريدين عباءتك .. ؟

بحدة أصرخ .. أريد كبريتاً لأحرق نفسى ..

وضجيج يعلو بالخارج وأكفاً تصفق لا تملك حولا ولا قوة ، فترات تمتد وتخفت أصواتهم ... أحس بالعالم كله يحتضر... واشعر بنفسى عملاقاً مشوهاً كالمسخ يجوب الأرض بخطوات وقعها الصوت الوحيد على البسيطة .. منفرداً .. أعزل .. أرى الفضاء طويلا وعرضه يتضاءل حتى تشتد الظلمة وأحس بوحشة من المجهول .

يأتى صوت امى ـ اخرجى ذهب الجميع ـ والاعياء يأكل اعصابى ويحولنى لطاقة مهدورة .. اسقط يلتف حولى الارهاق ، فافقد توازنى ... واغيب فى نوم مدلهم .

يبزغ يوم آخر ... يمضغ الزمن ايامى بهدوء غير مكترث بسقوط وريقات شبابى ... مستلذاً بمطارق الجميع على جسمى النحيل .

المبارزة لابد منها .. هم يشحذون سلاح خبراتهم الزمنية علها تفلح فى وأد عنادى ... وانا أصمم بارادة من فولاذ ان أهشم كل سيوفهم .

يتنحنح خالى يسحب رداء العظمة كأنه فى مجلسه تلفه أطناب الخيمة ، بدائية الفكر لديه أصيلة المنبع ، يتحدث بلغة الكلأ وغثاء الأغنام . يجهل معنى القلوب العامرة بالدعة والأمانى ... كل مفاهيمه لا تمتد أبعد من طول عصا الخيزران التى تتمايل بين اصبعيه . يثور صوته ويلجم نبراته بالهدوء ... « اسمعى يا ابنتى هو زوجك ولديك منه ابنة ، يجب أن تعودى اليه » .

كلمة مريرة لفظها « زوجى » ثلاث سنوات كالجارية ... يجمعنا فراش أحس بالاشواك تحاط بى .. يوخزنى ابرها .. يوشم جسدى المنهك بقروح من الذل والمهانة .. لم أر قط فى عينيه بريق الفرحة .. وبشاشة العشرة الطيبة .. كل ما المحه منهما حدة الصقر التى تثقب الأمان بأعماقى وتكسونى بثوب التهمة فى كل آن .

ما زال رجع صوته كالمرض المزمن يأبى المفارقة ... يطن بأذنى فجر ولادة طفولتى الاولى .. ماذا انجبت .؟ ابنة ، سميتها فاطمة . وينصرف من الغرفة متجاهلا لوجودى تماماً .. غير مكترث بالوهن الذى عانيته .. غرس على وجهى الحزن .. وأرضعت صغيرتى حليب الألم والقهر .

بعد أربعين يوماً يعود متأففاً من صراخ الطفلة .. ينغمس فى مضغ غذائه وقضاء قيلولته .. ويمضى .. وأندب حظى

لن أعود اليه وهو يرفس أنوثتى .. يجرجرنى بأغلال العبيد حتى فى أضعف حالاته يلوك العظمة .. ويزمجر كالاسد .. نصف قواه تخار إذا اوغل الليل عليه .

ما جدوى العودة .. ؟ والعمر معه لا يثمر غير الاشواك .. كل حبال الآمال تقطعت .. وسفينة الصبر أبحرت دون شراع .

ثلاث سنوات وعملية الاجترار أمارسها تارة بالصبر .. وأخرى بالتعقل ومرات عديدة باللامبالاة والتأنى .

ما زال الماضى يبسط خطوطه على حاضرى المرير .. حسرة تلهب اضلعى إذا تذكرت تلك الحقبة من عمرى الغض .. يشف الزمن أستاره . ويتجسد أمام ناظرى .. يوم عدت من المدرسة تعبة . ونظرات امى غير طبيعية .. ترمقنى بالخفاء .. تبحث فى ابنتها عن كينونة المرأة .. وأنا غير عابئة بها .. فمى يتحرك بسرعة شديدة النهم الطعام حتى اعجل بلحظات اللعب مع رفيقات الحى .. وتفطن أمى الى عجلة أمرى قائلة : تمهلى يا ابنتى ..

اجبتها باستنكار مؤكدة صحة فعلى .. أريد أن العب « الكتور » مع الرفيقات . قاطعتنى بشدة أثلجت صدرها .. وهى تبوح السر العزيز لديها : من اليوم لن تلعبى .. بعد غد زفافك ... هوت الكلمة فى أذنى كسقوط نجم ألهب مشاعرى .. تماوج الخوف والمجهول بداخلى .. وتذكرت زفاف ابنة خالى منذ عامين وذلك الشعور المبهم الذى استوطن باطنى .. وصوت المغنية يصب أنغامه المتمايلة على محدودبة مفاهيمى المتفائلة .. وأنا أحرث الفكر فى أفعالهم .. لماذا يغنون ؟ وابنة خالى كيف حملوها لذلك الرجل الغريب .. وأغلقوا عليها الباب دون الجميع ، ومواويل الغناء تنثنى تحكى قصص الهوى وحرقة البعاد .. وحين عدنا الى البيت .. لم استطع النوم .. وصياح الديكة تعلن قرب الفجر .. مازال نداء الديك رغم كبر سنى يوحش نفسى ويزيدها ألماً .. موحياً بأن اليقظة حتى صوته تحمل للسهر دلالة واضحة لاعتدال النفس أو الذهن معاً .

ما زلت حتى اللحظة أحلل نفسى من سواد تلك الليلة التى اشتدت حلكتها على عقلى الباطن .. ثلاثة أشياء تكومت بأعماقى تعرقل أفكارى ، وتسد درب السكينة ، زفاف ابنة خالى ... والغناء المنغم من ثغر تلك السيدة السمراء الممتلئة البدن ....وصياح الديكة الذى شرخ سمعى .. وغرس أصواتاً مبحوحة المعنى ما فتئت أحاول فك طلاسمها الى اليوم .

أمور كثيرة تتوارد بذهنى كشريط سينمائى لا يختل توازن احداثها عبر السنين .. فأنا لم أكن أحسن حالا من صورة ذلك الزفاف المحفور بأعماقى .. على بغتة أخبرونى بالزواج وان كنت أجهل معناه . اخفونى فى غرفتى يومين .. وأحضروا لى مستلزمات جديدة براقة وكل من حولى يجرى .. حتى أصبح أهل البيت كله والمقربون يتسابقون مع الزمن ... أوامر هنا .. وتلبية هناك .. ولا أعى سر ذلك العمق .. وليلتها دخلت على سيدة لها فى نفوسنا جميعاً منزلة رفيعة .. لما تمتلز به من الثقة والتقوى ، وحدثتنى بقول أصغيت له باهتمام ، فمثل هذه الاعترافات لاول مرة تصك أذنى .. مفاهيم الزواج وأصوله .. وما على الزوجة أن تفعله .

والحديث يقرع الهلع فى قلبى .. فسيستولى على سنواتى الأربع عشر ... ويحيلها الى معنى واحد تنهيدة تبوح بالخوف .

أفيق من امتداد يقظتى نحو عمرى المكدود .. ويبسط حاضرى ذراعيه أمامى بقوة .. أرفض العودة الى زوجى المتجبر العنيد .. الذى لم يقدر يوماً مشاعرى .. ولم يعترف بمشاركتى له .. وتفشل محاولات أمى لأن .. الصبر عندى أجهض معانى الانتظار ... واسقطه دماً غير مكتمل الحياة .

غاندي ومواقفه السياسية

- عندما قال غاندي: لقد تعلمت الثورة على يد الزعيم العربي سعد زغلول
- قصة المذبحة التي دفعت غاندي إلى الاعتراف بأنه ارتكب خطيئة سياسية خطرة

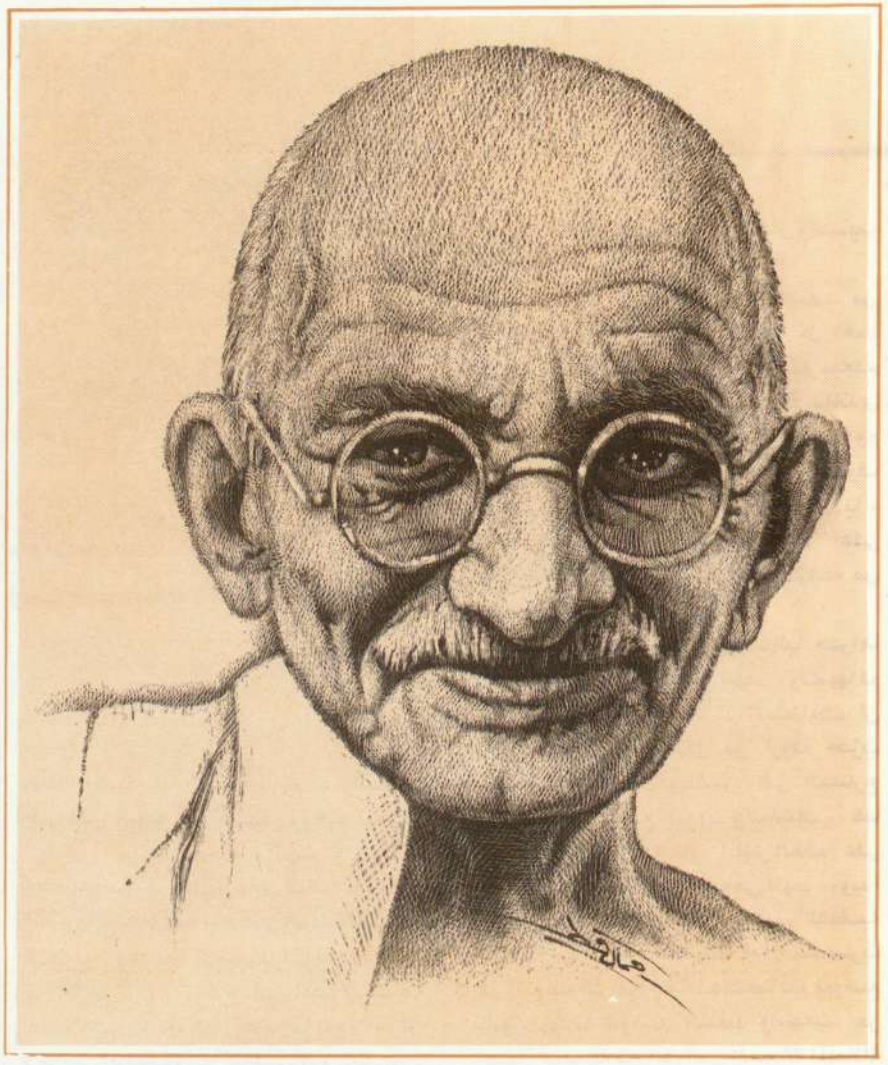
بقلم: محمد العزب موسى

كان سلاح النضال الذى جربه غاندى بنجاح فى جنوب أفريقيا هو فن المقاومة السلمية « الساتيا جراها » الذى تقوم به جماهير متنورة بفكرة أن الحق أقوى من الباطل وأنه ينتصر فى النهاية ، وهى فكرة عميقة الجذور فى الفلسفة الهندية وفى الروحانيات الشرقية بوجه عام إذ نجد لها مكاناً راسخاً فى فكر المسيحية والاسلام .

عاد غاندى إلى الهند من جنوب أفريقيا عام ١٩١٤ بعد أن قضى هناك ٢١ عاماً يدافع عن حقوق الأقلية الهندية المغلوبة على أمرها ضد ذلك النظام العنصرى البغيض ، وقد أحرز غاندى فى نضاله هذا نجاحاً طير شهرته الى بلاده حتى انه استقبل بالحفاوة والتكريم فور عودته ، ولكن الأهم من ذلك انه استطاع فى جنوب افريقيا أن يعد سلاح النضال الذى سوف يستخدمه بعد عودته للهند ، والواقع أن غاندى لم يغرب عن باله قط أثناء وجوده فى جنوب أفريقيا أن القضية الحقيقية هى قضية الوطن الأم وليست قضية أقلية هندية فى مكان ناء من العالم ، ولكن تجربته فى جنوب افريقيا لم تذهب عبثاً ، بل كانت ، علاوة على قيمتها الانسانية ، اشبه بالبروفة التى يؤديها الممثل لشحذ قدراته وتلاشى هفواته استعداداً للقيام بدوره المنتظر على المسرح .

وعندما عاد غاندى الى بلاده كان المسرح السياسى يقتسمه زعيمان متنافسان من زعماء حزب المؤتمر الهندى هما « جوكال » و « طيلاق » ، كان الأول زعيماً معتدلا يدعو الى اتباع الأساليب التدريجية المشروعة لانشاء هند جديدة على النمط الديمقراطى الغربى ، أما « بال جاندهار طيلاق » فكان على العكس من « جوكال » متطرفاً هندوسياً معادياً للانماط الغربية عامة ويتزعم جماعات الكفاح الجسدى بما فى ذلك اللجوء الى العنف أحياناً . وقد احترم غاندي « طيلاق » لذكائه واخلاصه ولكنه كان يختلف معه جذرياً فى نظرته الى الدين والسياسة ، ولذا كان غاندى أقرب الى « جوكال » وبدأ نصيراً له بالفعل ، ولكنه كان يتميز على « جوكال » بنظرته العالمية ، ويختلف عنه فى الهدف النهائى اذ لم يكن غاندى يدعو الى دولة على النمط الغربى الحديث وانما يدعو الى تغليب الأصالة الهندية مع التركيز على إنعاش الريف روحياً واجتماعياً ، أى ان هدفه لم يكن « تغريب » الهند وانما « بعثها » من جديد .

ويعبر غاندى عن آرائه فى تلك الفترة المبكرة أوضح تعبير فى كتيبه « هند سواراج » الذى كتبه فى لندن عام ١٩٠٩ وهو عبارة عن حوار بين « قارىء » يحبذ الارهاب لتحرير الهند و « المؤلف » الذى يتحدث بلسان غاندى ، اذ يقترح القارىء أن تخلص الهند نفسها بحملة من أعمال العنف والاغتيالات ضد المستعمرين الانجليز ثم تبنى دولة عسكرية حديثة كما فعلت اليابان فيرد « المؤلف » قائلا .. انك بذلك تريد الحكم



المنهاتما غاندي



سعد زغلول

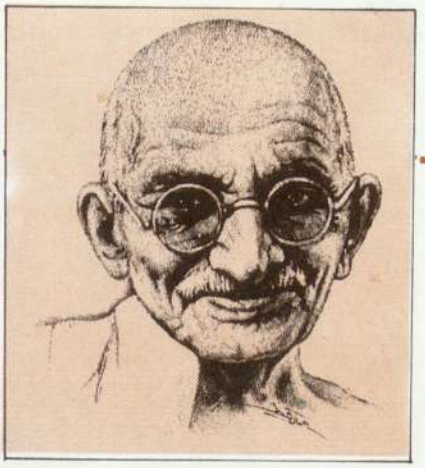
البريطانى بدون انجليز ، انك تريد طبيعة النمو دون النمو ذاته ..

كانت النقطة الاساسية لدى غاندى ان « الشر» لا يكمن فى الحكم البريطانى بذاته وانما فى « الحضارة الحديثة » التى اصبحت مادية بصفة مطلقة ، فمصانع الغزل والنسيج مثلا دمرت حياة ملايين الأسر الهندية التى كانت تعيش على الغزل اليدوى ، ولا يهم ما اذا جاءت منسوجاتها المدمرة من مصانع لانكشاير أم من مصانع هندية . ان طريق الانقاذ كما يراه غاندى هو انعاش الثقافة التقليدية وطرق الحياة الأصيلة فى ٧٠٠ الف قرية تضمها الهند الكبرى .

استقر غاندى فى مدينة « أحمد أباد » الشهيرة بمصانع النسيج الآلى وانشأ « أشرم ساتيا جراها » وهى مؤسسة شبه ديرية يعيش فيها الأنصار حياة جماعية وتحرم فيها الممتلكات الشخصية والملابس الأجنبية والأطعمة ذات التوابل ، ولأول مرة فى تاريخ الطبقات الهندية منذ آلوف السنين ينضم الى هذا « الأشرم » عدد من المنبوذين ، وبذلك دل غاندى على انه يعنى ما يقول بدعوته الى مخالطة المنبوذين ودمجهم فى المجتمع .

وخلال السنوات القليلة التالية خلا المسرح السياسى الهندى من زعمائه الأقوياء فقد توفى « جوكال » بعد عودة غاندى بقليل ثم تلاه « طيلاق » فى عام ١٩٢٠ ، وكانت «آنى بيزانت » التى رأست حزب المؤتمر منذ عام ١٩١٧ معتدلة بدرجة لا تمكنها من إحكام قبضتها على مشاعر السخط الملتهبة لدى الهنود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهكذا انعقد لواء الزعامة الشعبية لغاندى بنجمه البازغ ، فقد جذب اليه الأنظار كزعيم راديكالي من طراز فريد ، وأصبح معروفاً ومحبوباً لدى جماهير حزب المؤتمر من طلبة وفلاحين وعمال صناعيين ومثقفين ، فها هو يهاجم القيادات المتراخية والنزعـــات المنحـــرفة والمهراجـــات الذين يحولون عرق الجماهير الكادحة الى مجوهرات يزينون بها عمائمهم ، ويصب نيرانه على التخلف الهندى الذى يعتبره العدو الأول للشعب الهندى قبل الاحتلال البريطانى ، ويقاوم السلطات الحاكمة التى تحاول تقييد حريته فى الحركة والكلام ، ويدافع عن حقوق الفلاحين ضد استغلال الملاك ، ويدعو الى تحسين القرية الهندية وتزويدها بالمدارس والمصحات والمجارى ، ويحبذ المتطوعين للخدمة العامة ..

ولم تلبث أن طبقت شهرة غاندى الآفاق



غاندي
ومواقفه السياسية

عندما قبل أن يتزعم اضراب أحد مصانع النسيج الكبرى فى « أحمد آباد » للمطالبة بزيادة الأجور ، وكان شرطه الوحيد لتزعمهم ان يلتزموا بالساتيا جراها أى عدم اللجوء الى العنف تحت أى الظروف . وخلال هذا الاضراب ، عندما تأزمت المفاوضات بين الملاك والعمال لجأ غاندى الى الاضراب عن الطعام لأول مرة فى كفاحه السياسى مما أرغم الملاك فى النهاية على الاستجابة لمطالب العمال خوفاً من أن يتحملوا مسئولية موت غاندى . ويقول غاندى ان فكرة الصوم هذه جاءته كهاجس الهى ، ولكنه انتقد نفسه بعد ذلك لاستخدامها على أساس انها وسيلة ارغام للخصم يجب أن تتنزه عنها الساتيا جراها . ولم يلجأ غاندى الى هذا السلاح فيما بعد إلا فى أواخر حياته وفى حالات الضرورة القصوى .

مذبحة أمرتسار

ومحاكمة غاندى

ولم تلبث أن واتت غاندى الفرصة للدخول فى حلبة السياسة الهندية من أوسع أبوابها ..

كانت الحكومة قد أصدرت ما يعرف « بقانون رولات » نسبة الى لجنة القاضى « رولات » التى كونتها السلطات البريطانية لبحث أساليب احتواء التمرد الهندى ومنع لجوئه للعنف ، واقترحت اللجنة توقيع عقوبات قاسية بواسطة محاكمات استثنائية خاصة على المشتبه فى قيامهم بأعمال العنف والارهاب أو حيازة الأسلحة ومنشورات الاثارة والتهييج . ومما له دلالة أن حكومة الاحتلال عجلت باصدار هذا القانون فى شهر مارس ١٩١٩ أى فى ذروة احتدام ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد زغلول ، وكان لهذه الثورة صداها فى الهند ولدى غاندى شخصياً الذى قال فيما بعد انه تعلم الثورة من سعد زغلول .

ثار الرأى العام الهندى بأسره ضد قانون « رولات » التعسفى ، وقام غاندى بجولة واسعة فى انحاء الهند يدعو إلى حملة « ساتيا جراها » ضد السلطات البريطانية ، ثم دعا الى إضراب عام « هارتال » على أن يكون اضراباً سلمياً تماماً كيلا يتحول الى اداة فى أيدى دعاة العنف أو الشيوعيين ، وفاقت الاستجابة للاضراب كل التوقعات ، فقد أغلق التجار حوانيتهم ، ووضع العمال أدواتهم ، واقفرت مصانع الهند وأسواقها كاحتجاج صامت على حاكم ظالم ، وبدت البلاد بأجمعها مصممة على هدف واحد هو التحرير ، وقد بدأ الأضراب فى مدينة دلهى فى ٣٠ مارس ، واكتسح المدن الكبرى بسرعة خاطفة حتى شمل الهند بأسرها يوم ٦ أبريل وخرجت المظاهرات السلمية تطوف الشوارع بالملايين يشارك فيها المسلمون إلى جانب الهندوس ، والنساء وطلبة المدارس ، وواجهت السلطات الموقف بالعنف ، فضرب البوليس المتظاهرين بالعصى ذات الأطراف الحديدية وأطلق النار عليهم فى دلهى ، والتزمت حركة « الساتيا جراها » بمبادئها السلمية بوجه عام ، ولكن حدث فى البنجاب ـ حيث كانت تسودها الفوضى قبل حركة الاضراب ـ ان اندلعت أعمال العنف من جانب الغوغاء فهاجموا الحوانيت والمنشآت العامة وقوات الأمن ، وحاول غاندى السفر من بومباى الى البنجاب لتهدئة الجماهير ، ولكن السلطات البريطانية منعته وأعادته من منتصف الطريق ، اذ كانت تبحث عن ذريعة لسحق الحركة الوطنية ، وسرعان ما امتدت أعمال العنف والشغب الى اجزاء أخرى من البلاد وردت السلطات بالمزيد من القمع الوحشى وجاءت الذروة يوم ١٣ ابريل حين أمر « البريجادير داير » قواته من الجوركا والبلوش باطلاق النار على الجماهير فى « أمرتسار » وهى تتجمع للقيام بمظاهرة سلمية فقتل ٣٧٩ شخصاً فى الحال وأصيب أكثر من ألف آخرين بجراح .

وبهت غاندى لبشاعة العنف من الجانبين ، هل يمكن أن ينفجر كل هذا العنف نتيجة لحركة هدفها الانتصار بعدم العنف وبقوة الحق وحدها ؟ وصام غاندى ثلاثة أيام تكفيراً عن خطئه ، ثم أعلن فى يوم ١٨ ابريل الغاء « الساتيا جراها » واعترف بأنه ارتكب « خطيئة فى حجم الهيمالايا » بتشجيعه الجماهير غير المدربة على المشاركة فى حركة تتطلب أعلى درجة من ضبط النفس .

وهكذا فشلت أول حملة ساتيا جراها شاملة يقوم بها غاندى فى الهند ، ولكنها لم تفشل تماماً فى الواقع ، اذ استطاعت أن تخرج بقضية الاستقلال من أروقة حزب المؤتمر وزنزانات الوطنيين الى الشارع والقرية والى جميع البيوت والطبقات ، كما سلطت مذبحة « أمرتسار » انظار العالم على جرائم الاستعمار البريطانى فى الهند ، وبدأ الرأى العام العالمى يعطف على القضية الهندية . واضطرت السلطات الاستعمارية فى النهاية الى مراجعة أساليبها فلم يوضع قانون رولات موضع التنفيذ وامتنعت عن إصدار سلسلة من القوانين العميقة المماثلة كانت قيد الاعداد . أما غاندى فقد تعلم درسه الكبير ، وهو أن فشل الحركة يرجع الى انعدام التنظيم ، وأضمر أن أية حركة ساتيا جراها قادمة يجب أن تكون محدودة النطاق وأن تقودها « كوادر » من المتطوعين المدربين .

وجاءت التجربة الثانية بعد ثلاث سنوات ، ففى أواخر عام ١٩٢٠ عقد حزب المؤتمر اجتماعاً شعبياً فى ناجبور تبنى فيه هدف تحقيق الاستقلال الوطنى « سواراج » بنهاية عام ١٩٢١ ، وتلى ذلك أن أعلن غاندى حركة « ساتيا جراها » جديدة محورها عدم التعاون مع السلطات الاستعمارية ، وقام باعادة الميدالية الذهبية التى منحت له لقيامه باعمال الانقاذ فى جنوب افريقيا واقتدى به مشاهير الهنود فاعادوا للسلطات ما حصلوا عليه من أوسمة ونياشين ، وأضرب الطلبة عن الدراسة ، وامتنع المحامون عن دخول المحاكم التى يعمل فيها قضاة انجليز ، وفر الجنود من الخدمة العسكرية . واستقبلت الأحزاب الهندية زيارة أمير ويلز للهند

بالاضراب العام . وردت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقالات واسعة النطاق .

وفجأة تكررت نفس الغلطة الأولى اذ تحولت احدى المظاهرات فى جوراكبور الى العنف ، وقتل المتظاهرون عدداً من رجال البوليس وأحرقوا جثثهم فى قاعة مجلس المدينة ، وعلى الفور أمر غاندى بوقف حركة الساتيا جراها بعد أن كادت تبلغ أهدافها ، بل بذلك مرة أخرى على استعداده للتضحية بأى نجاح سياسى لتفادى ما يعتبره خسارة أخلاقية .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٢ ألقى القبض على غاندى وقدم الى المحاكمة ..

ولا تزال هذه المحاكمة تذكر فى الهند الى الآن باعتبارها حدثاً هاماً فى تاريخ الاستقلال ، وتعرف بالمحاكمة الكبرى لما تميزت به روح الفروسية بين غاندى وقاضيه الانجليزى .

جرت المحاكمة فى مدينة « أحمد أباد » أمام القاضى الانجليزى روبرت برومفيلد ، وأقر غاندى فى بدايتها انه « مذنب » فى الاتهامات الموجهه اليه ، واعترف بانه كان يريد قلب الحكومة ، وأمام اعتراف المتهم بصراحة نصوص القانون لم يجد القاضى مناصاً من أن يحكم على غاندى بالسجن ست سنوات ولكن القاضى اعترف بان غاندى « وطنى عظيم وزعيم عظيم » وقال يخاطبه ان هذه السنوات الست التى أحكم بها عليك هى ضريبة الوطنية التى سبق أن نال مثيلها سلفك العظيم طيلاق ، وانتهت المحاكمة بأن انحنى غاندى أمام قاضيه الانجليزى شاكراً ، وانحنى القاضى أمام سجينه الهندى احتراماً .

وهكذا خسر غاندى القضية ولكنه كسب الموقف ، فقد استطاع تحويل خصمه من الداخل ، وهذا أكبر نجاح لفلسفة الساتيا جراها .

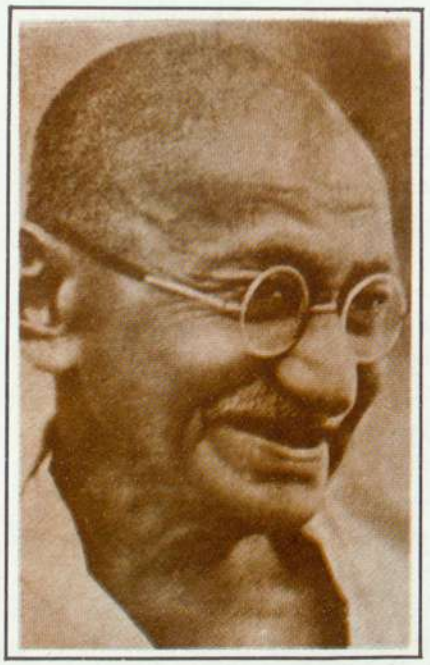
مسيرة الملح

أدخل غاندى سجن « ايرفادا » بالقرب من « بونا » ، ولكنه لم يمكث فى السجن كل فترة العقوبة ، اذ افرج عنه فجأة فى فبراير ١٩٢٤ بسبب المرض ، وخرج ليفاجأ بان حزب المؤتمر قد فقد قوته ووحدته نتيجة لفشل أمله القومى فى تحقيق الاستقلال ، كما تزعزعت الوحدة الظاهرية بين المسلمين والهندوس واندلعت المذابح بينهم ، فكان أول ما فعله غاندى بعد خروجه من السجن أن أضرب عن الطعام ٢١ يوماً حتى أجبر زعماء الطائفتين على التصالح .

وقبل غاندى رئاسة حزب المؤتمر لفترة محدودة بهدف منع الحزب من التمزق بين الأجنحة المتنافسة ، ثم استقال فى أخر عام ١٩٢٥ ، ولم يقبل طيلة حياته بعد ذلك أى منصب حزبى أو إدارى ، وأعلن اعتبار عام ١٩٢٦ عام صمت سياسى ، ولجأ الى « أشرم سابرماتى » حيث انقطع للتأمل والصلاة والعمل اليدوى واستقبال الزوار الذين بدأوا يتوافدون عليه من كل انحاء الهند ومن أوربا والولايات المتحدة والصين .

ولم يلبث غاندى ان اضطر الى قطع عزلته السياسية فى اكتوبر ١٩٢٧ حين استدعى مع غيره من الزعماء الهنود الى مقابلة الحاكم البريطانى لورد ايروين الذى أبلغهم أن بريطانيا ستوفد لجنة برئاسة سير جون سيمون الى الهند للنظر فى امكانية تعديل الوضع الدستورى للبلاد ، ولما كانت هذه اللجنة ، تُعد مسئولة فحسب أمام البرلمان البريطانى ، وقد شكلت بدون أخذ رأى الشعب الهندى ولا تضم فى عضويتها أحداً من الهنود ، لذلك رفضها

المهاتما غاندي



غاندى وكل الزعماء الآخرين . وعندما وصلت اللجنة الى الهند فى فبراير ١٩٢٨ قاطعتها جميع الأحزاب الهندية بما فيها الرابطة الاسلامية وحزب « مها صابحا » الهندوسي . وفى نفس الوقت وجد غاندى الفرصة مناسبة لتنفيذ فكرة راودته طويلا وهى تحريض الأهالى على عدم أداء الضرائب للحكومة مقرراً البدء فى منطقة برادولى . وكلف صديقه باتل بتزعم الحركة

وحقق إضراب برادولى نجاحاً منقطع النظير ، بل كان أنجح عصيان مدنى فى تاريخ استقلال الهند . فبالرغم من لجوء السلطات الى عمليات الاعتقال والقمع الوحشى ، إلا أن فلاحى برادولى ، وعددهم ٨٤ ألف نسمة ، ظلوا ثابتين على رفضهم اداء الضرائب وممتنعين عن الرد على العنف بالعنف . وفى أقل من ستة أشهر كانت الهند بأسرها يشلها الأضراب العام « هارتال » تأييداً لفلاحى برادولى ، واضطرت الحكومة الى التسليم ، فاطلقت سراح المعتقلين ووافقت على تخفيض الضرائب الى الحد الذى ارتضاه الفلاحون وتعويضهم عن ممتلكاتهم التى صودرت أثناء الأضراب .

كان هذا النجاح بمثابة لفحة هواء هبت على لهيب الحركة الوطنية فزادته اشتعالا .. ورفع حزب المؤتمر شعار الاستقلال الفورى التام ، وفى ٢٦ يناير ١٩٢٩ ، ـ وتحتفل به الهند للآن كعيد قومى ـ ، أصدر غاندى وثيقة « إعلان استقلال الهند » وهى وثيقة تتضمن الطموحات السياسية لرفاقه فى حزب المؤتمر الى جانب فكرته الخاصة عن التحرر الاجتماعى والروحى . وجاء فى الاعلان ان الحكم البريطانى قد دمر الهند إقتصادياً وسياسياً وثقافياً وروحياً ، لذلك فان الهند تقطع علاقتها ببريطانيا ، وتعلن استقلالها التام .

وبقى أن يختار غاندى هدفاً لحملة العصيان المدنى التى يمكن أن تحول اعلان الاستقلال من الورق الى الواقع المعاش .

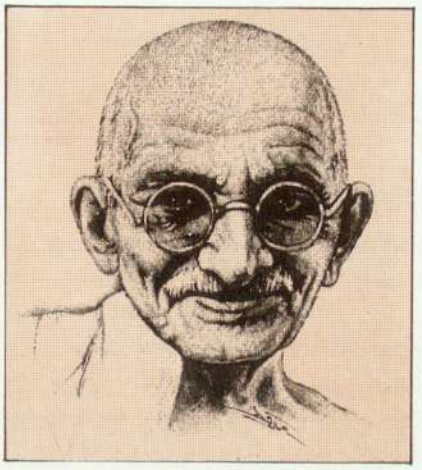
وقد تجلت عبقرية غاندى السياسية فى اختياره أن يكون الهدف هو خرق قانون الملح . وكانت حكومة الاحتلال البريطانى تحتكر صناعة الملح من استخراجه إلى بيعه لاستنزاف الهنود ، وتفرض عقوبات قاسية على من يأخذ ولو حفنة واحدة من ملح الشواطىء . ودعا غاندى الى تحدى

هذه العقوبات وان يقوم الهنود بتصنيع الملح بانفسهم ، ولقيت دعوته نجاحاً كاسحاً لانها مست وتراً حساساً لدى ملايين الفلاحين الفقراء كما انها اطلعت الشعب البريطانى على مساوىء احتلاله للهند وحركت لدى الشعوب الأوربية ذكريات الثورة الفرنسية الكبرى التى كان من اسباب قيامها احتجاج فقراء باريس على ضريبة الملح المماثلة .

وفى فجر يوم ١٢ مارس ١٩٢٩ بدأ غاندى مسيرته من « آشرم سابرماتى » على رأس ٧٩ متطوعاً فى طريقهم الى « داندى » على شاطىء البحر وتبعد ٢٤١ ميلا ، ولم تتعرض السلطات للمسيرة ظناً بانها سوف تفشل من تلقاء ذاتها ، ولكن المسيرة تحولت الى نجاح باهر ، فكانت تجتذب فى تقدمها الاف المنضمين الذين يخرجون من المدن والقرى للسير وراء غاندى ، وأخيراً وصلت المسيرة وقد تحولت الى بحر زاخر من البشر الى « داندى » يوم ١٣ ابريل ، وهو ذكرى مرور عام كامل على مذبحة « أمرتسار » ، وهناك نزل غاندى الى البحر مع عشرات الالوف للاستحمام والتطهر ، وعندما خرج الى الشاطىء اخذ حفنة من الملح ورفعها عالياً بينما كانت الشاعرة الوطنية « ساروجينى نايدو » تهتف والجموع تردد وراءها « فليحيا المخلص » .

وكما لو كان غاندى قد أدار مفتاح آلة كبيرة معقدة فانطلقت كل أجزائها تعمل تلقائياً كذلك تحولت الهند بأسرها الى كتلة لا تهدأ من الحركة والنشاط اذ راح الناس يصنعون الملح على الشواطىء وفى الشوارع وفوق أسطح البيوت ، وقدم مئات الموظفين ورؤساء القرى استقالاتهم ، وتوقفت الصحف عن الصدور ، ورفض الجنود أوامر إطلاق النار على المتظاهرين ، وطرحت النساء الحجاب وانضمت الى الحركة الوطنية بمظاهراتها واجتماعاتها ومسيراتها ، وأصبحت كلمة الاستقلال على كل لسان .

وردت الحكومة باعتقال ١٠٠ ألف شخص على رأسهم غاندى وكل زعماء حزب المؤتمر . ولكن حتى هذه الاعتقالات لم توقف الحملة ، بل ردت الهند بأسرها باضراب عام (هارتال) شل كل مرافق الحياة فى البلاد ، وفى يوم ٢١ مايو هاجم ٢٥٠٠ من المتطوعين المدربين على أساليب الساتيا



غاندى ومواقفه السياسية

جراها مصانع الملح فى دارسانا وهم يحملون النقالات ووسائل الاسعاف استعداداً لتلقى عنف السلطات ، وتصدت لهم قوات من الجوركا قوامها ٤٠٠ جندى بعنف بالغ ، فتحطمت عشرات الجماجم ، وسقط المئات بين قتيل وجريح . ولم يتمكن المتظاهرون فى النهاية من اقتحام المصنع ولكن شجاعتهم اذهلت العالم .

وكالعادة رأت سلطات الاحتلال أن تنحنى أمام العاصفة وان تتحول من المواجهة الى التحايل ، فأطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، ودعى غاندى للتفاوض مع الحاكم البريطانى فى دلهى . وبعد أيام من المفاوضات الشاقة وافقت السلطات على إباحة صنع الملح للاستهلاك الشخصى ، وأطلقت سراح ١٠٠ ألف معتقل ، ودعت غاندى إلى تمثيل حزب المؤتمر فى مباحثات الدائرة المستديرة بلندن لتحديد مستقبل الهند .

وكانت مباحثات الدائرة المستديرة قمة الخدعة الاستعمارية لتقويض الحركة الوطنية الهندية وبث الفرقة فى صفوفها ، فقد حضرها ممثلون عن مختلف العناصر الهندية غير المتناسقة ، مسلمون ، وسنج ، ومسيحيون ، ومنبوذون ، ومغتربون ، وأمراء ، ومهراجات ، ومزارعون ، وضاعت قضية الاستقلال وسط هذا الخليط المتباين بمصالحهم المتناقضة ، وتحول اهتمام المؤتمر من المطالبة بتحرير الهند الى بحث صيانة مصالح الأقليات ، ولم يستمع أحد لغاندى وهو يؤكد انه يمثل ٨٥٪ من الشعب الهندى وان هذه الخلافات مبالغ فيها وسوف تتلاشى بنفسها بعد الاستقلال . وهكذا انهار مؤتمر المائدة المستديرة على صخرة المبدأ الاستعمارى المعروف « فرق تسد » وعاد غاندى الى الهند خالى الوفاض فى نهاية عام ١٩٣١ ليجد حاكماً بريطانياً جديداً أشد صرامة من كل سابقيه هو « لورد ويلنجتون » الذى اتبع سياسة القمع السافر وزج بغاندى وزعماء المؤتمر مرة أخرى فى غياهب السجون .

وعندما خرج غاندى من السجن كانت آخر انفاس الحركة الوطنية قد خبت ، وتحول غاندى باهتمامه عن الاستقلال إلى حقوق المنبوذين ، ودخل فى عزلة سياسية لم يخرج منها حتى عام ١٩٤٠ . ولكن ساتيا جراها الملح لم تذهب فى الواقع عبثاً ، اذ كانت درساً غالياً من دروس النضال ، صهرت الهند وراء أمانيها القومية وكسبت لها التأييد العالمى ، وتقدمت بفضلها خطوة حقيقية نحو الاستقلال .

هزيمة المنتصر

إذا كانت مباحثات الدائرة المستديرة قصد منها تمزيق الحركة الوطنية ، وحققت المقصود منها بالفعل ، إلا ان بريطانيا لم تكتف بذلك ، فقررت أن تقوم بخدعة أخرى اكبر وأخطر تلهى الهند عن الاستقلال الحقيقى وتمزق صفوفها الى الأبد ، وهى خدعة الحكم الذاتى الذى وافق البرلمان البريطانى على منحه الهند فى أغسطس ١٩٣٥ ، وسمح بمقتضى ٥ للناخبين الهنود ويبلغ عددهم ٣٠ مليوناً ، باختيار حكام الولايات ومجالسها المحلية . وقد تحمس زعماء حزب المؤتمر لهذه الخطوة تعطشاً منهم لسلطة الحكم حيث فاز حزبهم بالسلطة فى ٩ ولايات من احدى عشرة ولاية أما غاندى فقد رفض هذه الخطوة من الاستقلال المزيف وعندما سألوه رأيه قال « إن الهند لا تزال سجناً كبيراً وكل ما حدث ان القائمين عليه سمحوا للسجناء باختيار جلاديهم » .

وحدث ما توقعه غاندى ، إذ لجأ حكام الولايات المنتخبون إلى استخدام قوات البوليس التى يقودها ضباط انجليز فى ضرب معارضيهم ، وبذلك أصبح جلادو الشعب حكاماً من الهنود بدلا من الانجليز . ولكن الأخطر من ذلك أن مقدم الحكم الذاتى أدى إلى القطيعة النهائية فى الحركة

الوطنيـــة بين المســلمين والهنـــدوس ، وتضارب مصالحهم تضارباً جذرياً ، وبدأ محمد علي جناح زعيم الرابطة الاسلامية وقد هالته الأغلبية العددية للهندوس يطالب بتقسيم الهند على أساس انها تضم قوميتين منفصلتين ، وفى نفس الوقت ظهرت الانقسامات الحادة داخل حزب المؤتمر بين اليمينيين واليساريين ، وابتعد الحزب برمته عن مبادىء غاندى فى الصـــحوة الروحيـــة فالرأســـماليون والاشتراكيون على السواء أصبحوا يتطلعون الى انشاء هند صناعية حديثة على النمط الغربى ولكنهم يختلفون فى توجيهها الايديولوجى ، وتناسوا تماماً تصورات غاندى فى البعث الهندى الذى اساسه النهوض بالقرية وكيانها الذاتى ، ومع ذلك فقد ظلوا يستخدمون برنامج غاندى الريفى لكسب تأييد جماهير الفلاحين وضمان التفاهم حول حزب المؤتمر وهكذا كلما زادت سلطة حزب المؤتمر السياسية كانت تتناقص قوة غاندى الروحية .

ولم تلبث أن برهنت الأحداث على صحة وجهة نظر غاندى فى ان السلطة السياسية التى يتمتع بها الزعماء الهنود ليست أكثر من قشرة واهية ، اذ لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جرت بريطانيا الهند اليها دون استشارة حكام الولايات المنتخبين ، فقدم هؤلاء استقالاتهم وعادت الهند الى الحكم البريطانى المباشر .

ولجأ الزعماء السياسيون مرة أخرى إلى غاندى يرجونه تولى الزعامة . وكعادته فى تحمل مسئوليات القيادة فى الأزمات العصيبة أعلن حملة عصيان مدنى جديدة فى أكتوبر ١٩٤٠ ، ورد الانجليز باعتقال عشرات الالوف وعلى رأسهم غاندى الذى حددت اقامته فى قصر اغاخان فى « يونا » ثم اطلق سراحه قبيل انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٤ لأسباب صحية ، وانفجرت الهند مرة أخرى فى موجة من العنف الدامى ، وخيل لغاندى ان كل مبادئه التى عاش يعلمها لشعبه لم تلق آذاناً صاغية ، ثم كانت صدمته أكبر بالاستقلال الذى وافقت حكومة العمال فى بريطانيا على منحه للهند بعد انتهاء الحرب ، اذ لم يكن بالاستقلال (سواراج) الذى يفكر فيه وناضل من أجله ، كان يحلم بهند حرة مستقلة علمانية موحدة تتعايش فيها الجماعات الهندية المختلفة على قدم المساواة ، أما الاستقلال الذى حصلت عليه الهند بعد الحرب فقد دفعت فيه ثمناً مدمراً هو انقسام شبه الجزيرة الهندية الكبرى بين الهندوس والمسلمين ، وقيام دولتين للهند وباكستان ، وعندما وافق حزب المؤتمر على قرار التقسيم شعر غاندى ان قضيته قد جحدت ، وقال ملاحظاً « لقد وصل كفاح ٣٢ عاماً الى نهاية مخجلة » . ان الهند الأم التى يحلم بها قد دمرت .

وضاع صوت غاندى الواهى الذى تجاوز الخامسة والسبعين فى ضجيج الاستقلال وزحمة الأصوات القوية الشابة ، وشعر أن قوته الروحية تخبو باطراد مع مقدم القوة السياسية للهند ، وبدأت تسيطر عليه فكرة الاستشهاد والتضحية ، كان يقول « كما يتعلم الانسان فن القتل وهو يتدرب على العنف عليه أن يتعلم فن الموت وهو يتدرب على عدم العنف » . وفى هذه المرحلة بالذات أصبح الاضراب عن الطعام سلاحاً ماضياً فى يد غاندى ، فلم يكن يصوم كمناورة سياسية وانما بهدف أن يموت حقاً ، وكثيراً ما أشرف على الهلاك فى هذا الصوم ثم عاد الى الحياة بالكاد بعد أن كان صيامه يجبر أعتى الخصوم على الرضوخ .

وازدادت آلام المهاتما توهجا وهو يرى أشباح الشر القديمة التى قضى حياته يطاردها تبعث من جديد وتسير فى كل مكان .. العنف ، التمرد ، الحرب ، الفوضى . التعصب ، الطائفية ، الكراهية ، فقد انفجرت المذابح الطائفية على نحو لم يسبق له مثيل بعد تولى نهرو رئاسة أول حكومة هندية مستقلة ، ففى البنغال ذبح المسلمون الهندوس ، وفى بيهار ذبح الهندوس المسلمين ، وسار غاندى الشيخ الفانى وهو فى أواخر السبعينات من عمره حافى القدمين من قرية الى قرية يدعو الى وقف المذابح ، حملته قدماه الواهنتان الى البنغال وبيهار وكشمير وكلكتا ودلهى كما لو كان ملكاً عجوزاً فى رحلة توبة يرجو بها استعادة مملكة المحبة الانسانية والسلام الضائعة ، وكان يقول « لم يحدث فى حياتى ان كان طريقى كما هو عليه الآن من الظلام » وأحرز بالفعل نجاحاً ملحوظاً فى أكثر من حالة ، واستطاع وقف المذابح بين المسلمين والهندوس فى كلكتا ، بل ان زعماء عصابات القتل والأرهاب من الطائفتين ، كانوا يركعون أمام سرير صومه تائبين ، ولكن ما رآه وسمعه كان كفيلا بأن يجعله يائساً تماماً من امكان انتصار مبادئه ، بل ان دعوى عدم العنف ذاتها فقدت معناها لديه ، ولذا عندما قامت باكستان بغزو كشمير لم يبد غاندى اعتراضاً على إرسال الجيش الهندى للحرب ضد الباكستانيين ، أخوة الماضى وابناء الهند الأم ، فاذ تلاشى لديه الأمل فى انتصار اللاعنف بدا له أن الذهاب الى القتال أفضل من إظهار الجبن .

ولكن جهوده اليائسة فى التقريب بين المسلمين والهندوس جلبت عليه عداء المتطرفين من الطائفتين ، وأخذ المتعصبون يطلبون حياته نفسها ، هدد المسلمون حياته فى نوخالى ، وهدد الهندوس حياته فى كلكتا وخلال الأيام القليلة التى سبقت وفاته انفجرت قنبلة فى اجتماع كان يحضره للصلاة فى دلهى . ها هو شبح العنف عدوه اللدود القديم يتقدم نحوه لا يقنع باقل من رأسه بعد أن فك عقاله فى هند تحولت الى حلبة للدم وعدم التسامح .

وذات ليلة ، قال غاندى لابنة أخيـــــه مانو بان : اذا مت على سرير مرضى فعليك أن تبلغى العالم اننى كنت مهاتما مزيفاً ، أما إذا انفجرت قنبلة كما حدث فى الأسبوع الماضى ، أو انطلقت رصاصة فتلقيتها فى صدرى العارى ولفظت انفاسى دون نهدة واحدة واسم « راما » على شفتى فقولى عنى اننى كنت مهاتما حقيقياً .

وفى اليوم التالى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ، وفى ساعة الغروب بينما كانت أشعة شمس الشتاء الذهبية الباردة تغشى جو دلهى المائل للزرقة الشفافة بدت فى الصورة بقعة حمراء من الدم القانى اذ أطلق متعصب هندوسى الرصاص على غاندى وهو فى طريقه الى اجتماع للصلاة ، وتلقى غاندى الرصاصة فى صدره العارى ولفظ أنفاسه الأخيرة فى مكانه وهو يتمتم بين شفتيه باسم الاله « راما » .

وانطوت صفحة واحد من أعظم قادة الانسانية فى القرن العشرين ..

محمد العزب موسى

براءة الأطفال



الذكاء

أسئلة حيّرت العلماء

هل الرجل أذكى من المرأة ؟
هل الأبيض أذكى من الأسود ؟

الحقيقة ضائعة بين العلم والتعصّب

بقلم : الدكتور عبد الرحمن العيسوي

تلك السمة الانسانية التى يعزى اليها ما أحرزته البشرية من انتصارات ومنجزات علمية وفنية وفكرية وفلسفية . اذا ارتفع نصيب الانسان منها وصل الى حد العباقرة والعظماءوصناع التاريخ ، واذا انخفض نصيبه منه انحط مستوى سلوكه ليقترب من مستوى السلوك الحيوانى . انه السمة المسئولة عن صنع حضارة الانسان ، ولذلك فكلما ارتفع مستوى هذه الحضارة ، وزاد تعقيدها ، كلما احتاج الفرد لمزيد من الذكاء ليحسن التعامل مع ظروف العصر . ونظراً لاهمية هذه السمة الانسانية ، كانت محط اهتمام العلماء والباحثين والفلاسفة والمفكرين ، فتساءلوا ما هى طبيعة الذكاء ؟ وما هى جذوره التى يرجع اليها؟ وهل يعد سمة أو قدرة بسيطة أم مكتسبة بعبارة أخرى ما هى العوامل التى تؤثر فى نموه. ؟ وهل هو سمة أو قدرة بسيطة أم معقدة ؟ كما تساءلوا عن نوعية العلاقة التى تربطه بغيره من السمات الانسانية الاخرى ، وبعبارة ثالثة هل الذكاء قدرة مستقلة تمام الاستقلال عن غيره من القدرات والسمات ؟ وعلى أى نحو يتوزع الذكاء بين افراد المجتمع. ؟ هل الغالبية اذكياء أم اغبياء ؟ وهل يؤثر نكاء الفرد فى سلوكه ، وعلى أى نحو يتم هذا التاثير. ؟ وهل يختلف الذكاء باختلاف سن الفرد ؟

ومن الأمور التى اثارت الاهتمام حتى الآن مسالة الفروق الجنسية فى الذكاء ، بمعنى أيهما أكثر ذكاء الذكر أم الأنثى . ؟ وكذلك أثير موضوع الفروق السلالية فى الذكاء وأدت إثارة هذا الموضوع إلى نشأة كثير من الجدل نظراً لارتباط هذه المسالة بالتعصب العنصرى ، واتجاه الرجل الأبيض نحو وصف غيره من السلالات كالزنوج مثلا بانخفاض الذكاء ، ليتخذ من ذلك ذريعة لأحكام سيطرته على الزنوج أو الأفارقة . وتساءل الباحثون عن مدى تأثير الذكاء فى التحصيل الاكاديمى ، كما تساءلوا عن السن التى يتوقف عندها نمو الذكاء . انه السمة التى يباهى بها من يمتلك حظاً وافراً منها ، وهى التى تعتمد عليها اعتماداً كبيراً عملية الاستيعاب والتحصيل ، والاستذكار الدراسى ، ولذلك كان الاهتمام بها لا يعرف الفتور واصبح من المستطاع تعريف الذكاء تعريفاً دقيقاً من ناحية وقياسه كمياً محدداً . ومن نتائج تلك المعرفة انه أصبح فى المستطاع التنبؤ بمدى نجاح الطالب فى التحصيل الدراسى المستقبلى على ضوء معرفتنا بحجم مايمتلك من ذكاء .

ومن التعاريف الشائعة عن الذكاء : ان الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء . ويعرف هذا التعريف بانه التعريف الاجرائى للذكاء ، وهو التعريف العلمى القائم على أساس السمات والقدرات التى تبدو واضحة فى سلوك الفرد الذكى . ويختلف مثل هذا التعريف عن التعاريف

الفلسفية أو العامة أو الغامضة أو المبهمة ، كان تقول ان الذكاء هبة أو فطرة . ويقودنا هذا التحليل إلى التساؤل : وما الذى تقيسه اذن مناييس الذكاء ؟ ويبتعد مثل هذا التعريف الاجرائى عن الصعوبات التى تواجه هذا المفهوم من حيث كونه فطرياً أو الى استخدام ذهن الفرد . وتقارن استجابات الفرد على هذه السلسلة باستجابات اشخاص آخرين سبق لهم اداء هذه الأعمال ، وبالتالى نتعرف على مستواه بالنسبة لهؤلاء الذين سبق لهم القيام بنفس الاداء تحت نفس الظروف ، والذين يشترط فيهم ان يكونوا على درجة كبيرة من الشبه معه من حيث اتفاق السن والجنس والمستوى التعليمى والثقافى والطبقة الاجتماعية والسلالة .

هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟

وكثيراً ما تساءل العلماء ، هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟ بعبارة اخرى هل يتحدد كم ما يملك الفرد من ذكاء عن طريق العوامل الوراثية التى تنتقل اليه عن طريق المورثات أو ناقلات الوراثة من الآباء والاجداد ، أم أن التغذية والتربية والمعاملات التى يلقاها الطفل والخبرات التى يمر بها ، والامراض التى تصيبه .. الخ تؤثر فى نمو ذكائه ؟ فاذا كان الوضع الوراثى هو المعبر عن الحقيقة فى هذا المبحث فاننا نقف مكتوفى الايدى امام ما يملك الطفل من ذكاء ولا نستطيع تنميته ، واذا صح الاتجاه البيئوى فان الآفاق تفتح أمامنا لتحسين حال من حرمتهم الطبيعة من وفرة هذه القدرة الثمينة بل اننا نكون أكثر طموحاً ونعمل على زيادة ذكاء مرتفعى الذكاء أيضا تحقيقاً لمزيد من سعادة البشرية وانتصاراتها ومنجزاتها ومخترعاتها . واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نستطيع أن نضمن تحسين ذكاء الاجيال المقبلة بصورة مضطردة جيلا بعد جيل . ويتبع ذلك بالضرورة القضاء على الظروف أو العوامل التى من شانها أن تقلل من ذكاء الأجيال القادمة .

إذا كان الذكاء ناتجاً عن العوامل الوراثية ، فاننا نتوقع ان نجد تشابها فى ذكاء الآباء والأبناء مثلما نجد من تشابه فى عوامل مثل طول القامة ، ولون العينين وشكل الشعر ولونه . فى هذا الصدد وجد كل من كونراد وجون معامل ارتباط قدره ٠٫٤٩ بين نسبة ذكاء الآباء وأبنائهم ، كما وجدا مثل هذا المعامل بين ذكاء الأخوة وراثياً ، أم انه قدرة واحدة أم عدة قدرات متشابكة ، وما هى ما هيته أو كنهه ومادته الأولى ؟

تتضمن اختبارات الذكاء بعض الأسئلة أو المواقف أو الأعمال التى نواجه بها الفرد الأشقاء واذا ما قورن هذا المعامل بمثيله بين مجموعة من الكبار ومجموعة أخرى من الأطفال لا توجد صلة دم بينهم ، وجد أن معامل الارتباط فى هذه الحالة يساوى صفراً معبراً عن عدم وجود علاقة على الاطلاق . وفى دراسة أخرى على التوائم غير الصنوية أى تلك التوائم التى يتكون كل فرد من أفرادها من بويضة مخصبة مستقلة ، وجد أن هناك معامل ارتباط قدره ٠٫٦٣ كما تدلنا على ذلك دراسة كل من نيومان ، فريمان وهولزنجر . ومثل هذا المعامل وجد بين أعضاء الأسرة الواحدة . ويقودنا هذا الى التساؤل لماذا يزيد التشابه بين التوائم عنه بين الأخوة ؟ ربما يرجع ذلك الى تشابه الظروف البيئية التى ينشأ فيها التوائم من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية للاسرة ونتيجة لتشابه المعاملة التى يتلقاها كل فرد من التوائم من قبل الآباء والأخوة والأخوات والاقارب والأصدقاء . ويؤكد هذه الملاحظة ان معامل الارتباط ، المعبر عن حجم التشابه يزداد كلما عاش التوأم مع زميله ، ولذلك اسفرت بعض الدراسات أن معامل الارتباط بين إخوة بلغوا سن العاشرة من العمر كان ٠٫٦٢ بينما كان معامل الارتباط بين ذكاء أخوة فى الرابعة فقط من عمرهم ٠٫٤٠ يرجع ذلك بالطبع الى تشابه الظروف التى يخضع لها الأخوة والى مدى استمرار هذه الظروف . وواضح ان مثل هذه الدراسات تدلنا على وجود تأثير من جانب الوراثة ومن جانب البيئة على نمو الذكاء .

وسيلة تسلية للاطفال



ونطلب منه حلها ، كحل بعض المشكلات الرياضية ، أو ادراك العلاقات ، واستخدام الرموز وفهم المواقف . يواجه الفرد بسلسلة من هذه المواقف المقننة التى يحتاج حلها

الظروف والبيئة

ولكن هناك دراسات أكثر دلالة ووضوحاً فى البرهنة على تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على نمو ذكاء الأطفال . فلقد وجدت علاقة بين وظيفة الأب وبين ذكاء أبنائه . فلقد وجد أن ذكاء ابناء ارباب المهن الراقية كالمهندسين والمدرسين والمحامين أعلى من ذكاء أبناء العمال غير المهرة . وعلى سبيل المثال كان المتوسط الحسابى لنسبة ذكاء مجموعة من أطفال الطبقات المهنية الفنية ١١٧٫٥ بينما كان نظيره لدى أبناء عمال اليومية هو ٩٧٫٦ .

ولكننا هنا أيضاً أمام تداخل العوامل البيئية مع الوراثية ، ذلك لأننا نستطيع ان نقول ان الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ، ومشجعة لابنائهم ، كأن يتوفر للطفل الغذاء الجيد ، والكتاب والمجلة والمذياع ، والتليفزيون ، والأحاديث الراقية ، ونستطيع ان نقول فى نفس الوقت أن ـ الآباء الذين يشغلون مثل هذه الوظائف الراقية ما كان لهم ان يشغلوها لولا تمتعهم أصلا بالذكاء المرتفع ، ومن ثم انتقل الى ابنائهم بحكم الوراثة .

وتمدنا الدراسات التى اجريت على التوائم العينية أو الصنوية وهى تلك التى تتكون من انشطار بويضه واحدة مخصبة فى رحم ، والتى يمتاز توائمها باتحاد العامل الوراثى ـ تمدنا بكثير من المعطيات التى تفيد فى معرض الحديث عن تاثير العوامل البيئية والوراثية . ولما كانت الوراثة واحدة فى هذه الحالات ، فاننا اذا نقلنا أحد التوائم ليعيش فى بيئة مغايرة للبيئة التى يعيش فيها شقيقه ، واذا لاحظنا بعد مرور بعض الوقت ، اختلافاً فى نسبة ذكائهما لكان مرده الوحيد هو التأثير البيئى اما اذا لم نلحظ اختلافاً لكان مؤدى ذلك ان البيئة لا تؤثر فى نمو الذكاء ، وانه يحدد بفعل العوامل الوراثية الصرفة .

ولقد وجد معامل ارتباط قدره ٠٫٨٨ بين نسبة ذكاء التوائم . ولكن هذا المعامل انخفض الى ٠٫٧٧ عندما كانت الحالات منعزلة كانت الحالات منعزلة بعضها عن البعض . ومعنى ذلك أنه كلما زاد تشابه

الذكاء

الوراثة والبيئة زاد معامل الارتباط أى زاد تشابه الذكاء . والفرق الملاحظ بين معاملى الارتباط ٨٨ر٠ ، ٧٧ر٠ انما يرجع الى الظروف البيئة .

وتعطى الدراسات التى اجريت على اطفال التبنى ومقارنة مقدار التشابه بين نكائهم وذكاء آبائهم الطبيعيين ثم ذكاء آبائهم فى التبنى توضح أن العامل الوراثى قوى فى تحديد الذكاء ، ولكن أطفال التبنى الذين يتربون فى أسرة واحدة تكون النتيجة تشابه ذكائهم .

للمزيد من تنمية الذكاء

ومؤدى هذه الدراسات أن هناك تأثيراً ما للعوامل البيئية على نمو الذكاء . وهنا نتساءل : ما هى تلك العوامل بغية العمل على توفير المزيد منها لأبناء أمتنا العربية ؟ لقد وجد أن الطفل الذى يذهب الى احدى دور الحضانة يمتلك ذكاء أعلى من زميله الذى لا يذهب اليها ، على اعتبار أن دار الحضانة تمثل بيئة أكثر غنى من الناحية التعليمية عن البيئة المنزلية الصرفة للطفل . ولكن هذه النتيجة ليست على اطلاقها فقد ينحدر هؤلاء الأطفال الذين يذهبون الى دور الحضانة من آباء أكثر ذكاء أصلا ، وأكثر تمتعاً بالمراكز الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة الذى يتحدد أصلا بفعل عوامل وراثية . إننا نحتاج الى معرفة كم ذكاء هؤلاء الأطفال أنفسهم قبل الالتحاق بالحضانة ثم نقيسه بعد الالتحاق ، فان زاد كانت الزيادة نتيجة لتأثير دار الحضانة .

قد لا يهتم الآباء الأقل ذكاء بايفاد أبنائهم الى دور الحضانة . لقد دلت احدى الدراسات التى تتبعت الأطفال قبل وبعد الالتحاق بدور الحضانة ووجدت ان هناك زيادة سنوية فى متوسط نسبة الذكاء قدرها ٦ر٦ . ولكن تفسير هذه الزيادة قد يرجع الى تأثير الحضانة فى نمو الذكاء فعلا وقد يرجع فقط الى تدريب الطفل على اتقان الاجابة على الأسئلة وفهمها وفهم التدريب على مواقف الاختبارات .



ابتسامة عذبة

وهناك دراسات أخرى أوضحت أن البيئة المثبطة عقلياً للطفل تؤدى الى انخفاض – نسبة ذكائه . فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعى بالأم الطبيعية أو الأم البديلة يخفض معدلات الذكاء . ومن الآثار الايجابية على نمو ذكاء الطفل مقدار الساعات التى يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائى أمام الطفل ، وكذلك وفرة عدد من زملاء اللعب فى المنزل ، وعدد الساعات التى يقضيها الأب فى القراءة مع ابنه .

وفى ضوء هذا الاستعراض نقول ان العوامل الوراثية تضع الاطار العام أو الحدود العامة التى ينمو خلالها الذكاء ، ولا يمكن تخطى هذه الحدود ، ولكن هذا لا يمنع من أن العوامل البيئية تؤثر ولو تأثيراً محدوداً على نمو الذكاء . وتؤثر بالقطع فى كيفية استخدام الذكاء وتحدد الوجهة التى يتخذها ذكاء الفرد ، فاما أن يتجه نحو الخلق والابداع والابتكار فى العلم والفن والتحصيل والأعمال الايجابية النافعة ، وإما أن يتجه نحو السرقة والجريمة والانحراف وخاصة تلك الجرائم التى تحتاج الى قدر كبير من الذكاء كالاختلاس والتزوير والتزييف والنصب والاحتيال . ومعنى ذلك ان الوراثة تعطى البذور الخام ، والتربة الصالحة هى التى تحدد إما أن ينمو الذكاء ويزدهر أو يطمس ويندثر ، اما ان يرتقى بصاحبه الى مراتب الخير ، واما ان يتجه الى الشر والجريمة .

ومعنى ذلك ان الانسان ، بحق ، هو ابن البيئة والوراثة معاً ، ونتيجة محصلة للتفاعل بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية . ذلك لأن البيئة تؤثر فى الوراثة وتتأثر بها . ولكننا مهما كان أثر العوامل البيئية صغيراً فاننا لابد وان نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره ، لأنه العامل الوحيد الذى نستطيع أن نعدله ونطوره أما الوراثة فان تغييرها أمر صعب نسبياً وان كان هناك الآن علم تحسين الوراثة .

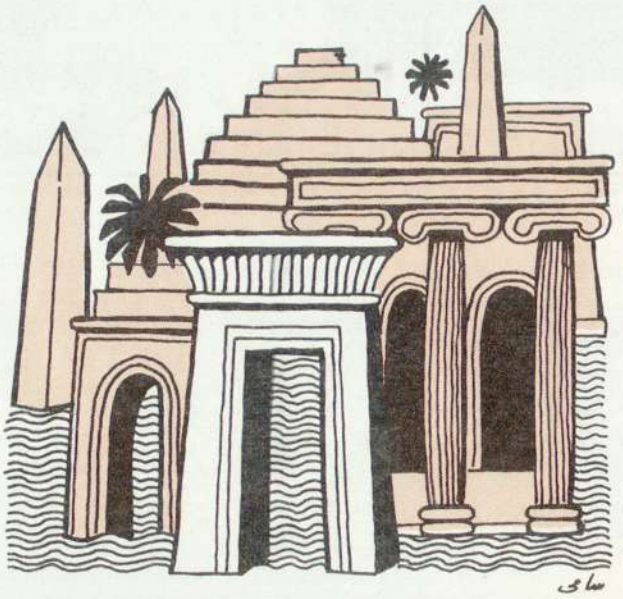
ترى كم نحن فى حاجة إلى رعاية أطفال امتنا العربية واحاطة ذكائهم بالعناية والرعاية وحسن التوجيه وتوفير الأغذية والتحصينات الطبية والكتب والمجلات والمدارس والرحلات وغير ذلك من الأمور التى تنمي ذكاؤهم وتوسع آفاقهم ؟ .

د . عبد الرحمن العيسوى
أستاذ علم النفس بجامعة الاسكندرية

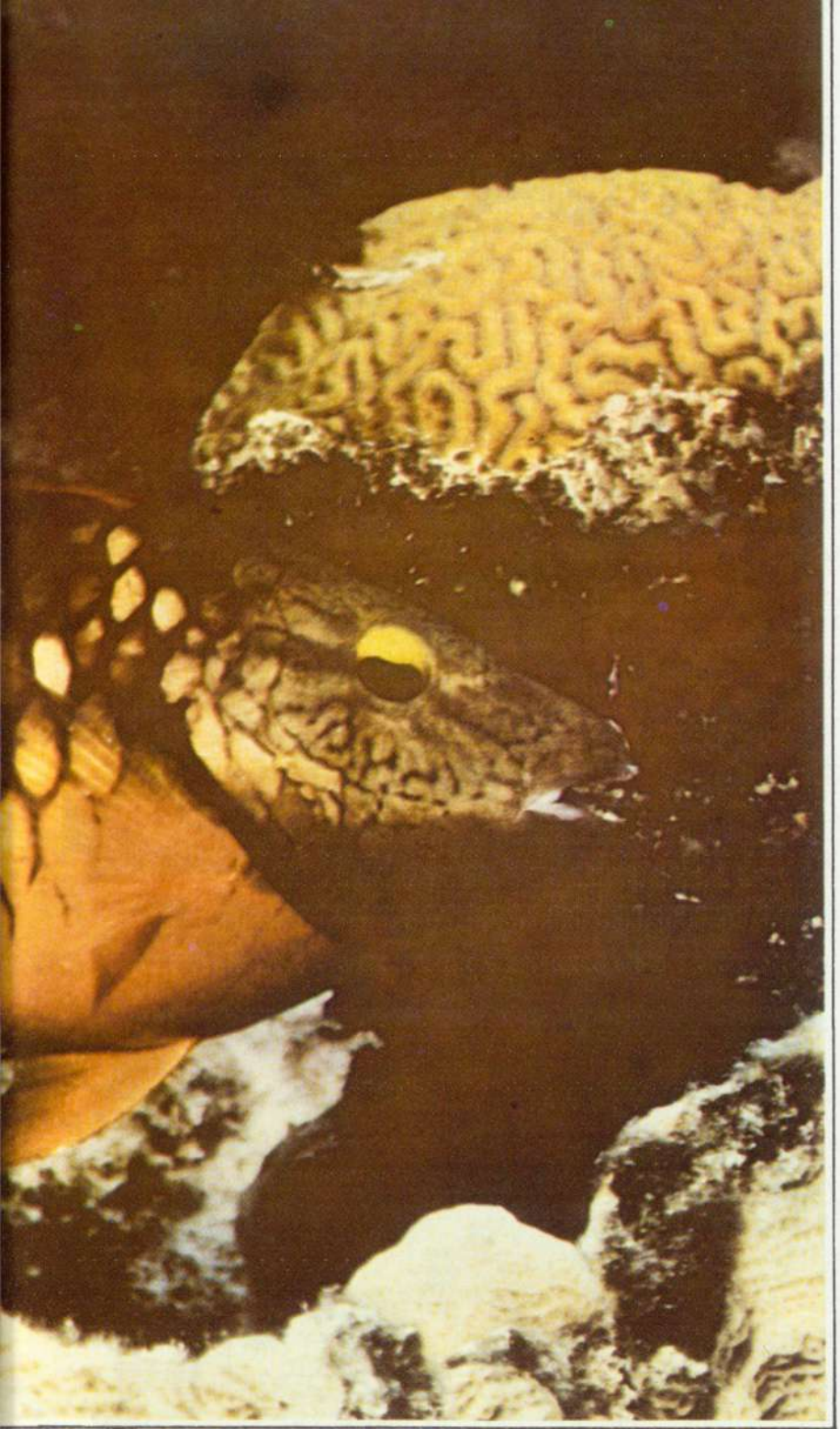
البلبل ولغته القديمة

شعر: د. كمال نشأت





يجيء عبر هذه الآفاقْ
وعُشه جناحُهُ
وقوته الأشواقْ
صوت : يابلبلى الجوَّال هل سعدت بالتجوالْ ؟
فكم حنَنْتَ لهفةً لعشكَ المحَالْ
صوت : نسمع صوتَ الريحْ
تُعْوِلُ فى التلالْ
والبلبلُ الجريحْ
جناحُه تَرْحَالْ
صوت : كلهفةِ اليمامِ فى تشرينْ
يابلبلى المسكينْ
كم ليلة قضيتْ
تلتقطُ النجومَ بالمنقارْ
فيطلع النهارْ
ويضحكُ النسرينْ
غنَّيتَ فوق نينوى .. وبابلٍ .. وطيبَهْ
وطِرْتَ فوق هذه المدائنِ العجيبَهْ
وعدتَ بالسؤالْ
محترقَ الأجابهْ
وكلُّ ما يقالْ
تأكلُهُ الغَرَابَهْ
صوت : الريحُ فى مدارها تخفتُ .. بل تنامْ
وانت يا مجرَّحَ الاحساسِ لا تنامْ
فكن لنا السلامْ
وكن .. لك السلامْ
البلبل : حاولتُ أن أكونْ
واحسرتا .. أكونْ
نسيت كلَّ قدرتى
ولغتي القديمَهْ
وكلما حاولتْ
يقتلُنِى الغناءْ
فأرتمى مكبَّلَ اليدينْ
وتنزف الدماءْ
كأننى الحسيْنْ
صوت : جَبَانَةٌ أوهامُكَ المطروحهْ
فكن كما خُلِقْتْ
النارَ والهشيمَ والمقدرةَ الطموحَهْ
وعُدْ الى لغاتِكَ القديمَهْ
فصمتُكَ الخَزْيَانْ
جريمةٌ الجريمهْ



الحياة والموت في بحر ملوّن

الحلقة السادسة والأخيرة

سجينة المرجان

في انتظار الزيارة القادمة

بقلم: صنع الله إبراهيم

سجينة المرجان التى تنطلق من جلود لوامسها صواريخ فتاكة تلتف حول احدى الكائنات الدقيقة .

كان ثمة شيء غريب فى أمر الكتلة المستديرة فى حجم ثمرة بطيخ صغيرة الحجم ، التى استقرت بين صخور الشعاب تحيط بها المياه من أغلب الجوانب .

فعلى سطحها انتشرت شبكة من الأخاديد المتعرجة كالمتاهات ، أو التلافيف التى يتشكل منها المخ الحيوانى ، استقرت داخلها سلسلة متصلة الحلقات من البوليبات المرجانية الصغيرة .

وبعكس أغلب البوليبات المرجانية التى تفرز جيراً صخرياً يتشكل على هيئة كؤوس مستقلة تعيش داخلها ، اتصلت البوليبات المخية ببعضها البعض فى كيان واحد مترابط ، يكسوه النسيج الرقيق الملون للحيوان المرجانى .

ومن كل بوليب برزت ، لوامس مغطاة بخلايا لاسعة لا ترى ، تموجت فى مياه البحر فى حركة لاهية تخفى شهوة لا ترتوى للافتراس .

فبين الحين والآخر ، تنطلق من جلود اللوامس تلك الصواريخ الفتاكة المعهودة ، لتلتف حول احدى الكائنات الدقيقة العائمة ، أو تخترق أجسادها فتخدرها ، ثم تجذبها الى الأفواه الدقيقة التى اصطفت على مسافات متباعدة فى قيعان الأخاديد ، وقد انفرجت لتبتلع ما يقدم اليها فى شراهة .

لكن هذه اللوامس لم تحرك ساكناً عندما حملت اليها المياه أنثى صغيرة للغاية من اناث الحيوان القشرى المشهور باسم السرطان .



لقطتان .. الأولى لقطة مكبرة لجانب من سطح كتلة المرجان المخى ، تبدو فيها البوليبات وقد اندمجت فى تكوين على نسق شبكى .. واللقطة الثانية لنوع اخر غريب من سراطين البحر الأحمر ، لا تكاد تفرق بينه وبين كتل الطحالب



سجينة المرجان

وكأنما كانت السرطانة الصغيرة على ثقة من مسلك سكان الكتلة المرجانية ، فقد تقدمت فى جرأة من سطحها ، ومضت تنتقل بين البوليبات ، وتعبر الأخاديد ، دون أن تعبأ بما تحمله اللوامس من صواريخ على أهبة الاطلاق .

والواقع أنها لم تخطىء التقدير ، فقد امتنعت الخلايا اللاسعة للمستعمرة كلها عن اطلاق قذائفها الفتاكة .

عثرت السرطانة على بقعة خالية من اللحم المرجانى الحى ، فدقت الجدار الصخرى بكلابيها القويين . وتساقطت على الفور بضع ذرات من الحجر الجيرى فى الماء ولم ينطلق صاروخ واحد .

واصلت السرطانة العمل فانتزعت الذرات المجاورة فى خط دائرى ، صانعة حفرة دقيقة للغاية اتسع محيطها باطراد حتى أصبح مساوياً لمحيط جسدها . عندئذ تحولت الى مركز الحفرة وجعلت تحفر الى الداخل .

شعرت بالتعب بعد قليل فكفت عن العمل وابتعدت عن الحفرة التى لم تتعد ـ حتى الآن ـ كشطاً بسيطاً فى سطح الجدار . دارت حول الحفرة عدة مرات تدرسها بدقة وهى تزيل ما يعترضها من ذرات ناتئة غفلت عنها أثناء الحفر ، ثم عادت اليها فجمعت جسدها كله داخل اطارها ، والتصقت بالقاع فى شدة ، منكمشة على نفسها .

وأصبحت بذلك ، لأول مرة ، فى مأمن ـ الى درجة ليست بعد بالكافية ـ من عشرات الأخطار التى تهدد جنسها ونوعها .

عضها الجوع بعد فترة من الوقت ، فتحركت كارهة وهامت على وجهها فوق سطح المستعمرة والتكوينات الصخرية المجاورة ، تلتقط ما يعترضها من كائنات أصغر منها ، من ديدان ويرقات وبيض أسماك وقواقع وصغار جمبريات وبراغيث بحرية وطحالب . وعندما ملأت بطنها ، عادت الى حفرتها ، فاستأنفت العمل .

كل هذا دون أن تطلق اللوامس صاروخا واحداً من صواريخها على المتطفلة الجريئة

الحياة المشتركة

مرت الأيام والسرطانة تعمل فى حماس ، تدق الجدار وتنتزع صخوره الدقيقة ، فتلقى بها إلى الماء ، وتدق الجدار من جديد ، متقدمة بدأب من أعماق الكتلة .

وأمكنها أخيراً أن تختفى تماماً ، داخل الحفرة ، عن أعدائها الكثيرين الذين يجوبون الماء ليلا ونهاراً ، فتنفست الصعداء لأول مرة فى حياتها .

لكنها لم تكف عن العمل ، وواصلت الحفر بحماس متزايد ، كأنها فى عجلة من أمرها .

وخلال ذلك بقت البوليبات على تجاهلها للسرطانة المتطفلة ، وحرصت فى الوقت نفسه على أن تجنبها نيران أسلحتها الفتاكة التى كانت تنطلق أغلب الوقت فى كل اتجاه .

وبدا كان المستعمرة الصغيرة على استعداد لقبول الحياة المشتركة مع السرطانة المتطفلة ، التى أوحت كل تصرفاتها بأنها تستعد لاقامة طويلة الأمد .

والواقع ان البحر يعرف نماذج عديدة من الحياة المشتركة بين كائنات مختلفة من أنواع متباينة ، لا يربط بينها شىء فى الظاهر ، بينما هى تتبادل أكثر المصالح حيوية . فالبعض يهيىء المأوى ويقدم الثاني الغذاء أو الحماية ، كما هو الأمر بين الشقائق البحرية وسمكة المهرج ، وبين المرجان اللين والطحالب السمراء ، أو يتولى الأول التنظيف ويقدم الثاني الطعام كما يحدث بين أسماك القرش ومرافقيها ، ويتجنب كل من الطرفين الحاق الأذى بالطرف الآخر .

بل إن مجموعة كاملة من الحيوانات المختلفة كانت تشترك فى جحر صغير على مقربة ، الى جوار دغل من مرجان داكن الحمرة ، ذى فروع كبيرة لاسعة ، يعرف بين سكان الشواطىء العربية بالمرجان الأسود ، بسبب اللون الذى يتبدى عليه عندما ينتزع من الماء .

فعلى باب الجحر ، اعتمدت سمكة مستطيلة من نوع الجوبى ، لا يتجاوز سمكها أصبع انسان ، على الصخر ، وقد أرهفت حواسها لكل ما يجرى حولها . ومن فتحته برزت لوامس نوع من الجمبرى يسمى بالمطقطق بسبب الأصوات التى يحدثها ، عكف على توسيع الجحر وتطهيره أولا بأول من الرمال التى تحملها إليه المياه .

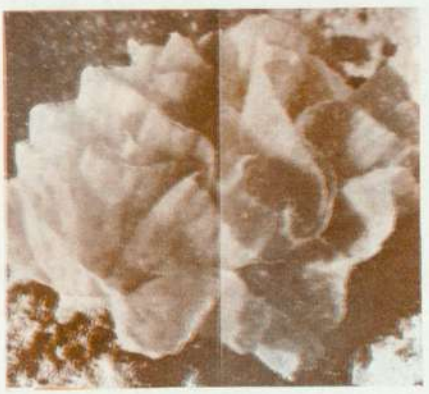
وسرعان ما يظهر الجمبرى نفسه ، الذى يربو طوله على خمسة سنتيمترات ، دافعاً أمامه كوماً من الرمال ، فيتطلع حوله بعينيه الضعيفتين ، فاذا ما رأى الجوبى اطمأن وألقى بالكوم فى الماء ثم ضم فكى احدى كلابيه محدثاً فرقعة مدوية ، كأنما ينذر من تسول له نفسه الاقتراب ، ويعود ادراجه داخل الجحر .

أما اذا لم تكن الجوبى فى موقعها الثابت أمام الجحر ، أوحى ذلك بالخطر ، فيتراجع الجمبرى على الفور ، بينما تكون الجوبى قابعة فى مخبأ قريب حتى ينجلى الأمر .

وبالاضافة الى أن الجمبرى يضم الجحر زوجاً من نوع آخر من الجوبى ، أكثر طولا ونحافة وشفافية من السمكة الأولى ، لا يظهر خارجه الا لماماً .

كما يعيش به سرطان ، وعدة ديدان من عائلتين مختلفتين .

ويمكن تصور مجموعة المنافع المتبادلة التى تربط بين أفراد هذه المجموعة من السكان المشتركين فى المأوى . فالسرطان يحفر والجمبرى ينقل نتائج الحفر الى الخارج ، والجوبى تتولى الحراسة ، والدود ينظف ، وهناك من يجلب الطعام ، الخ .



ما يبدو لك مثل الوردة ليس إلا شريطاً ملفوفاً يضم عدة آلاف من بيض إحدى القواقع المعروفة بالحلازين البحرية .

الرابطة القوية

لكن الأمر ليس دائماً بهذه البساطة .

فكثيراً ما تكون العلاقات المشتركة على درجة من التعقيد ، لا تكشف عن طبيعة المصالح المتبادلة التى تبررها .

مثلما هو الشأن بين بوليبات المرجان المخى والسرطانة الصغيرة المتطفلة .

فمن الجلى أن الأولى تقدم للثانية مأوى آمناً تحرسه ترسانة من السهام المسممة . فماذا تقدم السرطانة مقابل ذلك ؟ وما الذى تستفيده البوليبات ويجعلها تغض الطرف عن تحركات السرطانة وعدوانها على جدران المستعمرة ؟



لقطة مكبرة لرأس السرطان الناسك ، التى يمتد منها قضيبان بارزان يحملان العينين فى نهايتهما،وكأنهما كرتان زجاجيتان.

إنها بالطبع لا تقدم الغذاء اليومى التى تجمعه البوليبات بسهولة من المياه المحيطة بها ، دون أن تغادر أماكنها .

وهى لا تقدم لها خدمات أخرى ظاهرة مثل التنظيف أو الحراسة . ويوحى مسلكها كله بأنها لا تكاد تشعر بوجود البوليبات ، ولا تعبأ بها .

فهى تقضى وقتها فى الحفر داخل الكتلة المرجانية ، ثم تغادر الجحر لتتغذى أو تتريض ، فاذا ما شعرت بالخطر عادت اليه مسرعة .

وفيما عدا حرص البوليبات على ألا تتعرض السرطانة لسهام لوامسها ، تبدو غارقة فى تيار حياتها الخاصة ، كأنما تشارك الحيوان القشرى الصغير مشاعر التجاهل واللامبالاة .

فبالنهار تطوى لوامسها ، وتنكمش وتنقبض . وبالليل تتمدد وتنبسط ، وتنشر لوامسها فى الماء ، لتكبل وتلسع وتصيد . وعندئذ تنفرج الأفواه لتبتلع الفرائس ، ثم تتقلص الأجساد أو البطون لتهضم ، وتتقلص مرة ثانية لتضغط الطعام المهضوم إلى أسفل ، كى ينساب الى بقية البوليبات عبر القناة الهضمية المشتركة . وتتقلص مرة ثالثة لتضغط المخلفات الى أعلى ، لتخرج من نفس الأماكن التى جاءت منها ، أى من أفواه البوليبات .

وهى نشاطات لا تمس السرطانة من قريب أو بعيد .

على أن رابطة قوية للغاية وصلت بين الأثنين فى علاقة متينة سداها وحدة المأوى ولحمتها وحدة الهدف .

فالكتلة الصخرية التى تحتمى السرطانة باعماقها ، تقوم أيضا بمثابة الدرع للبوليبات الصغيرة الرقيقة . وكلما ازدادت جدران الأخاديد ارتفاعاً ، وتضاعف حجم الكتلة نفسها وثقلها ، أمكن للبوليبات أن تتقى فعل الأمواج والعواصف والحيوانات الحافرة كالاصداف ، أو تلك التى تسعى خلف النسيج الرقيق الملون ، المغلف للمستعمرة ، مثل بعض الأسماك والنجوم البحرية .

من أجل هذا تحول خلايا البوليبات أملاح الكالسيوم التى تمتصها من الماء إلى مادة جيرية ، تفرزها الجلود الخارجية لأجسامها فتتراكم فى قيعان الأخاديد ، مضيفة طبقات جديدة الى الكتلة الصخرية للمستعمرة .

ويظهر أثر هذه الاضافة على جدران الغرفة السرطانية والممر المؤدى اليها ، فتدافع الساكنة الصغيرة عن المساحة التى تسمح لها بالحركة ، وتنتزع من الجدار طبقة رقيقة بدلا من التى أضيفت إليه .

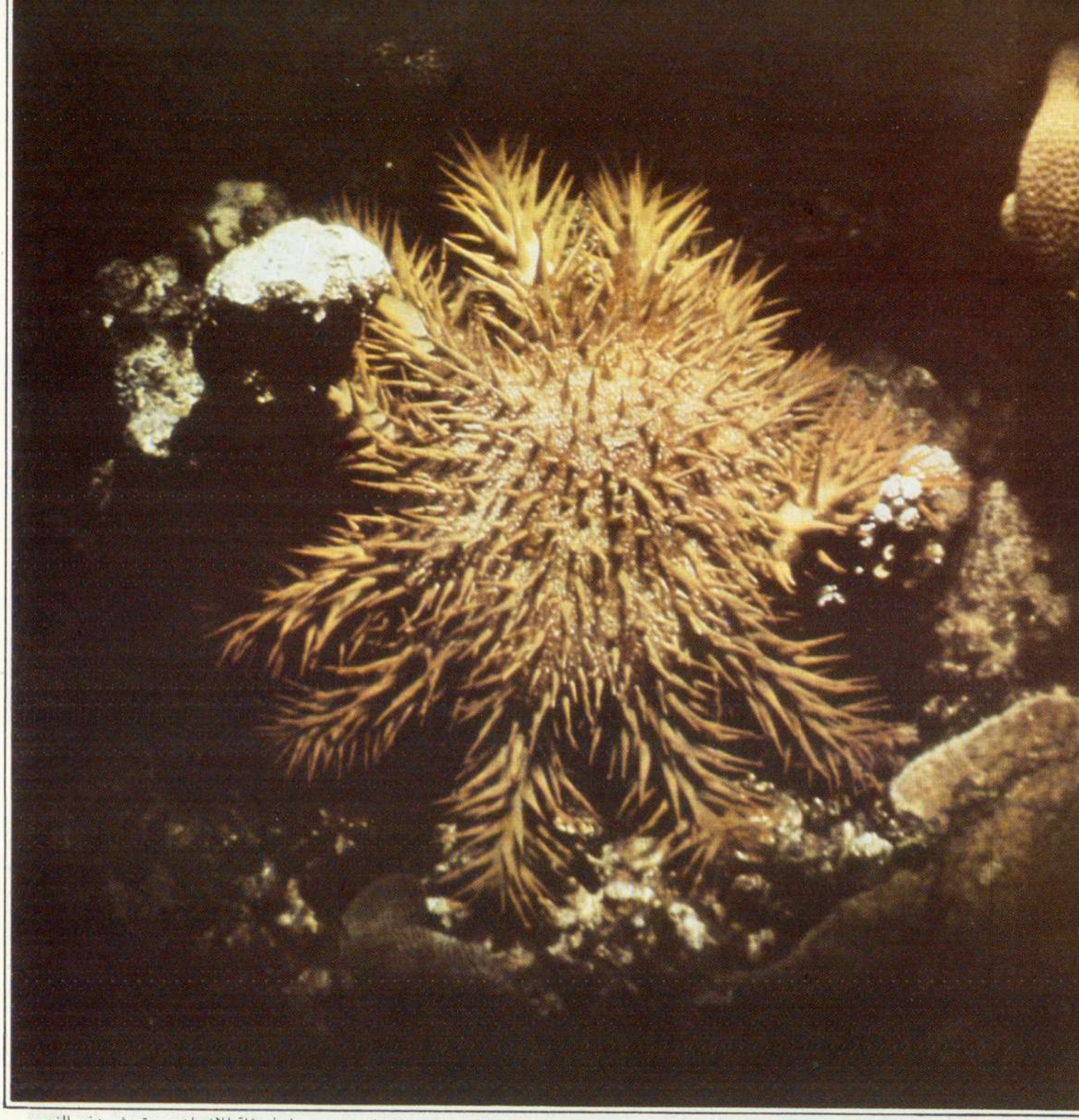
وفى أثناء ذلك لا يتوقف جسد السرطانة عن النمو . فاذا ما شعرت بضيق الجدران انتزعت طبقة أخرى منها .

وهذا ما يفسر استمرارها فى دق الجدران ونبشها بعد أن اكتمل حفر الجحر .

وتشعر البوليبات بهذا الدق والنبش ، كما يشعر الانسان بأى طرق على جدران مسكنه من الجيران .

والانسان ينفعل بصورة خاصة اذا ما وقع الطرق أثناء الليل أو وقت القيلولة ، بسبب ما يتعرض له من ازعاج . ويؤدى هذا الانفعال إلى افراز اضافى من مادة الادرينالين فى جسمه .

ويحدث شىء مشابه للبوليبات عندما تدق السرطانة الجدران وتنبشها . فهى تنفعل بشدة ، اما نتيجة الشعور بالخطر ، أو لأن نشاط السرطانة يحدث تأثيراً مهيجاً على الأغشية الخارجية لاجساد البوليبات وأيا كان السبب ، فان نشاط السرطانة



احد أنواع نجوم البحر التى تعرف باسم « تاج الشوك » بسبب أشواكها الحادة التى يمكن أن تحدث جراحا مؤلمة للإنسان .. وتعيش هذه النجوم على البوليبات المرجانية

سجينة المرجان

يؤدى الى مضاعفة الافرازات الجيرية لجلود البوليبات المرجانية ، فترتفع جدران الأخاديد بسرعة ، ويزداد حجم الكتلة الصخرية للمستعمرة .

وليس من الصعب ان نتتبع تاريخ العلاقة بين النوعين الذى يمتد عبر ملايين السنين .

ولابد لذلك من أن نفترض يوما فى قديم الزمان ، هبت فيه عاصفة على البحر ، وحملت الأمواج الثائرة سرطانة من النوع الذى يمتهن الحفر فى الصخور إلى سطح مستعمرة من المرجان المخى .

وعلينا أيضا ان نفترض ان ذلك تم بالنهار ، عندما تنكمش البوليبات وتطوى لوامسها . كما أن العاصفة ضاعفت من انكماش البوليبات وجعلتها تعزف عن مهاجمة الزائرة الغريبة وافتراسها .

هكذا وجدت السرطانة الفرصة لأن تمارس نشاطها الغريزى فى الحفر . وعندما انجابت العاصفة وحل الظلام كانت قد

إلى أعلى : نوع من خيار البحر يصل طوله إلى ربع المتر ، وتستخدم لوامسه الطويلة فى إمساك الكائنات التى يعيش عليها الحيوان .. وإلى أسفل : سرطان حمل على ظهره شقيقين بحريين ليحتمي بخلاياهما اللاسعة ، أما هما فيتغذيان على ما يجمعه السرطان من كائنات دقيقة

سجينة المرجان

تمكنت من اعداد حفرة سطحية ، فاصبحت بمنجاة من سهام البوليبات .

وسرعان ما اكتشفت البوليبات انها تستريح للأثر الذى يحدثه وجود السرطانة ونبشها فى الجدران ، كما تبينت الأخيرة ما يتحقق لها من أمان فى ظل الصواريخ البوليبية .

ولاشك ان هذه التجربة تكررت بعد ذلك بين الأفراد المختلفة للحيوانين ، وفى ظروف متباينة .

الا أن الامر تطلب عدة آلاف من السنين ، وأعداداً هائلة من ضحايا السراطين الحافرة قبل ان تتحول هذه الاكتشافات الى شىء كالغريزة ، تتوارثه الاجيال المتعاقبة للحيوانين ، يدفع السرطانة الحافرة الى الالتجاء فى اطمئنان الى مستعمرات المرجان المخى ، ويجعل البوليبات تتقبلها فى ترحاب .

وخلال ذلك تبينت البوليبات العلاقة الوثيقة بين الدغدغة اللطيفة التى تقدمها اليها السرطانة ، وزيادة افرازاتها من الجير كما اكتشفت السرطانة الدور الحاسم الذى يمكن أن تلعبه المستعمرة فى تحقيق أسمى أهداف حياتها ، ألا وهو المحافظة على النوع .

استمرار النوع

ومن الواضح أن هدف المحافظة على النوع لم يغب عن سرطانتنا منذ اللحظة التى أستقرت فيها على سطح المستعمرة المرجانية .

وأية ذلك أنها كانت تعمل أغلب الوقت فى توسيع الجحر وتسوية جدرانه ، وتحرص على أن تبقى فتحته على شكلها الدائرى ، فتزيل بكلابيها ما يتراكم حولها من شوائب أو ذرات جيرية ، دون أن تحفل بتوسيع الفتحة ذاتها لتتناسب مع نمو جسدها .

وبمرور الايام اصبحت تمر من الفتحة ـ فى دخولها وخروجها ـ بصعوبة متزايدة . لكنها لم تفكر أبداً فى ازالة بعض من جدارها .

وذات يوم عادت من احدى جولات التغذية ببطن ممتلئة ، فعجزت عن دخول الجحر ، ولم تتمكن من اقتحام فتحته الا بعد جهد جهيد .

وعندما أرادت الخروج فى الصباح التالى لم تتمكن .

لم يبد عليها أنها انزعجت لهذا التطور الذى جعل منها سجينة الى الأبد ، فقد كرت عائدة إلى أعماق الجحر حيث استقرت فى هدوء .

والواقع أن الانزعاج لم يكن له مبرر ، طالما أنها كانت تسعى ـ منذ البداية ـ لهذه الغاية .

ففى هذه اللحظة أصبحت لأول مرة ـ انثى كاملة النمو ، قادرة على القيام بالدور الغريزى الذى يتوقف عليه استمرار النوع .

الأشياء تتغير

تغيرت أشياء كثيرة فى حياة السرطانة السجينة .

وأول هذه الأشياء يتصل بطعامها . فلم يعد بوسعها ان تخرج للبحث عنه . وأصبح عليها ان تكتفى بما تحمله تيارات الماء إلى داخل الجحر من كائنات دقيقة فضلا عن الأكسجين المذاب ، وهى نفس التيارات التى تأخذ معها ما يتخلف عن السجينة من نتائج لعملية الهضم .

وتغير أيضاً شكل جسدها ، فقد تركز نموه على منطقة البطن (كى تتسع لعدة آلاف من البيض) ، وأخذت سيقانها تذوى ، بعد ان فقدت وظيفتها .

وسرعان ما ضاقت عليها القشرة الخارجية التى تكسو جسدها ، والمكونة من مادة تشبه مادة أظافر الانسان . وأثار ذلك ضيقها ، كما أدى الى توترها . وبدأت حرارة جسدها ترتفع ، فسرى الجفاف إلى القشرة حتى أوشكت أن تنفصل عن جسدها . وبدت ذات صباح وكأن الجنون قد أصابها .

فقد جعلت تهز أرجلها بعنف ، وتحك كل واحدة منها بالأخرى ، ثم تحرك بطنها فى حركات فجائية ، وتثنى جسدها عند منطقة اتصال البطن بالصدر والرأس .

وأدت هذه الحركات إلى حدوث شق عرضى بالقشرة فى المكان الذى يفصل البطن عن الجزء الأمامى من الجسم المكون من صدر ورأس مندمجين . ومن الشق الناشىء خرجت السرطانة من القشرة ، كما تخرج يد بشرية من قفاز متيبس .

تكومت القشرة المخلوعة إلى جوار أرجلها التى لم تتحرر بعد من لباسها وحركت السرطانة بطنها من جديد فظهر شق متسع على قشرة كل ساق .

اقبلت تحرر سيقانها ، واحدة بعد الأخرى . وبينما هى تجذب الساق الثالثة ، فوجئت بها تنكسر ، وتتدلى من جسدها .

كفت عن الحركة ، وجعلت تتأمل الساق المكسورة وتتحسسها ببقية سيقانها . وحزمت أمرها أخيراً ، فضغطت عضلة خاصة قرب اتصال البطن بالساق ، وأدى الضغط الى ثنى الساق بقوة وقصفها . وبحركة خفيفة من جسدها أمكنها أن تفصل الساق نهائياً ، فألقت بها فى الماء .

ظهرت نقطة من الدماء فى موضع البتر ، لكن السرطانة لم تعبأ بالأمر . فلا تلبث الدماء ان تتخثر وتجف ، ثم ينغلق مكان الجرح بغشاء محكم ، وتنمو ساق جديدة .

وجهت السرطانة اهتمامها إلى استكمال نزع القشرة من بقية السيقان . وانتهت من ذلك بعد قليل ، فوقفت عارية تماماً ، بينما جرفت المياه القشرة المخلوعة إلى الخارج .

وكأنما تمثل هذه القشرة اشارة متفقاً عليها فى عالم السراطين ، فسرعان ما تجمعت فى المياه ، وفوق الصخور ، المحيطة بالكتلة المرجانية ، اعداد متزايدة من ذكور السراطين التى تنتمى لنفس النوع الحافر ، وان كانت أصغر فى الحجم بكثير من الأنثى السجينة .

اقتربت الذكور فى حذر من الكتلة المرجانية ، وعندما لم تتعرض لأذى من البوليبات النشطة ، تشجعت واتجهت صوب الجحر .

كانت أحجامها الصغيرة تسمح لها بالمرور فى سهولة من فتحة الجحر . لكنها ظلت تحوم حولها دون أن يفكر أحد فى اقتحامها ، كأنما تنتظر اشارة أخرى .

وفى الداخل ، كانت الأنثى ذات البطن المنتفخة بالبيض تقبع عارية فى انتظار نمو القشرة الجديدة .

ولاشك أنها شعرت بوجود الذكور فى الخارج ، وان ذلك أثار انفعالها ، وأدى إلى زيادة افراز الهرمونات المسئولة عن النمو ، وبالتالى ترسيب كميات أكبر من الاملاح الجيرية تساعد على تصلب القشرة المغلفة لجسدها .

وظهرت القشرة الجديدة بعد يومين وقد ازدانت بزركشة خاصة براقة ، اشارة الى أن صاحبتها قد نضجت وتأهبت للتزاوج .

وهى الاشارة التى تلقتها الذكور المنتظرة فى الخارج بطريقة ما ، فتدافعت جميعاً على

باب الجحر ، وكل منها يحاول ان يسبق الآخر .

ولم يكن ثمة مفر من أن تقوم بينها معركة عنيفة بالكلابات ، استمرت عدة ساعات وانتهت بانتصار واحد منها .

واقتحم المنتصر فتحة الجحر فى زهو ، وتقدم بسرعة الى حيث وقفت السرطانة تنتظر .. وتم اللقاء ..

ولم يلبث البيض الملقح فى جسد الأنثى أن انزلق خارجه ، وانحدر على أرجلها المتصلة بالبيض .

الحاجة للطعام

فى هذه الأثناء ، كانت حمى المحافظة على النوع قد أصابت البوليبات المرجانية بالمثل ، فانقسمت الخلايا التناسلية الأولى للبوليبات الذكرية انقسامات عديدة متتابعة تمخضت عن حويصلات تحوى الغدد المنوية .

وتوالت الانقسامات داخل كل حويصلة ، فكبر حجمها وبرزت من الجدار الداخلى للبوليب وتدلت فى التجويف الهضمى أو المعدة ، ثم سقطت داخله . وظلت الحويصلات طافية داخل البوليبات إلى أن تم نضوجها فانفجرت مطلقة الحيوانات المنوية ، التى تدافعت نحو فم البوليب ومنه إلى الخارج .

وحدث نفس الشىء فى البوليبات . الا أن البويضات امتصت ، أثناء تكونها فى الجدار كميات كبيرة من الغذاء من الخلايا المحيطة بهـــا ، فكبر حجمهـــا كثيراً . وعنـــدما سقطت فى بطن البوليب ، تجلت داخل كل منها نواة كبيرة يربو قطرها على نصف ملليمتر .

وطفت البويضات المحملة بالملح فى التجويف البطنى ، صاعدة إلى أعلى ، حيث يوجد فم البوليب . لكن فتحة الفم كانت أضيق من أن تتسع لأجسامها الكبيرة ، فسقطت فى القاع .

وتكرر صعود البويضات وهبوطها ، مما أدى إلى استطالة أجسادها ، فاتسعت لها فتحة الفم الدقيقة .

خرجت البويضات من فم البوليب فرادى تفصل بين الواحدة والأخرى عدة دقائق ، وتلقفتها اللوامس على الفور ، فاحتوت كل واحدة لمدة دقيقة أو أكثر ، ضغطت عليها خلالها ضغطاً خفيفاً ، ثم أخلت سبيلها فى الماء ، وقد استعادت شكلها الكروى الذى سيمكنها من استقبال الحيوانات المنوية الذكرية .

لكن مصير البويضات يتحدد فى الواقع طبقاً للقوانين السائدة فى عالم البحر . فالى جانب دورها الرئيسى فى الابقاء على النوع فانها تقوم بدور آخر لا يقل أهمية ، اذ تتصدر قائمة الطعام التى تعيش عليها كائنات عديدة مثل السراطين .

وفى هذه اللحظة بالذات ، كانت سجينة المرجان فى أشد الحاجة إلى هذا اللون من الطعام .

فككل الحوامل من جميع الكائنات ، تفتحت شهيتها للطعام بعد اتمام التلقيح والاخصاب ، ولم تعد الموارد العادية التى تحملها إليها المياه تكفى لتغذيتها وتغذية البيض النامى على ارجلها .

وحملت اليها المياه ـ فى الوقت المناسب ـ أعداداً غفيرة من بيض المرجان .

اليوم الموعود

استمر الحمل شهراً كاملا .

وخلاله كانت السرطانة تقوم يومياً بحركات رياضية معينة ، تتأرجح فيها إلى الامام ، والخلف ، حتى تساعد على تهوية البيض المدلى من أرجلها فى عناقيد كعناقيد من عنب دقيق الحجم .

وأخذ لون كتلة البيض يتحول إلى اللون الرمادى ، ليعلن عن استعداد الصغار للحياة .

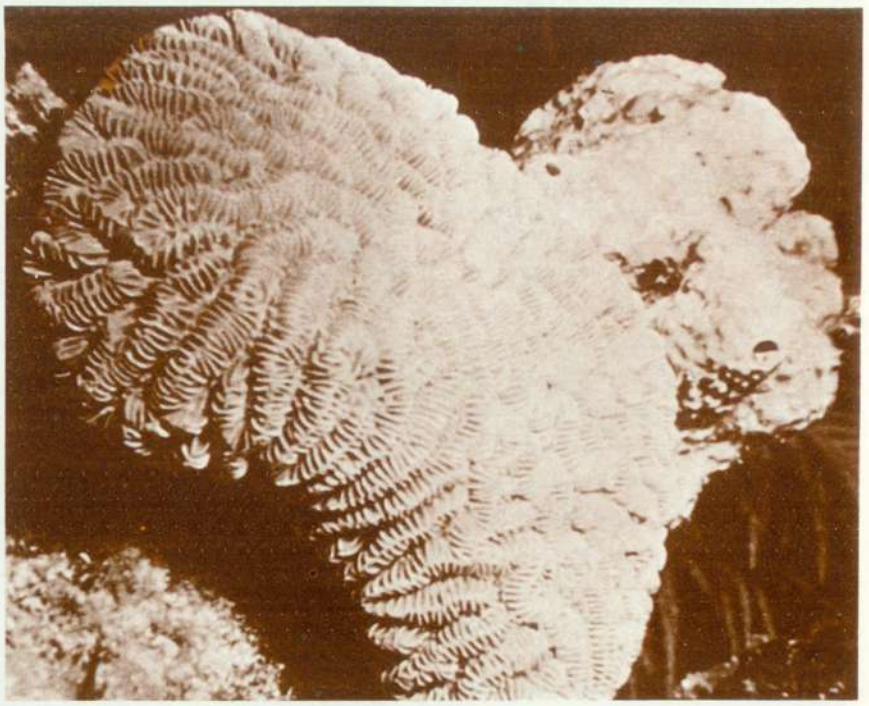
وحل اليوم الموعود أخيراً ، اذ انفجرت قواقع البيض ، وخرجت منها مئات اليرقات فى أحجام ضئيلة للغاية تسمح لها بالمرور من ثقب الأبرة ، وأشكال أقرب إلى العفاريت ، لاتمت بوجه شبه لأى من أبويها غير أنها لا تلبث ان تأخذ شكلها بعد أن تستبدل قشرتها الخارجية عدة مرات ، فيما يعرف بعملية الانسلاخ .

هذا اذا ما بقيت على قيد الحياة .

فقد حملتها المياه الى الخارج ، حيث كانت فى انتظارها مختلف الاحياء الجائعة وعلى رأسها البوليبات المرجانية ذاتها ، التى احتضنت ورعت خروجها الى الحياة .

اما الأم فقد تابعت صغارها حتى اختفى اخرهم ، وأصبحت بمفردها من جديد ، وعندئذ تحولت الى جدارن محبسها الأبدى تسويها وتزيل ما تراكم عليها من جير ، ومدغدغة بذلك قواعد البوليبات وجلودها ، محركة حلقات السلسلة الخالدة من الأفعال وردودها ، منتظرة فى صبر وسكينة موعد الانسلاخ التالى ، والزيارة القادمة للذكور !

صنع الله ابراهيم



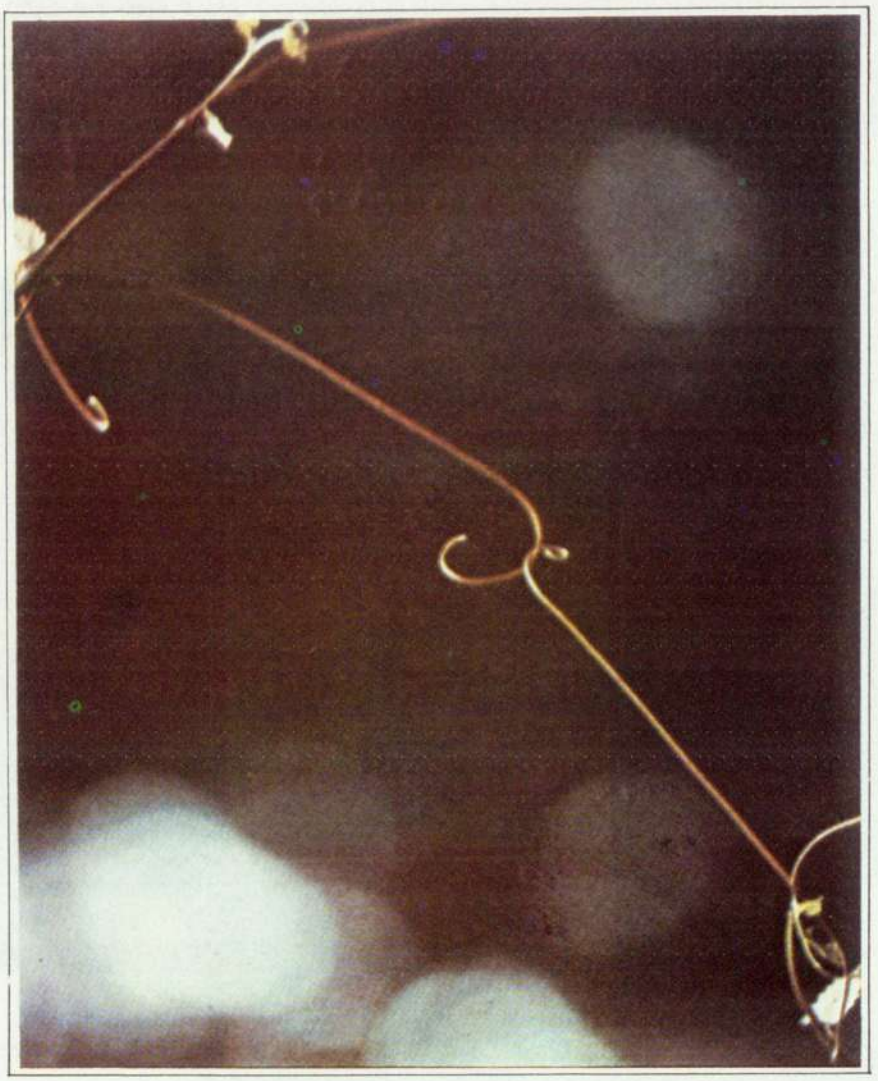
لقطة نادرة لمستعمرة من نوع آخر من المراجين المخية

لقطات من الكون المثير



يتيم فى عالم غريب !

ماتت أمه الحقيقية بعد ولادته بقليل فعوضته الحياة بهذه « الأم » التى وضعته بين يديها ، لكن المأساة بادية عليها ، فهى لا تستطيع ان تقوم بدور المرضعة ، لأن اللبن لا ينساب من الأثداء الا قبيل الوضع ، أو أثناء الرضاع ، وفى هذا لا يختلف القرود عن البشر وطبيعى ان هذه القردة لا تعرف كيف تتصرف مع هذا الرضيع كما يتصرف البشر ، وأخيرا جاء الموت ليضع حدا لهذه المأساة . ولكنها تركت بصمات على هيئة تعبيرات حزينة ، لا تختلف كثيرا عن تعبيرات البشر ، لكن بدون عويل او بكاء او رثاء ، لأن الحيوان لا يعرف معنى الموت والحياة ـ كما يعرف ذلك الانسان !

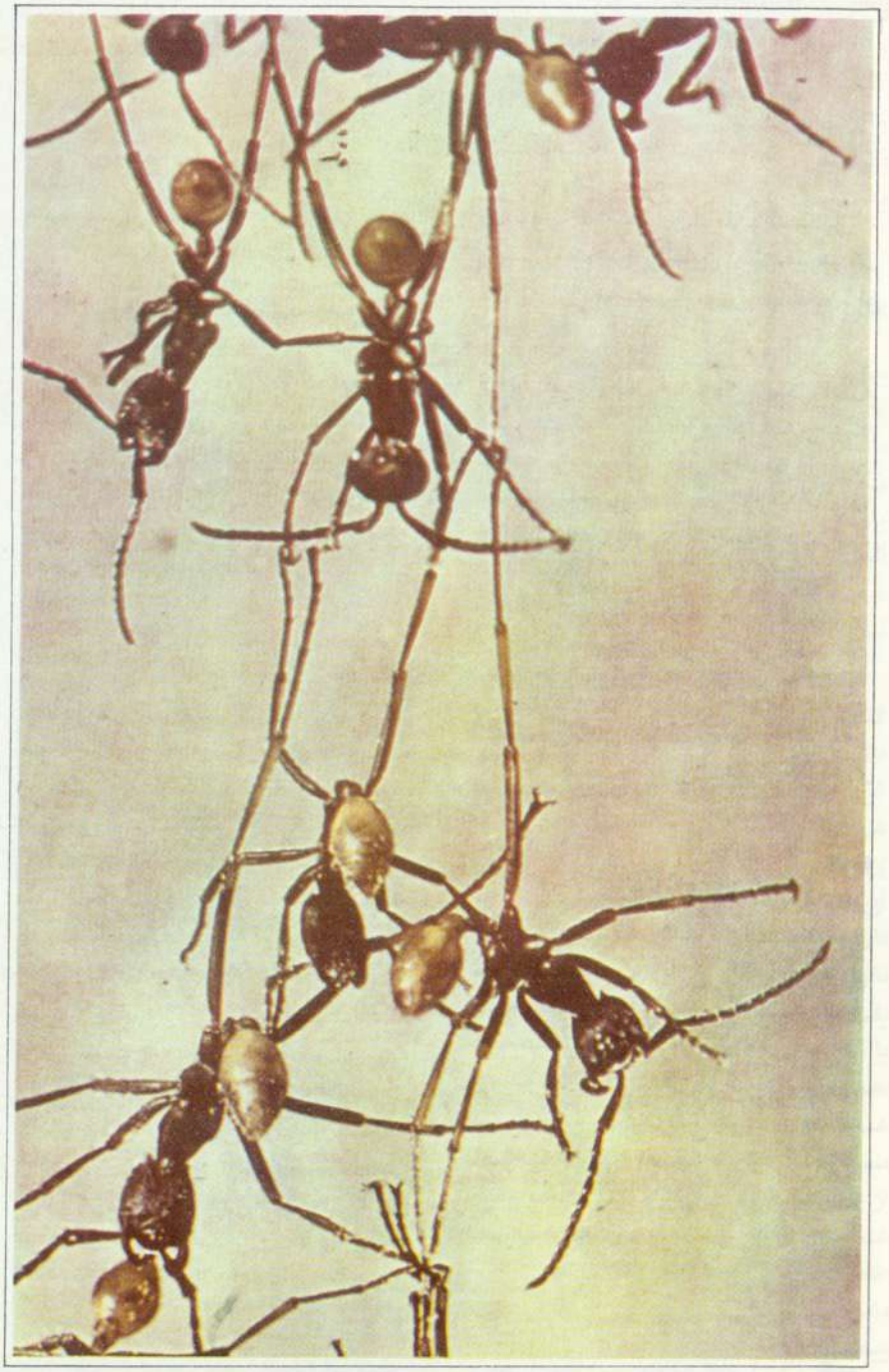


عناق فى الهـــواء !

وهنا أيضا تلتف الساق بالساق ، لكن ذلك يحدث فى عالم النبات ، لا ليبنى خيمة ، كما فعلت الحشرات (فى الصورة المنشورة هنا) ، ولكن ليحقق بها النبات هدفا هاما يتوقف عليه حياته اذ ان بعض النباتات قد جاءت بسيقان ضعيفة لا تساعدها على الارتفاع ، لتحصل على نصيبها من أشعة الشمس بين النباتات الأخرى التى تشاركها بيئتها ، ومن أجل هذا تحورت فى تلك النباتات الضعيفة بعض سيقانها ، وتحولت الى محاليق متينة قد تتخذ أشكالا لولبية لتلتف باى شىء قائم ، وما تراه هنا محلاقين تقابلا بالصدفة ، فالتف احدهما على الآخر ، وكأنما يشدان أزر بعضهما ، ليصبحا بمثابة عكازين حيين يستخدمهما النبات فى رحلته للصعود من عالم الظلال ، الى عالم النور .. هذه النباتات تعرف باسم النباتات المتسلقة ، ومن أمثلتها نبات العنب !

اكروبات حشرى !

يعرف هذا النمل الغريب باسم نمل الجيوش ، لانه دائم الرحيل والاغارة طلبا للرزق ، فاذا توقف عن العمل ، تعلقت جيوش الشغالة بهذا الوضع المتير لتصبح شيئا اشبه بالخيمة او المعسكر المؤقت فى العراء ، وفى داخله تحتمى الملكة مع ذريتها الصغار ، وكانما هى تسكن قلعة منيعة بنتها الشغالة باجسامها ، وما نراه هنا ليس الاجزء ضئيلا من بداية التشييد والبناء ، اذ يشترك فيه الالاف ، حتى ليبدو الامر فى النهاية ، وكانما نحن امام قبة صغيرة حية . ولاشك ان ذلك يشكل عبئا ومجهودا ثقيلا على ارجل النمل ، لكنه قد جاء بسيقان ومفاصل تتحمل اثقالا اكبر من النملة بمئات المرات ، ويقال ان هذا النمل يستطيع ان يبنى باجسامه كبارى معلقة يعبر بها الموانع التى تعترض طريقه !





أعمـــار !

يقولون فى الأمثال « أعطنى عمرا ، وارمنى فى البحر » .. لكن هذه الفتاة اليوغسلافية فيولوفيك (٢٣ عاما) قد سقطت واندفعت خلال محيط آخر أخطر من محيطات الماء ، اذ عندما انفجـــرت الطائرة اليوغسلافية ـ التى كانت تعمل عليها مضيفة ـ فى الجو ، فى يوم ٢٦ يناير ١٩٧٢ ، كانت هى الوحيدة التى نجت ، رغم ان الانفجار قد حدث على ارتفاع ٣٣٫٠٠ قدم (أى حوالى ١٠٫٢ كيلومترا) ، وعندئذ اندفعت نحـــو الأرض بسرعة وصلت الى ٢٢٠ كيلو مترا فى الساعة ، وكانت هذه السرعة كفيلة بدق عظمها فى لحمها ، وموتها فى التو واللحظة ، لكنها رغم ذلك لم تمت ، اذ انها سقطت أثناء الانفجار فى جزء من ذيل الطائرة ، وهوت وهى بداخله الى الأرض ، مما ساعد على تخفيف الصدمة ومع ذلك فقد ظلت فى المستشفى لمدة ١٦ شهرا ، بعد ان افاقت من غيبوبتها التى استمرت ٢٧ يوما ، واستردت صحتها بعد ان التامت العظام الكثيرة التى تهشمت ، ثم تزوجت وانجبت !

عبد القادر درويش
٥٠ عاماً مع الشعر
ولا يزال مجهولاً !



عبد القادر درويش

بقلم : يوسف محمد سليمان

إذا خطر ببالك يوماً أن تزور «سورية» .. ربما راق لك أن تعرج على منطقة الساحل السورى فى زيارة لبلدة « الدريكيش » التى تبعد ٣٦ كليومترا عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، والتى تشتهر بمياهها المعدنية . إذا أتيح لك زيارة « الدريكيش » ، لا تنس أن تمر فى طريقك بمبنى « محكمة الصلح » . أمام باب المبنى ، سوف يلفت نظرك شيخ محدودب ظهره قليلا .. يجلس إلى طاولة صغيرة قديمة فوقها أوراق وأقلام .. وعن يمينه ويساره أناس ينتظرون نافذى الصبر :

– بسرعة شوية يا عم عبد القادر ..

والعم عبد القادر مستغرق فى كتابه « العرضحالات » .. فاذا انتهى من واحد ، أطرق على « العرضحال » الآخر . وهكذا .. إلى أن يحصل كل صاحب حاجة على « ورقته » .. ثم يمضون دون أن يعرفوا أن الذى كتب لهم شكاواهم ، وصاغها ، ووضع فيها من إحساسه ، وعبر عن مضمونها بما يقنع « القاضى » أو « المسئول » هو : الشاعر الكبير المجهول عبد القادر درويش .

هذا الشاعر الذى يكتب شكاوى الناس .. دون أن يفصح هو عن شكواه لأحد .. عرفته منذ طفولتى . تتلمذت على يديه فى دراسة قواعد النحو والصرف . وجاس بى في مجاهل التراث . ولا زلت أنهل من ينابيعه المتدفقة فى اللغة العربية وقواعدها وتراثها وبقية الروافد الأخرى . فهو يتقن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة ، بل هو ينظم بها بعض قصائده .

ذات يوم سألته : لماذا لا يعرفك القراء شاعراً ؟

قال : اننى لم أطرق أبواب الصحف بقصائدى . اننى اكتفى بالكتابة . واستطرد : أنا عاشق للوطن على طريقتى الخاصة . لا أريد جزاء ولا شكوراً . وأحب أن أعطى حتى أموت .

قلت : معنى ذلك أنك غير عاتب على وسائل النشر .

قال : إطلاقاً . فلم يسبق لى أن أرسلت قصيدة من قصائدى ، أو مسرحية من مسرحياتى الشعرية إلى أية وسيلة من وسائل النشر داخل سورية أو خارجها .

قلت : أنت تكتب الشعر منذ نصف قرن . وقد عاصرت مراحل النضال ضد الاستعمار الفرنسى ، وحملت السلاح دفاعاً عن الوطن ، وعاصرت مشكلة فلسطين ونكبتها عام ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ونكسة حزيران ٦٧ ، وحرب أكتوبر ٧٣ . إننى أعرف – بحكم قربى منك – أنك بكيت آلام الأمة العربية وغنيت أفراحها .. فكيف تحجب كل تجاربك الشعرية عن الناس ؟!

قال دون أن يبدو عليه أنه منزعج من الكلمات الأخيرة فى السؤال : ما يستفزنى حقاً هو الكتابة .. أما النشر فما اهتممت به قط !

● ●

دار هذا الحديث بينى وبينه فى بيته المسقوف بخشب البلوط والسنديان . المبنى بالحجارة والطين . الموشك فى كل لحظة أن يقع على رءوس ساكنيه ، أو هكذا يبدو .

إن الرجل فقير .. فقير . يأكل لقمته بعرق جبينه ، لكنه ترى بتعففه وحبه لوطنه وزهده فى المال والشهرة . ولد الشاعر المجهول فى عام ١٩١٧ . وبدأ كتابة الشعر وعمره ١٦ سنة . حين قلت له : سأكتب عنك فى مجلة « الدوحة » فبماذا تقدم لقرائها نفسك ؟

أجابنى ببيت من الشعر قاله عام ١٩٦٠ :

نسبى دمى ، والضاد تزخر فى دمى
ومن الخليج إلى المحيط حدودى

● ●

لا أريد أن يستغرقنى الحديث عن الشاعر ، بعيداً عن شعره . فقصائده هى ذاته الشاعرة . ولابد أن القارىء مشوق إلى أن يتعرف على نوع هذا الشعر الذى كتبه صاحبه فقط ، دون أن يعنى بنشره . ولست هنا أتحرى كل ما كتب الشاعر . فان دواوينه المخطوطه كثيرة . وكذلك المسرحيات التى كتبها شعراً . سوف أختار نماذج تدلنا عليه ، وفى الحدود التى تتحملها إشارة لا دراسة .

فرحة العيد

فى احتفالات الجلاء عام ١٩٥٧ كتب

الشاعر قصيدة مؤلفة من مائة وخمسين بيتا هاجم فيها الاستعمار ، وندد بالعدوان الثلاثي .. من هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :

فرحة العيد لا تحل المشاكل
والهتافات لا تؤدى لطائل
موطنى لا يرى إذا ما هتفنا
بالصدى بعث أمة أو فضائل
مغرم يعشق الفداء خلوداً
والضحايا مهشومة بالزوائل
كلما جندلت بنيه العوادى
راح يفتر عن تباشير عاقل
بالشآبيب من دماء أطلت
يغسل العار عن تراث الأوائل

ولا ينسى الشاعر « الشهداء » مشاعل النور :

ينهل المجد من جراح شهيد
خر يروى مقدس الترب وابل
يا بقايا دماء حر أبي
نورى الدرب للشباب المناضل
يقبس الشعب بالسناء سبيلا
للبقاء الحرون عبر النوازل
قدرة تهزم الغزاة وعزم
لو أصاب الحديد لانجاب سائل

والشاعر يصف الاستعمار ، وحالة الشعوب فى ظروف الاستعمار . فالمستعمرون لا يفهمون غير لغة الرصاص . لكن الشعوب لا تستسلم ، بل هي تطلب الموت لتحصل على الحياة :

إن يشأ بالسياط أفرى جلودا
أو يشأ بالرصاص أفنى القبائل
فانبرى الشعب والأناة توارث
ثائراً حن للردى كي يغازل
يقذف الظلم بالشباب أسوداً
يا فدت مهجتي الشباب المناضل
نحن من صفوة الجدود اقتبسنا
عزة النفس من قصى ووائل
مصر تأبى القيود والغرب ألى
ن تظل القناة سلك الحبائل
هدد النيل لن أسيل اذا ما
طأطأت مصر رأسها للمساحل
وأبو الهول واجم يرقب الأمر
ويصغى جيداً لمغزى الرسائل
والقناة الحرون معلاق حرب
رابط الجأش للمغيرين هائل
ثغرها الضاحك الجميل المفدى
فاغر فاه لابتلاع الجحافل

ونكتفى بهذا القدر من تلك القصيدة الطويلة التى يتحدث فيها الشاعر عن حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكيف أنها حرب عربية ، إذ أن شئون مصر لا تهم مصر وحدها .. إنها قلب الأمة العربية . واستشهاد «جول جمال» السورى ، ليس إلا تعبيراً عن وحدة الدم العربى .

إن الشاعر عبد القادر درويش شديد الحماس والتعلق بعروبته . وإن أحلامه التى تراوده دائماً ، هى أن يرى الأمة العربية قد انتصرت على أعدائها . إنه ـ بالرغم من هول النكسات والانشقاقات العربية ـ مؤمن بأن الشعب العربى سوف ينتصر :

عرب نحن فيا ذكرى اشهدى
ثأرنا نار وطوفان ودم
أيها السارى نداء سر به
يصدع الدنيا .. الى كل الأمم
إن شعب الضاد باق سيداً
رغم أنف الدهر حراً محترم

روح الدعابة

كتب الشاعر عبد القادر درويش فى كل الموضوعات ، فلم يقتصر شعره على الوطنيات فحسب . كتب فى المشكلات الاجتماعية . وكتب فى المديح والرثاء والهجاء والغزل .

ومن يجلس مع الشاعر .. يحس دفء حديثه ورقته وعذوبته وحضور النكتة ، وروح الشباب التى يتمتع بها بالرغم من تجاوزه الرابعة والستين من عمره .

حدث أن الشاعر اختلف مع زوجته ، فكتب قصيدة يهجوها بها . ومن الطريف أنه لم يشأ أن يسمعنى إياها فى غير حضور زوجته ، التى كانت تنصت معى وهى تبتسم سعيدة به وبما يقول :

أموت كما قد عشت أمسح حسرتى
بصبر .. وأزجى آهة بعد آهة
جميلا أرى هذا الوجود .. وشيقاً
وما فيه من شر سوى لؤم زوجتى
فيا رب أدخلنى جهنم مبعداً
شقياً اذا أدخلتها حوض جنة

فى عام ١٩٤١ التقى الشاعر عبد القادر درويش ، بالشاعر الراحل الكبير بدوى الجبل فى حفل تأبينى . وقد ألقى عبد القادر قصيدة فى تلك المناسبة أثارت إعجاب «الجبل» حتى أنه نهض من مكانه ، واتجه اليه ليطبع قبلة على جبينه ، وهو يقول له : هذا البيت فى قصيدتك لم أقرأه لشاعر من قبل . وكان هذا البيت يقول :

سجى الصمت لا صمت القبور متى سجى
ولكنه صمت النفوس المؤثر

والذى أعجب «بدوى الجبل» فى هذا البيت هو «صمت النفوس المؤثر» إذ اعتاد الشعراء أن يقولوا «صمت القبور الرهيب» ! لقد صور الشاعر الأحزان الخرساء فى صمت النفوس .

لا أظننى فى هذه السطور أكون قد وفيت الشاعر حقه . إنها فقط بصيص من الضوء على شعره ، وما أكثر القصائد التى لن تتسع لها هذه المساحة . لكن أردت أن أنوه بشاعرية شاعر يعيش بيننا .. آثر الظلال ، ونحن نريد لشعره أن يرى النور ، وللشاعر أن يجنى بعض ثمرات العناء فى صمت ، وعلى مدى خمسين عاماً .. بعض الجنى فى حياته . حقاً إنه ليس مشغولا بهذا الأمر . كل ما هو مشغول به أنه انسان محب وعاشق للوطن وللناس ، ذلك العشق الصوفى الذى يغنى فى المحبوب :

يا بطولات تسامى مجدها
يوم حطين وذى قار العجم
وعلى اليرموك سل أو لا تسل
ما صدمنا جحفلا إلا انهزم
يا بلادى لا تلومى .. إننا
قسماً بالضاد لن ننسى الذمم

وأخيراً

قلت للشاعر المجهول عبد القادر درويش وأنا أودعه الى صياغة هذا الموضوع :

● بعد هذه الرحلة مع الحياة والشعر والظلال .. بماذا يحس الشاعر ؟

قال :

يحس الحب من نعم الليالى
ولو يجزى على حب ببؤس

يوسف محمد سليمان ـ سورية

قوة الجذور

قصة
بقلم
عبدالله الطوخي

معايا الفل والياسمين ..

طرق النداء سمعها وهى تسير .. بدا لها غريباً ، ومدهشاً ومبهجاً .. لكنه بدا فى نفس الوقت كخدعة ، أو كأغنية جميلة قد تضلل القلب الوحيد .. الحزين ..

ياعاشقين الفل والياسمين ..

كان المنادى بائع زهور يدفع أمامه عربة خشبية صغيرة بعجلتين ، مليئة بأصص فخارية مزروعة بمختلف أنواع الأزهار ، ما أن رأتها حتى تذكرت على الفور حوض زرع فى شرفة شقتها خال منذ شهور كان منظر هذا الحوض الخالى يعمق الحزن فى قلبها لهذه الغيمة السوداء الثقيلة التى هبطت على حياتها مع زوجها . أصبح كل منهما يحس أن حياتهما معاً باتت كهذا الحوض الخالى . كان ذلك كئيباً ومروعاً ، بعد أن كان مزروعاً بالأشجار ويفوح بالخضرة ويطرح الأزهار أصبح خاوياً الا من الطين الذى جف وتشقق لم يعد أحد يهتم أن يسقيه بعد أن خلع هو بيديه شجرة الفل التى كانت مزروعة فيه !

لقد فوجئت بذلك ذات يوم ، فأحست كأنه قطع شرياناً من جسمها .. كأنه يرمى بها هى نفسها بعيداً عنه وعن البيت وعن حياته كلها . قالت لحظتها بمزيج من الغضب : لماذا خلعتها ؟

ببساطة شديدة وكئيبة قال : لم يعد فيها فائدة . لم تعد تزهر .. سأبحث عن شجرة جديدة أزرعها ..

لم ترد بكلمة . لم تدافع عن شجرتها التى كانت . قالت فى نفسها ليست الشجرة فقط هى التى كانت . كل شىء كان . (وشدت نفساً من صدرها بتحد وكبرياء) وليكن بعد ذلك ما يكون .. لقد جفت شجرة حياتنا هى الأخرى .. فلنكن واقعيين

كان الوقت صيفاً .. وفاتت شهور الصيف دون أن يأتى بشجرة جديدة وبقى الحوض خاوياً .. جافاً .. تزداد الشقوق فيه وتتعمق .. فيتعمق فى روحها الحزن والتشاؤم والاكتئاب . غير أنها كانت سرعان ما تطرح رأسها بشعرها الطويل الناعم الى الخلف فى ثقة وتحد : لم لا ؟ كل شىء يتغير . لا يصح أن يخيفنى ما يحدث . لا يصح أن نخدع أنفسنا أكثر من هذا . هو نفسه قالها مرة : « نحن لم نعد نحيا الا بقوة دفع الماضى . أما الحاضر .. فقد جفت شجرته » . كان شجاعاً فقالها .. سيأكون أشجع وأقولها : الطلاق . نضع الحقيقة فى عين الشمس . وفى عيون كل الناس . ولن أعبأ بأى شىء .. غير الصدق .. أن نذهب بالموقف الى أبعد حد .. نتفق على الفراق .. ذلك هو الامتحان : اما أن يكون الفراق الى الأبد .. واما أن نتزوج من جديد .. وأزف اليه مرة أخرى بكل العشق القديم والجديد .

ـ ياعاشقين الفل والياسمين .

معايا الفل والياسمين .

ـ بكم شجرة الفل دى يا عم ؟

ـ ما تغلاش عليك ياست .

لم تشأ أن تساومه على الثمن . شجرة فل مثل هذه مترعة بالزهور فى وقت مثل هذا لاتقاس قيمتها بالمال . أنها تساوى الكثير . أكثر مما يتصور هو .. لو طلب منها أكثر مما معها ، فستطلب منه تأجيل الباقى . لا .. لا . النقود لن تكون المشكلة . المشكلة من يحملها ، ويذهب بها الى البيت .. الى الشرفة .. ويزرعها ..

غير أن القدر حين يعدنا يحقق وعده بيسر وسهولة . فلم يأت عصر ذلك اليوم ، حتى كان ذلك البستانى المتجول قد جاء الى البيت بالشجرة فى الميعاد الذى اتفقا عليه ، وزرعها فى الحوض واختلج قلبها بالفرح ، وهى ترى لأول مرة بعد شهور طويلة الطين الجاف وقد ارتوى بالماء واختفت كل الشقوق ، وانتعش قلبها بالأمل .

فى ذلك اليوم كان زوجها مسافراً ـ سفرة عمل قصيرة .. وحين عاد فى اليوم التالى ، رأته يدخل صامتاً ، جامد الوجه كالعادة . وتبادلا كلمات السلام التقليدية .. ثم اتجه مباشرة الى حجرته الخاصة ليقفلها خلفه .. ويواصل كل منهما حياة التفرد والاعتزال التى اتفقا عليها .. غير أنها وجدت نفسها تقول له :

ـ فيه حاجة جديدة .. جبتها للبيت .. من غير إذنك !

ـ حاجة إيه ؟

ـ أدخل البلكونة شوفها .

من الوهلة الأولى خمن ما فعلته . وصح تخمينه .. فرح فى سره فرح لأنه ما زال ـ رغم البعد ـ يفهم ما يدور بأفكارها .. وفرح ايضاً أنها لاتزال تحمل فى قلبها ، حس الأمل .. وحب البيت والمحافظة على جماله .

«هذا البيت لايهون على واحد منا أن يهدمه» . استيقظت عواطفه . قاوم بشدة . أكتفى بالابتسام .

ـ شجرة جميلة فعلا . كويس أنك جبتيها فله . بدل الفلة اللى ماتت ..

قالت : هى الحقيقة ما ماتتش .. أنت اللى قطعتها !

هل تدينه ؟ لكن لهجتها كانت



هادئة ، فيها الود أكثر مما فيها من عتاب .. ومع هذا فقد أحس بالاتهام .

قال : يعنى أنا اللى بأقطع .. وانت اللى بتزرعى .

بدا على وجهها الألم : لأ .. مش قصدى .. دى صدفة .. وأنا ماشية فى الشارع ، لقيت راجل ببيع فل وياسمين اشتريتها منه .

منظر الحوض فاضى ومشقق ما كنتش طايقاه !

ـ وأنا كمان طبعاً .

التقت عيونهما فى نظرة سريعة هرباً منها الى الشجرة ..

كان بدء الربيع .. موسم تفجر الحياة .. ورأيا الشجرة الجديدة تموج بعشرات الزهور .. رقيقة ناعمة بيضاء .. وعطرها يفوح !

انتعش الحنين فى قلبيهما . ربما شىء بسيط مثل هذا يحرك الركود ويروى الشقوق .. غير أن خفقة الأمل هذه كانت مثل طائر غريب مر مسرعاً

قوة الجذور

فوق صحراء وسرعان ما خلفها وراءه لوحشة الصمت وجفاف الحياة !

يوماً بعد يوم كانت الفلة تتراجع ومعناها يذوب .. وعاد الصمت والخواء يثقلان على البيت بأشد مما كان . وسرعان ما أيقنت من خدعة الرموز .. «كثيراً ما تضللنا الرموز . لقد زرعت هذه الشجرة رمزاً لانعاش الأمل . ولكن هاهي نفسها ، مع فصل الخريف تسير بالتدريج فى طريق الجفاف ، وبعض اعوادها تعرى من الأوراق ومات» .

غار فى نفسها الاحساس بالتشاؤم

ويوماً .. وقفا فى الشرفة ، بلا اتفاق ، وحانت منهما نظرة الى الشجرة .. حينذاك أدرك كل منهما نفس المعنى الذى أدركه الآخر دون أن يتحدث به . كانت الطبيعة تؤكد الموقف بينهما وتعريه .. مع سحب الخريف .. وقتامة الألوان . وقال كل منهما لنفسه فى لحظة واحدة : أجل .. حتى الحب يمر بالفصول الأربع .. الحب ايضاً يشيخ .. الحب كائن حى .. يسرى عليه ما يسرى على الكائنات .. من ميلاد ونمو .. وفتوة .. ثم شيخوخة يعقبها الفناء .. لم لانعترف بالواقع .. ونعلن الانفصال قد يكون فى الانفصال الشفاء .. الانفصال ولو لفترة .. هذا الالتصاق الطويل الطويل .. التصاق الجلد بالجلد ، والانفاس بالانفاس .. يسد المسام ويورث الاختناق .. فلنتحرر . نفصل الجلد عن الجلد .. والأنفاس عن الأنفاس .. ولكن : هل لديهما الجرأة على اتخاذ القرار ؟

شهور عصيبة مرت .. تتراوح بين لون كآبة الخريف ، ولون وهج النار الذى يشعلها التمرد على أن يكون الحنين الى الحب الذى كان ، هو قاتل الانسان ..

مرت شهور الخريف .. وكان كل منهما يرقب وحده الشجرة فى السر .. ويرى فيها طالع العلاقة بينهما .. كأنما يستشيران النجوم .. ماذا يفعلان ؟ هل يصرخان ويفعلانها ، ويحققان الانفصال .. بل صراحة : الطلاق ؟

وتجمعت كل كآبة الخريف ذات يوم وأطلت من الشجرة . كانت معظم الفروع قد جفت وتحولت الى أعواد جافة ينطق لونها بالموات .

ورأيا .. فى هدوء شديد .. أن الشجرة والطبيعة تشير عليهما بالحل السليم :

الطـــــلاق .

وفعلاها . فى هدوء .

● ● ●

أزمة المساكن ؟ .. ليكن ..

البيت الواحد أصبح بيتين .. الجلد انفصل عن الجلد .. والأنفاس ابتعدت عن الأنفاس .. وبدا لكل منهما أنه يتنفس بشكل أقوى وأعمق .. حقاً .. لقد كان فيما فعلاه إنقاذاً لهما .. كان الحب بينهما على وشك أن ينقلب الى كراهية .. ليس ابشع فى العالم من أن ينقلب الصديقان الى خصمين .. والحبيبان الى عدوين .. وحينما كانت جرثومة الكراهية تتحرك ، كان جمال الماضى وروعته يقفان بقوة ضد الجرثومة ويقتلانها ..

ينفصل الجلد عن الجلد ، والأنفاس عن الأنفاس .. لكن الأرواح لا تنفصل .. أتاحت الحرية لكل منهما أن يطير بعيداً .. بعيداً .. يعود أو لايعود .. يغير الحب بآخر أو لايغير .. أصبح مالكاً لقلبه من جديد .. فلمن يعطى القلب الجديد .. مع العام الجديد ؟

كان شهر ديسمبر يتجه مسرعاً الى نهايته . قادتها قدماها الى الشرفة ذات صباح ، تريد أن تملأ صدرها بهواء طازج . انها منذ حوالى اسبوعين لم تخرج الى هذه الشرفة . وتذكرت فجأة .. صاحت تعاتب نفسها .

ـ آه لم أسق الشجرة ..

وتوجهت بنظراتها اليها . ندت عنها صيحة فرح عظيم .. فوجئت بمنظر غريب أبهج قلبها : كان فرعاً جديداً قد انبثق منها .. نبت من قلب أسفل الجذع وانطلق يشق طريقه الى الحياة .. كان قوياً وممتداً ومترعاً بالخضرة والحياة .. كأنما يتهيأ لأن يصبح جذعاً جديداً مع الجذع القديم ..

وجرت عليه .. تحتضنه بعينيها .. بقلبها .. آه .. وما هذا أيضاً ؟ عدة فروع أخرى تبزغ وتطل .. وتتهيأ بدورها للنمو والانطلاق ..

هبت أنسام منعشة .. تحركت مياه البحيرة الراكدة .. وأحست بالميلاد فى كل شىء .. فى الزمان .. وفى الأشجار .. وبدا لها أنها تقع على اكتشاف رائع لأول مرة : ان الميلاد يحدث فى الشتاء حيث يظن الناس أنه الجفاف والموت !

ترى .. هل رأى هو هذا الفرع الجديد؟

وأحست بثمة حركة خفيفة . كان واقفاً ينظر .. أشارت بلا وعى على الفرع الوليد وقالت .. بابتهاج هادىء .

ـ هل رأيت ؟

أسرع مقترباً من الشجرة .. أحس أن فروعاً تنبثق فى قلبه .. وتصبح شرايين خضراء .. وقال بفرح كبير : ليس فرعاً واحداً ..

وراح يعدد الانبثاقات الكثيرة الجديدة فى الشجرة .

كأنها زحف الحياة ..

والتقت نظراتهما ...

قالت : لأن الجذور سليمة .. وقوية ..

قال مؤكداً بثقة : كنت أوالي ريها .. رغم البرد الشديد .

امتزج بريق عينيها ببريق عينيه .

ـ تحب هذه الشجرة ؟

ـ ألست أنت التى اشتريتها ؟

ـ وأنت الذى رويتها .

تحرك فجأة كل الحنين .. منذ متى لم يلتق الجلد بالجلد . والمسام بالمسام ..

امتدت أيديهما الى بعضهما ..

قال : أعظم الأشجار هى التى تولد فى الشتاء ..

قالت : شجرة الحب أبداً لا تشيخ ..

غمغم : انها تغير جلدها .. لحاءها .. ولكن لـ ..

غمغمت : لتولد فيها الخضرة من جديد .. وقريباً .. ستمتلىء بالزهور ..

قال : أوحشنى العطر الجميل ..

واندفعا الى عناق عظيم ..

«عبد الله الطوخى»



الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

- في مطلع القرن الخامس عشر الهجري كان صدور مجلة "الأمة". وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم، وذلك بأقلام كبار الكتاب.
- من رسالة المجلة:

○ جعل المسلمين أكثر إحساسا بمتغيرات الحياة والعمل على اختصار فترة التخلف، وترشيد الطاقات الإسلامية.

○ مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام وقيادة البشرية إلى الخير.

رئيس التحرير

يوسف عبد الرحمن المرشد

- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة.
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة.
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب، في غرة كل شهر عربي

تصدر من قطر وتوزع في العالم

١٠٠ صفحة بالألوان

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـــبـــير

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



الجزء الثالث والأخير

بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

اتكاءة على صور لبيد

هذا وبعد أن انتهى إليوت من نعت قساوة ابريل منبتاً زهرة ليلى، مازجاً الذكرى بالشهوة، انتقل إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us .....

ومعناها : فاجأنا الصيف .

تأمل شدة الشبه بين قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم (البيت)

فعلا فروع الأيهقان (البيت)

وبين قول إليوت جاء الربيع منبتاً زهرة ليلى الخ .. تأمل الشبه فى السياق والصياغة بين قول لبيد (فعلا فروع الأيهقان بعد ذكره مطر الربيع وبين قول إليوت منبتاً زهرة ليلى (الليلاك) بعد نعته مطر الربيع الذى ابريل رمز له .. منبتاً زهرة ليلى .. أى فعلت أغصان « الليلك » كما علت فروع أيهقان لبيد . الأيهقان عربي و « الليلك » فارسى . محاكاة نهج لبيد الذى اطلع عليه فى ترجمة وليم جونز لا تخفى .

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها

جاءت الظباء والنعام فى مكان الحبيبة والظبية تشبه بها الحبيبة . ههنا مجال للذكريات واتصال معنى ولادة الظباء أطفالها وإفراخ النعام بالشهوة غير خاف، ومن هنا أخذ إليوت مزجه الذكرى بالشهوة . ثم انتقل من بعد إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us .....

أي فاجأنا الصيف

ثم انتقل بعد مفاجاة الصيف له إلى ذكر (محبوبة) التجأ معها من مفاجاة مطر الصيف إلى بناء ذي صف من أعمدة ثم خرجا إلى ضوء الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامرى صاحب المعلقة يخرج من نعت القفر إلى مرابيع النجوم أو كما قال السير وليم جونز فى ترجمته

.. profuse, as well as gentle showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الأيهقان، وهو من نبات البادية قيل هو الجرجير البري، الذى علت فروعه، ثم إلى الوحش الذى خلف الأحباب على الديار وجعل بحيوية الربيع يطفل ويفرخ . ثم يتذكر لبيد الحبيبة ويقسو عليها وعلى نفسه حين يعتلج فى صدره أمر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمامها

يقول السير وليم جونز فى مقدمته لقصيدة لبيد إن ابياتها الخمسة عشر الأولى من روائع التصوير، يعذل الشاعر فى آخرها نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة لا تستجيب، فيدعوه ذلك إلى أن يفرمن الهوى إلى الراحلة، ثم يعود إلى ذكر محبوبته نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من قلة الاهتمام بدلا لها . هذا

هذا هو الجزء الثالث والأخير من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب أستاذ الأدب بجامعة فاس بالمغرب حالياً ، ومدير جامعة الخرطوم وعميد آدابها سابقاً ، عن الأثر السلبى الذى تركه الشاعر العالمى المعروف « ت . س . اليوت » على الحركة الشعرية العربية الجديدة ، نتيجة لتقدير مبالغ فيه ناله « اليوت » من شعرائنا المعاصرين ، وقد تلقت « الدوحة » ردوداً مختلفة حول هذه القضية ، وسوف ننشر هذه الردود فى الأعداد القادمة .

ملخص كلام السير وليم جونز فى مقدمته . أ . هـ .

ليت شعرى هل مجرد توافق خواطر شبه :

أكثر من توافق خواطر

(١) قول إليوت فى عنوانه The Waste Land بقول لبيد « عفت الديار إلخ » .

(٢) وقول إليوت فى عنوانه The Burial of the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد بان الديار تندفن وتكشف آثارها الرياح والسيول (عرى رسمها) (وجلا السيول عن الطلول) .

٣ ـ وذكر إليوت امطار ابريل وقساوته وشبه ذلك بقول لبيد «رزقت مرابيع النجوم الخ» .

٤ ـ وقول إليوت بانبات زهور ليلى Lilacs وخلط الذكريات بالشهوات وشبه ذلك كما قدمنا بقول لبيد : «فعلا فروع الأيهقان الخ» .

٥ : وانصراف إليوت عن مطر الربيع الى مطر الصيف حيث قال : فاجأنا الصيف» ـ هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

٦ : وتذكر إليوت للحبيبة بعد ان ساقاها القهوة وتقطعت أسبابها ورمامها ... (راجع الأسطر ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) ... هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيب ناقته بعد تصرم أسباب نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف وحره ... ... وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

أى أعاصيرها وسمائمها .

٧ : أم هل مجرد توافق خواطر قول إليوت فى س ٢٣ ص ٢٧ .

And the dead tree gives no shelter.

أى : والشجرة الميتة لا تعطى مأوى

مع شدة شبهه بقول لبيد فى وصفه للبقرة الوحشية التى أصابت السباع ولدها . وأحاطت بها المخاوف بعد ترددها تبحث عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولفتها بين الرمال ليلة ذات برق ومطر وأهوال : ـ

تجتـاف أصـلا قالصـاً متنبـذا
بعجـوب أنقـاء يميـل هيامهـا

أى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم فى قعر كثبان من الرمل منهالة ، وترجمة وليم جونز :

She shelters herself under the root of a tree

٨ : أم ليت شعرى ـ بعد الذى لم نشك فيه من كتمان إليوت مصادر أخذه من العربية ـ هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجأة الصيف :

Summer surprised us .....
وأن الشتاء أدفأنا
Winter kept us warm .....
يمدح بذلك الشتاء ؟

إليك بعثتُ أبكارَ القوافي
يليها سائقٌ عَجِلٌ وحَادِي
مُنزّهَةً عن السَّرَقِ المُوَرَّى
مُكرَّمَةً عن المعنى المُعَادِ

ربيع أبى تمام

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض شعر أبى تمام ، فقد عاش فى زمان كان فيه الاستشراق العربى بين اكسفورد وكمبردج ولندن وباريس وألمانيا ضارباً بجران وكان لأبى تمام صاحب الحماسة فى ذلك مكان مرموق ـ قال عنه ليال فى مقدمة اختياراته :

..... and was himself a distinguished poet

أى وكان هو نفسه شاعراً ممتازاً .

هل اطلع إليوت على ترجمة لقصيدة أبى تمام فى وصف الربيع التى أولها :

رقت وجوه الدهر فهى تمرمر
وغدا الثرى فى حليه يتكسر ؟

وفيها قوله :

جاءت مقدمة المصيف حميدة
أو فاجأنا الصيف (summer surprised us)
ويد الشتاء جديدة لا تنكر
Winter kept us warm
شكراً للشتاء ...
لولا الذى صاغ الشتاء بكفه
قاسى المصيف هشائما لا تثمر

شكراً للشتاء ـ ولأبى تمام الذى مدح الشتاء خلافاً للشعراء الذين كانوا يذمونه كقول الآخر :

إذا اغبر أفاق السماء .... الخ

تأثر إليوت بالمعلقات

لقد أفاد إليوت من الشعر العربى إما من قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين له عارفين به .

وقد أفاد من اطلاعه على ترجمة السير وليم جونز لا لمعلقة لبيد وحدها ولكن لسائر المعلقات ، خذ مثلا الأسطر ١٩ ـ ٢٤ من ص ٢٧ وهى أولى صفحات المنظومة فى الطبعة التى رجعنا اليها :

What are the roots that clutch,
what branches grow
Out of this stony rubbish ?
Son of man,
You cannot say, or guess,
for you know only
A heap of broken images,
where the sun beats,
And the dead tree gives no
shelter, the cricket no relief,
And the dry stone no sound of
water .....

الترجمة على وجه التقريب : ـ

ما الجذور التى تمسك ؟ ما الأغصان التى تنمو
من هذه القمامة الحجرية ؟ يابن آدم
إنك لا تستطيع أن تقول بيقين أو ظن لأنك إنما تعلم
كومة من ظلال متكسرة ، حيث الشمس تصك
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة
ولا الحجر اليابس صوت ماء ....

اشارة قرآنية

أحالنا إليوت على سفر حزقيل أول الاصحاح الثانى بالنسبة إلى سطره (الثانى أعلاه) ٢٠ ليؤكد أن مواده من قوله : Son of man (أى يا ابن آدم أو يا أيها الانسان) هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى «ابن الانسان» الذى عند النصارى . ولا شىء يمنع ملابسة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو لأنه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال من القصد اليه وليس تأكيده الذى زعم بملزم استبعاده أحدا .

وهذه الاحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة اليها لا تخلو من تعمية ماوتضليل . وكاد السارق يقول خذونى مرات . ذلك بأنه فى سفر حزقيل فى الاصحاح نفسه بعد رقم «١» الذى فيه Son of man ورد فى رقم ٢ و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى اسرائيل وقسوة قلوبهم ، وهذا وارد فى قول إليوت متضمناً لمعناه فى : And the dry stone no sound of water

أى : «ولا الحجر اليابس صوت ماء» ، أى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى سفر حزقيل الذى أحالنا عليه تعمية وتضليلا فيما نرجح ، إذ لاريب أنه أخذها من القرآن ـ وتراجمه كثيرات ـ لأنها بعينها واردة فى خبر تمرد بنى اسرائيل : «ثم قست قلوبكم فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء» ـ سورة البقرة ، ٧٥ . ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة العرب The Shades of Arabia وما أشبه أن يخطىء فيحيلنا على القرآن ؟ أليس ذكره سفر حزقيل فى إحالاته ههنا شبيها فى طريقة الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة ماغدلنس مارتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة الى الأسطر ١٩ ـ ٢٤ (انظر ما تقدم) أحالنا إليوت فى تعليقاته على السطر ٢٣ وهو الخامس فى ماذكرنا لننظر فى سفر (الجامعة) من العهد القديم وهو الذى يقال له (الواعظ) أو The Preacher بالانجليزية وأيضاً يقال له Ecclesiastes رقم ٥ من الاصحاح ١٢ من أجل توضيح مراده من الكلمة cricket أى الصرصور الواردة فى النص المتقدم . وكلمة cricket أى الصرصور غير واردة فى نص سفر الجامعة ابن داود الذى أحالنا عليه ولكن وردت كلمة grass-hopper أى الجندب وإنما أحالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية وتضليلا .

غموض اشارات إليوت

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور روبسون يقول بمثل ما نقول به من عمده الى التعمية فى تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه عن الأرض المقفرة فى كتابه عن الأدب الانجليزى الحديث ، وسبقت الاشارة اليه فى ص ١١٢ ، أن إليوت أضاف تعليقات أحيانا هى غامضة غموض الأسطار التى يراد بها شرحها ـ

..... Later Eliot added notes sometimes as cryptic as the lines they purport to elucidate .....

ومن تعليقات إليوت المضللة ، والشىء بالشىء يذكر ، نورد ذلك على سبيل المثال ، أحالته



وردزروث



دانتى

بالنسبة الى سطره رقم ٦٣ على جحيم دانتى وإنما خطف خطفا من مسرحية ماكبيث لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امراة ماكبيث فى الفصل الخامس فى حديث هذيانها : «من كان يظن أن هذا الرجل العجوز دمه كثير هكذا ؟» ويجوز أن يكون شكسبير رمق دانتى وأخذ من هناك وان إليوت نظر الى دانتى كما نظر الى شكسبير إلا انه حذا على صياغة هذا ونحو ما يجرى هذا المجرى هو ما سماه أبو تمام السرق (بفتح السين والراء) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء مشددة مفتوحة بعدها الف لينة ـ قال يمدح شعره :

اليك بعثت أبكار القوافى
يليها سائق عجل وحادى
شداد الأسر سللة النواحى
من الاقواء فيها والسناد
منزهة عن السرق المورى
مكرمة عن المعنى المعاد

الاقواء والسناد من عيوب القافية كما لا يخفى وقد أحكم نقاد العرب باب السرقات إحكاما وأبوابا غيره من النقد كثيرات .

هذا والصرصور cricket شىء غير الجندب grass-hopper وظاهر مراد إليوت فى إحالته على سفر «الجامعة» أن يشعر القارىء مثلا بانه استبدل كلمة grass-hopper اى الجندب بكلمته : cricket اى صرصور لداع دقيق من دواعى البيان والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل والغموض . وليس بين النص الوارد فى سفر الجامعة ووردت فيه كلمة الجندب grass-hopper أدنى صلة معنوية بكلام إليوت فى الأسطر ٢٢ ـ ٢٣ : ـ

..... where the sun beats
And the dead tree gives
no shelter, the cricket no relief.

اى ..... حيث تصك الشمس
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة ،

ونص كلام الجامعة الذى ورد فيه ذكر الجندب كما يلى (دار الكتاب المقدس ، العهد القديم) : ـ

وأيضا يخافون من العالى ، وفى الطريق أهوال ، واللوز يزهر ، والجندب يستثقل ، والشهوة تبطل ، لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى والنادبون يطوفون فى السوق . ا . هـ

Also when they shall be afraid of that which is high, and fears shall be in the way, and the almond tree shall flourish, and the grass-hopper shall be burden, and desire shall fail : because man goeth to his long home, and the mourners about the streets. (Ecclesiastes Chapter 12-15).

مجمل المعنى انه فى زمن اكتساء شجرة اللوز بازهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين تزداد الحيوية والنشاط وتدب الشهوة فى النفوس ، فى هذا الزمن حين يقترب الموت من الانسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل روح نشاط حتى أن الجندب الصغير الجسم الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل المرء الى القبر ويطوف نادبوه ينوحون .

إليوت لا يشير الى الحيز الذى يستثقل فيه الانسان وزن حشرة صغيرة لأن الموت الذى اقترب منه يجعل كل شىء ثقيلا ، فلماذا يحيلنا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ، الصناعة الشعرية ـ صناعة «السرق المورى» ورحم الله ابا تمام ـ هى التى دفعت إليوت الى استعمال cricket اى الصرصور مكان grass-hopper اى الجندب . لا لان الجندب فى نص الكتاب المقدس فى العهد القديم فذلك أدعى له لان يذكرها لا ان يتفاداها ، ولكن لان الجندب فى شعر العرب ومن هناك اخذها . الجندب حشرة نهارية والصرصور حشرة ليلية تأوى الى مواقد البيوت ذوات المواقد (فى أوروبا مثلا) نهارا لظلامها ودفئها ولا تنفك تصرصر ولا تكف ... . gives no relief .....

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة وثابة Jumping, Chirping كما يقول المعجم الانجليزى ، ومراد إليوت واضح وهو استمرار الصرصور يصيح بلا انقطاع . والضرورة الشعرية التى دعته الى ذكر الصرصور مكان الجندب (grass-hopper cricket) هو انه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :

Where the sun beats

اى حيث الشمس تصك .

وليس الصرصور cricket باخى الشمس ولا موقده الذى يأوى اليه نهارا وهو مظلم دافىء ، بوهج الشمس الملتهب الذى تتكسر منه أكوام الظلال .

أخذ إليوت فكرة صرصوره لا من سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب اشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود خفيفة الوزن وثابة بين ازهار اللوز ، لا مزعجة صخابة فى حر الهجير حيث تصك الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير فى بانت سعاد وهى مما ترجم :

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الحصى بحثا عن الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الآن وجب المقيل.

دين إليوت لذى الرمة

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبردج سنة ١٩١٩ م وترجمت بائيته من قبل ، ولعل إليوت أن يكون قد لقى مكارتنى الذى حقق الديوان ، وقد نبه شارلس ليال على منزلة ذى الرمة فى ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummah was the last really great representative of desert song .....

أى كان ذو الرمة حقا اخر شعراء الصحراء العظام ـ أو اخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت وفى هذا نظر وابو عمرو بن العلاء عندنا اصح بصرا بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورأيه فى ذى الرمة معروف إذ جعله شاعرا من المحدثين وهوفى الحقيقة لهم رائد : وما نشك أن إليوت اطلع على ترجمة ليال فى اختياراته ومقدمتها وافاد من ذلك فى معرفة طريقة نظم الشعر العربى ، فى زمان كان فيه

شعراء أوروبا والانجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته سنة ١٨٨٥ م وكان موظفاً بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها فى مجلة بنغال ثم إنه فى سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الانبارى للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض ان شاء الله من بعد لما نرى أن إليوت أخذ من ليال فى المقدمة التى ذكرناها .

قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروريا رمض الرضراض يركضه
والشمس حيرى لها بالجو تدويم

البيت مشهور وقيل فيه أنه أكثر رمضاً من رمال يبرين لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلى وهو فن فى العربية قديم . وبيت ذى الرمة هذا يحتوى على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التى تصك :

Where the sun beats

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

وتامل (رمض الرضراض) مع قوله (يركضه) لأن الجندب يطلب الماوى فى بقية الظل المتكسر فى رمض الرضراض .

وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله : «يركضه» لأنها من قول كعب :

..... وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصى
ومن كليهما أفاد من أفاد .

هذا وفى قول إليوت :

..... for you know only
A heap of broken images

أى إنما تعلم / كومة من ظلال متكسرة .. فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما أشبه وفيه صدى من وردزورث ودى لامير كليهما وتأثر بمقدمة وليم جونز لمعلقة لبيد حيث نكر أوصافه وتشبيهاته وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التى ترد فى الشعر الكلاسيكى . (أى اليونانى واللاتينى) .

الدليل القاطع

هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابسات التى تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته فى الاخفاء والكتمان نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالانجليزية ، على أقل تقدير وعلى ما كتبه السير

من المرجَّح أن إليوت اطّلع على كثير مما تُرْجِم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبارُ المستشرقين بالإنجليزية

شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلا تعليقه على بائية سلامة بن جندل ولامية بشامة بن الغدير وعينية سويد بن أبى كاهل وطويلتى علقمة بن عبدة ، ومما يحسن ذكره ههنا أن بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا اليه ومنهم من تابعه أخذاً غير معترف فى الخطأ وفى الصواب وهذا باب ربما أتيح لنا بعض تفصيله فى موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا اليه أن الشىء بالشىء يذكر ، وكما يقول ميبريه ، رب شىء كهذا .

ولا أشك أن إليوت قد اطلع على شىء من مقدمة ليال لمختاراته (طبعة ١٨٨٥ م) إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند احدى مراكز البحر الشرقى الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال فى شعر أوروبا وأنه عسى أن يكون أقرب الأمور به شبهاً ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الاخبارية idyll وأنها تعرض علينا صوراً متتابعة مأخوذة أخذاً مباشرة من التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التى لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شىء . (راجع ص XVIII من المقدمة) .

محاكاة طريقة نظم المعلقات

مما أخذه إليوت من المعلقات سوى الذى المعنا اليه من محاكاة لبيد أنه حاكى طريقة النظم فيها ونظر فى ذلك نظراً شديداً الى المعلقة الأولى ، التى ينبغى أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت فى نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرىء القيس حيث بنى تاليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفى الايقاعى وتداعى المعانى المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات (أو كشف ما اشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شىء أو كما قال شارلس ليال

The Poet's unfolding of himself

من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستيقاف الى ذكر أم الرباب وأم الحويرث ـ دارة جلجل ـ نحر الناقة ـ خدر عنيزة ـ حديث الحب ـ حديث الجمال ـ الليل ـ الصعلكة ـ الفروسية والصيد وزمان الشباب ـ ذكريات الطفولة ـ المطر والسيل وانمحى كل شىء إلا منظر ثبير وصوت الطير ـ والسباع الغرقى ـ كل ذلك فى تجاوب مذهل من الايقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

أخذه من امرىء القيس

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على أخذه من معلقة امرىء القيس فى السطرين ٧ و ٨ من أرضه اليلاقع أى المقفرة وقد مرا فى أول كلامنا ، واخترنا لفظ الأنابيش فى ترجمتنا لقوله tubers. لأنه الأصل الذى نرجح أنه أخذ منه قوله :

..... feeding
A little life with dried tubers

أى ..... مطعما
حياة قليلة بأنابيش جافة .

ونشير ههنا الى قول امرىء القيس فى المعلقة :

كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البرى والأنابيش ما ينبشه الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزى : «الأنابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الأنابيش العنصل والعنصل بصل برى» . أ . هـ . (راجع شرح التبريزى للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة) . وترجمة السير وليم جونز : ـ

The beasts of the wood, drowned in the floods of the night, float like the roots of wild onions

(وراجع ترجمة ليال لهذا البيت فى ص ١٠٤ حيث قال : ـ

like earth ـ stained roots of squills.

الاصطلاح الانجليزى لما ينمو من النبات كالبصل ينتفخ اصله الملامس بجذوره للتراب ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثانى فيبدو أولا أن هذا بعيد من أن يكون مأخوذاً من عبارة السير وليم جونز

The roots of wild onions (أى عروق

البصل البرى) التى ترجم بها (أنابيش عنصل) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا. وأخذ إليوت قوله المتقدم من (أنابيش عنصل) هذه . وقد أبت فكرة صورة الجثث التى غرقت وبدت أطرافها من مثوارب وأذان وأذناب كأطراف أنابيش العنصل ان تفارق إليوت فنمت بنفسها فى أسطاره ٧٠ ـ ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله : ـ

You who were with me in the ships at Mylae
That corps you planted last year in your garden,
Has it begun to sprout ?

أى :

يا أنت الذي كنت معى فى سفينات ما يليس تلك الجنازة التى غرستها العام الماضى فى حديقتك

هل بدأت تخرج شطئها ؟

عنى إليوت بمايليس هنا المكتشف الدنمركى مايليس لدوج Mylius Ludwig الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلدة فى أوائل هذا القرن الميلادى ، ومات سنة ١٩٠٧ بعد مغامرة أخيرة سنة ١٩٠٦ وكانت هى من أسباب هلاكه . استعمل إليوت صيغة المضاف اليه اللاتينية (مايلاى) من (مايليس) . وهل خفى عنك أيها القارىء الكريم عنصر تداعى المعانى الشديدة بالنظر الى بيت امرىء القيس ههنا ؟

امرؤ القيس : غرقى .جنائز سباع غرقى فى العشية تشبه مناظرها فى الأرجاء القصوى أطراف البصل البرى التى ينبشها الصبيان أو خرجوا لينبشوها .

إليوت : سفائن مايليس (At Mylae) معها البحر ومخاطره . جنازة مغروسة فى حديقة فى العام الماضى . هل نبتت وأخرجت شطئها مثل النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد توافق خواطر مع بيت امرىء القيس ، كما مطر ابريل وعلو أغصان (الليلك) مجرد توافق خواطر مع مرابيع النجوم وعلت فروع الايهقان ؟

وهل فكرة dried tubers (أى الأصول النباتية الجافة أو العروق الجافة) مجرد توافق خواطر مع أنابيش العنصل ؟ العنصل هو (Bulb) بحسب الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد دائما الاصطلاح الآخر المقابل (Tuber) ـ أليس تحويل (Bulb) الى فيه لون من أسلوب تحويل grass-hopper الى (cricket) وما مر بك من قبل من أمثلة «السرق الموري ؟

قولنا عن امرىء القيس آنفاً أنه تذكر الصبا وتذكر الطفولة نشير به الى قوله :

الجِنَاسُ الحرفي أوالداخلي ليس بأصيلٍ في اللغة الإنجليزية لكن أصوله أخذت من البديع العربي في القرنين ١١، ١٢ الميلاديين

يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العنيف المثقل

والى قوله :

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

وليس ههنا موضع التفصيل وقد كان امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له أبيات لطيفة يصف بها زحلوقة الأطفال أولها :

لمن زحلوقة زل
لها العينان تنهل

لاحظ أن تذكر الزحلوقة هنا أبكاه كما بكى من ذكرى الأحباب والمنازل .

والى قوله :

درير كخذروف الوليد أمره
تتابع كفيه بخيط موصل

ابريل أقسى الشهور

هذا :

ومثل أبى تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف ـ ولكن غير حميدة (ابريل أقسى الشهور) . ومثل امرىء القيس خلص إليوت الذى هو امرؤ الأرض القفر من البدء بذكر الأطلال (عفت الديار كما تقدم) إلى حل العقد من خيط الذكريات ـ المقهى فى أول المنظومة (السطر ١١) إلى النعت المنظور فيه الى سفينة كليوبتره بعين ، (س ٧٧ ص ٢٩) :

The chair she sat in, like a burnished throne,
Glowed on marble .....

أي : الكرسى الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كأنه عرش مجلو .... (راجع نعت انوباربس لسفينة كليوبترة عند شكسبير) ومنظور أيضا فيه بنفس (العين) أو بعين أخرى تحت الحاجب الكالح إلى قول امرىء القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

(راجع من قوله س ٨٤

The glitter of her jewels rose ...

أى قام بريق جواهرها ...

her strange synthetic perfumes

أى عطورها المصنوعة الغريبة (س ٨٧ ص ٣٠) .

وقال وليم جونز فى ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gab sheds the scent of clove-gilly flowers...

لاحظ استعمال إليوت profusion فى س ٧٥ وكذلك poured فى مقابلة diffused التى عند وليم جونز و sheds ....

تأمل ذلك أيها القارىء الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنوانا له « لعبة الشطرنج

A Game of Chess

وهو الفصل الثاني من الأرض المقفرة والعنوان مأخوذ من اختيارات وليم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتأمل !! .... رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه الخ والآن .... إلى لقاء الكويتبة في الفصل الثالث الذى عنوانه ترتيلة النار .

A Fire Sermon أو كما قال

وتلفت نظرك ههنا إلى ما ذكر عن إليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشا فى الهند بانه كان من عظام أصحاب التراتيل .. لقى إليوت فى منظومته الكويتبة فى الفصل المذكور على مائدة فاترة ووصال من نوع ما يقع فى سأم المدن المعاصرة .. شىء ممسوخ من وليمة عذارى دارة جلجل ودخول الخدر خدر عنيزة : (وقد ترجم ذلك السير وليم جونز ترجمة حسنة حية) :

Woe to thee than wilt compel me to travel on foot

... تقول لك الويلات إنك مرجلي

من هنا أخذ إليوت عبارته (ص ٣٢) :

..... caresses
Which still unreproved, if undesired

وتأمل بعد أسطاره من ٢٣٥ ـ إلى ـ ٢٤٨ فى حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses
The meal ended, She is bored and tired,
Endeavours to engage her in caresses

Which still unreproved, if undesired

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن موات كما يظن
انتهت الوجبة وهى متعبة وسئمت
يحاول أن يشركها معه فى ملامسات
استمرت بلا مؤاخذة ان لا بلا اشتهاء

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت مواتيا بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتماء العذارى ـ يطبخن ـ بلحم مطيته (يخطىء من يحسب انهن كن يترامين بقطع اللحم كالغولات وكان اللحم كرات لعب) وبشحم كهداب الدمقس المفتل الذى هو حريرهن وبياض ابشارهن فدخل الخدر خدر عنيزة ليشركها معه فى ملامسات ومداعبات فزجرته بقولها « لك الويلات إنك مرجلي ، ومع زجرها له مال بهما الغبيط معا :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سيري وأرخى زمامه
ولا تبعديني من جنابك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

كلام امرىء القيس فيه شيطنة وأريحية وحرارة عاطفة وصدق فني مباشر مع الايقاع الرنان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لا عاطفة فيه ولا حرارة ولكن مرارة برود تعال فكري وشيء من سخرية . غطاء كثيف يخفى حقيقة السريرة ولو كانت فيها أريحية من عواطف البيان والصدق الشعرى لهتكته . فى كلام إليوت روح سآمة كسآمة الليل والبعير الذى شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى بصلبه وأردف اعجازا وناء بكلكل ، وكسآمة الحبلى التى ذكرها امرؤ القيس فزعم أنه الهاها عن طفلها ذى التمائم المحول .

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له
بشق .... (الى آخر البيت)

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرىء القيس وعذلوه عليه وعابوه وأبى الشعراء من بعد إلا أن يحاكوه فيه ويسرفوا كالذى صنعه سحيم عبدبني الحسحاس فى يائيته « عميرة ودع ان تجهزت غاديا » :

وفيها وجدان وغرام وفتك وكالذى صنعه بشار فى الرائيتين ، المقيدة التى يقول فيها :

أقى بـــدد هـــذا لعبى
ووشـــاحي حله حتى انتثر

والمطلقة التى يقول فيها :

قولى لها بقة لها ظفـــر
إن كان فى البق ما له ظفر

وفى كلتيهما تهتك وزندقة ومجون .



عزرا باوند



جرارهوبكنز

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى عنيزة امرىء القيس وإلى دعوي التحضر والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام أرض إليوت المقفرة اليباب الخراب ؟ هذا باب يكتفى فيه بمجرد الاشارة واللمح .

أثر البديع فى اوزانه

ويبقى وزن إليوت . ومداره كما يذكر نقاده على محاكاة نبرات الكلام المالوف وعلى الجناس الداخلي وعلى سجعات القوافي وهذا امر خالف فيه أصحاب الشعر الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم وقد تأثر فيما ذكروا بازرا باوند وقد سبقه فى مذاهب من النظم جرارد مانلى هوبكنز Gerard Manley Hopkins

ورجع إليوت فى ما يذكر إلى نماذج من الشعر الانجليزى القديم الذى يقال له المتوسط مثل منظومة وليم لانجلاند (ولا يكادون يستشهدون إلا بها) التى أسماها بطرس الحراث .

William Lang Land ولد ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م) ـ بطرس الحراث

Piers Ploughman

وعندى ان الجناس الحرفي او الداخلي ليس بأصيل فى اللغة الانجليزية على اتصاله بأوائلها ولكنه أخذت أصوله من البديع العربى إذ هو قد كان النموذج الأدبى البراق المحتذى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلادى فما بعدهما وقد كانت أمة العربية آنئذ هى أمة المدنية الكبرى المرموقة فى ذلك الزمان ـ تحاكى أساليب حياتها وآدابها كما نفعل الآن بتقليد الأفرنج . نكر صاحب الذخيرة نقلا عن المؤرخ أبى مروان ابن حيان فى صفة ريموند صاحب برشلونة (ص ١٥٥ القسم ١ ح ١) : « فاذا هو جالس على مرتبته عليه من ثياب المسلمين » ا . هـ .

أمر آخر ينبه إليه مما عسى أن يكون إليوت قد أخذه أيضا من أساليب العربية ، هو مذهبه فى غرابة التشبيه . ويوقف كثيراً عند قوله فى احدى منظوماته :

Let us go then, you and I
When the evening is spread out against the sky
Like a patient etherised upon a table

أي :

دعنا إذن نذهب انت وانا
عندما يكون الليل قد مدد بازاء السماء
مثل مريض بنج على منضدة « العمليات »

ووصفه برغونزى بالجمال والغرابة (ص ١٥)

التشبيه المقلوب

والحق أن تشبيه إليوت ههنا جار على ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب ، المريض ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجاة غشيان الظلام الأفق تكون مفاجاة غيبوبة المريض بالبنج .

من أمثلة التشبيه المقلوب المعروفة :

وبدا الصـــــبلح كان غرته
وجـــه الخليفة حين يمتـــدح

وما الأمر إلا أن وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدودا على منضدة عملية . وغرة الصبلح الباهرة صارت غروبا ... هل أخذ إليوت من ههنا أم هو توارد خواطر ؟ لعله توارد خواطر ولكنه بلا ريب تشبيه مقلوب . صناعة وبديع مصقول متكلف لا لكثر ولا اقل .

أشهد أن أول مادعا إلى الشك فى اصالة إليوت فى منظومته The Waste Land (الأرض المقفرة) ما قدمته من ارتياب النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب واسماء من أشاروا إليهم ومن غلبة البرود والتنطس على أسلوبه ومذهبه ومن الفتنة المغرطة به ولا سيما من ليست لغتهم بلغته وفى لغته على أهل لغته هو الانجليزية عسر شديد ، حتى المعجبون به نكروا ذلك . مثلا قال انتونى بيرغس Anthony Burgess فى كتابه من الأدب الانجليزى طبعة ١٩٨٠ م وهو من المعجبين باليوت ان منظومته The Waste Land (الأرض المقفرة) فيها عسر ومشقة على القارىء وذكر من بين أسباب ذلك كثرة الاشارات والاقتباسات والأخذ من أدب أوروبا والهند وتداخل الصور إلى آخر ما قال .

الأخذ بلا اعتراف

ومع أن تاريخ كمبردج للأدب الانجليزى يعد إليوت من ثلاثة العصر فى الشعر الانجليزى الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة أخذه من دون اشارة إلى موضع الأخذ أو علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما أخذ وما استعار . وألمع تاريخ كمبردج إلى أنه إن يك المراد من هذا الحنين إلى الماضى هو التعبير عن الضجر عن العصر بأسلوب أدبى ، فان ذلك غير خارج عن

نطاق الأساليب التقليدية ، ونص عبارة تاريخ كمبردج هو كما يلى وما قدمناه فحواها وملخصها (ص ٨٥٣) :

But we may doubt whether the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كلمة صدق تقال للمفتونين بإليوت: إن كتمانه وسرقته ودينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرقى الهند وفرنسا والمانيا وهارفارد وجامعتى اكسفورد وكمبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفى غيرهما وشافهه ، ينبغى أن يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به وإقبال عليه .

أسأل الله ان تكون الموضوعية النقدية لنا رائداً ودليلا فى ما نقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت فى أكثر ما قدمت بالصدر الأول الأكبر من منظومة The Waste Land خشية الاطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادي التنبيه . ولقد اقبلت على كتابة هذه الكلمة الموجزة فى بابها ، وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى وجملة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة اذكياء وأساتذة علماء وغيرهم من المعارف والأصدقاء . فمنهم من نبه على ما لم أكن له متنبها ومنهم من أعان على تيسير المراجع او دل عليها ومنهم من ساهم بالرأى وبالكلمة المفيدة – من ذلك مثلا أن عنوان إليوت (لعبة الشطرنج A Game of Chess لا يخلو من نفس امرىء القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل ابيه ومن ذلك مثلا قول إليوت

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر فى نحو :

قفا نبك من ذكرى ..
عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ..
خليلى عوجا من صدور الرواحل ..
قفي قبل التفرق يا ظعينا

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل . إلا اننى أرجح أن يكون إليوت اقتدى بطريقة شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير فى مسرحية ريتشارد الثانى الملك على لسانه :

Of comfort let no man speak

اي لا يتحدثن امرؤ عن الراحة . وفيها

let us sit upon the ground

اى لنجلس على الأرض . ويعجبنى منها قوله



وليم بليك



اندرو مارفيل

(راجع التماسة عزاء ص ٤٤) :

Let's talk of graves and worms and epitaphs
Make dust our paper and with rainy eyes
Write sorrow on the bosom of the earth

وترجمته التقريبية (التماسة عزاء ٤٤) .

هلموا عن الأجداث والدود والرثا
حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاسا
ومن أعين تهمي بكالغيث سطروا
على ثدي هذى الأرض للحزن انفاسا

وشبه كلام شكسبير بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، فى نمط الصياغة غير بعيد .

وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير :

Since there is no help, let us kiss and part

واقرب مايترجم به هذا شطر بيت المثقب العبدى

(أفاطم قبل بينك متعينى)

وليس بجد بعيد من : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل .

توارد الخواطر كثير فى المعانى الانسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربي المعدن وكان الأخذ فى زمان النهضة الأوربية عن معارف العرب وآدابهم أمراً شائعاً .

وأخذ إليوت عن شعراء الانجليزية خاصة قد كفانا مَئونته نقاده ، حتى بيرغس الموالى له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للأدب الانجليزى الذى سبق أن أحلنا عليه من قبل قد بكت إليوت كما مر على الأخذ بلا اعـــتراف او تعليق ونعى عليه استعمال التضمين والاقتباس بطريقة آلية صارت من بعد مجرد حيلة أسلوبية عند مقلديه الكثيرين أو كما قال (ص ٨٥٣) :

..... A mere trick of fashion in his numerous imitators

هذا ، ومنهم – أى ممن ناقشت – من حث حثا على تدوين ما بدا خشية أن يؤخذ من المشافهة فأسبق إلى نشره ولا يشار إلى المصدر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو التنبيه على كتمان إليوت تقليده لطريقة العرب فى صياغة القصيد – وقد عرف العرب التضمين والاشارة وغرائب من البديع مع الذى سبق توضيحه من مذهبهم فى الوصف وتداعى المعانى على النحو الذى بين جانبا منه ليال فى مقدمته القيمة .

ليعى بعضنا صياغة القصيد الذى لو اقبلنا على درسه لأغنتنا روائعه أسلوباً تقليدياً .. ويسمون إبداعا تقليد إليوت الذى يقلده ، فتأمل .

باب للقول فيه متسع

الآراء التى بثثت بطرف منها ههنا قديمة عند كاتب هذه الأسطر المع إلى بعضها فى حديثه عن فى الطيب الذى القاه فى المهرجان الذى أقيم له ببغداد فى تشرين الثانى سنة ١٩٧٧ م وطبعت فى سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبى . وقد جاء فيها ذكر أخذ الشاعر اندرو مارفيل فى منظومته البستان The Garden من :

(مغانى الشعب طيباً فى المغانى)

وأخذ وليم بليك فى منظومته عن النمر من أسد أبى الطيب الذى ما قوبلت عيناه ..

ما قوبلت عينـــــاه إلا ظننتـــا
تحت الدجى نار الفريق حلولا

وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .

ولله الحمد فى المبدأ أو الختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،

د . عبد الله الطيب

اعتذار وتصويب

تعتذر « الدوحة » عن خطأين وقعا فى الجزء الأول من هذه الدراسة الجامعة ، والمنشور فى العدد ٧٤ – ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ – فبراير ١٩٨٢ م . ففى السطر الأول من الغمود الثالث فى ص ٢٨ سقطت جملة هى : (وكان اليوت معروفاً بالانحراف عن جون ملتون الشاعر الانجليزى الكبير ثم تجىء بعدها الجملة (ومن جون ملتون الخ) .

وفى السطر ١٠ من آخر ص ٣١ من آخر العمود الثالث وقع خطأ مطبعى وهو (بمملكة محدودة المدة) وتصويبه (بملكة محدودة المدى) .

لقطات ثقافية

أحمد بهاء الدين شاعرًا

● يعرف القراء « أحمد بهاء الدين » كاتبا عربيا كبيرا ، تتميز كتابته بالعمق والجرأة والوعى والثقافة والصدق والنزاهة ، ولعل الكثيرين من القراء قد لاحظوا ما فى كتاباته من سلاسة وعذوبة وجمال ادبى حتى وهو يكتب فى أعقد المشاكل السياسية ، وقد كشف الكاتب الباحث الأستاذ صلاح عيسى فى رسالة إلى الدوحة عن جذور هذا الجمال الذى نلاحظه ونستمتع به جميعاً فى كتابات بهاء وذلك عندما أرسل إلينا هذه « القصيدة » التى كتبها أحمد بهاء الدين فى مطلع شبابه والقصيدة تكشف أن بهاء الذى أعطى معظم جهده الفكرى للسياسة والبحث الاجتماعى والتاريخى ، قد بدأ شاعراً ويبدو أن الشاعر أحمد بهاء الدين قد تسلل واختفى بين سطور مقالات الكاتب الكبير فأعطاها قيمتها الجمالية بالاضافة إلى قيمتها الفكرية ... وهذه هى قصيدة أحمد بهاء الدين التى نشرها فى مجلة « الفصول » القاهرية سنة ١٩٤٧ ... والقصيدة على جمالها وطرافتها فيها خطأ نحوى واحد ، حيث استخدم الشاعر الشاب أحمد بهاء الدين فعل « تريدي » بدلا من الفعل الصحيح تريدين ، وهو خطأ « هين » من أخطاء البداية ـ والقصيدة نفسها بعد ذلك تكشف عن لحظة تاريخية من لحظات الأزمة الوطنية فى مصر ، ففى سنة ١٩٤٧ كانت مصر تعانى ضغوطا عديدة من الاستعمار وحكومات الأقلية التى لا تهتم بمصالح الشعب .

يا مصر لو شئت الفدا وجدتنى
فى مطلع الأبرار واسمك فى فمى
وكما رويت بماء نيلك غلتى
اروى ثراك بما « تريدى » من دمى
زمنى يضيع وكل يوم فيه يطوى لى أمل
وأنا هنا أستعرض الأيام .. لما ترتحل
لا أستطيع السير فى تيارها أو انتقل
وإذا جرؤت وقلت أمشى كم تضيق بى السبل

* * *

لقطة:

أحمد شوقى وأحمد عدوية

● لا يزال الأديب العربى بالرغم من الادعاءات والجعجعات هو شحات هذه الأمة ، فلا أحمد شوقى بلغ مرتبة أحمد عدوية ، ولا محمود سامى البارودى مثل محمود شكوكو ، ولا بنت الشاطىء مثل بنت بديعة ! ومنذ سنوات قليلة مات شاعر عظيم من الجوع هو عبد الحميد الديب ، ورثاه كامل الشناوى بكلمات بليغة : « اليوم مات شاعر تعرى واكتست الأضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب » !!

وبالأمس القريب مات فنان واديب كان تحفة زمانه ونادرة عصره وأوانه هو زكريا الحجاوى ، وكانت أمنيته الوحيدة ان يجمع عشرة آلاف جنيه يعود بعدها إلى قريته ليعيش ما تبقى من عمره فى هدوء ! وفى الستينات مات العالم والأديب والناقد أنور المعداوى لأنه لم يستطع الحصول على تكاليف علاجه فى الخارج . وهى وصمة عار فى جبين أمة يحسدها الغرب على غناها ، وتتحالف ضدها كلاب الأرض طمعاً فى ثروتها .

محمود السعدنى

عن جريدة « السياسة » الكويتية

* * *

الاغتراب

● كتاب هام صدر أخيراً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر « وصاحبها ومؤسسها هو الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى تم اغتياله فى مكتبه بالمؤسسة منذ شهرين » ـ مؤلف الكتاب هو ريتشارد شاخت ومترجمه هو الأديب العربى يوسف كامل حسين . ويعالج هكذا الكتاب مفهوم الاغتراب فى الفكر والأدب منذ سنة ١٨٠٠ إلى اليوم ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه الهام : « أصبح من المألوف فى الوقت الراهن بصورة متزايدة أن نسمع عن تفسير الحياة فى عصرنا الحالى من خلال مفهوم الاغتراب ، وحينما يقرر كتاب المقالات النقدية عن الكتب والأفلام والمسرح ، أن عملا ما يعالج الاغتراب وما أكثر ما يقومون بتقرير ذلك ، فانهم يقصدون أن ينقلوا لقرائهم فكرة أن هذا العمل يعالج أحد جوانب « مأزق الانسان المعاصر » أو الورطة التى يعانيها قطاع يعتد به من أبناء المجتمع المعاصر ، ويذهب المعلقون الاجتماعيون على نحو متزايد إلى القول بأن الاغتراب هو واحدة من أضخم المشاكل التى تواجهنا اليوم ، وهم يرونها متمثلة فى الهوة بين الأجيال ، فى ظاهرة شباب الهيبيز ، فى الحركة المناهضة للحرب ، فى أزمة الثقة السائدة ، فى حركتي الثقافة السوداء ، والقوة السوداء !!

* * *

استقالة

● كتب الناقد المعروف الدكتور لويس عوض إلى أصدقائه فى الوطن العربى وفى الغرب رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة تم توزيعها على نطاق واسع ، هذا نصها :

« د . لويس عوض يتشرف بابلاغ اصدقائه بأنه قد استقال من عمله فى مؤسسة الأهرام اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٨٢ وسوف يمكن الاتصال به فقط فى العناوين الموضحين فى



احمد بهاء الدين



لويس عوض



محمود السعدنى

هذه البطاقة :

المنزل : شارع القصر العينى رقم ٤٤ شقة ١٦ ـ القـاهرة تليفـون ٣٣٢٠١ مكتب خاص : شارع الهرم رقم ١٧٥ شقة ١٦ الجيزة تليفون : ٨٥٦٢٣٤ .

* * *

أزمة الكتاب العربي في أرقـام

أصدرت اليونسكو احصائية تقول فيها : إن عشر دول عربية أصدرت سنة ١٩٦٥ ما مجموعه ٥١٩٩ موزعة كالآتى :

مصر	: ٣٢٥٥	كتابا
سوريا	: ٤٥٨	كتابا
لبنـان	: ٣٧٣	كتابا
العراق	: ٢٦٨	كتابا
تونس	: ٢٠٠	كتابا
الأردن	: ١٦٢	كتابا
المغرب	: ١٦١	كتابا
الجزائر	: ١٣١	كتابا
الكويت	: ١١٣	كتابا
السودان	: ٨٣	كتابا

وفى سنة ١٩٨١ نقص انتاج العالم العربى من ٥١٩٩ كتابا إلى ٢٨٥٠ كتابا .

وهذه الكتب التى صدرت سنة ١٩٨١ موزعه كالآتى :

١٦٥٠ كتابا صدرت فى بيروت وحدها .

١٢٠٠ كتابا صدرت فى « كل » الدول العربية !

الكتاب العربى فى أزمة .

هذا ما تقوله إحصائية اليونسكو بالأرقام .

* * *

من الأرشيف الأدبي :

جماعة الفن المنحط

● هذا مقال كتبه الأستاذ عزيز أحمد فهمى سنة ١٩٣٩ ، وفى ذلك العام تكونت فى مصر جماعة باسم « جماعة الفن المنحط » ، وقد فشلت هذه الجماعة ، وفشلت كل جماعة على شاكلتها ظهرت منذ ذلك التاريخ فكل « التقاليع » لا تعيش ولا تنجح ، إنمـا ينجح الصـدق والعمق والاحساس بالمسئولية فى الفن والحياة معا .. وهذا هو مقال عزيز أحمد فهمى عن جماعة الفن المنحط التى انشئت سنة ١٩٣٩ وماتت فى نفس العـام :

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمت نفسها « جماعة الفن المنحط » ، وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع إذ لم يزرها فى دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافي ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها .

« والفن المنحط » الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلا مادام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فنا ومنحطا فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذبا .

فالفن هو نتاج الحس لا الفكر .

ومتى توفر فيه الصدق فانه سـام رفيع ، ولا يفسده شىء ولا يخفض من شانه شىء إلا أن يكون تكلفا ، فهو عندئذ ليس فنا وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شـاعر إلى « التحـرر » فى شعره وحسـنه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيه لذته النفسية ، ولأنه يعبر عن هذا الذى يجده تعبيرا صادقا فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فاما أن يرضيها وإما أن يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسـام المعجب بالأجسام الذى يصـور محاسـنها فهو عنـد الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا كله ويعبر عنه صادقا فى تذوقه وتعبيره . فاذا شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتعرضه لها أن يجارى أصحابها وأن يقال عنه إنه مثلهم روحانى متصوف فانه سينحط ويضعف لأنه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير .

وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه إلى مالا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الأغراض فانه يكون عندئذ كاذبا ومنافقا ويكون رسمه منحطا حقا .

فاذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقا لا لشىء إلا هذا التكلف ..

من روائع الأدب العالمي

النورس الرمادي

للكاتب الأيرلندي : أوفلاهارتي

ترجمة : عادل شريف

رسم : حلمي التوني

يعتبر ليام أوفلاهرتى من المع نجوم الادب الايرلندى المعاصرين الذين ادخلوا الكثير من الحيوية والتجديد والقوة والبهجة والعصرية على النثر الانجليزى فى الثلاثين عاما الماضية وتعتبر كتابات أوفلاهرتى أصدق مثال على ذلك . وقصته القصيرة النورس الرمادى (والنورس طائر بحرى شهير) من إحسن ما كتب افلاهرتى لأنها تضم تركيبة ذكية لماحة عن الخيال والحقيقة .. وهما أبرز صفات الشخصية الايرلندية .. على مر العصور ! ..

ونصيحة خالصة للقارىء العزيز . فمن يريد ان يعيش هذه القصة ويستمتع بها فعليه ان يجهز عليها فى جلسة واحدة .. غير مجزأة ! والذى لن ياخذ بالنصيحة لن يستطيع ان يحلق فى سماء الخيال مع « النورس الرمادى » .وستنقطع انفاسه وهو يجرى على الارض محاولا اللحاق .. به .



اجتمع كل افراد عائلة ديسى حول مائدة غرفة الطعام بعد تناول العشـــــاء فى « كيلفيتان هاوس » بعقد مجلس عائلى وقد خيمت الكابة على نفوسهم جميعا . وكان ذلك الاجتماع قبل ثلاثة ايام من سباق « كولاغ هنمت » السنوى للخيول وكان سبب حزنهم هو عدم عثورهم على فارس يقود حصانهم ذا الاعوام الخمسة « النـــورس الرمادى » والذى كانوا يأملون ان يفوزوا به بجائزة السباق الشهيرة « طبق ليوسبون » . وكان المفروض ان يركب الحصان روجر الابن الاكبر ذو العشرين عاما ، ولكنه كان يجلس إلى اقصى المائدة وقد لف ذراعه اليمنى فى جبيرة وضمادة بعد ان كسرت منذ أسبوعين وهو يدرب « النورس الرمادى » على القفز من فوق الحواجز .

وقد حاولت العائلة عبثا ان تجد بديلا لروجر . ونجمت المتاعب عن عدم ســـماح « النورس الرمادى » لأى شخص اخر بامتطاء صهوته لمدة تزيد عن .. ثانيتين او ثلاث ثوان ! ولذلك كان ال ديسى يواجهون موقفا لا يحسدون عليه . وقطع روجر الصمت الطويل الذى ران على العائلة قائلا « يجب الا نياس » .. ان « النورس الرمادى » ليس متوحشا حقيقة .. إنه متوتر الأعصاب فحسب ، ولا يحب غير عدد قليل من الناس ولو امكننا العثور على شخص يسمح له « النورس الرمادى » بركوبه .. لامكنه ..

قاطعه السيد ديسى فى لهجة حزينـــة « لا فائدة من ان تخدع نفسك يا روجر اكثر من ذلك فاننا لا نستطيع ان نجد فارسا له . هذا هو حظنا . انه حظ ال ديسى . ولا يمكن ان نقاوم ما قسم لنا . ان هذا النحس يطاردنى طيلة حياتى » .

ردت السيدة ديسى « هذا كلام فـــارغ يا جون » . ولكن جون رد عليها « بل هى الحقيقة يا دوروثى .. ويجب ان تدركى هذه الحقيقة بعد ان استمر زواجنـــا اثنين وعشرين عاما » . فعادت الســـيدة ديسى « لا يوجد شىء اسمه حظ ال ديسى الســـيء . لقد تعبت وسئمت من اتخاذه عذرا للكسل والعجز والجنون المطبق » .

وكان السيد ديسى يبدو عليه بعض الجنون فعلا وهو يحملق فى زوجته . وكان جون ديسى رجلا طويل القامة نحيلا وفى الواحدة والستين من عمره ، وله نظرة وحشية فى عينيه الســـوداوين . وكانت هناك ندبة كبيرة على صدغه الايمن نتيجة سقطة من على حصانه فى شبابه عندما كان يشترك فى سباق الحواجز .

وصاح الرجل متهكما « حقا .. ان هذا لشىء جميل تقولينه امام الأولاد فى لحظة كهذه ، عندما اكون فى احلك أوقات شقائى بينما يمكن لكلمة حلوة ان تجد لى مخرجا من مازقى . انك لرفيقة ممتازة لرجل فى ورطة ! » .

فقال روجر « لا تحزن يا ابى ولا تلق بالا لما تقوله أمى . انها تحب ان تسمع نفسها وهى تتكلم .. هذا كل ما فى الأمر» فانفجرت السيدة ديسى صائحة ، لا أريد ان اسمع مزيدا من وقاحتك يا روجر ، انك منذ بدأت تقلد اباك وتقامر وتشترك فى سباق الخيل ، فقدت كل اخلاقك الطيبة واحترامك للكبار . لقد اصبحت ، ديسى « حقيقيا » ! وهنـــا تدخلت العمة بنيلوبى فى الحديث قائلة « ما هذا كله ؟ يجب ان يكون حديثكم مهذبا انكم لن تحصلوا على فارس يتبادل الشتائم واذا كان من الممكن الحصول على أى شىء باستخدام الشتائم ، فان هـــذه العائلة ستصبح حتما اغنى عائلة فى كل البلد » .

وضرب السيد ديسى المائدة بقبضته وهو يرغى ويزبد وصاح « انكم تبحثون عن الحظ .. لقد حاولت طيلة حياتى ان أربى حصانا ممتازا يتخصص فى سباق الحواجز .. ونجحت فى اخر الأمر وانا قاب قوسين من قبرى .. وليس من شك فى انه جواد ممتاز حقيقة .. بل اقسم انه اكثر من ممتاز .. رغم انه لم يختبر فى سباق تشترك فيه جياد من الدرجة الأولى .. وتستخدم فيه الحواجز العالية،لو تمكنت من إشراكه فى السباق كما ينبغى لحصلت من ورائه على عشرة آلاف جنيه فى عام واحد . فصاحت السيدة ديسى فى احتقار : « تقصد عشرة آلاف .. زيادة ! » .. فصاح السيد ديسى فى عصـــبية : « لا توجد كلمة كاذبة واحدة فى كلامى .. فهناك مئات من الانجليز فى طريقهم الآن إلى ايرلندا من أجل تناول اللحم الايرلنـــدى الطيب .. وقد امتلأت جيوبهم بمال وفير .. وعندما تمتلىء بطونهم بشرائح اللحم اللذيذ تغمرهم السعادة إلى حد الشعور برغبة شديدة فى شراء جواد متخصص فى سباق الحواجز وفى الفوز بالسباق الوطنى الكبير . وهم يدفعون أسعارا مذهلة للخيول العجوزة التى لا تستحق الشعير الذى تأكله » .

وكررت السيدة ديسى نفس الجمـــلة « عشرة الاف اكذوبة ! يا جون لو كنت تهتم بزراعة أرضك او بتربية الماشية ..»فقاطعها روجر : انه على حق يا أمى وما يقوله حقيقى ، وانا أعلم ان اللورد ديليسك قد حصل على أربعة آلاف جنيه ثمنا لجواد اسمه سيمبلتون ، رغم انه كان قد اشتراه من بارنى غولدريك ثلاثة مائة وخمسين جنيها منذ شهرين . الا تذكر يا أبل ؟ وكان كل الناس يقولون إنه كان مجنونا عندما دفع هذا المبلغ لبارنى !

فقال السيد ديسى : هذا صحيح لقد قبض أربعة آلاف من الجنيهات ثمنا لسيمبلتون وهو جواد عمره عشر سنوات ولم يفز أبدا باكثر من الجائزة الثالثة . يا لمهارة ديلسك ! اننى أستطيع ان أكون فى مثل مهارته ، إذا تمكنت من الحصول على فارس النورس الرمادى . ولو تمكنـا من الفوز بجائزة طبق

النـــــورس الرمـــــادي

ليوســبون بفضل هذا الفارس وجوادى ثم فزت بسباقين آخرين ، لحصلت على ما يكفينى من المال لاشترك به فى السباقات الكبرى . وبعد ذلك يمكننى أن اذهب إلى بانشتون فى العام التالى ، واذا ربح جوادى هناك فسيعترف به كبطل ، ويمكننى أن أحصل على برميل من المال ثمناً له .. وهنا قالت السيدة ديسى : ان كل فرد من آل ديسى ولد مجنوناً ويموت مجنوناً . بلا أى فترة من فترات العقل طيلة حياته . لو قمت بعمل أمين بدلا من أن تحلم بهذه المشروعات لتحصل على الثروة بسرعة ، لما كنا بلا رصيد فى البنك ولما خجلنا من الظهور فى البلدة بسبب كل الديون التى علينا . فقالت بنيلوبى : ان هناك قدراً كبيراً من الحقيقة فيما تقولينه يا دوروثى ، ولكن أود أن أوضح أن عائلتك آل فيتزمورس ليست مثلا صادقاً على النجاح والاقتصاد . هل هى كذلك الآن ؟ .. فقال السيد ديسى « كفى يا بنيلوبى ، لا تتدخلى فى الأمور الشخصية » فقـــال بريان وهو فتى أحمر الشعر فى السابعة عشرة من عمره « يا الهى الا يمكنكم ايها الكبار أن تحاولوا التفكير فى شخص آخر ليركب النورس الرمادى بدلا من أن تتشاحنوا بمثل هذا الضجيج الشديد ! » . فقال السيد ديسى « اننى أسوأ الرجال حظاً على ظهر الأرض ، فبعد أن فقدت الأمل فى تربية جواد ممتاز ، وهبتنى العناية الالهية بطلا ، ثم اتضح أن البطل متوحش ! » فصاح روجر مستنكراً : « ان النورس الرمادى ليس متوحشاً يا أبى لماذا تكرر انه متوحش ؟ » فقال السيد ديسى « اذا لم يكن متوحشاً .. فاننى لا أفهم شيئاً فى الدنيا .. انى لم أر فى حياتى مخلوقاً أكثر وحشية من هذا الجواد» فقال روجر : «ولكنه سلس القياد مع أى شخص يحبه . ان له فم ملاك ! فكيف يكون متوحشاً وله مثل هذا الفم الجميل ؟ » فرد السيد ديسى « عندما يرانى ذلك الحيوان قادماً فانه يكشر عن أنيابه ويطلق صيحة تخيف أشجع محاربى الزولو » فقال روجر : « ان السبب هو أعصابه ، فهو شديد الحساسية ، وهو لا يثق الا فى عدد قليل جداً من الناس ، فصاح السيد ديسى » : هل تقول عدداً قليلا جداً من الناس ؟ . انـــه لا يسمح الا لك أنت بالاقتراب منه ، وهذا يثبت أنه مجنون . وكل حصان مجنون له نزعة مثل هذه ، ولا يسمح الا لشخص واحد بالاقتراب منه . أوه .. ما جدوى الكلام ؟ ان حظ آل ديسى السيىء هو الذى يطاردنى باستمرار » . فاردف روجر : « انه يسمح للعمة بنيلوبى أيضاً بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه ليس مجنوناً . بل انه يحبها أكثر مما يحبنى . أو ليس ذلك صحيحاً يا عمتى بنيلوبى ؟ » فقالت السيدة ديسى فى حقد : « هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يثبت الا أنه شديد الجنون حقاً » فقالت بنيلوبى : « انك لا تفوتك أية فرصة يا دوروثى .. أليس كذلك ؟ » وهنـا تقدمت الابنة الصغرى شالوت وهى فى السادسة عشرة من عمرها باقتراح مفاجىء فقالت فى صوت عميق : « اذا كان يكن مثل هذا الحب العميق للعمة بنيلوبى فلماذا لا تركبـــه عمتى فى السباق ؟ » .

فنظر السيد ديسى والابناء الثلاثة إلى العمة بنيلوبى باهتمام بينما زمجرت السيدة ديسى باحتقار وواصلت حياكة صديريها فقالت العمة بنيلوبى فى سخط وهى تعود بمقعدها إلى الوراء « هـــذا صحيح .. هيا اسخروا بامرأة عجوز .. ماذا وراءكم غير هذا ؟ » وكانت فى الثالثة والستين من عمرها وشديدة الشبه باخيها ، اذ كانت طويلة القامة نحيلة ، ذات عيون سود وحشية أضفت على وجهها ذى الوجنتين الحمراوين بعض مظاهر الجنون وكان لها رأس جميل رمادى الشعر . وفى شبابها كانت من أشهر الفارسات ، كما اشتركت بنجاح فى بعض السباقات المحلية ولكنها لم تركب أى جواد طيلة العشرين عاماً الماضية بسبب ضعف نظرها . ومع كل ذلك فقد كانت ما تزال شديدة القوة والنشاط وتشتهر بكونها أحسن منا فى كل المنطقة .

وتجمع الابناء الثلاثة حولها يحتجون باصوات عالية على اتهامها لهم بانهم يسخرون منها . وصاح روجر « انها فكرة مدهشة » وقال بريان « كان يجب أن نفكر فيها منذ زمن بعيد ، انك أحسن فارسة فى كل المنطقة . لقد سمعت جاك هاينز البيطار وهو يقول ذلك ، ولا شك أنه يعرف ما يقوله لأنه كان فارساً ممتازاً هو الآخر » .

وقالت شارلوت فى صوتها الرزين : «إننى افكر فى هذا الموضوع منذ يومين يا عمتى بنيلوبى ولكن لم تسنح لى الفرصة لأعرض فكرتى هذه » . فضرب السيد ديسى المائدة وقال فى كآبة : « اجلسوا يا أولادى ولا تقولوا هراء ، انكم تعرفون ان امراة فى سن بنيلوبى لا يمكنها أن تقود حيواناً متوحشاً مثل النورس الرمادى فى سباق طويل مثل هذا السباق ، يالله المصيبة ! ماذا سيحدث لو ثار الجواد ! » .

وصاح روجر فى صوت جاد : إنك مخطىء يا أبى ، ان النورس الرمادى رقيق جداً إلى حد انه .. » فقاطعته السيدة ديسى » : يجب أن تتذكر يا روجر أيضاً أن العمة بنيلوبى عمياء كالخفـــاش . فصرخت بنيلوبى مستنكرة « اننى لست كذلك ، اننى استطيع أن أرى أحسن منك يا دوروثى . واستطيع أن أرى جيداً بنظارتى ولأثبت لـــكم ذلك فسأمتطى النورس الرمادى غداً وسائب به من فوق بعض الأسوار » ، وأطلق الابناء الثلاثة صيحة فرح . وصرخ روجر : يا عمتى بنيلوبى العجوز المدهشة ! لقد كنت واثقاً من شجاعتك . فقال السيد ديسى وهو ينهض مهلا يا أولادى .. يجب ألا نقول كلاماً بلا طائل .. لا يمكننى السماح لبنيلوبى بركوبه .. اننى لن أستطيع أن اغفر لنفسى لو حدث لها أى شىء . فقالت بنيلوبى فى استعلاء : « لا تكن أحمق يا جون ، اننى أستطيع الركوب مثلما ركبت فى شبابى ، كما أريد أن اثبت لدوروثى اننى لست عمياء » .

ومر السيد ديسى بيده على خده ، وظهر تعبير وحشى فى عينيه وهو ينظر إلى أخته . وبدأ قلبه يدق بسرعة متزايدة وقال وهو يتنفس بصعوبة : «حسناً يا بنيلوبى ، اذا كنت حقاً تريدين تجربته فليكن غداً .. » .

وفى الصباح التالى بدت بنيلوبى كطفلة عندما امتطت صهوة الحيوان الضخم وهى تضع نظارتها وترتدى سترتها الرمادية وسراويل الركوب .. وكان ارتفاعه يزيد على سبع عشرة قبضة (١٧٠ سم) ويتمتع ببنيان قوى . وصاح السيد ديسى فى أخته من بعيد « خذى حذرك الآن يا بنيلوبى » ولم يجرؤ على الاقتراب حتى لا يثور الجواد .

فقالت بنيلوبى « هراء .. دع العنان يا روجر .. لماذا تثور أعصابكم جميعاً هكذا ؟ ، ان من يراكم هكذا يظننى طفلة فى الرابعة من عمرها تتلقى درسها الأول » .

وهمست للحصان وسارت به ببطء إلى المضمار نحو الميدان الكبير حيث بنى السيد ديسى بعض الحواجز لتدريب الخيل

الصغيرة . ولم يسلك النورس الرمادى سلوك الحيوان المتوحش على الاطلاق ، بل اطاعها واستكان لتوجيهاتها بطريقة مهذبة واعية .

وبعد أن خبت به حول الميدان فترة قليلة اركضته بسرعة ووجهته ناحية أحد الحواجز فوثب من فوقه برشاقة . واظهرت بنيلوبى انها لم تفقد مثقال ذرة من مهارتها القديمة رغم انقطاعها عن الركوب ، وتحكمت فيه كمحترفة بعد وثبتها .

وأطلق الأولاد صيحة هائلة وهم يرقبون الحصان والمرأة العجوز صغيرة القد وهما ينهيان معاً الوثبة بسلام . وابتسم السيد ديسى بسمة عريضة ليصيح روجر « ألم أقل لك يا أبى ؟ ان النورس الرمادى يصبح فى رقة الحمل مع من يحبه . ارقبه وهو يثب من فوق الحاجز الثانى الآن . لقد ولد ليثب ! انه يتخطى الحواجز فى رشاقة غزال » .

وقفزت بنيلوبى والجواد من فوق الحاجز الثانى والثالث بنفس الأسلوب السليم ، ثم عادا إلى المضمار . وقالت بنيلوبى وهم يساعدونها على النزول : « ما رأيكم ؟ . ان ذلك يثبت اننى لست عمياء » .

فقال « انك ممتازة ! ولكن هل تظنين انك تتحمّلين سباق ليوسيون وأمياله الأربعة ؟ انه سباق عنيف » .

فصاح روجر « انها تستطيع .. واننى لواثق من ذلك » .

فقالت بنيلوبى عابسة : « أستطيع أن أحاول بما أننا لا نستطيع العثور على فارس آخر . اننى أعلم يا جون كم انت تواق للفوز بهذا السباق وقيمته بالنسبة لك . ومن ناحيتى فان اهتمامى لا يقل عن اهتمامك لترى النورس البحرى وقد أثبت وجوده . اننى أحب هذا الجواد وأعتقد أنه جواد ممتاز ، وأريد أن تعرف الدنيا كلها طيب معدنه » .

ومرة ثانية أطلق الأولاد الثلاثة صرخة فرح واحتضنوا عمتهم .

وقال السيد ديسى « ان هذا يقرر الأمر .. سنشترك فى السباق وستقود بنيلوبى الجواد . والآن علينا أن ندبر مبلغاً نراهن عليه . ان اللورد ديليسك سيركب حصاناً مرشحاً للفوز ، ولذلك علينا أن نراهن على النورس الرمادى بنسبة خمسة إلى واحد على الأقل » .

وأمضى الأيام المتبقية على السباق محاولا جمع بعض المال ، ولكن حالت صعوبات جمة دون ذلك ، فقد رفض الجميع إقراضه أى مبلغ .. لأنه لم يكن موضع ثقة أحد فى المنطقة ! فقرر فى نهاية الأمر تدبير سبعة وأربعين جنيها عن طريق بيع مجموعة جديدة من أدوات الركوب وبعض الأشياء الأخرى . وبالدقة فقد حصل على خمسة وأربعين جنيهاً (وزجاجة براندى !)

وفى صباح يوم السباق قال لعائلته على مائدة الأفطار « ان المبلغ ليس كبيراً .. ولكنه بداية على أى حال . ولو أمكننى الحصول على نسبة أربعة أو خمسة لواحد .. فاننا سنحصل على مائتى جنيه لنراهن بها فى السباق التالى » .

وفى هذه اللحظة ألقت العمة بنيلوبى خمسة جنيهات على المائدة أمام أخيها وطلبت منه أن يراهن لها على النورس الرمادى ، وأردفت « انها كل ما تبقى لى من ميراث عمى انتونى الذى تركه لى منذ ثمانية عشر عاماً » .

فصاح السيد ديسى « يا لك من سيدة عظيمة » . فقالت السيدة ديسى بمرارة « ان التبذير الشديد يؤدى إلى الفقر الشديد . ففى هذه اللحظة لا أعلم من أين أستطيع الحصول على أوقية من الشاى أو رطل من اللحم على الحساب » كان يوماً عصيباً حقاً اشتدت فيه الريح وتخللته زخات من البرد متقطعة صحبها برد قارس .. ومع ذلك حضر جمهور غفير إلى بالماوزبورج حيث يقام السباق على قمم الجبال . وجاءت جماعات من الغجر من ست مقاطعات ، وأوحى العدد الضخم من الخيام بأن هناك جيشاً يعسكر فى البرارى الموحشة . وبدأ هؤلاء المتشردون يمرحون فى صخب منذ الاشراقة الأولى للصباح .. كانوا يشربون ويعزفون على آلات الاكورديون . فأثاروا ضجة كبرى عندما بدأ السباق .

وأخر ال ديسى وصولهم على قدر الامكان حتى يجنبوا النورس الرمادى الثورة الناجمة عن هذه الضجة والتى قد تتسبب فى عدم قدرتهم على كبح جماحه .

ورغم كل تلك الاحتياطات فقد ساء سلوكه وهم يقودونه وسط الزحام فى الطريق إلى حظيرة إعداد الجياد للسباق . ورغم جهود روجر لتهدئته فقد استمر الحيوان الضخم يرفس ويركل بوحشية حملت الناس على الفرار من طريقه فى فزع .

وصاح رجل فى نبرة ساخرة : هل هذا هو الحصان الوحشى الذى احضرته من بورنيو يا سيد ديسى ! وصاح آخر : هل ستأخذه إلى حديقة الحيوان ! ؟ . لا أظن ان هناك أى حديقة حيوان فى العالم تقبل مثل هذا الوحش .

وكاد هياج السيد ديسى أن يبلغ درجة هياج حصانه عند سماعه هذه التعليقات فهز عصاه فى وجه الجمهور ودفعت إجابته السريعة الغضبى الناس إلى مزيد من التهكم فصاح ديسى : أيها الجهلة المجانين اننى سأريكم حالا ما يستطيع هذا الجواد تحقيقه أيها الشحاذين القرود .

وقالت له زوجته وهى تمسكه من ذراعه : « اهدأ يا جون ولا تكن أحمق » : ومع ذلك فقد واصل صياحه لمعذبيه بينما زوجته تدفعه بعيداً عنهم بالقوة . وفى نفس الوقت عمدت بنيلوبى وروجر إلى قيادة النورس الرمادى إلى حظيرة اعداد الخيل بدون خسائر .

وتقدم اللورد ديليسك وأبدى ملاحظة دفعت بالسيد ديسى إلى غضبه مرة أخرى عندما سأله اللورد ديليسك « هل حصلت على فارس لجوادك يا جون ؟ » فأجاب ديسى بتعال : نعم وانه لفارس يفوق الفارس الذى سيمتطى جوادك . فرد اللورد ديليسك بوقاحة : « أحقاً ! هل لى أن أعرف من هو هذا الفارس » ؟ وكان ديليسك رجلا فارع القامة جامد الوجه ذا شارب أسود وعيون زرقاء باردة تبدو وكأنها تنظر بكراهية إلى كل إنسان . وكانت له شهرة مدوية كفارس ناجح ومرب لخيول سباق الحواجز . ولم يكن أقل نجاحاً كبائع للخيول . إذ كان يبيعها للزوار الانجليز بأسعار مرتفعة . وقبض السيد ديسى على يد أخته وصافحها بحماسة وفخر قائلا : « ان شقيقتى هى التى ستركب حصانى » ونظر ديليسك الى بنيلوبى التى بدت وكأنها مرتجفة فى معطفها الباهت الواقى من المطر وعلى رأسها قلنسوة الفرسان ، وقال لديسى وهو يرفع حاجبيه فى دهشة : « هل أنت جاد فيما تقول ؟ » فرد السيد ديسى غاضباً : « ماذا تعني ؟ » فقال ديليسك « اذا سمحت لها بركوب هذا الحيوان غير المدرب فانك تكون كمن حكم عليها بالموت ففى مثل سنها تصبح أية كبوة قاتلة بالتأكيد » . فصاح السيد ديسى « هل قلت ان جوادى غير مدرب ؟ » . فرد ديليسك : « طبعاً انه غير مدرب بالمرة . انه متوحش ولا يمكن السيطرة عليه فصرح » ديسى : « هل تتعمد إثارتى ؟ » . ورد ديليسك : « على الاطلاق . اننى احذرك من أجل صالحك بالا تشرك الحصان فى هذا السباق » فصرخ السيد ديسى مستنكراً وقد كفهر وجهه : « غير مدرب ؟ » فأجاب ديليسك : « ان ما يعلمه الجميع انك لا تستطيع الحصول على رجل فى كل المنطقة ليركبه . وسيشكل جوادك خطراً علينا جميعاً أثناء السباق واشراكك له فى السباق ينم عن روح غيررياضية » ، ثم استدار بحدة وابتعد وصاح السيد ديسى

النـــــورس الرمـــــادي

وهو يهز عصاه « غير مدرب ؟ ايهـــا المتعجرف الوقح ! يا سارق الخيل اللعين ! .

إنك متحامل على لانى رفضت عرضك لشراء جوادى . وهذا هو سر ضيقك ايها الشحيح التعس ! .

ثم استدار ليخاطب الناس التى تجمعت حوله وصاح « لقد جاء البخيل إلى منذ شهر مضى وعرض على شراء حصانى بمائتى جنيه ، فقلت له إنى افضل النورس الرمادى على بيعه بذلك السعر ، فعرض على مائتين وخمسين جنيها ، فطردته من بيتى ، وقلت له انى افضل الموت جوعا على .. » .

واضطرت كل العائلة الى الالتفاف حول الرجل الاحمق واستعطافه بحرارة حتى يوقف صياحه . وقد استدر منظرهم الشفقة وهم يقفون فى مجموعة صغيرة بملابسهم الرثة ووجوهم الوحشية وجوادهم المتوحش كقطيع من الذئاب الجائعة تحيطه جمهرة من الناس تعبث بها .

وقال السيد ديسى بعد أن استعاد بعض هدوئه « حسن .. سنرى من منا سيضحك اخيرا .. بعد السباق » .

وعندما ذهب إلى سمسار رهانات السباق ليراهن قبل السمسار أن يراهنه بنسبة عشرة إلى واحد وقال وهو يضحك « إننى اكره أن استولى على نقودك ياسيد ديسى ، ولكن الشغل شغل ! » فقال السيد ديسى وهو يغادر مكتب الرهانات « انك لن تحتفظ بنقودى .. فترة طويلة ! »

وكان السيد ديسى يبدو واثقا إلى درجة حدت بالسمسار إلى أن يهمس فى اذن أحد معاونيه « اذهب وراهن على النورس الرمادى بنصف المبلغ الذى راهن به السيد ديسى .. فمن يدرى ما سوف يحدث ! ربما يكون هذا المجنون قد اعد لنا مفاجأة .. ان المعجزات تحدث فى السباق دائما . وقد تفوز المراة العجوز ! .

فقال المساعد وهو يسرع ليراهن : « لو فازت .. فستكون هذه اعجوبة الاعاجيب ! »

وعندما حان وقت امتطاء بنيلوبى لصهوة النورس الرمادى ، طلبت من اخيها بعض الشراب . ففتح السيد ديسى الزجاجة واعطاها لها وقال : « لا تشربى كثيرا والا دارت رأسك . انك فى حاجة إلى الاحتفاظ باعصابك .. صدقينى ، وتذكرى دائما ان تتبعى جواد ديليسك حتى تجتازى الحاجز الاخير .. ثم اسبقيه » .

ورغم تحذير اخيها شربت بنيلوبى جرعة كبيرة ، ثم ثبتت نظارتها بشريط لاصق قبل ان يضعوها على ظهر الجواد وقالت لها السيدة ديسى « وداعا يا بنيلوبى .. وتذكرى اننى لا احمل لك اية ضغينة » . فقالت بنيلوبى : « انك كالدواء المر يا دوروثى .. فحتى هذه اللحظة لا يمكنك ان تتوقفى عن طعنى من الخلف ..انك تتحلين بصفات ال فيتزموريس من قمة الراس الى اخمص القدمين » فقال السيد ديسى وهو يمسك بركبة اخته : « كفى ذلك الان يا بنيلوبى » .

وتذكرى ما قلته لك ، انك لا تعرفين مجرى السباق ، ولذلك عليك الا تندفعى إلى المقدمة الا بعد أن تنتهى من الحاجز الأخير ، فالطريق يستقيم من بعد ، حتى نهاية السباق . اتبعى دن إيمر حتى الحاجز الأخير ثم اطلقى لجوادك العنان ويمكن لو سقط دن إيمر قبل ذلك ، فدعى جوادا اخر يقودك إلى الحاجز الاخير . اتمنى لك حظا سعيدا ولا تمنحى ديليسك فرصة ليخدعك بخدعه القذرة ، فذلك الوغد لن يتورع عن اى شىء .

واصبح النورس الرمادى فى وداعة الحمل عندما اعتلت بنيلوبى ظهره ! بل انه لم يهتم باقتراب السيد ديسى منه ! وسار بهدوء وسط الزحام فى طريقه إلى نقطة بدء السباق وكانه جواد محنك ! .

ورغم ذلك فقد واصل الناس الصفيرفى وجه بنيلوبى والنيل منها بنكاتهم . وصاح سمسار « لقد جاءوا بامراة البحر العجوز لتركب حصان بورنيو المتوحش .. واليكم تركيبة مريحة .. أى مبلغ تراهنون به على دن إيمر سيحقق ربحا .. أما (امبريللا) فنسبة فوزه اربعون إلى واحد .. و(فايتبخ كوك) ستة الى واحد وكذلك (سون مورمى) .. وعشرة إلى واحد .. للنورس الرمادي » .

لم تجد بنيلوبى اية صعوبة فى قيادة النورس الرمادى ليتخذ مكانه عند نقطة البداية . وقد ادركت على الفور انه ولد ليكون جواد سباق ، وانه من ذلك النوع الذى يبذل كل قوته عندما يدخل فى منافسة مع اخرين ، واحست بمتعة لقدرتها على التحكم فى قوته الضخمة بمجرد لمسة خفيفة لعنانه . وقالت لنفسها وهم يقتربون من الحاجز الاول « انه ممتاز ، ولو تمكنت من الصمود على ظهره فسيفوز بسهولة » .

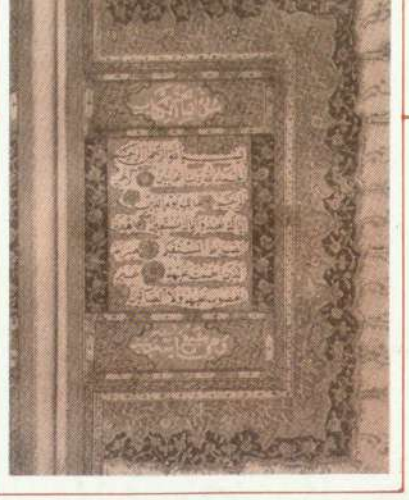
وقد تعدت الجياد التسعة الحاجز الاول فى وقت واحد تقريبا وبسلام .. واستمر الحال كذلك حتى قطعت الحبل الاول او اكثر قليلا . ثم سقط « شون مورفى » وهو يتخطى الحاجز المؤدى إلى الحقل المحروث ، وبعد ذلك بمسافة قصيرة اوقع جواد يدعى رودى يستم « فارسته الشابة» وجرى بسرعة فى اتجاه مخالف وهنا زاد « امبريللا » من سرعته وسبق بقية الجياد بعشرة أطوال بينما احتل « فايتبخ كوك » و « دن إيمر » المركز الثانى معا وامتثالا لتعليمات اخيها حرفيا اقتفت بنيلوبى اثر « دن إيمر » وجعلت بينها وبينه مسافة طولين . وفى خلال النصف الأول من السباق جرت الخيل والريح فى دبرها ، ولم يكن على بنيلوبى سوى توازنها على ظهر النورس الرمادى الذى كان يجرى باقتدار ولم تكن تفكر الا فى ذلك الاحساس الطاغى الذى ينتاب الفرسان العائدين بعد طول غياب . ثم بدا طريق العودة فى مواجهة الرياح الشديدة وقد بقي ميلان على نهاية السباق .. ونسيت المراة المسكينة مخاوفها وضغطت على اسنانها وهى تحس البرد القارس وهو يخترق بدنها النحيل . ولم يكن قد بقي من قواها الا ما يمنعها من السقوط من ظهر جوادها بفعل العاصفة ، وغمغمت فى ياس « يا الهى ! .. اننى لن استطيع الصمود على ظهره .. لقد انتهيت » .

وارتكبت « امبريللا » خطا فاحشا وهو يقفز من فوق الحائط الحجرى فجرح رجليه الخلفيتين وسقط على ركبتيه ، ورغم تدارك فارسه الماهر للموقف طغى الخوف على « امبريللا » ولم يستطع مواصلة السباق . وتمكن « فايتبج كوك » من أن يتقدم على « دن إيمر » قليلا بينما واصل النورس الرمادى احتلال المركز الثالث متاخرا عن « دن إيمر » ببضع أطوال . وعند صعود المنحدر حيث يوجد الحاجز المزدوج بدا « فايتبخ كوك » يظهر دلائل التعب .

ورغم انه تعدى العائقين بلا أخطاء وبسبب استنفار فارسه له ، فقد بدا من الواضح عقب ذلك انه قد استنفذ جهده . وبعد ذلك قلت سرعته وانضم إلى « امبريللا» فى المؤخرة .

وفى هذه اللحظة قرر اللورد ديليسك ان يبذل كل جهده ،فوخز حصانه فجاة وانطلق باقصى سرعته فخاطبت بنيلوبى نفسها قائلة وهى تطلق العنان للنورس الرمادى « هيا بنا .. لقد حان وقت الســـباق » .. وتجـــاوب معها الجـــواد الضـــخم على الفـــور واســـترد مركزه الســـابق

ترجمة : عـــادل شـــريف



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الكفّارة"

● يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا : لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (أى وانتم فى احرام بالحج أو العمرة) ومن قتله منكم متعمداً فجزاء : مثل ما قتل (أى جزاؤه مماثل فى القيمة لما قتل) من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة (أى ان المماثلة فى قيمة ما قتل من الصيد : اما من الانعام يحكم بها اثنان معروفان بينكم بالعدل ، على ان يرسل هدياً الى الكعبة : يذبح ويوزع هناك على اصحاب الحاجة) أو كفارة : طعام مساكين (واما كفارة من طعام يوزع على الفقراء هناك) أو عدل ذلك صياماً (واما ما يوازى الطعام من صيام ، على ان يكون صيام يوم فى مقابل طعام مسكين واحد) » . (المائدة : ٩٥) ..

فالآية هنا جعلت جزاء ما قتل من صيد الحرم ، من المحرم بالحج أو العمرة واحداً من ثلاثة أمور / التصدق بقيمته من الأنعام .. أو من طعام .. أو صيام ايام تساوى فى عددها : عدد من ينتفعون بالطعام . واطلقت : الكفارة على الطعام الذى يقدم للمساكين ، كما اطلقت : الهدى على الحيوان الذى يذبح ويوزع عليهم، والكفارة والهدى هنا ، كلاهما جزاء عما وقع من خطأ فى حق الله اثناء الأحرام . وهذا الخطأ هو قتل صيد الحرم الذى نهى الله عن قتله فى بداية هذه الآية فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم » .

وبقول الله تعالى فى سورة المائدة كذلك : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم » . (المائدة : ٨٩) .. فرتبت الآية على الحنث والخلف فى اليمين باسم الله :

جزاء ، اطلقت عليه اسم الكفارة ، يتردد هذا الجزاء أولا بين اطعام عشرة مساكين وكسوتهم ، وتحرير انسان من رقه . ثم عند عدم الاستطاعة على أى واحد منها ينتهى الى صيام ثلاثة أيام . والحنث فى اليمين ينطوى على عدم الرعاية التامة لجلال المولى وعظمته . فهو ذنب فى جانبه .

ويلاحظ الآن : أن مفهوم الكفارة فى هاتين الآيتين يرتبط بصدقة على المساكين عند طلب العفو من الله والسماح منه ، فى أمر وقع خطأ فى جانبه سبحانه .

● ولكن لو قرأنا قول الله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص (أى مماثلة) فمن تصدق به (أى بالقصاص وتنازل عن حقه فيه وعفا عمن اعتدى) فهو كفارة له » . (المائدة : ٤٥) .. لو قرأنا هذه الآية لوجدناها اطلقت على التصدق بالقصاص والتنازل عنه : كفارة ، دون ان يكون هناك خطأ فى جانب المولى ، وقع ممن اعتبر له التنازل عن القصاص :

كفارة منه . وهو صاحب الحق فى القصاص . ولكن عنصر الصدقة هنا باق فى مفهوم الكفارة : لأن المتنازل عن القصاص أحسن الى من يجب القصاص منه بالعفو عنه . والذى يعفو عن اخطاء الناس محسن اليهم . وليست الصدقة بالطعام وخلافه مما يقيم النفس :

الا احساناً لمن يتصدق به عليهم ، وكذلك طلب العفو من الله كعنصر فى مفهوم الكفارة لم يزل هنا فى التنازل عن القصاص : باقياً كذلك . لأن عفو الانسان عن خطأ انسان آخر لا يتم فى حقيقة أمره الا بعفو الله وبرضاه .

واذن مفهوم الكفارة ـ كما يرد فى آيات القرآن الكريم ـ يعتمد على وجود صدقة تقدم بين يدى الله ـ أى تستهدف رضاء الله ـ قبل طلب العفو والسماح منه ، على خطأ تعلق به حق الله جل شأنه . فاذا اتجه الانسان الى الله ليطلب المغفرة منه على ذنب يتصل به سبحانه فليقدم صدقة يحسن بها الى اصحاب الحاجة امارة على أنه يولى الرعاية الاجتماعية حقها ، وعلى أن عامل الأنانية فيه قد ضعف، والكفارة بذلك : صدقة بقدر ما هى جزاء .. وقربى الى الله بقدر ما هى عنوان على التماس الصفح والرضا منه ، جل سبحانه ..

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

بقلم : محمد عبد الحميد

أحمد البشر الرومى أحد رجالات الكويت الذى أسهم فى بناء نهضة بلده التى أحبها حباً وهب عمره كله من أجلها .. باحثاً فى تاريخها وتـــاريخ ما يجاورها من بلدان الخليج العربى والجزيرة العربية .. جمع فى مكتبته ما يقرب من (٧٠٠٠) آلاف كتاب .. عاش احداثها واخبارها ونوادرها وحكاياتها وأشعارها .. وعايش الأرض (الصحراء) ما فوقها وما تحتها .. تدوين الكلمات كانت هوايته وتدقيق المعلومة أو المعلومات كانت حرفته .



المؤرخ الكويتي احمد البشر الرومي بجانب احد اركان مكتبته التى تضم اكثر من سبعة الاف كتاب .

طريق حياته حافل بجلائل الأعمال ، على قمتها « الأمثال الكويتية المقارنة » فى أربعة اجزاء .. صدر منها حتى الآن الجزء الأول والثاني . أما الثالث والرابع ففى طريقهما إلى ماكينة الطباعة .. هذه الأجزاء تحوى ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأمثال الشعبية مع ما يقابلها من الأمثال فى البلاد العربية .. بخلاف مقالاته وأشعاره التى كتبها فى مناسبات عديدة ومتعددة .. بالاضافة إلى دوره الايجابى فى جمع المصطلحات البحرية وشرحها وإعدادها فى كتاب كان فى طريقه إلى النشر قبل وفاته .

جمعتنى به الأيام فى جلسات طويلة منذ عدة أشهر ، كان فيها رحب الصدر ، وغزير المعلومات .. بل يمكن القول انه كان سخياً وهو يحكى شريط حياته الذى حفره خلال (٧٥) عاماً .. بداية من مولده فى (١٣٢٤) هجرية حتى وفاته فى (١٤٠٢) هجرية .. ليصبح الآن جزءاً من تاريخ الكويت عن أصالة واقتدار وجدارة .

الباحث فى التاريخ انسان صابر وصبور .. صابر على المشقة التى يعرف قدرهـــا ومقدارها .. وصبور وهو يبحث عنها حتى يصعد بها إلى السطح ، ليحولها إلى حقيقة تكون سنداً له فى بحثه أو الدراسة التى يقوم باعدادها ..

هذه الكلمات كان يرددها على اسماعى المؤرخ الراحل الأستاذ أحمد البشر الرومى . كان يقول ايضا :

● تاريخ العرب ، والبحث فى هذا التاريخ يحتاج إلى دقة ورقة فى آن واحد .. دقة فى ربط الفروع بالأصول ، ورقة فى

التعبير حتى لا يتحول الباحث إلى مجرد ناقل للوقائع والشروح بدون الولوج إلى معرفة أسبابها ومسبباتها ، وما اذا كان صاحب الحديث أو الواقعة أو الرواية من أهل البادية أو الحضر .. كثيراً ما نرى مؤلفاً أو راوياً من أهل الحضر يتطرق إلى أمور وموضوعات لا يملك ناحية المعرفة الحقة فيها غير واحد من أهل البادية .

الأمثلة الشعبية الكويتية

كانت نظرة أحمد البشر الرومى إلى التاريخ غير عادية .. لم يكن مجرد قارىء يردد ما جاء فى قديم الكتب .. ولكنه فى ذات الوقت كان يملك المنهج التحليلى الذى يقيس بواسطته مدى تطابق الأقوال على الواقع والحقيقة .. هذه النظرة وتلك الملكة جعلته يصل إلى حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش .

لقد عرف عن مؤرخ الكويت الراحل أحمد البشر الرومى انه يدون كل شيء يسمعه مادام مرتبطاً بتاريخ بلده الكويت .. قال لى مرة فى احدى جلساتى معه :

● لقد جمعت أكثر من (٣) آلاف من الأمثال الشعبية الكويتية على مدى (٤٠) سنة .. جمعت فى أربعة اجزاء تحت عنوان « الأمثال الكويتية المقارنة » .. صدر حتى الآن الجزء الأول والثانى والجزءان الثالث والرابع فى طريقهما إلى الصدور خلال عام ١٩٨٢ .. ساعد فى اخراجها وتبويبها خبير الفنون الشعبية صفوت كمال ، وساعد فى الاعداد محمد عمران .. كان يبتسم رحمه الله وهو يواصل حديثه ليقول :

● ان جمع هذه الأمثال الشعبية الكويتية لها حكاية .. والاعداد لنشرها على صورتها الحالية لها حكاية أخرى .. حول جمعها يقول مواصلا حديثه :

● كان المواطن الكويتى أيام زمان يقرن حديثه ببعض الأمثال الشعبية التى ترتبط بالحديث المطروح للنقاش .. أو بالحديث العابر بين الصديق وصديقه .. الأب وابنه .. البائع والمشترى .. الرجل وجاره أو بين صاحب العمل واحد عماله .. فى بعض الأحيان كانت الأمثال يمس بعضها عقلى وتهز كيانى .. لم اكن املك إلا ان احضر ورقة وقلماً واقوم بتدوين ما كان يتردد على اسماعى .. احسست ان ما يقال شيء غير عادى .. بل أكثر من ذلك اعتبرته مخزوناً ثقافياً واجتماعياً يعبر عن حياة الناس وطبيعة المجتمع الذى نعيش فيه .. لم اعد اجمع ما يعجبنى فقط .. بل اكتب أيضاً كل ما اسمعه .. وصل الأمر اننى كنت اتحرك وسط الديوانيات .. اذهب إلى الأسواق .. بمرور الوقت والسنين خفت على هذه الأوراق من الضياع .. جمعتها فى أكياس ومغلفات .. وعندما زاد خوفى وقلقى عليها بدأت فى تدوينها فى كراسات على حروف المعجم .. كانت بداية التدوين فى عام (١٣٦١ هـ) .. كان الوقت صيفاً وكان الحر شديداً .. ولكن حماس وحرارة هذا الحماس كانت اقوى من اى شيء .. مرة أخرى اتخذ تدويني لهذه الأمثال أسلوباً آخر .. دونت كل واحد من هذه الأمثال فى صفحة مستقلة ترتيباً معجمياً ، ثم جمعت الصفحات فى مجموعات كل مجموعة تضم بعض الأمثال مرتبة على حروف المعجم مع اضافة شرح بعض الألفاظ فى نهاية المثل .. وصار ما عندى أكثر من (٣) آلاف من الأمثال الشعبية الكويتية .

● وحول الظروف التى ساعدت على نشرها بشكلها الحالى يقول :

● فى أحد الأيام كنت فى زيارة للاستاذ أحمد العدوانى (يشغل حالياً منصب امين عام المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب .. شاعر وأحد رواد النهضة الأدبية فى الكويت) كان الأستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية حاضراً هذه الجلسة .. قال الأستاذ أحمد العدوانى :

● لماذا لا تقوم بتدوين هذه الأمثال الشعبية الكويتية التى تعتبر تراثاً للكويت واخراجها فى عدة اجزاء .. كانت البداية جمعها وحدها .. ولكننا رأينا بعد ذلك زيادة فى الفائدة ان نحقق موضع الأمثال الكويتية فى الأصل العربى القديم وايضاً فى البلاد العربية .. كنا نعلم ان العمل غير عادى والجهد شاق .. ولكن الأمر كانت فيه لذة البحث المفيد .. واخترنا عنواناً لها كان .. « الأمثال الكويتية المقارنة » . يواصل حديثه معى ليقول :

● ان الباحث فى الأمثال العربية القديمة كان يجد صعوبة فى بحثه بسبب انها مرتبة حسب حروف المعجم .. بمعنى أن الأمثال التى تبدأ بالألف تجدها تحت حرف الألف .. ولكننا قمنا بعمل فريد من نوعه يسهل عمل الباحث والقارىء فى أن واحد .. لقد قمنا بترتيبها حسب موضوع المثل ذاته .. مثلا الأمثال التى قيلت فى الأمانة جمعناها تحت باب الأمانة .. الأمثال التى قيلت فى التسامح جمعناها تحت باب التسامح وهكذا .. لقد أكد حقيقة هامة بعد هذا الجهد المضنى الشاق .. ان الأمثال الكويتية القديمة ومثيلاتها فى البلاد العربية تؤكد بالفعل اننا أمة عربية واحدة .. الدين عندها الاسلام .. وتتمازج فى اللغة والثقافة والفكر والعادات والتقاليد .. لقد تميزت الأمثال الشعبية فى كل بلد عربى حسب طبيعة الأرض والمناخ والسكان .. ومن مميزات الأمثال الشعبية الكويتية بصفة عامة والخليجية بصفة خاصة انها كثرت عن الصحراء والبحر .. الصيد ، التجارة (البيع والشراء) .. وكانت تحث جميعها على الأخلاق الحميدة والوفاء والتضحية والحب والعطاء وتقديس الحياة الزوجية .. واحترام الصغير للكبير .. وعطف الكبير على الصغير .

البشر .. وصقر الشبيب

وهناك وجه آخر لمؤرخ الكويت الراحل أحمد البشر الرومى .. قال الشعر .. احس بما حوله .. انفعل به .. ونظم الشعر ولكنه كان فى هذا المجال قليل الانتاج .. والآن تقرأ ما قاله مؤرخ الكويت الفحل الأستاذ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت عن أحمد البشر الرومى الذى كان يعشق قراءة الصحف والكتب وينزلها من نفسه وقلبه منزلة عالية وكبيرة . وجاء فى الكتاب فى الصفحة (٣٥٦) يقول :

● تعلق الكويتيون بأذيال الصحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها .. وللصحف من التأثير فى الآراء والافكار مالا يجهله إلا معاند أو جاهل مكابر . ولله در الشاب الفاضل أحمد بن بشر الرومى حيث يقول فى منافعها :

انما الصحف كطير
يشتهى الحر هديله
كل من شاء رقياً
صير الصحف سبيله

● وقال ينعى الجمود واهله والحث على العلوم والمعارف :

سال دمع العين منى وانسكب
من توانى قومنا عما وجب
وجب اليوم عليكم سادتى
ان تمدوا للعلا خير سبب
والعلى ليس له منى سبب
موصل غير علوم تنتخب
فانفضوا عنكم جموداً مهلكاً
واطلبوا العلم وجدوا فى الطلب
خاب شعب قد تردى كسلا

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

وجموداً يا بنى قـــومى وتب
لا تميلوا نحـــو (دجـال) غدا
باسم دين الله يحـــوى للذهب
أمعنـــوا الأفـــكار فى تدجيله
تبصروا تقـــواه زوراً وكـــذب
ليس بين العـــلم والدين كمـــا
قـــاله (الدجـــال) بون منشعب

واذا كان نظم الشعر موهبة .. فان سبب تقوية هذه الملكة وابرازهـــا إلى حيز الوجود عند الراحل مؤرخ الكويت احمد البشر الرومى كان شاعر الكويت الكبير الراحل صقر الشبيب .. أو صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن هيدب بن رومى الشمرى الذى ولد فى الكويت حوالى عام (١٣١٢) هجرية الموافق (١٨٩٦) ميلادية .. والذى اصيب بالصمم وفقدان البصر على اثر اصابة عينيه بمرض لم يفلح معه العلاج وكان عمره آنذاك تسع سنوات .

آلاف أبيات الشعر

ها هى حكاية شاعر الكويت صقر الشبيب مع مؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى ؟ ..

الحكاية نجدها فى كتاب أديب الكويت وشاعرها خالد سعود الزيد فى كتابه «ادباء الكويت فى قرنين » « بالجزء الأول » .. قال :

● كان منزل شاعر الكويت صقر الشبيب يجاور منزل احمد البشر .. فكان يلزمه إلزاماً بان يقرأ له ، وكان صقر كفيف البصر . فقرأ له نظرات المنفلوطى وعبراته ، وبعض كتب الرافعى فوجد لذة فى القراءة فحرص عليها بعد ان كان كارها لها .. ثم قرأ لصقر ديوان المتنبى والمعرى وغيرهما ، فوجد نفسه مع مرور الأيام يحفظ أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر ، وبعدها انكب على قراءة الكتب فى التاريخ والفقه والأدب قديمه وحديثه ، وانصرف الى قراءة تاريخ الجزيرة العربية والمنطقة التى تشملها حدود الكويت .. على الأخص ، متتبعاً عادات سكان المنطقة وافراحهم وملبسهم ، فدرس تاريخ البيئة كاملة دراسة وافية تدلك على ذلك بحوثه ومقالاته القيمة التى ينشرها بين حين وآخر ..

ونترك الآن الحديث لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومي ليتحدث عن أهمية صلته بشاعر الكويت الراحل صقر الشبيب .. وعن أثر هذا الشاعر الكبير فى حياته .. يقول :

● تلقيت دروسى الأولى فى كتاب المطوع السيد عبد الوهاب هاشم الحنينان .. كان المطوع (الملا) هو المعلم الأول فى زماننا .. كان الكتاب هو المكان الذى نتعلم فيه ، وهو فى غالبية الأحوال منزل المطوع أو الملا .. نجلس مجموعة من الأطفال الصغار .. نتعلم القراءة والكتابة وحفظ آيات القرآن الكريم .. ومن يجيد القراءة والكتابة وختمة القرآن تقام له حفلة يشترك فيها الأهل والأطفال .. الموسرون كانوا يقيمون حفلة يوزعون فيها أطايب الطعام على المطوع والأطفال والجيران منذ طفولتنا كانت صلتنا بالدين قوية .. نخشى الله فى الأقوال والأفعال ، ونحرص على السلوك الحسن خوفاً من عقاب الاباء والامهات والأهل الذين كانوا يحرصون على دينهم الى اقصى الحدود .

● هذه كانت المرحلة الأولى من حياتى .. بعد ذلك التحقت بالمدرسة المباركية بعد افتتاحها .. أمضيت بها ثلاث سنوات .. لم اكن أبدا خلال الدراسة طالباً مشاكساً .. ولكننى لم اكن اهتم بالمواد التى كانت تدرس فى المدرسة .. كانت تستهوينى كتب التاريخ والجغرافيا .. احياناً كنت انقطع عن الدراسة ، ولكننى كنت أعود إليها من جديد إما بواسطة والدى رحمه الله ، أو بدون أحد لأن أيام الانقطاع لم يكن لها حساب من المسئولين عن المدرسة . جمعتنى الظروف مع الشاعر الراحل صقر الشبيب .. كان احساسى وشعورى اننى امام انسان غير عادى .. انسان عنده قدرة كبيرة على العطاء .. ولكنه كان فى أشد الحاجة إلى المخلصين الذين يبادلونه الحب والمودة ولا مانع من التضحية .. وجدت نفسى انجذب اليه لعدة أسباب منها .. اننى مع انسان فى عمر والدى ، وثانياً غير قادر على الرؤية ، وثالثاً وجدت فى الجلوس معه والاستماع إليه وإلى زواره من الأصدقاء ، فائدة لم أكن اتصور أبداً أننى ساحصل عليها بدونه .. ومن الذين كان يزورهم ويتزاورون معه صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض الذى كان يقرأ على شاعرنا حصاد قراءاته فى الجرائد والمجلات والكتب .. وكانا يعنيان أكثر بتلك الكتب الفلسفية والآراء التى جاءت بها .. فى هذه الفترة لم أكن ادخل أو اتدخل معهما فى نقاش .. ولكننى افضل الاستماع إلى احاديثهما التى كانت تستمر ساعات طويلة .

الأمر لم يقف عند هذا الحد بالنسبة لمؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى .. قال لى ضمن حوار طويل :

● كان الشاعر الراحل الفحل صـــقر الشبيب له دوره فى ان أتعرف عن قرب على فحول الشعراء القدماء بما كان يردده أمامى من أشعارهم وبما كان يطلبه منى من قراءة تاريخ حياتهم واشعارهم من الكتب الكثيرة التى كانت تتواجد فى بيته أو تأتيه من الأصدقاء مثل .. ديوان أبى تمام الذى كان يحفظ معظمه .. وابياتاً كثيرة من ديوان البحترى واكثر لزوميات المعرى .. ونصف ديوان المتنبى ، وجميع ما طبع لابن الرومى بخلاف حفظه لاشعار العديد من الشعراء فى العصر الجاهلى والعصرين الأموى والعباسى .. وكنت اراه دائماً يحرص على ترديد اشعار أمير الشعراء أحمد شوقى الذى كانت له منزلة أثيرة عنده .. ايضاً عرفت اشعار الزهاوى ، والرصافى واسماعيل صبرى .. أما الشاعر حافظ ابراهيم الذى عرف فى مصر برصانته وميله الفطرى للوقوف بجانب الطبقة الكادحة .. فكان يحبه ويردد شعره . لقد وجدتنى بالتدريج احب الشعر وأميل إليه .. وفى احيان قليلة كان لى انتاج ولكنه لم يكن يأخذ صفة الاستمرارية والكثافة والغزارة فى التاليف .. فقط فى بعض المناسبات أو الموضوعات التى تطرق باب عقلى من حين لآخر .

رحلة مع أحمد البشر

ورجل بلغ هذا العمر (٧٧ عاماً) قارئاً وباحثاً ومؤرخاً وكاتباً وشاعراً .. كانت له اقوال ستظل خالدة لأنها تعبير صادق عما كان يجيش فى صدره .. وهى فى مضمونها

اضواء تنير الطريق للاجيال الحالية والتى سيكون لها الريادة فى المستقبل .

● كان دائماً يردد ويقول : الديوانية منتدى انسانى واجتماعى واعلامى يجب ان نحافظ عليها ونعمل دائماً على بقائها ونعيد إليها رونقها وبريقها ودورها ومكانتها كما كانت فى الماضى . فى الماضى هناك ديوانيات متخصصة .. منها ما كان يهتم بالأدب والشعر .. ومنها ما كان متخصصاً فى علوم الدين .. ومنها ما كان الحديث بداخلها لا يفرغ من بث حكايات الرحلات والاسفار ونوادر ومتاعب الغوص .. ومنها ما كان يغلب على طابعها عقد المجالس للتوفيق والصلح بين الأزواج والاصدقاء وخلافات العمل .. وواحدة أو أكثر كان كل جالس بداخلها لا يفعل أى شىء سوى الامساك بكتاب يقرأ فيه فى هدوء وصمت .. الكويت كانت فيها مثل هذه الديوانيات وعلى الأخص مع بدايات القرن العشرين .. اذكر ديوانية السيد خلف النقيب .. واذكر ديوانية عبد الرحمن بك النقيب وقبلها خلف باشا النقيب .. والشيخ يوسف بن عيسى القناعى احد اقطاب الحركة العلمية والفكرية فى الكويت .. وديوانية استاذ العديد من الاجيال عبد الله بن خلف الدحيانى .. وديوانية مشارى حسن البدر التى كان الحديث عن مصر بداخلها لا ينتهى .. كان صاحبها يتحدث عن احداثها (مصر) ورجالها واحوالها السياسية والاجتماعية اكثر من أبناء مصر .. وهناك عشرات من الديوانيات فى الحى القبلى وحى الوسط والحى الشرقى .

● يقول : ان التاريخ فى منطقة الخليج بوجه عام والكويت بوجه خاص مازال يحمل لواء الكتابة عنه أناس (كتاب) اهتموا أكثر بالنواحى السياسية .. وكانت النواحى الاجتماعية عارضة فى كتاباتهم .. بل ان معظم هذه الكتابات منقولة عن كتاب من الغرب .. هؤلاء الكتاب كانت كتاباتهم غير صادقة وغير واقعية .. بل ان معظمها لا يخلو من الاخطاء والمغالطات خصوصاً عندما ذكروا خطأ أسماء بعض المواقع والتعبيرات التى لم يفهموا معناها .. ومن هنا ضاعت الحقيقة والحقائق .

● يطالب الجهات التى تهتم بالتراث فى منطقة الخليج بالبحث الفورى عن الرجال القدماء الأحياء ويسجلوا لهم العادات والتقاليد التى ستموت وتندثر بموتهم إلى الأبد .. وليكن هذا التسجيل أو تلك التسجيلات من الجهات الاكاديمية (الجامعات) التى تملك الوسائل العلمية النظرية والتطبيقية فى هذا المجال .. وعلى الفور يجب انشاء مكتبة تسجيلات بالصوت والصورة ، اكد أن فكرة وجود وتواجد المقاهى الشعبية فى الكويت عمل رائد وعظيم .. وإن يكن فى شكله العام عملا ترفيهياً لصالح الأعضاء .. العملية الترفيهية فى حد ذاتها لا غبار عليها .. ولكن يجب ان نستفيد من هذا الجمع البشرى (الاجداد والآباء) فى الحصول على مزيد من المعلومات عن تراثنا الذى بدأت تطغى عليه وسائل الحضارة الحديثة .

● يرى ان البحث والتنقيب الجاد فى منطقة الجهراء (كاظمة) التى كان لها تاريخ قديم وعريض من ابناء الكويت سيعطى نتائج مدهشة لا تخطر على بال .. ان الحضارات القديمة مازالت مدفونة تحت الرمال واعادة اكتشافها ليس مشكلة .. ولكن الأمر فى حد ذاته يحتاج إلى الايمان والجهد والعرق والبذل والعطاء الذى يجب أن يصاحب عمليات البحث .

● يقول : ان الجيل الحالى تواق إلى المجد والشهرة بدون تعب .. وذلك الاعتقاد فى حد ذاته يؤثر على المفهوم العام لكلمتى المجد والشهرة بمعناهما الحقيقى الخالد .. ويطالب الشباب بالقراءة والاطلاع فهما زاد الانسان التواق إلى المعرفة .. يؤكد ان مطالبة مدارس الكويت لطلابها من الجنسين فى مراحل الدراسة المختلفة لعمل الابحاث جعل الطلاب يؤمون المكتبات ويجلسون ساعات بداخلها وهم قبل ذلك لم يكونوا يعرفون اين تقع وسط الاحياء السكنية التى يعيشون فيها .



المؤرخ الكويتي الراحل احمد البشر الرومي امام جهاز تكبير المخطوطات والوثائق فى مكتبته .

مكتبة و (٧) آلاف كتاب

من الأشياء التى كانت تلفت النظر داخل بيت مؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى مكتبته .. عدد الكتب بها وصل إلى اكثر من (٧) آلاف كتاب .. فى جميع التخصصات .. معظمها يتحدث عن التاريخ القديم والحديث .. وبعضها فى الأدب والفلسفة والشعر والمال والاقتصاد .. وهناك موسوعات كاملة .. اكثر من ذلك هناك مجموعة نادرة من كاميرات التصوير وآلات التكبير وخرائط فى احجام مختلفة .

كان رحمه الله يمتاز بالرقة والحساسية .. يانس بشدة للانسان الصادق .. هذه الصفة تجعل (حسب قوله) الباحث دقيقاً فى عمله الأمر الذى يفيد الناس والعمل ذاته

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

.. كان قليل الكلام .. يعمل فى صمت-نادراً جداً ما يحب الحديث من خلال الوسائل الاعلامية .. يكره الظلم لانه يؤدى إلى الاستعباد وإلى الاحساس بالعبودية التى يجب ألا تكون إلا للحق تبارك وتعالى .. كان يقول لى : نحن نجزل العطاء لمن يقدمون الينا خدمات خارج بلادنا ونقتر فى العطاء لمن يقدمون الينا الخدمات داخل بلادنا .. من عاداته الطيبة الاستماع الى الناس .. ما يريد أن يعبر عنه يمسك من أجله القلم ليقوم بتسطيره وتسجيله على الورق .. يحب الوحدة .. يفضل الجلوس وسط كتبه يقرأ أكثر من أى شىء آخر .. من اقرب الناس إليه والذين كان يذكرهم بالحديث معى أديب الكويت الأستاذ عبد الرزاق البصير ، محمد الملا حسين ، ، فهد الدويسري ، الشاعر والأديب خالد مسعود الزيد .

كان يردد على أسماعى دائماً انه أحب الصحراء وعشقها وكانت له بداخلها رحلة كل عام .. وأحب البحر وذهب أكثر من مرة فى رحلات الغوص على سفن العائلة لمعايشة هذا اللون من العمل الذى كان باب الرزق لسكان الكويت بجوار الرحلات التجارية على سواحل الهندوشرق افريقيا قبل ظهور النفط . ومن الأشياء التى لم تكتب عنه انه كان يحب الطرب .. الأصوات الجميلة .. عشق أصوات أم كلثـــوم ، عبد الوهاب وقبلهما صالح عبد الحى ، وأحب ألحان سيد درويش وعبده الحامولى .. وفى مكتبته يوجد جرامافون عمره حوالى (٥٠) سنة كان يعمل على اسطوانة طولية هذا عدا بعض اجهزة الراديو والمسجلات الحديثة ومكتبة كاملة من الأشرطة . لقد كانت رحلة المؤرخ أحمد البشر شاقة منذ بدايتها لأنه اختار مجال القراءة والبحث فى التاريخ والأدب والشعر .. كانوا قبلته التى يحج إليها طوال ساعات النهار وبعض هذه الساعات فى الليل .

لقد أحب أحمد البشر الرومى التاريخ .. وهبه عمره كله .. كان ناسكاً فى محرابه .. وكانت جائزته من التاريخ ان دخل فيه .. اصبح جزءاً حياً من تاريخ بلده دولة الكويت عن جدارة .

محمد عبد الحميد
الكويت

المـــؤرخ أحمـــد البشـــر الرومي في ســـطور

- ولد عام (١٩٠٥) ميلادية .
- درس فى الكتاب وهو المكان الذى كان يملكه ويديره « الملا » أو المطوع الذى كان يقوم بتحفيظ الطلاب القرآن الكريم .
- درس فى المدرسة المباركية .
- قام بالتدريس فى المدرسة المبـــاركية لعـــدة ســـنوات ثم بالمدرسة الاشرفية .
- أمين صندوق فى الجمرك البحرى .
- عضو منتخب فى مجلس المعارف عام ١٩٥٢ ميلادية .
- مدير لاملاك الحكومة فى البلدية .
- وكيل وزارة مساعد لادارة املاك الحكومة .
- تقاعد عام ١٩٦٨ بسبب اصابته بالسرطان فى عظام الفك الايسر وأجريت له عدة عمليات جراحية ناجحة .
- عضو بلجنة تاريخ الكويت
- أحد مؤسسى مركز الفنون الشعبية الذى يعنى بالتراث الكويتى .
- استعانت محاكم الكويت بخبراته فى قانـــون الغـــوص والبحر .
- أعد (٤) أجزاء عن الأمثال الشعبية الكويتية المقارنة صدر منها جزءان حتى الآن .
- نشر مقالات فى مجلة البعثة عام (١٩٥٢) جمعت فى كتاب بعنوان « مقالات عن الكويت » .
- قام بجمع المصطلحات البحرية لاصدارها فى كتاب سيطرح قريباً فى الأسواق .
- اعد العديد من الأبحاث عن صـــحراء الخليج والجـــزيرة العربية والكويت بصفة خاصة .
- توفى يوم الأربعاء الموافق (٦) من يناير ١٩٨٢ .

ترى كيف يكون الحـــال لو أن تاريخ العدد الذى بين يديك من الدوحة تغير من سنة ١٩٨٢ إلى ١٨٨٢ .. هـــذه مقتطفات من المجلة التى كان يقرأها جـــد أبيـــك ..

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية
لمنشئها ومحررها : صلاح الدين المقريزي

عزيزي القارئ

على صفحات هذا العدد من « دوحـــة الماضى » معركة طريفة . بطل المعركة شيخ شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، قضى منها عشرين عاماً كاملة لا يأكل ولا يشرب ، ومع ذلك فهو يعيش حياته طبيعية تماماً ، ينام ويتزوج وينجب ، ويحادث الناس فى منتهى الأدب ومنتهى العقل !

وعندما نشر « عبد الله النديم» هذا الخبر فى مجلته منذ مائة عام ، أثار الاهتمام ، لا لغرابة الحادثة ذاتها ، ولكن لأنها خرجت عن أهداف مجلته التى كانت تهاجم الخرافة ، وترى أنها سبب تخلف الشرقيين ، وسبب استعمار الغرب لأقطارهم ، وتطالب العرب بأن يتعلموا ، وأن يفهموا العالم الذى يحيط بهم ، وأن يجددوا حياتهم قبل أن تضيع بالقهر وبالاستعمار .

هذه المعانى هى التى دفعت الدكتور شبلى شميل وهو طبيب لبنانى درس فى المدرسة الكلية السورية واشتغل بالطب والصحافة ، إلى الرد على عبد الله النديم موضحاً بالبراهين العلمية الفسيولوجية عدم منطقية الواقعة ، وطالباً وضع الشيخ عشماوى ـ بطل القصة ـ تحت اشراف طبى دقيق للتأكد من أنه حقاً لا يأكل ولا يشرب !

ما يلفت النظر فى هذا الحوار ، ليس فقط الحرص على أن يكون « العلم » هو محل التأكد من صحة أى واقعة تخرج عن نطاق المعقول ، ولكن ذلك الاصرار على المقارنة بين صيام الشيخ عشماوى الطويل الذى وصل إلى عشرين عاماً فلم يثر ضجيجاً ، وبين ضجة ثارت آنذاك حول رجل انجليزى اسمه « تنر » صام أربعين يوماً ، فقامت الدنيا وقعدت !

كان العصر ، عصر المواجهة مع الغرب ، حتى فى خرافاته !

« المحـــرر »



مشكاة من العصر المملوكى

- معركة حول العلم والخرافة عمرها قرن كامل :
- عبد الله النديم : لو كان الشيخ عشماوي في بلاد اللوردات لدقت له الطبول في الصحف .
- شبلي شميل : الصيام ٧٣ يوما متصلة مستحيل ولا يحتمله الكائن الحيّ .

صيام الشيخ عشماوي



عبد الله النديم

نقدم لاخواننا الأطباء وغيرهم من أهل الرياضة عجيبة يدرسونها ويفتون بما يظهر لهم فيها من المشاهدات والتحقيقات وهى انه موجود بجروان (بلدة تابعة للمنوفية) من أرض مصر رجل اسمه عشماوى سنه الآن ثمان وعشرون سنة تقريباً وكان قد مرض فى الثامنة أو التاسعة من عمره فبقى لا يعقل ولا يتكلم ولا يبصر شيئاً بل ذهل ذهولا الزمه الفراش وعدم الحركة عامين وبعدها قام من هذه النومة وبرىء من مرضه واصبح لا يشتهى الطعام ولا الشراب فهو الآن يقضى بقية عمره بلا أكل ولا شرب ولا بول ولا براز وقد سالته عن حالته فى النوم فقال لى انه ينام كل يوم من ست ساعات لسبع أو ثمان وقد اعقب ولدين مات احدهما والآخر موجود وهو متزوج ببنت « سعيد كشك » عمدة جروان وتقدم له ان الشيخ العروسى حجر عليه وحبسه شهرين لينظر حاله فلم يتأثر بطول المدة ولا تغير عن حاله وكثير من الناس اختبره بيومين وثلاثة واربعة وهو على هذا الصوم الغريب من نحو عشرين سنة قوي البنية صحيح العقل والفكر ليس له دعوات يدعيها ولا مفتريات يفتريها ، يجالس الناس بالأدب ويغلب على حاله الصمت أحياناً وقد صام (تنر) الانكليزى أربعين يوما فضربت له الطبول باسمه في سائر الاقطار وهذا الذى صام ثلثمائة يوم وسبعة آلاف يوم لم يعلم به غير أهله ولا عرفه الا جيرانه فانه عربى شرقي مصرى فقير فلاح ولو كان فى بلاد اللوردات او الكونتات لكان ذلك له فى كل صحيفة تاريخاً وفى كل يوم سيرة جديدة .

وردت لنا هذه الرسالة من حضرة الحكيم النطاسي شبلى افندى شميل فاثبتناها بالحرف .

أيها السيد الفاضل محرر جريدة التنكيت البهية .

ذكرتم فى عدد ١٤ من جريدة التنكيت الغراء ان رجلا يدعى الشيخ العشماوى من جروان (فى المنوفية) وله الآن نحو من عشرين سنة لا ياكل ولا يشرب ولا يغوط ولا يبول وهو قوى البنية صحيح العقل وقد اعقب ولدين ورغبتم الى الأطباء وغيرهم من أهل العلم ان يفتوكم بما يظهر لهم من حقيقة هذه العجيبة التى لا يصح أن يذكر معها صيام تنر وامثاله بشىء فاقول ان هذا الصيام مستحيل فيزيولوجياً لأن الحياة مهما اختلفت اراء العلماء فى اصلها فجميعهم على اتفاق بانها لا تقوم الا بالتغذية القائمة بالتحليل والتركيب فكل عمل حيوى يرافقه تحليل فى الانسجة الحسية اى ان العناصر القائمة فيها ظواهر الحياة تتغير كيماوياً وطبيعياً بحيث لا تعود تصلح للحياة فتفصل بالافراز ولكى تبقى الحياة بعد ذلك لابد من التركيب اى ادخال مواد جديدة تقوم مقام المفقودة بالتحليل وهذه المواد لا يمكن الحصول عليها الا بالغذاء القائم بالطعام والشراب وبعبارة أخرى الحياة من أهم شروطها وجود مقدار معلوم من الماء والحرارة والهواء ويستحيل بقاؤها بغير ذلك فاذا فقد الماء بتحليله فى المركبات الحيوية وبالافراز والتبخير الذى لابد منه بالحرارة ولم يعوض عنه امتنعت الحياة وهكذا اذا نفذت مواد الغذاء بالاحتراق ولم يعوض عنها بالطعام بطل الاحتراق فبطلت الحرارة وبطلت الحياة وهذه حقائق لا تقبل الاعتراض ولا الاخلال وإما صيام تنر فغير ممتنع أولا لأن الجسم فى حالة الصحة لا يستخدم فى الاحتراق كل مواد الطعام التى تكون غالباً زائداً عن الاحتياج بل يحفظ على الزائد منها ويحرزون فيه على صورة الدهن ذخيرة يتصرف فيها عند الحاجة كما فى وقت المرض هذه الذخيرة لا تكفيه الا اياما قليلة لا تزيد عن العشرة غالباً اذا كان الانقطاع عن الطعام والشراب تاما وثانياً لأن تنر المذكور فضلا عن الذخيرة المذكورة لم ينقطع عن شرب الماء ومن المعلوم ان احتياج الحياة فى الماء أشد من غيره فان الماء يؤلف نحو أربعة اخماس ثقل الحيوان ولذلك كان العطش يعذب الحيوان المنقطع عن الغذاء أكثر

من الجوع وكان يستعمل أيضا بعض المشروبات الروحية التى فيها مقدار غير قليل من الاوكسيجين والكربون اللذين هما عنصرا الاحتراق ومع ذلك فصيامه لم يكن الا محدوداً ولو تجاوز به حداً معلوماً لهلك لا محالة والدليل انه خرج من صيامه فى حالة الهزال الشديد بخلاف الشيخ العشماوى على ما بين صيامهما من التباين العظيم والشيء بالشيء يذكر اني اقص عليكم حادثة ليست باقل اعتباراً من حادثة تنر وإن كان الصيام فيها اقصر مدة لأن الانقطاع فيها كان عن الطعام والشراب معاً مع قلة الهواء فى ظروف تكاد تقضى وحدها على الحياة ففى زلزلة سنة ١٨٧١ فى مدينة انطاكية أخرج صبي وبنت من تحت الردم حيث مكثا ثمانية أيام غير كاملة لا ياكلان ولا يشربان فى بناء مربع مسقوف صغير على قدرهما حصل اتفاقاً باجتماع بعض الحجارة وحفظهما سالمين ولم يكونا يستطيعان فيه حراكاً الا ما قل وهما جالسان القرفصاء وكان عمر الصبى ١٣ سنة والبنت ١٨ سنة اما البنت فماتت حالا بعد خروجها واما الصبى فبقى حياً وقد رايته رأى العين بعد عشرين يوماً من خروجه مهزولا مهوكاً وسالته عما كانا يشعران به وقتئذ فاجابنى ان الم الجوع فقد منهما بعد يومين لكن العطش كان يعذبهما جداً حتى كانا يحاولان شرب بول بعضهما .

ومما يزيد حادثة الشيخ العشماوى غرابة ويقربها إلى الخرافات هو انقطاعه عن التبريز والتبويل مع بقاء باقى المفرزات على حالها كالعرق والدمع واللعاب والمرشحات المخاطية والسائل الذى اعقبه ولدين على ما اشرتم وغير ذلك من المفرزات التى تذهب بمواد الأنسجة وبمائها والتى لا تستطيع البقاء على حالها الا اذا كان التعويض عن المفقود الذى لابد منه فى كل عمل حيوي موجوداً والتعويض لا يكون الا بالطعام والشراب ولعل حكاية الشيخ المذكور من باب حكاية الشيخ زعبل وامثاله وبودي لو انتبهت الصحة فوضعت هذا الرجل تحت المراقبة الصارمة لا لأن عندنا فى مسالته بعض الريب ولكن لتزيل من بين الناس مثل هذه الاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع فى العقل نطاق الاوهام وما هى بقليلة . اه .

كاتبه الدكتور شبلي شميل

(التبكيت) نشرنا الجملة المتعلقة بالشيخ عشماوى وطلبنا من الأطباء ان يفتونا بما يعلمونه فيها وقد اجابنا الى ذلك حضرة شبلى افندى بهذه الرسالة الغراء ولكن كيف يصبح جعلها من باب التخريف والاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع نطاق الأوهام وقد شهدت قرائن الأحوال بأن هذه أمور الزمنا انفسنا مقاومتها ومعارضة من ينتسب اليها على ان هذا الرجل الى الآن موجود وجميع أهل بلده يقولون ذلك عنه فاحب ما علينا ان تضعه الصحة تحت الحفظ لتعلم ان كان المدعى حقيقياً او من باب التخريف وعلى كل فلا ناقة لنا فيها ولا جمل وإنما هو امر نقلناه وما على الناقل من حرج .

مطبوعات جديدة

النزهة الخيرية فى التواريخ الحالية وهى تقويم الكواكب السيارة اليومى فى البروج وتعديل الأوقات ودرجة الشمس لسنة ١٢٩٨ هجرية . حررها اللوذعى الفاضل الحاج حسن لازاغلي مدير الرائد التونسي والحقها بتاريخ أيام العرب والحوادث المشهورة والنيران التى شبت فى الاستانة ولندن وباقى اوربا والسنين الشديدة البرد وعدد سكان أوربا وتاريخ سلاطين آل عثمان والدولة الحسينية الى غير ذلك من الفوائد التى يعز وجودها فى غير هذا الكتاب .

باب تحصيل الحاصل

وردت الينا هذه الرسالة فاثبتناها كما هى :

سيدى الفاضل محرر التنكيت والتبكيت .

اطلعت على قصيدة بديعة هزلية لاحد شبان ثغرنا الادباء وهى غاية فى باب (تحصيل الحاصل) ابعث اليكم ببعض ابيات منها قصد نشرها فى احد اعداد تنكيتكم الزاهر ترويحا لأفكار قرائه الكرام مطلعها .

الأرض أرض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظلام عماء
والحر ضد البرد قول صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والروض روض زينته غصونه
والدوح دال ثم واو حاء
والمسك عطر والجمال محبب
وجميع اشياء الورى اشياء
والمر مر والحلاوة حلوة
والنار قيل بانها حمراء
والمشى صعب والركوب نزاهة
والنوم فيه راحة وهناء
ومنها
كل الرجال على العموم مذكر
اما النساء فكلهن نساء.

شعر عمر بن أبي ربيعة
في الغناء الأموي

بقلم: كمال النجمي

أكثر ما قرأنا عن الشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة ، غزلياته وغرامياته ومغامراته ، ونوادره فى التجميش والدعابة والمطايبة للجنس اللطيف ! .. ومذهبه الفنى الذى يشبه أن يكون مبتكراً فى قول الغزل – على عهده – ومراسلته الجميلات فى مكة والمدينة والطائف ، وإيغاله فى مراسلتهن الى اليمن والعراق والشام ، صادقاً فيما يقول أو يكتب أحياناً ، لاهياً أكثر الأحيان ! ..
ويسافرُ الناس من عصرنا بخيالهم ، ثلاثة عشر قرناً الى عصر عمر بن أبى ربيعة فى القرن الأول الهجرى ، ليشاهدوه بين حبائبه الكثيرات كما يتخيلونه الآن ، وليملأوا عيونهم من فارس الصبوات .. كازانوفا العربى الذى ينكمش الى جانبه كازانوفا الأوربى المسكين ! ..

هذه الصورة لأول شاعر قرشي يعترف كبار شعراء القبائل العربية بتفوق شاعريته ، فى بابها الذى انفردت بالتوسع فيه والاقتصار عليه .. ليست بعيدة من صورة ابن أبي ربيعة فى كتب الأدب العربى ، فهو الشاعر الفاتك المغامر الطياش ، وهو «صديق المراة» الذى قصر الشعر على التغنى بمحاسنها ، فقيل له : ألا تمدح الخلفاء ؟! .. قال : إنما المدح للنساء فقط ! .. فالمدح عنده فى جوهره غزل وغرام ! ..

لكنه مع ذلك لم يكن وحده شاعر الحب والجمال فى عصره ، ولا كان شعر الحب والجمال فى عصره لوناً واحداً ، بل كان أشد كثرة وروعة من ألوان قوس قزح ، كما نرى فى أشعار العذريين التى تجاوزت سدة الفضاء ، طيوفاً ساحرة ، بعيدة كنجوم الليل ، تملأ قلوبهم بالأمل أو الألم واليأس من قسوة التقاليد ! ..

ثم تنحدر طيوف الحب من عليائها كاسرة جناحيها ، عائدة الى الأرض ، حتى تصير معلقة كالسحابة بين السماء والأرض فوق رءوس بعض الشعراء ، ثم تدنو فتكون أعلى من الأرض قليلا ، ثم تتدلى فتلتصق بالأرض وتعانق شعراء اللهو والتصابى ، وأولهم عمر بن أبى ربيعة ، أشهر الشعراء ، وأعشق الشعراء ، وأغزلهم وأطربهم الى النساء ، وأقدرهم على التعبير عن طربه اليهن بلا ملل صباح مساء ! ..

كان فى عصر ابن ربيعة ، جماعة من أشهر شعراء الحب والجمال فى تاريخ الشعر العربى كله .. حسبك منهم الشعراء العذريون ، الذين لم يتكرر وجودهم فى الشعر العربى ولن يتكرر ، ومعهم مشاهير الشعراء العشاق الآخرون ، ومازالوا هم أيضاً أشهر شعراء الحب فى الشعر العربى الى اليوم ..

وهل يمكن أن ينسى شعر الحب فى عصر ابن أبى ربيعة ، أعلامه الخالدين : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وابن الطثرية ، والأحوص ، ووضاح اليمن ، وعبد الله العرجى «حفيد عثمان ابن عفان» ومن لا أحصيهم .. فضلا عن بدائع جرير فى النسيب ، وهو أشعر شعراء العصر الأموى ، وإن لم يكن معدوداً فى العشاق ؟! ..

فى ذلك العصر بدأ ما يعرف فى التاريخ العربى بالغناء «المتقن» – وسنتحدث عنه بعد – فتغنى أصحابه بأشعار لهؤلاء جميعاً ، ولكن أكثر غنائهم كان فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، حتى قال القائل فى ذلك الزمان : «إذا أعجزك أن تطرب القرشى ، فغنه ألحان ابن سريج فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، فانك ترقصه» ! ..

وقائل هذه الكلمة لا يعنى القرشى خاصة ، بل يعم العرب جميعاً ، والعجم أيضاً ، ممن استعربوا آيامئذ وصار لهم ذوق فى الشعر والغناء والحياة كلها ، كذوق العرب ، بل هو ذوق العرب ذاته ، لأن هؤلاء المستعربين نشاوا بين العرب ، ولقنوا فصاحتهم وحياتهم ! ..

وابن سريج كان أعظم مطربى ذلك العصر ، بدأ حياته الفنية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، لكنه رأى الخليفة عثمان بن عفان ، وحضر – وهو طفل – الفتن التى اجتاحت المدينة ، عاصمة الخلافة ، فى أواخر عهد عثمان ، ولكن إقامته كانت بمكة ، وفيها كانت بداية شهرته بالنياحة وهى صناعة «النوح» على الموتى ، ينوح عليهم ، ويقبض أجره ، ثم استمع الى غناء رائد الغناء المتقن «ابن مسجح» فأخذ عنه شيئاً ، ولم يكتف به ، فلازم العمال العجم الذين استقدمهم الى مكة عبد الله بن الزبير – فى عهد خلافته – لاعادة بناء الكعبة بعد أن احترقت فى حادثة فاجعة .. وعن هؤلاء العمال الذين كانوا يتغنون فى أثناء عملهم ويضربون بالعيدان فى ساعات راحتهم ، اخذ ابن سريج صناعه الضرب بالعود ، ونقل نغماتها الى عروض الشعر العربى ، بذوق



عربى فاذا به قد أنشأ مقامات الغناء العربى نشأتها الأولى التى كانت طفرة فنية هائلة لا يصدقها العقل ! ..

ومن المصادفات التى لا تثير العجب فى الحقيقة أن العمال العجم كانوا يعملون فى «المدينة» أيضاً ويضربون بالعيدان ، وأخذ عنهم مطربو المدينة ، فنشأ للغناء العربى المتقن مذهبان أو مدرستان فى وقت واحد ، مدرسة مكة ومدرسة المدينة .. واهتدى أصحاب هذين المذهبين الجديدين بفطرتهم السليمة الى أخذ ما يصلح للذوق العربى من الموسيقى الأعجمية ، وما يمكن مزجه بما تبقى للعرب من غناء حضارتهم القديمة التى كانت لهم قبل ذلك بآلف عام ، ويقول بعض المؤرخين إنها عاشت آلفى سنة ، فنكسة الحضارة العربية التى امتدت فى الجاهلية آلف سنة ، سبقتها حضارة مزدهرة قاومت الزمن آلفى عام ! .. ولو حسبنا السنين لأمكن أن نقول : إن الغناء العربى المتقن قد انبعث «فجأة» ـ بمعنى الكلمة ـ بعد احتكاك سريع جداً بالغناء الحضارى الفارسى والرومى والمصرى ، ولو لم يكن للغناء المتقن أصل عند العرب لما صح فى الذهن أن يعود فى مكة والمدينة معاً فى عشرين عاماً فقط فناً متقناً متكاملا ، لا ينقصه إلا القليل الذى استكمله بعد ذلك إسحاق الموصلى فى بغداد وزرياب فى قرطبة ثم نقله المتغلبون على السلطة فى المشرق والمغرب من الترك والديلم والخزر وغيرهم فحرفوا أسماء المقامات العربية القديمة ، ولكن كان لهم فضل الاحتفاظ فى غنائهم بجوهرها ، فلما انبعث الغناء العربى المتقن من جديد بمصر فى منتصف القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد شهاب (صاحب كتاب سفينة شهاب الذى حوى الموشحات الأندلسية) كان هذا هو البعث الثانى للغناء العربى بعد بعثه الأول فى القريتين العظيمتين ، ثم انبعث الغناء العربى بعثاً ثالثاً منذ عهد عبده الحمولى ، ومحمد عثمان الى عهد سيد درويش ، وأبى العلا محمد ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب ، والسنباطى ، وغيرهم .. ومن حسن الحظ أن هذا الانبعاث الأخير لا يمكن محوه لأنه مسجل ، بالرغم مما يعتور الغناء العربى الآن من تدهور خطير ! ..

أظننا لم نبعد عن عمر بن أبى ربيعة وشعره فى غناء عصره ، مع أننا قفزنا فى هذه الأسطر الأخيرة عائدين أكثر من ألف وثلاثمائة عام من عصرنا الى عصره ..

ذلك أن ذيوع شعر عمر بن أبى ربيعة فى غناء عصره يشبه شيوع قصائد هذا أو ذاك من شعراء مصر والشام ـ مثلا ـ فى غنائنا المعاصر ، لا بسبب تكرار التاريخ لنفسه كما اعتدنا أن نسمع بعضهم يقول ، ولكن لتوافر الشروط والأسباب الحاسمة فى اتجاه أمس واتجاه اليوم ، على اختلاف الأصول العميقة لاتجاهات الدنيا من زمان الى زمان ! .

تغيرات موضوعية

ولد عمر بن أبى ربيعة فى بنى مخزوم من قريش ، ليلة استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأسماه قومه عمر ، واستهل حياته والناس يبحثون عن خليفة ، ويتنازعون بينهم : أيكون الخليفة هذا الصحابى الجليل أم ذاك ، حتى ارتقى منبر الخلافة عثمان بن عفان ! ..

فى عهد عثمان عاش «عمر» طفولته ، ثم رأى الفتنة بين علي ومعاوية فلما خمدت كان قد بلغ الشباب وأوغل فى قول الشعر ..

وعهد عثمان ، ثم عهد معاوية ، هما عهد الفتوح الاسلامية البالغة أطراف الأرض شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً .. وفيهما تدفقت أفواج من الأمم القاصية ، ذكوراً وإناثاً ، على المدينة ومكة

شعر عمر بن أبي ربيعة
في الغنـــــاء الأمـــــوي

ودمشق والبصرة والكوفة والقدس والفسطاط وصنعاء وغيرها من مدائن العرب ، وفاضت خزائنهم بما اجتنى لهم النصر المتواصل من الأموال الطائلة ..

وكان من البديـــه بعد ذلك أن تتربع قريش على قمة التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، فان قريشاً ذؤابة العرب .. منها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، وكبار القادة والساسة والعلماء في الدولة العربية العظمى التي أخذت مكان دولتي قيصر وكسرى في ضربة فذة من ضربات التاريخ البالغة الندرة ، سرعة وحسماً واستقراراً ..

ووجدت قريش نفسها وهي تسكن الحرمين مكة والمدينة ، والمدائن الكبرى في الأمصار تنعم بفيض من الرزق يكاد يكون بغير حدود ـ إذا قيس الى الرزق في الجاهلية ـ وفرضت الدولة للقرشيين من بيت المال مرتبات ثابتة كبيرة ، وخصت بعضهم بما فوق المأمول ، فكان عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ينال من معاوية بن ابي سفيان الف الف درهم (مليون درهم) سنوياً .. فلما مات معاوية قال يزيد معاوية لعبد الله بن جعفر : كم كان يعطيك أمير المؤمنين ؟! .. قال : كان رحمه الله يعطيني الف الف ! .. قال يزيد : قد جعلتها لك الفي الف «مليونين» لترحمك عليه ! .. فقد استكثر الخليفة الأموي أن يترحم هذا الهاشمي ابن جعفر ذي الجناحين الطيار في الجنة ، على معاوية الذي كان ممن قال لهم الرسول الكريم : اذهبوا فانتم الطلقاء ! ..

ثم زاده يزيد مليوناً ثالثاً ، لأن جعفراً قال له : «بأبي انت وأمي» .. وهي كلمة «جسيمة» من هاشمي لأموي ، استخرجت من يزيد مليون درهم ! ..

فانظر كيف كان عطاء رجل واحد من قريش ثلاثة ملايين درهم ، ولا يدهشنك بعد ذلك الا تسمع عن فقير قرشي في عهد عثمان الى اخر عهد معاوية .. ولسنا نعني أنهم تساووا في الثراء ، فان هذا لم يقع في اي مجتمع من قبل ولا من بعد .. ولا نعني أن قريشاً احتجنت المال عن العرب وخصت نفسها به ، فالقبائل العربية كلها ازدحمت في الفتوح الكبرى ، فتغيرت حياتها جملة وتفصيلا ، لوفرة المال وفرة هائلة ، حتى بلغ العطاء مستحقيه في أعماق البوادي وهم يستظلون تحت النخيل ! ..

كانت هذه تغيرات موضوعية طبيعية في تلك الظروف التاريخية ، ولكن السيطرة على نتائج التغيرات ـ على اختلافها في جميع العصور ـ لا تدخل في إرادة انسان بذاته ، بل تخرج حتى عن إرادة المجموعات ، أو الجموع ، وتمضي الى غايتها .. فالتاريخ يذكر أن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام قالت مرة : «تزوجت الزبير وما يملك إلا بعيراً وفرساً .. وليس له خادم ولا مال ، فكنت أطحن بيدي وأعجن وأعلف الفرس والبعير وأجتلب الماء من مسافة بعيدة» ! .. وقد توفي الزبير بعد عثمان بقليل فخلف تركة قدرت بمائة وخمسين الف دينار ، والف فرس ، والف خادم .. وداراً في الكوفة بقيت قائمة بعد وفاته أربعمائة عام تقريباً لأنها كانت قصراً بالغ المتانة .

وكان لطلحة بن عبيد الله دار كهذه بقيت مئات السنين أيضاً ، وبلغ محصول أراضيه أكثر من سبعمائة الف دينار في العام .

وبنى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ داره بالمدينة بالأجر والجص والصاج .. وحين مات زيد بن ثابت ، خلف من كتل الذهب والفضة ما اضطر ورثته الى كسره بالفئوس ، عدا الضياع والقصور ! .. ويذكر التاريخ لزيد جهده العظيم في جمع القرآن الكريم وكتابة المصاحف ..

ولما مات عبد الرحمن بن عوف جيء الى الخليفة عثمان بن عفان بما تركه من الذهب في كيس كبير ، فلم يستطع عثمان أن يرى الرجل الذي وضع الكيس وقام وراءه ، فقال عثمان :

ـ رحم الله عبد الرحمن ! .. إني لأرجو له خيراً ، لأنه كان يتصدق ويقرى الضيف .. وقد ترك ما ترون من المال ! ..

وكان كعب الأحبار حاضراً فقال :

ـ صدقت يا أمير المؤمنين .. كسب عبد الرحمن طيباً ، وأنفق طيباً ، لقد أعطاه الله خير الدنيا والآخرة ! ..

هذا معناه ـ في قول كعب الأحبار ـ أن الأموال التي حازها كبار العرب القرشيين وصغارهم ، بل كبار أمة العرب كلها وصغارها ، لم تكن نهباً اقترفته فئة عربية .. ولو كانت كذلك لكان هذا الرجل ـ كعب الأحبار الذي كان يهودياً قبل اسلامه ـ قد غمز قناة العرب في هذا الشأن من قريب أو بعيد ..

لقد جاءت هذه الأموال من وجهها «الشرعي» في الفتوح ، ثم في «استثمارها» بعد ذلك سنين في التجارة والزراعة ، فطبع الثراء والازدهار الاقتصادي ذلك العصر كله الذي بدأ بخلافة عثمان وبلغ خلالها ـ وهي اثنا عشر عاماً ـ غاية لم يكن ممكناً بعدها أن يتحول عنها المجتمع الجديد الذي صارت لحياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قواعد وأصول صنعتها عوامل تاريخية سريعة لكنها عميقة فعالة ذات منعة شديدة ، ولها في هذا المضمار تفرد تاريخي يستحق أعمق الدراسات ..

في ظل هذا التحول الحضاري الأساسي ، فرغ القرشيون في مكة والمدينة لحياتهم الخاصة ، وأغناهم مال الأعطيات والجوائز والتثمير ، فصارت لهم طريقة في الحياة ، وعرفهم سائر الناس بسماتهم الخاصة وملابسهم وآدابهم وفصاحتهم ووجوههم السمح الناطقة بأصلهم القرشي ، حتى كان العربي إذا رأى القرشي وهو لا يعرف أنه من قريش ولم يره قط من قبل قال له برهاناً على فراسته :

ـ أمتع الله بك يا فلان .. توسمت فيك القرشية ! ..

فيجيبه القرشي :

ـ أصبت ! ..

الغناء العربي المتقن

وسط هذه الحياة الجديدة الزاهية الناعمة المطمئنة ، بزغ نجم الغناء العربي المتقن ، وصارت له طرائق فنية راسخة متعارف عليها ، فأقبل عليه القرشيون ، إقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا ، وارتفعت جوائز المغنين ، وطلبهم الأمراء ثم الخلفاء ـ بعد معاوية الذي كان يلتزم التحفظ ـ وغمروهم بالعطاء .

وعندما بلغ عمر بن أبي ربيعة الأربعين من عمره ، كان الغناء قد تخطى مرحلة الاضطهاد ، وعرف الناس في الحجاز والشام والعراق أسماء ابن سريج ، وابن محرز ، ومعبد ، ومالك بن أبي السمح ، والغريض ، وابن عائشة ، وجميلة ، وعزة الميلاء ، وسلامة القس ، وحبابة ، وأسماء أخرى لا أحصيها ، كانت طليعة الغناء المتقن ، ولكل منها فضل ، وعلى أيديها رسخت قواعد هذا الغناء في سرعة قياسية لم يعرفها فن من فنون الأمم قديماً وحديثاً .. وخرج الغناء العربي المتقن كلمح البرق الخاطف من طيلسان غناء الأمم المغلوبة المحتفظة ببقايا حضارات انتهى دورها ، ونظر العرب فيما استحدثوا لأنفسهم من غناء متقن فاذا هو لا يشبه غناء الروم ولا الفرس ولا الخزر ولا غيرهم ، فقد ارتقت فنية الغناء العربي المتقن حتى صار غناء تلك الأمم الى جانبه ثرثرة ساذجة تندثر أصولها يوماً بعد يوم ويسخر العربي منها اذا سمعها ، ويقول في نفسه : أين هذه السذاجات مما نسمع من غنائنا المتقن المشدود الأصول والفروع شداً بالغ الوثاقة

والجمال ؟! ..

وكان على أصحاب الغناء العربى المتقن ـ تلك الفئة النابغة النادرة المثال فى تاريخ الأمم ـ أن يغنوا للأجيال الجديدة التى صار لها ذوق فى النظر الى متاع الحياة ، وزينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ومن هذه الطيبات .. النساء : زوجات أو جوارى ـ وقديماً كانت الجاهلية فى فقرها وخشونة ذوقها ، لا يخفى عليها شىء من دقائق الجمال النسائى ، فكيف وقد ذهبت خشونة الجاهلية واندثر فقرها ، واتخذت المرأة مكانها الصحيح ونطق الشعراء بغزل لا يتجاوز فى أكثره مقتضيات المروءة التى هى رأس الأخلاق عند العربى .. واليها ينتهى عمله وقوله ، ولا يخرج عنها حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يمثل «فتى العصر» بحسناته وتجاوزاته ؟! ..

لهذا لم يكن شعره دعوة الى فجور كما يظن من لا يعرفه ، بل كان تحرراً ولعباً فى «الكلام» و «الحوار» .. يدخل فى باب الظرف الحضرى الجديد ! .. ولم يكن أهل عصره ـ إلا بعضهم ـ يرون بذلك بأساً ، بل كانوا يتناشدونه ويعجبون به ..

لم يكن الشعر العذرى يشوق نبلاء تلك الدنيا الجديدة الذين يملكون الجوارى بطريقة شرعية ، فان الشعر العذرى كان شعر الأعراب فى البادية تحرمهم ظروفهم ممن يحبون فيقولون هذا الشعر الذى يراه المتحضرون المثرون ساذجاً ينضح بالبراءة ، وينم عن قلة التجربة وضعف الحيلة ، وإن كان شديد الحرارة ، عميقاً صادقاً ، يقلب الأكباد على «الطناجر الحامية» ! ..

كانت شروط الحياة فى «الحضر» شديدة الاختلاف عنها فى «المدر» .. بالرغم مما انتعشت به الصحراء من بركات الفتوح وكرم الأثرياء الذى كان كالغيوم الماطرة على الناس ! ..

هذا النوع من الشعر

لهذا قل التغنى بأشعار العذريين ، سواء من اعترفت بهم كتب الأدب التى بين أيدينا الآن ، ومن لم تعترف بهم .. وقد روت هذه الكتب أشعار من أنكرت وجودهم ومن اعترفت بوجودهم ، وسجلت ما صنع فيها المغنون من ألحان عاشت حتى نهاية العصر العباسى الأول ..

كذلك قل إقبال المغنين على أشعار جميل بثينة وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وأمثالهم من المتوقرين فى نسيبهم ، أو ممن ادعوا الوقار وطاب لهم أن يجعلوه طابع غزلهم ونسيبهم ! ..

فهذا النوع من الشعر ، وإن لم يخل من فرائد ، لا يحرك عواطف «جمهور الغناء» الناعم .. ولا يحوز رضا عامة عشاق السماع ! ..

ولما غنى المطربون فى شعر العرجى الشاعر الغزلي الجريء ، طرب لهم الناس ، ولكن الذى أطرب الناس حقاً ، وفتنهم ، وأقامهم وأقعدهم ، ومس قلوبهم وأكبادهم ، هو الغناء فى شعر عمر ابن أبى ربيعة .. فانه الشعر الذى كانوا يلتمسونه فى الغناء ، شعر الرفاهة القرشية الجديدة الخبيرة بأصول الحياة فى المجتمع الجديد .. إنه الكلمة المطلوبة لغناء العصر ، لأنه لسان حال الحياة الخاصة للنخبة التى كان عمر ابن أبى ربيعة نفسه واحداً منها .. ولسان حال صفوف كثيرة وراء هذه النخبة العريقة ، من عامة أثرياء العرب ، وما أكثرهم حينذاك ! ..

تغزل عمر فى جميع شهيرات عصره الجميلات من بنات العظماء والكبراء فى الحجاز والشام والعراق واليمن .. ولم يغضب منه فى أكثر الأحيان أحد غضباً لا ينطفىء بأيسر نفحة من فم رجل أو امرأة .. لأنهم كانوا يعرفون أنه من كلام الرفاهة البرىء الذى يترقرق فى النعمة السابغة التى يبتردون بمائها ، ويقتعدون فوق زئبقها على الأرائك مبتسمين للحياة وهى تتأرجح بهم ناعمين ! ..

وتنافس المغنون على شعر ابن أبى ربيعة ، فكانوا يتقاسمون القصيدة الواحدة ، يأخذ كل منها أبياتاً يلحنها ويغنيها ، وكان أوفرهم حظاً من هذا الشعر عبيد بن سريج ، عظيم الملحنين والمغنين ، وصديق عمر بن أبى ربيعة ، وصاحبه فى جولاته بحثاً عن الالهام ! ..

ولا تجد من أعلام الغناء كمعبد والغريض وابن أبى السمح وابن عائشة وابن محرز وسلامة القس وغيرهم ، من لم ينل نصيباً وافياً من شعر ابن أبى ربيعة الذى كان نظمه كله للغناء ! ..

ثم عاش هذا الشعر بعد العصر الأموى حتى بلغ العصر العباسى فى قمة ازدهار سلطانه وامتلاء خزائنه ، على عهد هارون الرشيد .. فعندما طلب الرشيد من ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وغيرهما من كبار المطربين أن يختاروا له مائة لحن جميل ، كان مما اختاروه بعض الألحان فى شعر ابن أبى ربيعة ، فلما طلب تصفية هذه الألحان المائة الى العشرة ، ثم الى ثلاثة ، كان أحد الأصوات الثلاثة فى شعر لابن أبى ربيعة من تلحين ابن سريج ، وقد ظل هذا اللحن مروياً على أصله حتى بلغ عصر الرشيد وغناه له المغنون الرواة كالموصلى وابن جامع ..

هذا الشعر هو :

تشكى الكميـــت الجـرى لما جهدتـــه
وبيـــن لو يســـطيع أن يتكلمـــــا

ولبث الشعر الذى منه هذا البيت يلحن على أشكال مختلفة فى العصر العباسى الأول ـ عصر الازدهار الأقصى للغناء ـ حتى لحنه شيخ الملحنين إسحاق الموصلى ، فقال له الخليفة «الواثق» معجباً :

ـ لحنك يا اسحاق فى هذا الشعر لابن أبى ربيعة ، خير عندى من لحن ابن سريج ! ..

كمال النجمى



شاعر العاصفة والأمطار..!

شعر: الدكتور سعدد عبيس

إلى الشاعر الذى تبنى قضية العدالة الاجتماعية فى مصر ، فى جميع دواوين شعره ، ألا وهى : « قصائد فى القنال » و « فى العاصفة » و « قبلما تسقط الأمطار » ... وفى « انتظار المطر » ..
إلى روح الصديق الراحل .. الشاعر الدكتور كيلانى سند ...

يا رافض العيش فى أغْلال قضبَانِ ... ومُنْشِدَ الشعر فى تحريرِ أوطانِ
قضَّيتَ عمْرَك فى الاعصارِ أغنيةً ... وصُغْتَ شعرَكَ فى أفواهِ بركانِ .. !
يا شاعراً .. عاشَ فى الآفاقِ .. عاصفةً ... تدعو السحابَ .. ليهْمِى فوقَ وديانِ .. !
تبثُّ أشواقَها للرَّعْدِ .. صارخةً : ... الأرضُ ظمآى .. لسيلٍ منك .. هَتَّانِ .. !
قُمْ .. فَجِّر الصمْتَ فى الصَّحْراءِ .. أغنيَةً ... الحانُها .. فيضُ أمطارٍ وغُدْرانِ .. !!
وفَجِّر العُقْمَ .. فى أعماقِ وَحْشَتِها ... نَهْرَ اخضِرارٍ .. لسُمَّارٍ ورُعْيَانِ .. !

• •

يا شاعراً .. عاش فى الآفاق عاصفةً ... وطائراً .. يتلظَّى فوقَ نيرانِ .. !!
قمْ .. حطِّم الصمْتَ ، وانفُضْ ليلَ مقبرةٍ ... وأَنْشِدِ الشعرَ فى صدقٍ وايمانِ
قد عشتَ عمْرَك .. لحناً طائراً قلقاً ... لا يستقرُّ على دَوْحٍ وأغصانِ .. !
تسمو وراءَ نشيدِ الشمسِ .. متخذاً ... من شِعْرِك الحُرِّ .. ما يزرى بعِقْبَانِ
ما كنتَ يوماً لتشدو الشعرَ مرتجفاً ... أو تهمِسَ الرأىَ فى صمتٍ وكتْمَانِ
فكيف تسرى بليلِ الصَّمْتِ .. معتزلاً ... وكيف تاوى إلى أنقاضِ بُنْيانِ .. !!

• •

قم .. حطِّم الصمْت .. إن الشعر عاصفةً ... لا تسكُنُ القبرَ .. لا تاوى لجدرانِ .. !
وأنت .. نهرُ ضياءٍ .. ليس يحْجُبُهُ ... ما يحجُبُ الناسَ من قيدٍ وسجَّانِ
قم .. حطِّم الصمْتَ .. إن الصمتَ مقبرةٌ ... وأَنْشِدِ الشعْرَ فى صحبٍ وخلانِ
وألق بالكفنِ البالى .. فأنت هنا ... فكرٌ تسامَى على مَوْتٍ وأكفانِ
حطم قيودَكَ ..« أودوسيوسُ »وارْمِ بها ... وعُدْ لساحةِ أبطالٍ وفرسانِ
لما تزل (بنيلوبُ) « الشِّعْرِ .. حائرةً ... ترجو إيابَكَ فى شوقٍ وتحنانِ .. !
تسائلُ القومَ ..« ماذا بعدَ رحلَتِهِ ... متى يعودُ فيطوى صمْتَ أحزانى .. !

• •

متى يعودُ لقوس الشِّعر يحكمُها ... يرمى بها كل مَشَّاءٍ بِبُهْتَانِ .. !



يرمى بهـــا من أحالوا الشـــعرَ أحذِيَـــةً ... لـــكل ذي صـــولةٍ يُزْهَى بسُـــلْطانِ
من صيَّروا الشِّـــــعرَ أبواقاً مســـخَّرة ... وصـــيَّروا الفنَّ أســـواقاً لعُبْـــدَانِ .. !

● ●

يا شـــاعراً عاش فى الآفـاق عاصـــفةً ... وطـــائراً يتلظَّى فـــوقَ نـــيرانِ .. !
قمْ .. علِّم القـــومَ أن الشِّـــعْرَ معجـــزةٌ ... تَهْـــدِى إلى الحـــقِّ .. لا تُشْرَى بأثمـانِ .. !
وأنَّ من يبـــدعُ الأشـــعَارَ مرتفِـــعٌ ... بشـــعْرِه .. فوق القـــابِ وتيجـــانِ .. !
وأننـــا نمنَحُ الآفاقَ .. أنجُمَهَـــــا ... ونبدع الـــكونَ .. من أبيـــاتِ ديوانِ .. !!
منابعُ الضـــوءِ .. تَسْرِى من مشـــاعِرِنَا ... والشمسُ تشرقُ من أعْمَاقِ فَنَّـــانِ .. !!
مليـــونُ شمْسٍ وشمسٍ .. فى قَصَـــائدِنا ... تفجِّـــرُ الضَّـــوْءَ من آلافِ أكْـــوَانِ .. !!

● ●

قُمْ .. يا رفيقَ السُّرَى .. فالريحُ عاصِـــفَةٌ ... والليـــلُ من حوْلِنَـــا .. غاباتُ ذُؤْبَانِ .. !!
تركْتَنى .. فى زحامِ النـــاسِ .. منفـــرداً ... أفِرُّ منهم .. إلى دَمْعى وأَحْـــزانِى .. !
وحْـــدِى .. غدَوْتُ .. وما فى العمرِ متَّسَـــعٌ ... لصاحبٍ أرْتَجِيه .. بعـــد « كيلانى » .. !!
كنـــا رفيقىْ حَيَـــاةٍ .. ما يفرِّقنـــا ... ما فرَّقَ النـــاسَ من أحـــداث أزْمَـــانِ
قـــد كنتُ أنطِقُ ما أوشـــكْتَ تنطِقُـــهُ ... ويلتقى منك تبْيَـــانٌ بتبْيَـــانِى .. !
فكيفَ خلَّفْتنى أنضـــاءَ مغـــتَرِبٍ ... لم يَبْقَ منـــه ســـوى أشْـــلاءِ إنســـانِ
ودونمـــا موعـــدٍ .. أسْرَيْتَ .. مـــرتحلاً ... يا طائرَ الحبِّ نحو العَـــالَمِ الثـــانى .. !

● ●

بالأمس .. كنـــا معاً روحاً معـــذَّبَةً ... يمشِى بهـــا فى دروبِ الأرضِ جِسْـــمَانِ
واليومَ .. نحن هنـــا روحٌ مجنَّحَـــةٌ ... تخلَّصَـــتْ من ترابِ العـــالَمِ الفـــانى .. !
تسرى بهـــا فى سماءِ اللهِ أغنيـــةٌ ... ألحـــانُها فيض تســـبيحٍ وإيمـــانِ .. !

سعد دعبيس
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

سِرُّ الجَاذِبيّة في اللغة العَربيّة

بقلم : حامد بدر

عندما تكون حاجة المحب الى المحبوب شديدة، أو عندما يكون المحب طالباً والمحبوب مطلوباً ، فان قوة الجاذبية فى جانب المحبوب قادرة على اجتذاب المحب . والنتيجة إغداق العطاء من المطلوب على الطالب .

ولكى يؤدى الرسول رسالته لابد أن توجد لديه القدرة على تبليغ تلك الرسالة وأن يملك من فصاحة اللسان ، وبلاغة الاقناع ما يخضع المخاطب لا سيما مخاطب معاند مكابر متعصب ، عاكف على عبادة الأوثان ، تلك العبادة الموروثة التى يستمد منها سلطانه وجاهه وثراءه . وهو مع عناده ومكابرته وتعصبه ووثنيته .. متفوق فى بلاغته واقتدار لغته وسحر بيانه .

ولم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ، كما جاء فى القرآن الكريم « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » . وقد أرسل الله محمداً فى العرب بلسانهم ، ولكن رسالته كانت الى الناس كافة كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

نزل القرآن عربياً ، على نبى عربى ، فى قومه العرب ، فبهرهم وأعجزهم بنصه ومضمونه وهم أمراء البيان .. وانتشر الاسلام ، وشمل نوره كل قارات العالم ، فكيف انتشرت رسالة القرآن فى أمم لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها ؟ وهل سعى الاسلام الى المكان الذى ظهر فيه وهو قلب الجزيرة العربية الى مكان قريب أو بعيد ؟ أم سعى الناس من كل مكان الى المكان الذى بزغ منه نور الاسلام ، بعد أن بعث فيه هذا النبى العظيم ؟ .

إن اللغة العربية كانت ولا تزال أغنى اللغات ،ولذلك اخذت مكانها فى العالم بين أهلها لتكون مصدر اشعاع تنبعث منه أضواؤها على جميع بقاع الأرض .

وإذا اصطفى الله تعالى من خلقه محمداً صلى الله عليه وسلم لتبليغ خير الرسالات الى الناس كافة ، وانزل عليه القرآن الكريم بلسان عربى مبين . فلا ريب فى أن لغة القرآن هى اللغة المصطفاة التى لا ترقى الى مكانها لغة أخرى .

وبعد أن وصلت الى القاصى والدانى علوم وتعاليم من القرآن ، مترجمة بكل لسان ، وأسلم من أسلم اشتد حنين الكثيرين من غير العرب الى قراءة وفهم أصدق وأحكم وأعلى كلام ، ألا وهوكلام رب العالمين . ولا سبيل الى قراءة ذلك الكتاب بغير تعلم العربية الفصحى . فتنافس المتنافسون فى هذا المضمار ، وظهر من تعلم العربية ونبغوا فيها ، وقرأوا القرآن وتفاسيره ، وترجموا من معانيه وأحكامه ما استطاعوا وكان هذا السباق بين محبى اللغة العربية حافزاً لغيرهم ممن بلغتهم الدعوة الى تعلم هذه اللغة الفصحى ليزدادوا علماً ، وليتمكنوا من قراءة كتاب الله والاهتداء بنوره ، فدخلوا فى الاسلام جماعات ووحدانا .

وإذا كانت الشمس ترسل أشعتها بغير حساب ، فليس كل مكان فى الأرض سواء فى التمتع بنور الشمس ودفئها ، فهما فى انجلترا مثلا لا يتعادلان مع نور الشمس ودفئها فى مصر . لذلك كان سكان المناطق الباردة المظلمة هم الذين يشعرون بالحاجة الى الانتقال الى الأماكن التى تسطع عليها الشمس طلباً للنور والدفء ، فيذهبون الى تلك الأماكن ولم تذهب الشمس اليهم فى صقيعهم وثلوجهم وغيومهم . لم تذهب اليهم ، ولكنها لم تبخل عليهم إذا ماالتمسوا دفئها ونورها بكل وسيلة من الوسائل الممكنة . فان طاقة الشمس من الحرارة والضوء غنية وكافية . والشمس لا تختزن تلك الطاقة ولا تمنعها ولا تبخل بها .

وهذا مثل مادى قد يقرب الصورة الى الأذهان التى تطلب الادراك من طريق الواقع المحسوس وان كان الفرق شاسعاً جداً بين هدى الأبصار وهدى البصائر ، وبين المدد الجسمانى والمدد الروحى !

وكما أن معرفة آداب وتراث لغة غير العربية لا يتحقق إلا بمعرفتها ، فكذلك ليس من الممكن الاستفادة من علوم القرآن ، والأخذ من المؤلفات التى وضعها علماء الاسلام وفلاسفة العرب إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى . وهؤلاء الذين تعلموها لم يقبلوا عليها للاحاطة المجردة بها ، بل لأنها الوسيلة الى قراءة القرآن الكريم التماساً لذلك النور الهادى . وبتعلم الفصحى وفهمها استطاعوا تذوق بلاغتها فانبهروا بما وجدوا فى القرآن من علوم الكون ، وقصص الأولين وعبرالقرون الغابرة . وخشعوا إكباراً وإجلالا لما فى القرآن من توجيه أخلاقى رائع ، ورسم للطريق المستقيم ، وتحديد للعقائد والعبادات ، وبيان الحلال والحرام ، وتقنين للقصاص والعقوبات . فى دستور سماوى دقيق كامل وشامل ، به تستقيم الحياة ، وبدونه لا تستقيم .

وقد كانت الجاهلية قبل نزول القرآن هى السائدة ، وظلت بعد نزوله حيناً من الزمان تصارع الحق ، والحق يصرعها . وكان القرآن آخر كتاب سماوى واف للانسان بكل حاجات زمانه ومكانه وما بعدها من الأزمنة والأمكنة ، بعد أن اجتازت البشرية كل مراحل التقنين والتدرج فى الأخذ بالتطبيق المستطاع لكل تشريع حكيم ، والوصول الى الأصلح والأبقى .

وإذا كان العربى يتكلم العربية فهى لغته ولكن غير العربى إذا تعلم العربية فلأنها جذبته بقوتها ، ولأنه أحس حاجته اليها ، وكأنها الكعبة يحج اليها الناس من كل مكان قريب أو بعيد كلما استطاعوا . فان لم يستطيعوا اتجهوا اليها فى صلاتهم من كل الجهات .

ولا نعدو الصواب إذا قلنا ان بين الدين واللغة العربية صلة تعارف وتعاون وتماسك . ذلك لأن الوسائل ووسائل الوسائل فى العبادات لازمة ، وبدونها لا تتحقق المقاصد ، فلا صلاة بلا طهارة ولا طهارة بلا ماء طهور . كذلك لا صلاة بغير فاتحة الكتاب ، ولا صلاة بفاتحة مترجمة الى لغة أخرى ، لأن لغة القرآن هى اللغة التى لا توجد بلاغتها الا فيها ، ومن غير الممكن أن يترجم القرآن إلى لغة اخرى ترجمة مباشرة تعطي الدلالة التى انفردت بها لغة القرآن .

الحرب

بين الفلسطينيين والصهاينة على جبهة طوابع البريد



صورة اول طابع بريد فى العالم .. بعده تنبه كثيرون إلى أهمية قيمة طوابع البريد كاثر باق



فى طوابع البريد (١٨٦٥-١٩٨١)





القدس على طابع بريد من ضمن الطوابع التى صدرت فيما بين عام ١٨٦٥ وعام ١٩٨١ .. ثم لقطة لموزع بريد عربى فى عام ١٩٠٨ عند عودته إلى يافا بعد جولته الاسبوعية فى القرى المحيطة بها .. ولقطة أخرى لمكتب بريد عثمانى بالقدس عام ١٩١٠ .

.. الرحلة مع الطوابع الفلسطينية ، هى جولة مع فصل من فصول الحرب المتعددة الجبهات بين الفلسطينيين والصهاينة ، وهو فصل يدور على مساحة ضيقة من الورق الملون ، المختوم والموشح ، لكنه مع هذا يتفجر بكل الدلالات الحضارية للصراع بين الحق والقوة ، وبين المقاومة والمؤامرة ، وبين أصحاب التاريخ صناع الأثر ، ولصوص الماضى سراق الوطن ، لذلك حملت الطوابع الفلسطينية بصمات المتآمرين وعرق أصحاب الأرض ، كما حملت عواطف المخلصين ، وتضامن المساندين فى كل انحاء العالم .



إلى أعلى ثلاثة طوابع استعملت فى فلسطين فى فترة الحكم العثمانى (١٨٦٥ ـ ١٩١٨) ويلاحظ أختام القدس والخليل ويافا على الطوابع .. ثم مجموعة من طوابع القنصليات الاجنبية وعليها أختام فلسطينية



طوابع تحمل اسم فلسطين صدرت فى فترة الاحتلال البريطاني (١٩١٨ ـ ١٩٤٨)

كتب : صلاح عيسى

فى عام ١٨٤٠ طالب « بالمرستون » ـ وزير الخارجية البريطانية ـ بمنح فلسطين لليهود ، وقال فى تبرير ذلك ، ان « فلسطين اليهودية ستكون سداً فى وجه أى محاولات شريره لانشاء دولة عربية تضم مصر والشام وتهدد مصالحنا من جديد » .

والمحاولة الشريرة التى يشير إليها الاستعمارى القارح « بالمرستون » هى محاولة محمد علي الكبير التى اسفرت عن انشاء دولة عربية كبرى ضمت مصر والحجاز والشام ، وهددت مصالح الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغيب ـ آنذاك ـ عن ممتلكاتها ، واغلقت السوق العربية فى وجه المصنوعات البريطانية ،

وشلت يد الأسطول الانجليزى فى البحر المتوسط ، ولم تستطع بريطانيا أن تهزمنا إلا بتحالف أوروبى كالتحالف الذى هزم نابليون بونابرت ..

وفى السنة نفسها (١٨٤٠ م) صدر أول طابع بريد فى العالم يحمل صورة الملكة فيكتوريا ، ملكة انجلترا ، مفتتحاً عصراً جديداً فى وسائل الاتصال بين الناس . رمزه تلك القصاصة المربعة أو المستطيلة التى تدل على دفع ثمن معين لنقل رسالة من قرية لأخرى ، ومن مدينة لميناء ومن قارة لقارة ! .

وتدريجياً ، كف العالم عن الطريقة القديمة فى الاتصال عن طريق الحمام الزاجل أو الجمال أو القوافل أو المراكب أو العربات التى تجرها الخيول ، وعرف الناس وسيلة سهلة تمكنهم من التواصل بعضهم بالآخر ، ولا تتطلب منهم إلا شراء هذه القصاصة ، ولصقها على رسائلهم ، فتكون جواز وصول آرائهم وأخبارهم واشواقهم وعواطفهم وقضاء مصالحهم لمن يريدون وفى أى وقت يشاءون ، سواء كانوا فى نفس المدينة أو كان بينهما ما بين خط الاستواء والقطب الشمالى ..

وفيما بعد تنبه كثيرون إلى أن طابع البريد ليس مجرد أداة نفعية تقوم بدور ما



ل مجموعة طوابع حملت اسم فلسطين موشحا

فى تيسير سبل التواصل بينهم ، فتنتهى وظيفتها ، فحين يصبح للأشياء تاريخ ، تصبح هى ذاتها تاريخاً . وتصبح لها قيمة مطلقة غير قيمتها المؤقتة التى تنتهى بأداء دورها النفعى ، وهكذا أصبح طابع البريد موضوعاً لاهتمام الذين يشغفون بالجمال وبالندرة ويشمون رائحة الماضى فى آثاره الباقية أو الدارسة ، ذلك أنه ليس مجرد قصاصة ورق مرسومة أو مكتوبة ، جميلة أو عارية عن الجمال ، لكنه شاهد على ما كان ، وربما على ما سيكون ، تداولته الأيدى فتركت بصمة من ذهبوا ولن يعودوا ، وتركت أيضاً ملامح الماضى وتقاليده وأعرافه ولغته وخطوطه ، بخيره وشره ، بما هو ساذج فيه وما هو مركب ، وما هو بسيط وما هو معقد !

آنذاك نشأت هواية جمع طوابع البريد .. بدأت فردية ، ثم أصبحت لها روابط وجمعيات ومتاحف ومؤتمرات ، صدرت عنها كتب وابحاث ودوريات ، وأصبحت لها علوم وأصول وقواعد للفهرسة وللتصنيف ولقياس الندرة وللتثمين ، ومحطات لاستكمال الناقص من المعلومات ، ولاكتشاف الصحيح من الـــزائف والتبر من التبن . وهى هواية تشـــمل قطاعاً عريضاً من النـــاس ، فى كل انحاء المعمورة : الكبار والصغار والمهتمين بالسياسة وبالفن وبالتاريخ ، وأصبح من السائد بين الآباء أن أضمن وسيلة لكى يثيروا اهتمام أطفالهم بتاريخ أوطانهم وتاريخ كوكبهم هى جمع طوابع البريد !

أعداؤنا وتزوير التاريخ

وهواية جمع الطوابع واحـــدة من الاهتمامات الراقية فى العالم كله اليوم ، وهى غير منتشرة عندنا ، كما هى منتشرة هناك ، فنحن مكدودون بهموم التخلف الزائد والفقر الزائد ، كما نحن مهمومون بالغنى الزائد ، وكثيرون يعتبرون الاهتمام بطوابع البريد ترفاً لا أهمية له ، وإغراقاً فى تفاصيل لم يئن بعد أوانها ، وهو كلام يبدو منطقياً ، لكن عيبه القاتل أنه يتجاهل اننا نغرق فى تفاصيل أقل أهمية من ذلك ، ويتجاهل أن الآثار التاريخية لن تنتظرنا حتى نتخفف من همومنا الكثيرة ، فقد تضيع ، بل بعضها قد ضاع فعلا ، فاذا ما كانت آثار فلسطينية ، فالأرجح أنها إن لم تضع فسوف تسرق ، فالاسراع بجمعها والنشر عنها ليس اغراقاً فى تفاصيل ، فنحن لسنا مطالبين فحسب ، بأن نجعل فلسطين أبجدية كل طفل عربى ـ كما قال ياسر عرفات مرة ـ ولكننا نواجه بأعداء يسرفون فى الانفاق على تزوير التاريخ وسرقة الآثار ، ونسبة كل ما هو « فلسطيني » إليهم ، سواء كانت الأرض أو العادات أو التقاليد بل وحتى الأزياء !

ذلك شىء لم يقله مؤلفو كتاب «فلسطين» فى طوابع البريد : ١٨٦٥ ـ ١٩٨١ » بالوضوح الكافى ، فقد اعتصموا بدرجة عالية من الاكاديمية تشهد لهم بالكفاءة والتمكن والدقة العلمية ، فآثروا أن يخاطبوا العقل لا الوجدان ، ومع أن الكتاب صدر للفتيان ، فقد أعد للباحثين المتخصصين فى طوابع البريد ، فهو مزود بفهارس دقيقة ، تتضمن توصيفاً لكل طابع ، بدءاً من تاريخ اليوم الأول للاصدار ، إلى وصف الطابع وذكر علامته المائية ، إلى عدد الشرشرات ثم رقمه الخاص بدليل ستانلى جيبونز الدولى ، وفئته المالية ، وأخيراً لونه ، فانتقل بذلك من إصدار محلى إلى إصدار عالمى ، ومن كتاب للفتيان ، إلى مرجع للمؤرخين ودليل للهواة المتمكنين ، وحين مزج بين العمل العلمى وبين الالتزام السياسى ، أصبح عملا حضارياً بكل المقاييس ..

والكتاب يضم ٥٢٣ طابعاً ، فى قسمين ، و ١٤٠ خاتماً للبريد ، استخدمت فى فلسطين لختم الطوابع فى قسمه الثالث . وهى جميعاً تروى جانباً من قصة فلسطين ، ففيها بعض ملامح الوطن ، وبعض تاريخه ، ومع أن أغلب الطوابع ـ كما يقول المؤلفون ـ لم تبد مفاتن فلسطين فى أرضها وزرعها وبحرها وإنسانها صاحب الأرض المزروع فيها بل اقتصرت تصميمات مجموعة الطوابع الفلسطينية التى تحمل صوراً على ابراز بعض الرموز الدينية الاسلامية واليهودية ، برغم هذا فان الطوابع فى مجموعها هى مهرجان ألوان ، فهى تضم كل ألوان الطيف ، وكل امتزاجاتها .

ولأن العالم عرف طابع البريد فى نفس السنة التى أعلن فيها « بالمرستون » خطة حكومته لتهويد فلسطين ، فقد جاءت الطوابع التى استخدمت فى فلسطين ، سجلا للمحاولات الاستعمارية لاقتناصها وطمس هويتها ، ودليلا على الصراع الدولى الذى كان يدور بين أعمدة الاستعمار حول وراثة الامبراطورية العثمانية ، وتوزيع تركتة رجل أوروبا المريض ، وأهم ما فى التركة الوطن العربى ، وأثمن ما فيه : فلسطين ..

وفى العام ذاته ـ ١٨٤٠ ـ بدأ البريد المنظم فى فلسطين ، كما بدأ فى مصر ، وفى معظم الأقطار العربية الأخرى التابعة للدولة العثمانية ، لكنه كان بريداً بلا طوابع إذ كان الختم على الرسالة هو الدليل على دفع الرسم المقرر لارسالها ، وحين استخدم طابع البريد لأول مرة فى فلسطين ـ عام ١٨٦٥ ـ ظل خاتم البريد هو رمز فلسطين ، وليس الطابع ، ذلك أن الطوابع التى استخدمت آنذاك ، هى ذاتها طوابع الدولة العثمانية ، تحمل اسمها وعلمها (الهلال والنجمة الخماسية) ولغتها ، وقيمة عملتها لكنها تأخذ فلسطينيتها من الخاتم الذى يطبعه مكتب البريد على الطابع ، حاملا اسم المدينة التى صدر منها ، وقد بدأت مكاتب البريد الفلسطينية بتسع مدن ، هى القدس ونابلس والخليل وغزه ويافا وبيت لحم وطبريه وحيفا ، ثم أصبح عددها فى نهاية القرن الماضى ٢٢ مكتباً .

وأختام ثلاث من هذه المدن ـ القدس ويافا وحيفا ـ هى الدليل على فلسطينية نوع آخر من الطوابع ، هى « طوابع القنصليات » . وهى طوابع أوروبية ، تحمل صوراً لملوك أوروبا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وأثمانا أوروبية ، لكنها كانت صالحة للاستخدام فى فلسطين ، وفى أقطار عربية أخرى بموجب « نظام الامتيازات الأجنبية » الذى أباحت بمقتضاه الدولة العثمانية لدول أوروبا أن تطبق قوانينها على رعاياها ، وأعفت هؤلاء الرعايا من المحاكمة أمام المحاكم العربية ليحاكموا

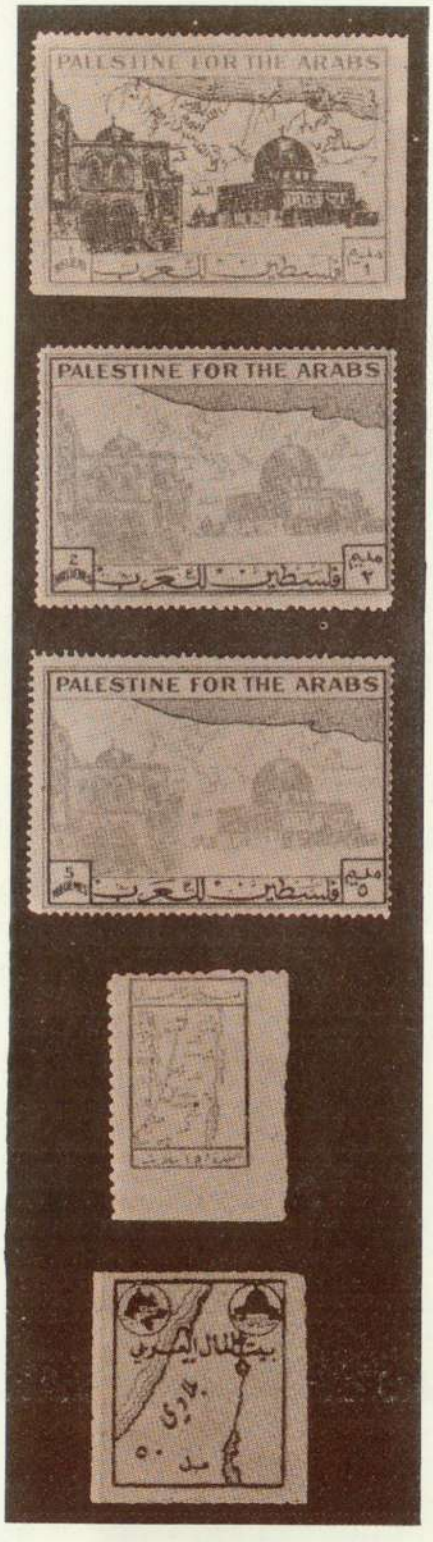
- حكومة الانتداب تسجل وعد بلفور على الطوابع الفلسطينية
- أندر طابع فلسطيني طبع منه ٢٤٠ وحدة ، استخدمت في الدعوة لعرس
- بريد القنصليات الأجنبية يشترك مع الصهاينة في مؤامرة تهويد فلسطين

أمام قناصلهم ، ثم انتزع هؤلاء القناصل لأنفسهم ولرعاياهم عشرات الحقوق بعد ذلك ، بالقوة واستثمار ضعف الدولة ، وكان من بين ما انتزعوه : حق فتح مراكز بريد مستقلة فى القدس ويافا وحيفا لا تخضع للسلطات العثمانية ولا تستخدم الطوابع أو الاختام العثمانية ، بل تستخدم طوابع بلدها واختام قنصلياتها ، وفيما بعد أضافت فرنسا كلمة ليفانت LEVANT أى المشرق إلى طوابعها التى تستخدم فى فلسطين وسوريا ولبنان . واستخدمت روسيا وايطاليا طوابع وشحتها باسم يافا أو القدس ، بينما اكتفت النمسا والمانيا وايطاليا بطبع ثمن الطابع بالعملة العثمانية ..

ولأن امتيازات القنصليات كانت جزءاً من مخطط وراثة التركة العثمانية ، وتوزيعنا نحن العرب على من يعتبرون أنفسهم الورثة ، فقد كانت تستخدم لحماية اليهود ، ولتسهيل استيلائهم على أراضى فلسطين ، فدخل بريد القنصليات طرفاً فى مؤامرة تهويد فلسطين إذ تعاقدت المستوطنات الصهيونية الأولى مع مكاتب البريد القنصلى ، بحيث يقوم المستوطنون بتوزيع بريد القنصليات داخل فلسطين بالمجان ، ويرد هؤلاء لهم الجميل بتوزيع بريدهم فى الخارج وربطهم باهلهم فى الدول الأوروبية التى قدموا منها لينفذوا وصية بالمرستون !

واشتبكت الدولة العثمانية مع القنصليات فى معركة بريدية ضارية ، فخفضت رسوم بريدها إلى النصف ، ثم أصدرت قانوناً يحرم على رعاياها استخدام بريد القنصليات لكنها لم تستطع أن تكسب المعركة ضد البريد القنصلى الا عام ١٩١٤ حين نشبت الحرب الكونية الأولى ، وشاركت فيها تركيا فى صف المانيا ضد الحلفاء ، فالغت استخدام البريد القنصلى فى فلسطين ، وعادت الطوابع العثمانية بالأختام الفلسطينية لتنفرد بالساحة البريدية ..

على أن تركيا لم تنتصر فى الحرب كما انتصرت فى معركة البريد القنصلى ، فاحتل الجنرال اللنبى فلسطين فى عام ١٩١٧ وبدخوله إليها ، رحلت الطوابع العثمانية هى الأخرى ، وأصدرت قوات الاحتلال طوابع زرقاء لاستعمالها كتب عليها « خالص الأجرة » ، وميزت بثلاثة حروف انجليزية هى E - E - F وهى اختصار لعبارة « قوات الحملة المصرية » وهو الاسم الذى أطلقه الجيش البريطانى على قواته فى فلسطين ، وظلت هذه الطوابع صالحة للاستخدام ، حتى وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى ، وانتقلت من الادارة العسكرية إلى الادارة المدنية ، وأصبح على سلطات الأنتداب أن تطبق وعد « بلفور » وأن تعمل على انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » !



طوابع ثورة عام ١٩٣٦

اسم فلسطين لأول مرّة

وحين ظهر اسم « فلسطين » لأول مرة على طابع بريد ، ظهر أولا كتوشيح ، أى بطبعه بالأسود على وجه طوابع « خالص الأجرة » زرقاء اللون ، وقد تم هذا تنفيذاً لأمر أصدره أول مندوب سامى بريطانى صهيونى فى فلسطين وهو هربرت صموئيل . وأثار القرار معركة سياسية وقضائية ، إذ نص الأمر على أن يكتب اسم فلسطين بالانجليزية والعربية والعبرية على التوالى على أن يتبع الاسم بالعبرية ، الحرفان ، (ا - إ) وهما اختصار لكلمتى « إرتز اسرائيل » أى « أرض اسرائيل » ، ليكون فى تلك الاضافة تطبيقاً رمزياً لوعد بلفور !

وثار العرب ، ورفع جمال الحسينى ، سكرتير اللجنة العربية العليا لفلسطين ، قضية ضد الحكومة مطالبا بحذف الحرفين من الطوابع ، لكن المحكمة حكمت بعدم اختصاصها ، وثار العرب مرة ثانية مطالبين بطباعة العربية بحجم أكبر من الكلمتين الانجليزية والعبرية ، لكن الادارة البريطانية لم تسمع لهم ، اذ كان بالمرستون يسكن أذانها ، وهكذا كتبت كلمة فلسطين العربية بعرض ٨ مليمترات ، والانجليزية بعرض ١٤ مليمتراً ونصف ، أما العبرية فكانت بعرض ١٥ مليمتراً .

* * *

وفى عام ١٩٢٧ صدرت أول مجموعة طوابع مصورة ، تحمل اسم فلسطين ، وهى تتالف من ١٤ طابعاً ، وتحمل رسوم أربعة أماكن دينية ، وتكشف عن مؤامرة التهويد التى لم تتوقف ، ويقول المؤلفون أن « التصميمات والفئات المالية قد اختيرت وفقاً لسياسة الانتداب فى ابراز الوجه اليهودى الصهيونى اعلامياً ، وتهويد ما يمكن تهويده» . فالرسوم التى حملتها الطوابع - ورسمها الرسام البريطانى ف . تيلور - تضمنت قبر راحيل - وهو رمز ديني يهودى - و « قلعة القدس - باب العمود » ، وهو



طوابع اصدرتها الحكومات العربية فى دعم قضية فلسطين

الذى يطلق عليه الصهاينة « برج داود » من باب التهويد . اما التصميمان الآخران فيمثلان « قبة الصخرة » فى القـــدس و « جامع مدينة طبريه » . وهكذا اختار الانتداب رمزين إسلاميين ورمزين يهوديين ، وحين تقرر تسعير الطوابع ، اختيرت الأسعار الرخيصة والأكثر شيوعا فى الاستعمال للطوابع اليهودية ، بينما حددت فئات عليا للطابعين الآخرين ، حيث تقل فرص تداولهما .. وقد حملت الطوابع اسم فلسطين بالعربية والانجليزية والعبرية ، واضيف للاسم العبرى الحرفين (أ . إ) .

وكان منطقيا أن تنشب الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة على جبهة الطوابع ، كما نشبت على جبهات أخرى متعددة ، فالفلسطينيون الذين ثاروا ست ثورات عنيفة بين الانتداب واعلان الدولة الصهيونية ، كانوا حريصين على عروبة وطنهم ، ومدركين لخطر التهويد الذى لم يترك شيئا فى فلسطين إلا وحاول سرقته ، لذلك اندفعوا يحاولون إصدار طوابع بريد لا تحمل رموزا عبرية ولا انجليزية ، فاصدروا فى عام ١٩٣٤ طابعا بمناسبة المعرض العربى الثانى ، وفى عام ١٩٣٦ ـ إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ـ صدر طابعان كانا يباعان لجمع التبرعات لرجال المقاومة ، صدر الأول باسم « بيت المال العربى » ـ



طوابع تمثل مأساة اللاجئين بعد اغتصاب الأرض

الجهاز المالى للهيئة العربية العليـــا ـ وصدر الثانى باسم « صندوق الأمة العربى » ـ وهو المؤسسة التى كانت تعمل لانقاذ الأراضى الفلسطينية من الوقوع فى يد الصهاينة ـ وفى عام ١٩٣٨ صدرت أول مجموعة طوابع فلسطينية تحمل شعارات سياسية نضالية ، وقد طبعت فى يافا ، واستخدمت فى المناطق التى كان يسيطر عليها الثوار ، وكانت شعار « فلسطين للعرب » .

وكان العرب أيضا ، حريصين على مساندة الحق الفلسطينى ، فاصدروا منذ العام ١٩٤٥ طوابع بريد تحمل اسم فلسطين ، وقد بدأت بطوابع أصدرتها مصر ثم أصدرت سوريا والأردن والعراق ولبنان طوابع مالية لدعم المقاومة الفلسطينية عام ١٩٤٧ .

وبعد النكبة واعلان الدولة الصهيونية ، اختفى اسم فلسطين من الطوابع التى تستخدم داخل الأرض التى وقعت تحت الاحتلال الصهيونى ، وفى الضفة الغربية لنهر الأردن ـ التى ظلت تحت الادارة الأردنية ـ استخدمت الطوابع الأردنية ، بعد أن وشحت بكلمة « فلسطين » ، ولكن ذلك لم يستمر سوى عامين ، ضمت بعدها الضفة إلى الأردن ، واختفى التوشيح الذى

من حيفا لارسال بطاقات دعوة لحضور عرس ابنها البكر ..

الطوابع فصل من فصول المعركة



اندر طابع فلسطينى باق حتى هذا اليوم .. ثم اندر الأختام الفلسطينية

والرحلة مع الطوابع الفلسطينية هى جولة مع فصل من فصول المعركة المتعددة الجبهات بين الفلسطينيين والصهاينة ، وهو فصل يدور على مساحة ضيقة من الورق الملون ، المختوم والموشح ، لكنه ـ مع هذا ـ يتفجر بكل الدلالات الحضارية للصراع بين الحق والقوة ، وبين المقاومة والمؤامرة ، وبين أصحاب التاريخ ، صناع الأثر ، ولصوص الماضى سراق الوطن ، لذلك حملت الطوابع بصمات المتامرين وعرق أصحاب الحق ، كما حملت عواطف المخلصين وتضامن المساندين فى كل انحاء العالم .

وهى معركة عربية بقدر ما هى فلسطينية وبعض الدليل على ذلك تجده فى تعاون ثلاثة مؤلفين عرب لاصدار هذا الكتاب الجاد الجيد « فلسطين فى طوابع البريد : ١٨٦٥ ـ ١٩٨١ » ، ولد أولهم « د. نبيل علي شعث » فى بير سبع ، ودرس فى دمشق والاسكندرية وامريكا ، وعمل فى القاهرة وبيروت ، وانضم لحركة فتح ، ووسط كل تلك الأعباء ، كان يبحث عن طوابع فلسطين ، يقتنيها ويصنفها ويحاول أن يحمى رائحة الماضى وعطر المستقبل من الضياع . وولدت الثانية « حسناء رضا مكداشى » فى جنوب لبنان ، حيث يبدو الوطن المسروق عبر الحدود ، ودرست فى لندن وعملت فى مركز التخطيط الفلسطينى ، وولد الثالث (محيى الدين اللباد) فى قرية مصرية ، ودرس فى القاهرة ليعطى حياته منذ عشرين عاما لاصدارات الأطفال ، فينشىء مدرسة متميزة فى هذا المجال ، ويرتبط اسمه بكل تجديد عربى فيها ..

.. وتجده أيضا فى تعاون اثنين من دور النشر المتخصصة فى إصدارات الأطفال والفتيان ، وإحداهما لبنانية (دار الفتي العربى) والأخرى مصرية (الورشة التجريبية العربية لكتب الأطفال) ، فى تقديم هذا الفصل من فصول الحرب بين العرب والصهيانة ، للأطفال الفلسطينيين والعرب ، هؤلاء الذين أبدت جولدا مائير مره عن انزعاجها الشديد لانهم يولدون كل صباح !

يحمل اسم فلسطين ، ولكنه ظل قائما على الطوابع المصرية المستخدمة فى غزه ، ولم يختف سوى فترة قصيرة ، أعقبت مؤامرة ١٩٥٦ ، وعاد بعد عودة غزه إلى الادارة المصرية ، ليختفى مرة ثانية بعد عدوان ١٩٦٧ وتختفى معه الطوابع الأردنية المستخدمة فى الضفة الغربية ..

وما بقى من طوابع فلسطين يخضع لمحكات تقيس قيمته على اساس ندرة الأثر ، فالطوابع العثمانية التى استخدمت فى فلسطين بين (١٨٦٥ ـ ١٩١٨) تقاس قيمتها على أساس الأختام ، فالختم الذى يحمل اسم مدينة فلسطينية ، هو الذى يعطى الطابع سمته الفلسطينية ، واكثر الأختام قيمة هى الأختام الفلسطينية المربعة التى تحمل اسماء المدن الفلسطينية خصوصا عكا وغزه ونابلس وطبرية ، وتتمتع الأختام الدائرية ذات اللون الأسود بقيمة عالية جدا من حيث الندرة ، وكذلك أختام المدن الصغيرة كاللد والرملة والخليل والبيرة وبيت جالا ..

واثمن طابع فلسطينى باق حتى الآن ، هو طابع برتقالى اللون ، مائل للاصفرار ، من طوابع « خالص الاجرة » وقد صدر فى ٦ ديسمبر ١٩٢٠ ، من فئة خمسة مليمات ، فهو طابع نادر ومختلف عن أمثاله ، إذ أن المسافة العمودية بين كلمة فلسطين باللغة الانجليزية ، ونفس الكلمة باللغة العبرية هى ٦ ملليمتر فقط بدلا من ٧ ملليمتر ، وهو خطأ لم يحدث سوى فى فرخ واحد من ٢٤٠ طابعا استخدمت معظمها عائلة فلسطينية

« صلاح عيسى »

فـــــيـــــروز

شعر: ناهض الريس



سمعتُ فيروزَ في الصحراءِ فانبجَستْ
عينٌ وأزهَرَ وردٌ رحتُ أقطفُهُ

يا مُخْمَلاً رَفَلَتْ حورُ الجنانِ بهِ
ويا جناحَ فراشاتٍ تُهَفْهِفُهُ

سبقتَني لفؤادي وانسكبتَ بهِ
خمراً حلالاً ، وسراً لستُ أعرفُهُ

لعلَّهُ قمرُ الأقمارِ أو قدر الأقدار
أو جوهرٌ صَعْبٌ تكشّفُهُ

وصوتُ فيروزَ أمادٌ وأجنحةٌ
وكبرياءٌ وجُرْحٌ عزَّ مُسْعِفُهُ

وصوتُ فيروزَ نجوى الريحِ إن هَمَستْ
للياسمينِ بصيفٍ رق مِطْرَفُهُ

وصوتُ فيروزَ رَجْعُ الأرضِ إن غَضِبَتْ
وثارَ بركانُها وانهالَ قاذِفُهُ

وصوتُ فيروزَ أنواءٌ وأشرعةٌ
وشاطىءٌ نَبَتَتْ نخلاً مشارِفُهُ

وصوتُ فيروزَ أنهارٌ وأوديةٌ
وطائرٌ في ذُرى صنّينَ موقفُهُ

وصوتُ فيروزَ جوّادٌ تدفّقُهُ
وصوتُ فيروزَ حنّانٌ تلهّفُهُ

دُرُّ البحارِ خبيءٌ في مجاهِلِها
وصوتُ فيروزَ ذوْبُ الدُرِّ أحرُفُهُ

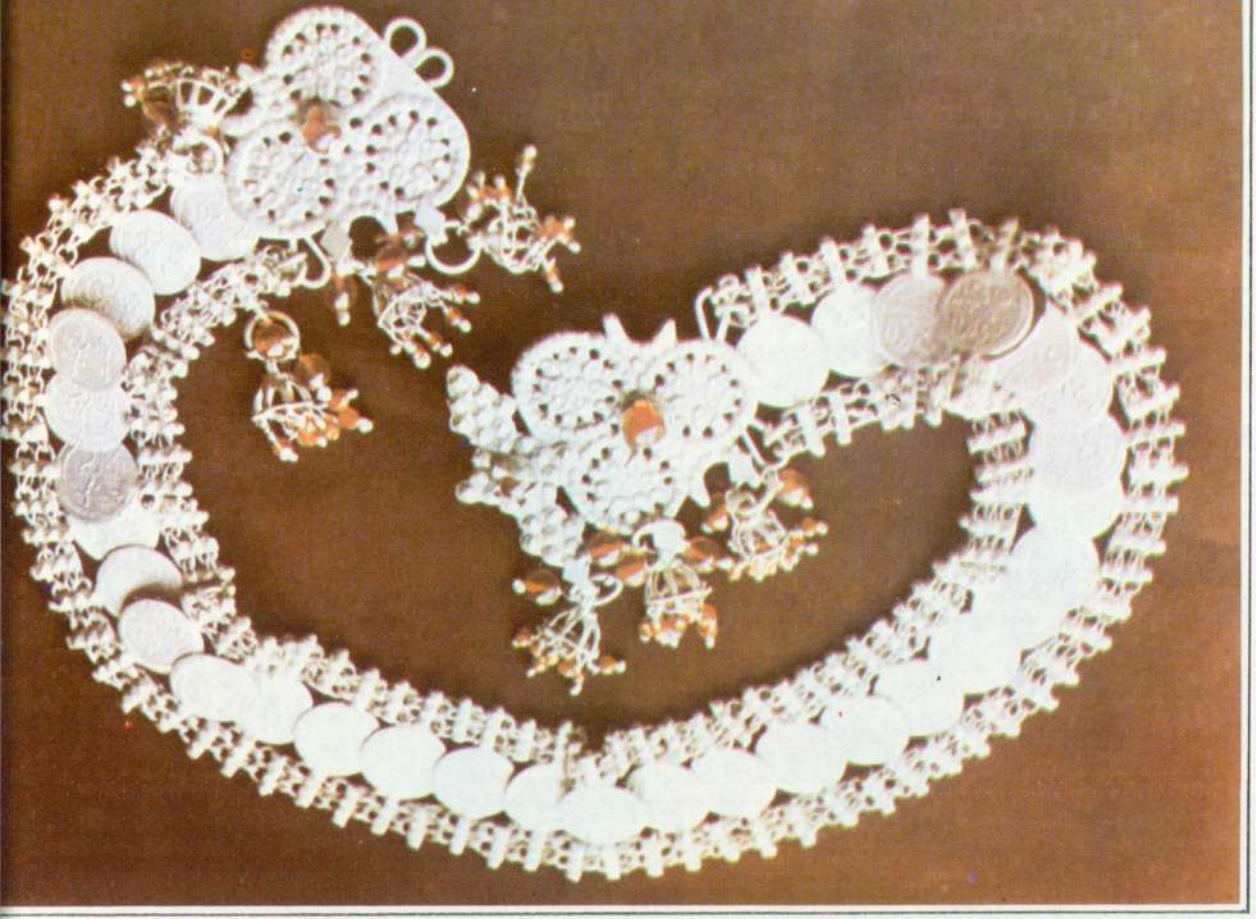
عشِقْتُ في الحِلِّ والترحَال صحبَتَهُ
وهَلْ على القلبِ من ناءٍ يشنِّفُهُ

أعْرى له وهو عارٍ في تأودِهِ
وما بنا حاجةٌ للتوتِ نَخْصِفُهُ

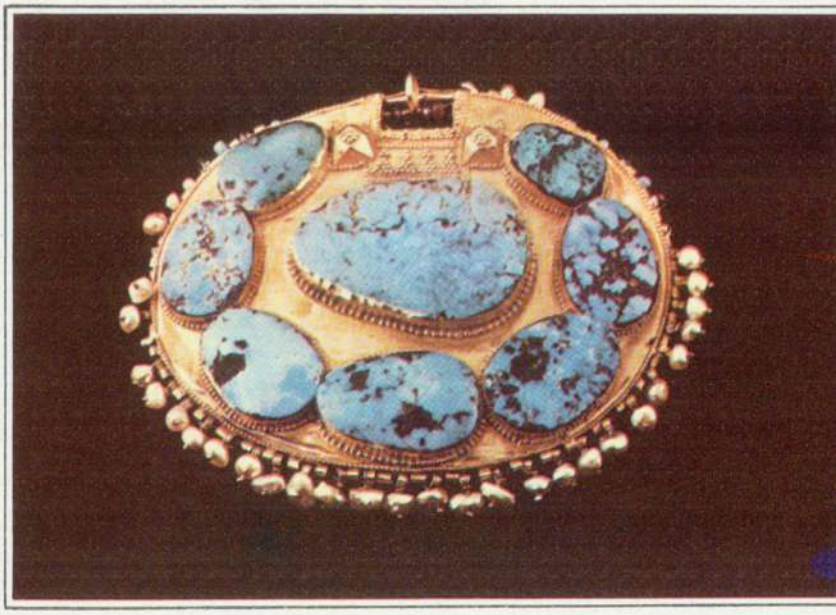
فعُدْتُ طفلاً وعاد الكونُ مؤتلِقاً
وعاد يألَفُني حيناً وألفُهُ

يا أخْتَ لبنانَ أبدعتِ الجمالَ وكَمْ
أجزلْتِ في عالَمٍ جفَّت عواطِفُهُ

لا أبعدَ اللهُ صوتاً ما له عِوَضٌ
ولا بَلابلُ كلِّ الأرض تَخْلُفُهُ



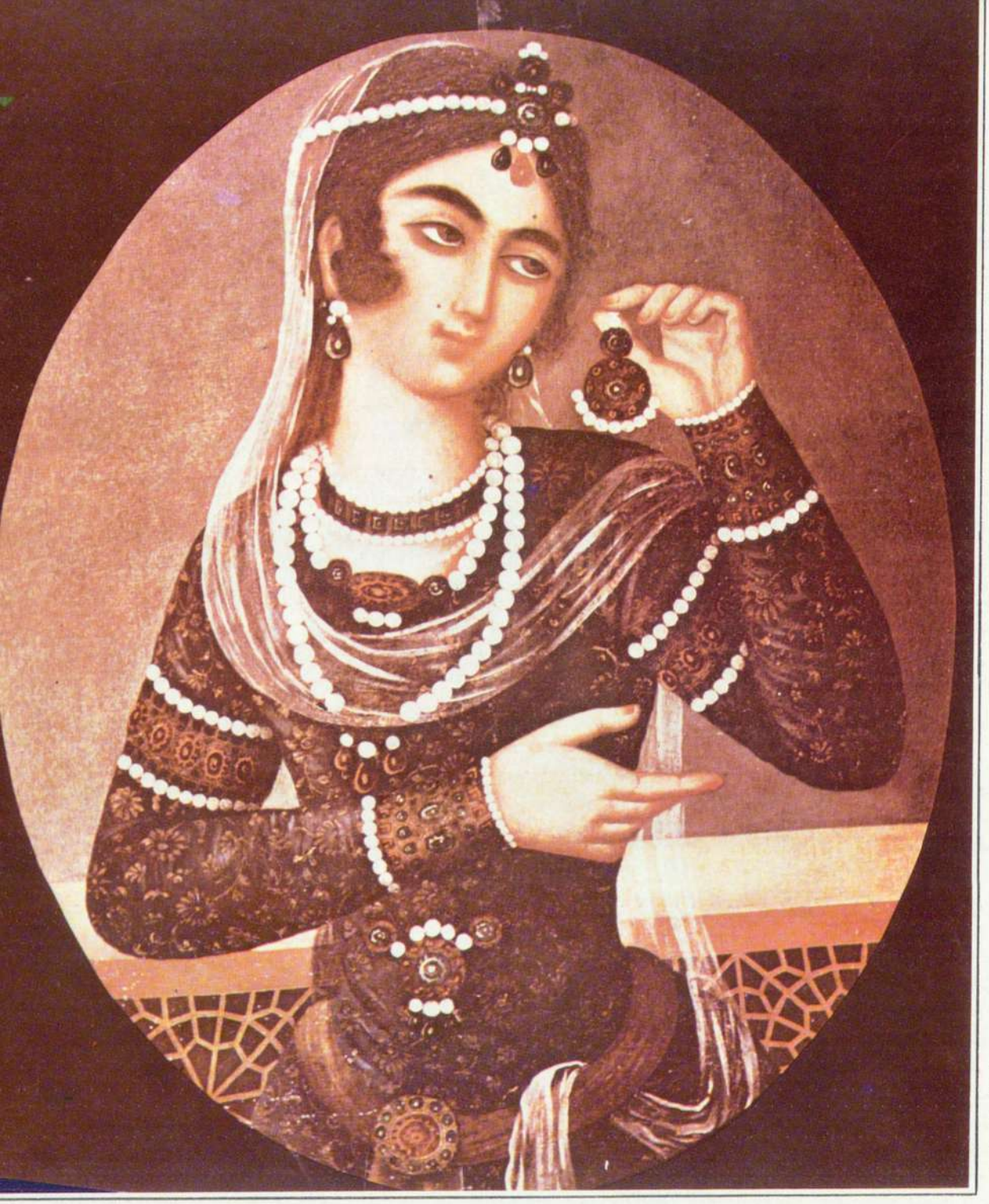
إلى أعلى حزام فضي يجمع بين التصميم الدقيق وروعة استخدام الألوان والأشكال . وقد استخدم فيه البدو في شبه الجزية العربية العملات كوسيلة لاضافة الجمال على هذه القطعة من الحلى . . واللقطة الاخرى للكفة التي توضع فوق الشعر على الجبهة والمزينة باللؤلؤ .



العرب وفن صياغة الحلي

- عندما كانت الأحجار الكريمة والفصوص والخرز تستخدم كعملة للبيع والشراء
- كانت عادة استعارة الحلي من العادات المألوفة عند العرب
- لماذا نشطت حرفة الصياغة والتفنن بالحلي عند أهل اليمن ؟
- كانت المرأة العربية في صدر الإسلام تتزين في بيتها بالذهب وكافة أنواع الحلي
- أكبر سوق قديم للذهب عرفناه عند العرب كان في بغداد ، ومازال قائمًا حتى يومنا هذا

بقلم : نجلاء العَزّي



فتاة هندية تتزين بالحلى النادرة فى القرن الثامن عشر . وأغلب هذه الحلى انتقلت صناعتها وبعض زخارفها الى بعض البلاد العربية

الحلى سبقت الملابس الى الوجـــود ، فالانسان البدائى الأول ومنذ العصـــور الحجرية الموغلة بالقدم ، ومنذ الزمن الذى كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له ، تعلم من الطبيعة التحلى والتزيين ، فقد جذب نظره ما لبعض الحيوانات والنباتات من زينة طبيعية تختلف عن غيرها وعن جنسها بالوانها البراقة واشكالها المتميزة دفعتـه الى محاكاتها ، هذا سبب وهنالك سبب آخر للحلى ، الا وهو جعلها رمزا للقوة والغلبة على الطبيعة التى حوله (بيئته) ، كان يتحلى بأسنان الذئب للدلالة على قتله أو بأنياب الفيل للدلالة على سيطرته على الحيوانات القوية فى محيطه .

وبتطور المجتمع البدائى الأول وتحول الانسان من صياد جامع للقوت الى فلاح منتج للقوت وبتركه الكهوف ونزوله الى السهول والبوادى فى تجمعات قبلية زراعية ادت الى تكون القرى ومن ثم المدن ونشوء الدويلات ثم الدولة والأديان وبزوغ الحضارات الأولى ، تطورت تبعا لذلك الحلى وذلك نتيجة لظهور حاجات جديدة أصبح للحلى فيها بواعث ووظائف أخرى غير تقليد الطبيعة ومحاكاتها ، منها معان سحرية ودلائل اسطورية ورمزية وعلامات حـ ـبوية ولجملة هذه الأسباب المتعددة أصبح لها أشكال وعلامات مميزة ، فمنها ما اختص بالكهنة ومنها ما اختص بالمحاربين والصيادين والقادة والفرسان والملوك والوزراء وغيرهم من حاجات ومظاهر المجتمعات الجديدة .

وهذا التطور فى المجتمـع ادى إلى نشوء اسباب أخرى للحلى غير ما ذكرنا انفا ، فقد



مجموعة كاملة من الحلى كانت ترتديها نساء قبائل البربر في شمال أفريقيا .

أصبح التحلى يدل على الثروة والامتلاك ، كأن تلبس الأطواق الفضية للدلالة على امتلاك عدد معين من قطعان الماشية مثلا ، أو قلادة من خرز للدلالة على عدد الثيران فى البيت الواحد وهكذا ..

كما أن تطور الدولة جعل من الحلى دلالة على المركز الذى يشغله الشخص ، كان يلبس الملك تاجاً ويلبس القائد اكليلا والكاهن نطاقاً ، وكل له زخرفة معينة ترمز اليه ، وحتى نساؤهم أيضاً لهن حلية خاصة تلبسها المرأة للدلالة على مركز زوجها .

ولكن أهم سبب فى تطور الحلى وتحولها من رمز لشىء معين الى حلية تجميلية هو التجارة والمال ، فان اكتشاف المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة وتهافت الناس على اقتنائها والمحافظة عليها وذلك لقيمتها الكبيرة التى قدرها لها الانسان ، أدى الى استنباط وسائل جديدة لاظهارها واستخدامها وحملها ونقلها بسهولة

هذا اضافة الى أن التجارة جعلت من الحلى عملة ومقياساً للتبادل والتعامل التجارى فى البيع والشراء ، وذلك قبل ايجاد العملات والسكة والنقود بوقت طويل حيث استخدمت الخرز والفصوص من الأحجار الكريمة والأصداف والمحار مثلا كعملة للبيع والشراء ، واستمرت هذه الطريقة حتى بعد ايجاد العملات ، سارية فى القرن التاسع عشر فى بعض المجتمعات البدائية فى غابات أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

حلى الزينة

هذا ولم تقتصر حلى العالم القديم على النساء دون الرجال أو اختص بها فئات مجتمع دون آخر ، فقد لبس الانسان الأول الحلى رجالا ونساء ، فقد كان المحاربون الاشوريون على سبيل المثال ، وكذلك الرومان يلبسون الأسورة والأقراط والأخزمة والقلائد ، وكذلك الفلاحون والملوك والكهنة على حد سواء ، والاختلاف يكون فى مادتها أو شكلها ، اما الاقتصار على جنس أو فئة واحدة فلم يكن وارداً اطلاقاً .

وهكذا نرى ان الحلى كانت قد لعبت دوراً كبيراً وهاماً فى حياة شعوب العالم القديم وذلك لعدم اقتصارها على الزينة .

هذا وما زالت الحلى تلعب دوراً كبيراً فى التزيين فى عصرنا هذا ، وصدد بحثنا هو حلى الزينة فقط .

العرب وصياغة المعادن

وبعد ان استعرضنا الحلى عبر العصور لابد وأن نمر على الحلى العربية الاسلامية بشىء من التفصيل .

يعرف العرب الحلى هى : « كل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة » . وهى صلب الموضوع وعنوانه ، فان المرأة العربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام كانت قد عرفت التزين بالحلى فى الجاهلية ، وهى نفس الحلى التى كانت سائدة فى حضارات شبه جزيرة العرب القديمة الجنوبية من سبأ ومعين وحمير ، والشمالية كالمناذرة والغساسنة ومدائن صالح وعمان والبحرين وهذه الحلى هى التى كانت سائدة بمختلف تأثيرات أساليب فنون العالم القديم المعروفة . ولما كانت مكة قبل الاسلام مركزاً للقاء العرب الشماليين والجنوبيين ، دينياً واقتصادياً ، فقد انتقلت وتبودلت الأساليب والصناعات والفنون ، لذلك فقد امتزجت فيها الحضارات ، فكانت حلى شبه الجزيرة العربية فيها بعض التأثيرات الساسانية والبيزنطية وكذلك الحلى البيزنطية والساسانية قد تأثرت بدورها أيضاً عن هذا الطريق ، لكن التأثير الكبير يكون فى الحضارة السائدة لكل منطقة من مناطق شبه جزيرة العرب . ولما كانت حضارات العالم القديم قد قامت وزناً كبيراً للحلى فمن الطبيعى أيضاً أن تقيم حضارة العرب الجاهلية وزناً كبيراً للحلى فأولتها عناية كبيرة وتفنن الصاغة بها وعرفتها المرأة العربية ولها فيها تقاليد وعادات كأن يقال للمرأة التى لا حلى عليها (امرأة عاطل) أو (عطل) ، والمرأة التى عليها حلى يقال عنها (امرأة حال) . أما صوت الحلى فيسمى : (الوسواس) كما يطلق على رؤوس الحلى لفظة (الخشل) وقيل أيضاً أن الخشل يعنى مجموع الحلى وكانت عادة استعارة الحلى فى المناسبات عادة جارية وشائعة فمثلا أن والد هند ، عتبة بن ربيعة ، استعار حلياً من بنى ابى الحقيق ، مقابل رهن لمدة شهر وذلك عند زواجها من أبى سفيان بن حرب . واذا لم تجد المرأة حلياً تلبسها فانها تنظم عقوداً من الخرز وتلبسها حرصاً على الزينة والتحلى بغض النظر عن مادتها .

هذا وقد عرفت الصياغة كحرفة شائعة ، وكانت أهم أعمال الصائغ عند الجاهليين هو صياغة المعادن والحجارة للزينة ، اضافة الى ذلك فقد كان يعمل الصائغ الأوانى الذهبية والفضية وبعض قطع الأثاث المعدنية ، فقد ذكر أن السبايين كانوا يستعملون فى بيوتهم أدوات وأوان من الذهب والفضة . وصلنا منها قطع قليلة متآكلة

العرب.. وفن صياغة الحلي

هذا وقد اشتهر « بنو قينقاع » فى مدينة يثرب باجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها

والصائغ عند العرب هو من يحترف فن الصياغة . وصاغ الشيء من باب قال وهو (صائغ) فى اللهجة العربية الشمالية ، « وصياغ » فى لغة أهل الحجاز ، وعمله الصياغة ، أى صياغة كل ما يتزين به من الذهب أو الفضة وتطعيمها بالأحجار الكريمة . وقد ذكر الشاعر النابغة الذبيانى الصائغ فى بعض أبياته منها :

لعن الله ثم ثنى بلعن
ربذة الصـــــائغ الجبان

كما كان مساعدو الصائغ والصناع الذين يشتغلون عنده يدعون (بالتلاميذ) .

انتقال الأساليب الفنية

وما وصلنا من حلى شبه جزيرة العرب قليل جداً لكن يمكن دراسته وتكوين فكرة عنه ، حيث وصلتنا بعض الحلى القتبانية من اليمن ، وكذلك من المناذرة والغساسنة ، مما أمكن تكوين فكرة عنها . ولما كانت الحلى من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير فى اسلوبها وطرازها ، فلاشك أنه كان لحضارات العرب القديمة أسلوبها وطرازها خاصة البعيدة منها كاليمن التى لها طراز خاص بهـا ولو كان فيه بعض التأثيرات البيزنطية والساسانية ، ولكنه تأثير قليل لا يمكن تمييزه بسهولة ، اضافة ما كان فى اليمن من ثروات ومعادن كمناجم الذهب والفضة ، وما كان لها من تجارة نشيطة عبر البحر الى أفريقيا والهند وشرق آسيا حيث تجلب المعادن الثمينة وتنقل عن طريقها الى شبه جزيرة العرب ومنها الى سورية وأرض ما بين النهرين (العراق) وفارس وغيرها من دول العالم المعروفة قبل الاسلام ، كل ذلك أدى الى نشـــاط حرفة الصياغة والتفنن بالحلى .

هذا ولم تتأثر حضارات شبه جزيرة العرب القديمة بالطرز الساسانيـــــة والبيزنطية الا فى فترة متأخرة سبقت الاسلام بقليل بعد أن تعرضت للغزو من الفرس ، ولما كانت حرفة الصياغة وفنها قائم على المعادن فقد تبدلت تبدلا طفيفاً كما أن الحلى الساسانية كانت قد تأثرت بدورها الى حد ما بالحلى اليمانية وذلك بسبب ما فى بلاد اليمن من كنوز وحضارة قديمة وموقع جغرافى هام للتبادل التجارى . فانتقلت الأساليب الفنية من اليمن بعد أن عمت شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربى وشرق الجزيرة وشمالها حيث المناذرة والغساسنة الذين نقلوا التأثيرات اليمنية الى الفنـــــون الساسانية ، لاننا نلاحظ تبدلا واختلافاً فى



امرأة ترتدى عقداً فى عنقها . هذا ما وجدناه فى كتاب الكواكب الثابتة الذى ألفه « الصوفى » فى القرن الرابع الهجرى .

الفنون الزخرفية الفارسية عامة من العصر الفرثى الى العصر الساسانى بسبب قربه من شبه جزيرة العرب .

الحلى فى الاسلام

ولما جاء الاسلام وتبدل مجتمع شبه الجزيرة العربية ديانة ونظاماً ، ومن ثم توسعت الدولة الاسلامية فعمت أرجاء كبيرة خارج شبه جزيرة العرب ، وضمت تحت لوائها مختلف الجنسيات من فرس وهنود وروم وغيرهم ، انصهرت تبعاً لذلك الفنون العربية الاسلامية فى هذه البوتقة وانتجت فناً اسلامياً له أسلوبه وطرازه الخاص ، وهذا الفن بمختلف فروعه أصله عربى من شبه جزيرة العرب خاصة اليمن وفرعه مزيج وصل الى أوروبا غرباً والصين شرقاً والاتحاد السوفيتى شمالا (الذى كان يعرف ببلاد ما وراء النهر فى العصـــــور الاسلامية) . والى اليوم مازالت تلك السمة القديمة تطبع الفنون الزخرفية الاسلامية عامة بحيث يمكن تمييزها من النظرة الأولى لما لها من شخصية نقلت اليها من العصور الاسلامية .

وتبعاً لذلك فقد تأثرت الفنون الزخرفية عادة كلها بالدين والنظام الجديدين مادياً وفنياً ، ولما كانت الحلى من الفنون الزخرفية فلابد وان تكون قد تأثرت بذلك وفقاً لما نفصله تالياً : أن الدين الاسلامى لم يحرم الزينة . والزينة فى الاسلام هى :

« تحسين الشيء بغيره ، من لبسة أو حلية ، أو تحسين الهيئة بوسائل أخرى» .

ولما كانت المرأة العربية تتزين بأمور الزينة التي كانت سائدة في شبه جزيرة العرب والتي عرفت بغنى مادتها ووفرتها وتنوعها وحيث لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر لتحريم التحلي . فقد ذكرت لفظة (حلية) فى صورة فاطر الآية ١٢ . (وتستخرجون حلية تلبسونها) . وكذلك فى صورة الرعد الآية ١٧ بقوله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع) . لذلك فان لبس الحلي ذهبية كانت أم فضية لم يحرم فى الاسلام ، وكل ما كان هو نهى ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة ، والنهى اقتصر على لبس الرجال للذهب واقتصاره على النساء فقط كقوله صلى الله عليه وسلم :

«الحرير والذهب حرامان على رجال أمتى ، حل لاناثها»

وقد أحل النبى صلى الله عليه وسلم لرجال المسلمين التحلي بالفضة فقط ، كقوله :

«عليكم بالفضة فالعبوا بها» . كما تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نادى امامة بنت ابى العاص ، وهى حفيدة النبى من ابنته زينب . وأعطاها خاتماً ذهبياً به فص حبشى كان قد أهداه له النجاشى ، قائلا لها : «تحلي بهذا يا بنية» .

هذا ولن أعرض للأحاديث التى يظهر فيها المغالاة والتناقض الواضحين ، وذلك لأن أغلب كتب تفسير الأحاديث الفقهية ، والكتب المؤلفة لدراستها تبين أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى رجال المسلمين عن لبس الذهب فقط وأباح لهم لبس الفضة ، ومازال هذا العرف جارياً الى يومنا هذا عند المسلمين . هذا بغض النظر عن الخروج عن هذه القاعدة وذلك فى الاسراف والمغالاة بابراز مظاهر الثروة عبر بعض الفترات فى العصور الاسلامية .

هذا وتفسر معظم كتب تفسير الأحاديث ، أن سبب إباحة التحلى بالذهب للنساء فقط ، هو أنه لا يخرج عن كونه : (الرغبة فى التجمل والظهور بالمظهر الحسن أمام الزوج) .

واضافة الى الرأى السالف الذكر فان لنا رأياً قائماً على دراسة حلي العصور السابقة للاسلام ، فقد لاحظنا أن الرجال فى العصور الفارسية والبيزنطية والرومانية . وهى الفترة التى سبقت وعاصرت الاسلام ، كانوا يسرفون فى التزين بالحلى الذهبية والأحجار الكريمة ، وقد امدتنا الحفريات الأثرية والنصب التذكارية بأمثلة عديدة من تماثيل وأشكال تمثل ملوك ووزراء وقادة وكتبة وغيرهم ، تبين الاسراف فى التزيين والتحلى ، كتماثيل مدينة



لوحة من معرض العالم الاسلامي الذي قدمه المتحف البريطاني في عام ١٩٧٦ .. ويبدو فيها رجال يستخدمون الحلي .

العرب.. وفن صياغة الحلي

الحضر والحيرة واليمن وحضرموت وفي تدمر والمدائن (طيسفون) عاصمة الساسانيين في العراق ، أمثلة لا حصر لها من الزينات الرجالية بالمجوهرات والأحجار الكريمة .

ولما جاء الدين الاسلامي بعقيدة جديدة تقوم على أساس تغيير المجتمع تغييراً جذرياً قائم على دين سماوي عظيم ، فلكي يكون رجال هذا الدين على قدر الدين المنزل ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن انشغال رجال الدين المسلمين في بداية الدعوة ونشوء الدولة الاسلامية ، بالذهب والتهالك على اقتنائه واكتنازه قد يسبب الفرقة ويولد البغضاء والحسد في صفوف رجال الأمة الواحدة لأنهم كانوا بالنسبة الى الدين الجديد سواسية كأسنان المشط لافضل لواحد على الآخر إلا بالتقوى ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل انشغال رجال الدين الاسلامي بأمور الدعوة الأولى ، لذلك فقد صرف أنظارهم عن الذهب وما يأتي من بعده من مشاكل هم في غنى عنها ، لذلك أبلح للنساء التحلي بالذهب والفضة وكل أمور الزينة السائدة ، وإباحته الفضة للرجال يرجع الى أن الفضة أرخص ثمناً من الذهب والحصول عليه متيسر . وقد استمر الالتزام بالتقشف طوال العصر الاسلامي الأول في عهد الخلفاء الراشدين . أما في العصر الأموي الذي تلاه فقد وردتنا أخبار عن ظهور بوادر الترف وقد تكون بعض هذه الأخبار مبالغ فيها ، منها ما قيل عن الوليد ابن يزيد الذي أغرم بلبس العقود حيث كان يغيرها في اليوم الواحد كما يغير الثوب . ولكن من المؤكد أن الحلي اقتصرت على النساء كما أنها تطورت وظهرت فيها أنواع جديدة لم تكن معروفة بصدر الاسلام ، وذلك نتيجة للفتوحات واتساع الدولة الاسلامية وانتشار حضارة الجزيرة العربية واختلاطها بما حولها .

أسواق الصاغة

أما في العصر العباسي فقد زادت العناية بالحلي وأصبحت مظهر أمن مظاهر الترف والثروة ، وقد أمدتنا الكتب التاريخية بأخبار الحلي التي تمتلكها زوجات الخلفاء وجواريهم وأوصافها وأثمانها وأعدادها بشكل يبدو أقرب الى الخيال منه الى الواقع ، وذلك لعدم وصول قطع مادية منها حيث لم تمدنا الحفائر الأثرية إلا بقطع قليلة لا تقارن بما جاء في الكتب ، ولكن من ناحية أخرى فان ما ورد من الكتب المصورة والمزوقات والمنمنمات والرسوم الجدارية في قصور سامراء والفسطاط والحيرة يعتبر أمثلة جيدة لقطع الحلي بحيث يمكن أخذ صورة واضحة عن أشكالها وتكوين فكرة عنها .

وتذكر المصادر العربية أنه كان ببغداد سوق كبيرة يعرف بـ«سوق الصاغة» ومازال موضعه الى يومنا هذا في بغداد ، كما يوجد مثله في مختلف الحواضر الاسلامية كدمشق وحلب واسطنبول والقاهرة ومدن شمال افريقيا كالقيروان وفاس ومكناس ومدن الأندلس كغرناطة وقرطبة واشبيليا كلها على نمط واحد حيث لها أبواب تغلق ليلا ويحفرها حراس . هذا كما تذكر المصادر العربية أيضاً وجود أسواق خاصة للجواهر فيها بكاكين داخلها أقفاص تحفظ الجواهر والأحجار الكريمة . كما كان للصاغة نقيب يسمى (عريف الصياغ) ، هذا وكان معظم أرباب السوق من أهل الذمة وهذه عادة ظلت متبعة منذ الجاهلية حيث تنبه اليهود الى ما للذهب والصيرفة من قيمة مادية كبيرة استغلوها لأغراض السيطرة على اقتصاد المدينة ، ولما انصرف رجال الدين الاسلامي في صدر الاسلام الى الفتوحات والجهاد لتثبيت أركان الدولة الاسلامية الناشئة تركوا الحرف والاشتغال بها لأهل المدينة ، ولما كانت الحرف والصناعات تقليدية متوارثة أبا عن جد ، فقد ظلت كذلك حتى في العصور الأموية والعباسية ثم انتشرت بين المسلمين أيضاً وصار منهم محترفون يتهافت الناس على اقتناء منتجاتهم في مختلف الصناعات وليس الحلي فقط .

أشهر الأنواع

ونود أن نشير الى أن ما وصل الينا من الحلي الاسلامية ، قطع قليلة ونادرة موزعة على مختلف المتاحف العربية والعالمية ، نخص بالذكر منها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، والمتحف العراقي ببغداد والمتحف البريطاني ، ومتاحف أخرى موزعة في أوربا الغربية والشرقية ، وكذلك في البلاد العربية والاسلامية وفي تركيا كمتحف طوب قابي سراي في اسطنبول ، والمتحف الوطني للفن الايراني في طهران ، اضافة الى ذلك ما أوردته الكتب المزوقة كمقامات الحريري ، والمنمنمات الهندية والفارسية الاسلامية والرسوم الجدارية في قصر الحمراء بغرناطة وقصر عمره في الأردن .

ونلاحظ أن ما وصل الينا من الحلي الاسلامية في العصور المتأخرة كالعثمانية ، هي كثيرة ويطغى عليها طراز واحد وذلك لكونها من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير كما ذكرنا سابقاً .

أما أشكال وأنواع الحلي التي كانت معروفة في مختلف العصور الاسلامية فهي :

أولا : حلي العنق والجيد والصدر :

● النظم : ـ والنظام عند العرب هو كل شيء منظوم بخيط ، وقد عرفته المرأة العربية منذ العصر الجاهلي ، وهو أبسط أنواع الحلي لأنها تعمل باليد ، وتتنوع مادة الخرز ، والنظم من الأحجار والقواقع الى اللؤلؤ والمرجان والعقيق وفي ذلك يقول

النابغة الذبياني :

أخذ العـــذارى عقدها فنظمنه
من لـــؤلـــؤ متتـــــابع متسردا

وكانت الفتيات تنظمه مع الجدائل أو تعقده حول الجبين ، ومن المؤكد ان هذه الطريقة البسيطة فى الحلى استمرت مدة طويلة على مدى العصور الاسلامية كافة ، فقد وردتنا أمثلة مرسومة لفتيات من قصور سامراء يضعن على رأسهن النظام وفى أمثلة أخرى تلبسها الفتيات فى الرقبة أو فى اليـــد .

● القلائد : والقلادة فى اللغة ، لفظة عامة ، تطلق على أمور كثيرة ، فقـــد كان الجاهليون يستعملونها للهدى والنذور وهى ليست موضوعنا ، كما كانت تلبس فى العنق فى الزينة وكانت تعمل صياغة عند الصائغ

ثانياً : حلى اليدين :

● الأسورة : السوار لفظه فارسية معربة اصلها (ستوار) . ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « جنات عدن يدخلون يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وكان العرب فى الجاهلية يحبون لبسها خاصة المحاربين منهم للتباهى بها ايام الحرب

وكانت تلبسها النساء والرجال على حـــد سواء .

● الخواتم : الخاتم من عمل وصنع الصائغ . وهو من حلى الاصابع . ويزين بالحجارة الكريمة ، وفى الغالب يرصـــع بالياقوت والالماس والشذر ، وهناك الخاتم الذى يستعمل للختم اى التوقيع وهو ليس للزينة وكان يصنع من الشبه أو الصفر أو الحديد وله أشكال عليها كتابات ورموز وصور معينة بغرض التوقيع . وكان خاتم رسول الله صلى الله عنيه وسلم من حديد ملوى عليه فضة .

ثالثاً : حلى الرأس :

● التـــاج : وهو شبه عصابة مكللة بالجوهر . وهو الاكليل أيضاً ، لكنه يصاغ من الذهب ويرصع بالجواهر والأحجار الكريمة وقد عرفته العرب منذ العصـــــور الجاهلية ولكنه كان رمزاً للملوكهم ، وقد تركه الخلفاء المسلمون ولبسوا العمائم بدله . ولكن المرأة العربية الاسلامية ومنذ العصر الأموى ، اتخذته حلية تلبسه فى رأسها حيث كان الصائغ يصوغه على أساس انه زينة وحلية من حلى الرأس . وكان يصاغ من الذهب وله أشكال مختلفة وردتنا رسومها منذ العصر الأموى .

● العصائب : وهى حلية تشد على الجبين واصلها أن علية بنت المهدى كان فى جبينها عيب فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر به بعض جبينها ، فتبعتها كثير من النساء .

● النظم : وقد ذكرناها فى حلى العنق لكنها فى الرأس تكون بشكل أو خيط أو خيطين من اللؤلؤ يربط على الجبهة أو يشد مع الشعر .

● الأمشاط الذهبية : وكانت الأمشاط الذهبية تثبت في الشعر كحلية اما على جانب الجبهة أو على الجانبين معاً وتمسك الشعر ، ولكنها كانت تزين بصف أو صفين من الأحجار الكريمة .

● الزنانير : والشائع عن الزنار انه يشد على الخصر ، ولكن وردنا نوع منها يشد على الطره « الغرة » ، ويحيط بالرأس مثل العصابة ، ويزين اما بالكتابة عليه بماء الذهب أو يرصع بالاحجار الكريمة . ونوع اخر منها يشبك فى الازار (الباس) ، لكى يمسكه ويمنعه من السقوط وذلك بشـــكل « مشبك » أو « كلاب » معـــدنى لم يكن بالضرورة من الذهب . وقد وصلنا من رسوم مدينة سامراء الحضارية أمثلة عديدة لهذا النوع من الزينة .

رابعاً : حلي الاذن :

● الأقراط : القرط هو الحلية التى تعلق بشحمة الاذن . وهى عادة شائعة منذ العصر الساساني أخذها العرب ولبسها رجالهم ونساؤهم . وقد تغنن العرب بها ، وضربوا بها الأمثال كقولهم : « بعيدة مهوى القرط » اى ان جيدها طويل ودلايتها التى تنزل من القرط هى المهوى سواء كانت درة أو ثومة أو فص أو معلاق من ذهب . والأقراط تلبسها النساء والرجال أيضاً فى الجاهلية وهناك الأقراط التى تتدلى منها اللالىء الكثيرة والتى كانت منتشرة فى العصر الساسانى وظلت مستمرة حتى العصر الأموى عند العرب

● الشنوف : وما يتعلق بحلى الاذن هناك « الشنوف » . وهى الحلية التى تعلق أعلى الأذن وتعمل من الذهب أو الفضة . واستمرت هذه الحلية سارية حتى عصور متأخرة والى يومنا هذا بين الحلى الهندية حيث تفننوا بها كثيراً وزينوهـــا باللالىء والياقوت الأحمر .

خامساً : حلى القـــدم :

● الخلاخيل : تقتصر حلى القدم على الخلاخيل . وكانت لفظة الخلخال تطلق على كل ما يلبس من حلى عامة . لكنها فيما بعد اقتصرت على ما يلبس فى الساق . والخلخال هو « الحجل » ويصاغ من الذهب أو الفضة ويصنع منه أشكال غليظة بواسطة النفخ ويحشى بالقار كما تحشى الأسورة لكى يبدو ضخماً ، ومنه تتدلى أجراس أو سلاسل أو كرات تصدر صوتاً عند المشى وقد كان من أقدم أشكال الزينة عند شعوب الشرق الأدنى القديمة ، فقد ورد ذكره فى التوراة وقد نهى الاسلام عن التبختر بلبس الخلاخيل لما فيه من اثارة للرجال .

سادساً : حلى الخصر : وتقتصر حلى الخصر على :

● المناطق : وهى الأحزمة المصنوعة من الذهب والفضة . مكونة من نطاق معدنى مقسم الى جامات زخرفية هندسية الشكل مرصعة بالجواهر الكريمة تتوسطه طرة وله قفل يفتحه . وصلنا نماذج منه مرسومة فقط من قصور سامراء .

وهناك أحزمة مصـــــنوعة بطريقـــة « الحياصة » تسمى كذلك لأنها تستعمل فيها اسلاك ذهبية تحاك أو تبرم بشكل نسيج الكتان

وهناك « البريم » وهو خيطان أحمر وأبيض مزينان بالجوهر يشد على الوسط ويعقد . كما هناك خيط واحد مكون من سلسلة من الفصوص المتتابعة أو الخرز المنظومة يعقد على الخصر وجد على رسوم قصير عمره .

وفى الختام نود ان نشير الى ما له علاقة بالحلى وهى لفظة (الجمان) وهى خرز من الفضة يصوغها الصائغ على هيئة اللؤلؤ . وكذلك لفظة (الزخرف) وتعنى النقوش المموهة بالذهب أو انه الذهب نفسه .



الخلخال .. كان وسيلة للزينة عند المرأة

نجـــلاء العـــزّي

كاتبة دانمركية تثير هذه القضية الإنسانية

مواطن إفريقي يجد في الموت كل أحلامه في الحرّية!

كانت حكاية الفتى الكينى «كيتوش» حديث الصحف أيام الاستعمار البريطانى لكينيا مما جعل منها قضية نظرت أمام المحكمة العليا وانيط بهيئة المحلفين ـ وكلهم من البيض ـ تجميع خيوط القضية وتنوير المحكمة بكل ما تستطيع الحصول عليه من تفاصيل خدمة للعدالة .

ومن الأصوب أن نترك الكاتبة الدنمركية صاحبة احدى مزارع البن فى المستعمرة البريطانية والمقيمة هناك من ١٩١٣ الى ١٩٣١ تسرد لنا تفاصيل القضية كما دونت فى مذكراتها :

كان الفتى « كيتوش » من المواطنين يعمل فى خدمة مستوطن شاب من البيض فى « مولو » فى منطقة البن فى كينيا . وفى يوم أربعاء من شهر يونيو اعار المستوطن الشاب مهرته السوداء الجميلة ذات الغرة البيضاء الى صديق (أبيض طبعاً) ليصل بها الى محطة السكة الحديد حيث يأخذ القطار . وأرسل فى اثره غلامه « كيتوش » راجلا ليعيد المهرة الى مقرها وأمره بعدم ركوبها والاكتفاء بقيادتها .. ولكن الغلام امتطى صهوة المهرة واطلق لها العنان تسابق الريح .

وفى يوم السبت جاء من ينبىء الشاب الأبيض بجرم غلامه الأسود .. جلد الغلام جلداً مبرحاً بالسياط ووثق بالحبال والقى به فى مستودع العلف . وفى ساعة متأخرة من ليل ذلك اليوم لحق الغلام التعس بالرفيق الأعلى .

وفى الفاتح من شهر أغسطس شكلت محكمة عليا للنظر فى القضية . وفى رأى المواطنين الذين تجمعوا فى بهو مبنى المحكمة أن القضية واضحة ولا تحتاج الى كبير عناء اذ أن الأمر لا يتعدى دفع تعويض نقدى بسيط لأهل الغلام المتوفى .. وكان الله يحب المحسنين .

ولكن يبدو أن فكرة العدالة فى أوربا تختلف عنها فى افريقيا . وامام المحلفين ـ وهم البيض ـ طرحت مسالة الذنب ـ والبراءة أو بعبارة أخرى : هل المتهم مذنب أو غير مذنب ؟

ومن الناحية القانونية فان القضية لا تخرج من دائرة القتل العمد .. القتل غير المتعمد .. تسبيب الأذى الجسيم . ولكن القاضى فاجأ الحاضرين باشارته الى المحلفين بالا ينسوا .. أن درجة الجرم تعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج ، يعنى انما الأعمال بالنيات ، اليس كذلك ؟ ولمعرفة نية الشاب الأبيض (المتهم) جرى استجوابه ساعات طويلة ولعدة أيام .

ذكر المتهم ـ فيما بعد ـ أنه عندما استدعى الغلام « كيتوش » حضر ووقف بين يديه .. على بعد ثلاث ياردات منه فقط . ثلاث « ياردات » ؟ ! وهذه هى الطامة الكبرى ـ نظر حضرات المحلفين البيض ـ اذ كيف يجرؤ أسود على ان يمثل امام سيده الأبيض واقفاً .. اكرر واقفاً وعلى بعد ثلاث ياردات ؟ بدلا من أن يكون راكعاً والتراب يمرغ جبينه ! يا لوقاحة السود وسوء أدبهم ! !

ومنذ تلك اللحظة ـ وتفاصيل القضية تتواتر ـ اهتزت الصورة .. صورة المستوطن الأبيض كانها مقصوصة من صحيفة حملها الريح والقى بها فى مستقر القمامة .

وذكر المستوطن الأبيض (المتهم) انه سأل الغلام عمن أعطاه إذناً بركوب المهرة . وكرر عليه خمسين مرة أو يزيد ولم يرد « كيتوش » .. وفي النهاية صرخ قائلا : « لست لصاً » . وهذا الرد الوقح ـ « كما يراه » المتهم الأبيض ـ هو الذى دعا إلى جلده بالسياط ذلك الجلد الذى أدى الى موته . ولكن الأكثر وقاحة أن اثنين من البيض من أصدقاء المتهم كانا حاضرين « حفلة » الجلد بالسياط وكانا فى غاية الاستمتاع .. ولم يكتف السيد الأبيض بذلك بل أمر من اوثقوه بالحبال والقوا به فى غياهب مستودع العلف ! ولما ساله المحلفون عن الداعى لمثل هذا العمل أجاب بكل صفاقة ـ انه خشى ان ينطلق الغلام ـ بدافع الانتقام ـ فى ارجاء المزرعة يعبث فيها فساداً !

وذكر المتهم أنه ذهب الى مستودع الغلام ـ بعد العشاء ـ ليجد « كيتوش » مغمى عليه فى مكان يبعد قليلا عن المكان الذى قد تركه فيه .. والوثاق مفكوكاً . فاستدعى خادمين من خدمه فاعادا الوثاق أشد احكاماً هذه المرة وترك الخادمين فى حراسة الغلام الأفريقى المنكود ولكن ما كاد يستلقى على فراشه حتى جاء أحد الخادمين ليبلغه أن الغلام قد فارق الحياة .

والطريف المحزن أن هيئة المحلفين لم تنس ما اشار اليه القاضى من « أن درجة الجرم تتوقف وتعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج » وهرولت الهيئة الموقرة لاهثة وراء النيات !

قال الطبيب الشرعى : أن المتوفى مات نتيجة الضرب المبرح ولكن الطبيب

بقلم : قيلى أحمَد عمر
الخرطوم



النفسى الذى استدعته المحكمة قال ان الوفاة قد حدثت لأن المتوفى هو الذى نوى الموت وأراده وأصر عليه . وذكر ان تجاربه العديدة فى المستعمرات اقنعته قناعة تامة بأن الافريقى ـ اى افريقى ـ اذا اراد الموت واصر عليه فلابد ان يستجيب القدر !

وأخذت المحكمة برأى الطبيب النفسى وبرأت ساحة المتهم وبررت جلد الغلام بالسياط بأن القصد منه كان التاديب !

وهكذا اثبت القاضى الأبيض انه ـ استغفر الله ـ اعلم بالسرائر واعلم بنية « كيتوش » الذى لم يمهله القدر ليفصح عنها .. النيات تبرىء القاتل وتجرم المقتول .

تقول الكاتبة الدنمركية : ان من يطلع على هذه القضية بتفاصيلها الموجودة بين الوثائق البريطانية التى افرج عنها منذ زمن قريب ، سوف يصل الى قناعة لاشك فيها من ان « كيتوش » الفتى الكينى ، رائد فلسفة ـ ورغم انفه ـ تقول بأن المواطن الافريقى .. الذى حرم من كل انواع الحريات استطاع رغم الظروف ان يملك حرية واحدة فريدة .. هى حرية ان يغادر هذا العالم الظالم فى أى وقت وبمحض ارادته وبكل شموخ .. انه هو الذى ينوى الموت ويصر عليه فيتحقق ما نوى ودون أمر ممن يملكون اصدار الأوامر . انها المرة الوحيدة الفريدة التى يستطيع فيها ـ مع سبق الاصرار ـ ان يفعل بنفسه ما يشاء .. وبيده لا بيد السيد الأبيض !!



دوحة القراء

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف ●●●●

(صورة ١)



دولة تتكون من أربع جزر رئيسية ، تجمع فى خليط مدهش بين القديم والحديث .. تشتهر بصناعة الآلات ، كما تعد ثانى دولة منتجة للسيارات فى العالم ، وتحقق أرباحاً خيالية فى مجال تكرير البترول وإنتاج البتروكيماويات ، وقد أقيمت بها دورة للألعاب الأوليمبية عام ١٩٦٤ ..

هل يمكنك التعرف على اسم هذه الدولة ؟

صورة (٢)

ولد بالبصرة حوالى عام ٧٧٥م ، وتوفى بها عام ٨٦٨م ، كان عالماً فى اللغة العربية وآدابها، كما كان فيلسوفاً ، أكثر من السفر ، ومزج بين العلم والأدب فى كتاباته .. ومن أهم مؤلفاته كتاب «الحيوان» الذى أوضح فيه الفلسفة والأصول التى سار عليها ابتغاء تحرى الحقيقة والاستعانة بالعقل والحواس ..

ترى مـن هـــو ؟



مسابقة الدوحة

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٤



يوجد متحف الشمع بلندن ومؤسسته هى «مدام توسو» .

أسماء الفائزين :

ـ جلال أحمد صالح ـ اليمن .

ـ طلال أحمد الشيزاوى ـ رأس الخيمة



الكاتب العالمى «تولستوي» .

أسماء الفائزين :

ـ يسرى شماع ـ جنيف .

ـ عبد الحميد محمد العراقى ـ السودان .

كلمات لها معنى

ـ لا تسأل الانسان ماذا كسب بل اسأله ماذا وهب . (غاندى)

ـ لكى تتقى حقد الناس كن قاسيا على نفسك كريما معهم (كونفوشيوس)

ـ هذا الرجل يقول كل الحقيقة لذلك فهو لايجد من يصدقه أو ينصت إليه . (لنكولن)

ـ لست أسفا الا لأنى لا أملك الا حياة واحدة أضحى بها فى سبيل الوطن (شيشرون)

ـ عندما يجيبك الفيلسوف فأنك لا تفهم ماذا سألته . (اندرية جيد)

ـ ان وقوفى لحظة فى قفص الاتهام وأنا برىء ينسينى ألف كتاب قرأته عن الحرية . (فولتير)

ـ ما هو الشباب وما هو الجمال إذا كانا يخفيان وراءهما نفســـــا عليلة . (بلزاك)

ـ ليس من الصعب أن تضحى من أجل صديق ولكن أن تجد الصديق الذى يستحق هذه التضحية . (سقراط)

ـ من البكتيريا المفيد والضار كذلك الانسان . (باستير)

محمد أمين عيسوى الاسماعلية

قبل أن يصل للجبن



دخل أشعب وكان مشهورا بالبخل الى دكان ليشترى مصيدة فئران فأراه البائع مصيدة ، وراح يشرح له طريقة استخدامها قائلا :

ـ تضع قطعة الجبن فيدخل الفأر المصيدة ، وما أن يقضم قطعة الجبن حتى يطبق عليه فخ المصيدة .

وهنا قاطعه أشعب قائلا :

ـ لا .. لا .. أريدها مصيدة يموت فيها الفأر قبل أن يصل الى الجبن .

مروان دروبى ـ ســـوريا

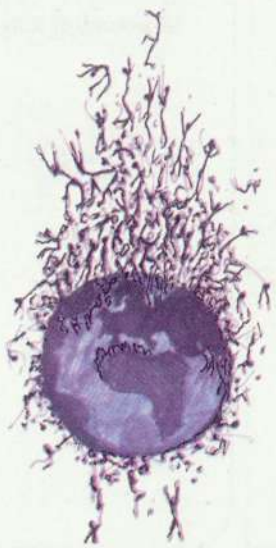
لقطة الشهر



فى انتظار الطعام

فازت بجائزة وقدرها مائة ريال القارئة : سميرة فؤاد محمود ـ القاهرة .

الانفـــجـــار الســـكانى



ازداد عدد سكان العالم زيادة مضطردة منذ فجر عصر النهضة الصناعية عام ١٧٥٠م ، وقد ظهرت إحصائية تبين هذه الزيادة كالآتي :

فى الخمسين سنة الأولى زاد سكان العالم ١٧٨ مليون نسمة ، وفى الخمسين الثانية زادوا ٢٦٥ مليونا ، وفى الخمسين الثالثة زادوا ٤٣٧ مليونا ، وفى الخمسين الرابعة ارتفعت الزيادة الى ٩٠٣ مليونا وذلك حتى عام ١٩٥٠م .

أما بين سنتي ١٩٥٠, ١٩٧٠ فقد زاد سكان العالم ١١٣٣ مليون نسمة ، ووصل عدد سكان الكرة الأرضية الى ٣٦٠٠ مليون نسمة .

ومن المتوقع أن يصل هذا العدد الى ٥٠٠٠ مليون عام ١٩٨٥ ثم ٨٠٠٠ مليون عام ٢٠٠٠م وهذا الانفجار السكانى لازال مستمرا .

نور الدين يعقوب
المطوية ـ قابس ـ تونس

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

من : جاسوس صهيونى استطاع أن يصل الى بطانة القمة فى احدى الدول العربية . اكتشف أمره صدفة محضة وشنق . اسمه من كلمتين فى تسعة أحرف .

٨ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٩ يرضخ ولا يتصلب

٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ١ ـ ٥ ـ يحبك

أين ؟

أين : العاصمة العربية التى اكتشف فيها رجال الأمن المصريون أمر ذلك الجاسوس اسمها من أربعة أحرف .

٣ ـ ٢ ـ عرف رائحة الشيء

٤ ـ ١ قوام

ما ؟

مـ : الجهاز الذى كان يتبعه ذلك الجاسوس والذى يعتبر من أخطر الأجهزة ضد العروبة والاسلام . اسمه من سبعة أحرف .

٦ ـ ٢ ـ ١ ـ ٥ ـ ٧ ـ سيد الغاب

٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٤ حركة مسيحية ثورية إفريقية .

الإجابة الصحيحة

١ ـ عدد صور القرآن الكريم هو :
١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٤ سورة .

٢ ـ النباتات التالية منها ثلاثة تعطى صبغاً أحمر :
العنم ـ الورس ـ الزعفران ـ الحناء ـ الورد ـ الشيح .

٣ ـ التقويم الذى تسمى فيه الشهور باسماء توت ، وبابة هاتور ، الخ الخ هو التقويم :
الفينيقى ـ الفرعوني ـ الهندى

٤ ـ « يصنع الفللين من مخلفات صناعة الديناميت » هل هذه العبارة صحيحة

٥ ـ الديناصورات الضخمة التى انقرضت منذ أكثر من مائة مليون سنة كانت فى جملتها من عائلات :
الزواحف ـ الثدييات ـ الأسماك .

٦ ـ كل حلم أتى بغير اقتدار ... أكمل هذا البيت وانسبه الى قائله .

٧ ـ كان كمال اتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية يسمى :
البومة السوداء ـ الذئب الأغبر ـ اليهودى التائه .

٨ ـ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) هذا الحديث مأثور عن :
سيدنا محمد ـ سيدنا المسيح سيدنا موسى صلى الله عليهم جميعاً وسلم .

٩ ـ رتب الأنهار العربية الثالية من الأطول إلى الأقصر :
الليطانى ـ الدجلة ـ النيل ـ شط العرب .

١٠ ـ نصير الصهيونية العتيد ورئيس وزراء بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية المستر ونستون تشرشل توفى سنة
١٩٤٥ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ م

حل مسابقة العدد ٧٤

من : التتار .
أين : منغوليا .
ما : الفرات .

الاجابة الصحيحة .

١ ـ ٣ سبتمبر .

٢ ـ ليست صحيحة علمياً ، إذ أن قطر الأرض عند خط الاستواء أطول منه بين القطبين .

٣ ـ يهودياً .

٤ ـ ١١٨٧ م .

٥ ـ ١٣٤ م .

٦ ـ سر . من . رأى .

٧ ـ ودمع لايكفكف يادمشق أمير الشعراء أحمد شوقى بمناسبة كفاح السوريين ضد الفرنسيين

٨ ـ العناصر الفلزية .

٩ ـ الحواريون .

١٠ ـ عمان .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ ارسم مع روود

الحل : قبة الصخرة

الفائز : خضر أحمد محمد بدر ـ جبل الحسين ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

٢ ـ دورى الكاريكاتير :

الحل : اللاعب رقم (٨) .

الفائز : حوسا بو شعيب ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

٣ ـ يخلق من الشبه أربعين .

الحل : الصورة رقم (٤) .

الفائز : عادل أحمد الشقيرى ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : محمد أحمد محمد على ـ ج.م.ع ـ قنا ـ دار المعلمين .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عدنان حسن صالح ـ الكويت ـ خيطان ـ ثانوية أنس بن مالك .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : ملك الحاج حامد ـ المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة ـ ص.ب. ٢٨٩٢

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ـ	عدنان محمد اسعد الشحرى	قطر
٢ـ	عبد الرزاق الجزار	العراق
٣ـ	ابراهيم أحمد المسافر	عمان
٤ـ	ضياء أحمد البيتم	سوريا
٥ـ	صلاح عبد الحميد نصار	الأردن
٦ـ	عبد العزيز شاهين المضحكى	البحرين
٧ـ	قرشى أحمد عجبنا النابر	السودان
٨ـ	محمد العربى صالح	تونس
٩ـ	على ضرغام عبد الرحمن	لبنان
١٠ـ	سناء عبد الجبار على	العراق
١١ـ	حاتم أمين أحمد الجمل	ج.م.ع.
١٢ـ	مراد عبد الهادى	الأردن

٤ ـ أجمل تعليق .
الحل : نتركه فى المدرسة نجده هنا ؟
الفائز : محمد أحمد محمود عثمان ج . م . ع السويس .

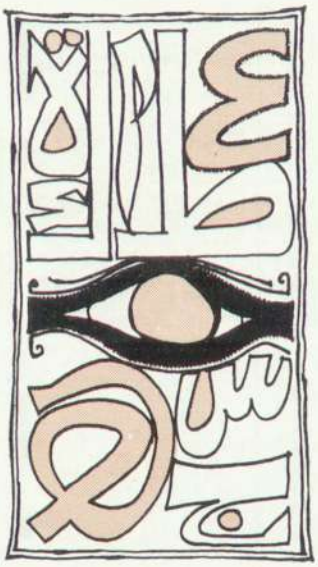
٥ ـ لوحة لم تتم
الحل : الفنانة أم كلثوم .
الفائز : جمعة عبد الحق ـ فيينا ـ النمسا .

٦ ـ خيال من
الحل : الفنان الكوميدى اللبنانى شوشو
الفائز : محمد باسل حريرى ـ حلب ـ سوريا

من براعة اللغة العربية

من براعة اللغة العربية أن لكل طريقة فى النظر اسما خاصا فاذا نظر الانسان الى الشىء بمجامع عينيه : قيل له : (رمقه) ، فاذا نظر اليه من جانب أذنه قيل له : (لحظه) ، أما إذا نظر بعجلة قيل له : (لمح) ، فاذا رمى ببصره مع حدة قيل : (حدجه) بطرفه ، وفى حديث ابن مسعود « حدث القوم ما حدجوك بابصارهم » أما إذا نظر الى غيره بشدة وحدة قيل له : (رشقه) ، وفى حديث الشعبى أنه كره أن يسف الرجل نظره الى أمه وأخته وابنته ، أى لا ينظر اليهن بشدة وحدة ، فاذا اشتملت النظرة على عداوة قيل : (نظرة شزر) ، وإذا نظر الشخص الى كتاب ليهذبه أو يستكشف صحته قيل له : (تصفحه) ، فاذا صاحب النظر شدة فتح العين يسمى (حدق) ، فاذا غاب سواد العين من الفزع يقال : (برق البصر) ، واذا نظر الانسان الى آخر بعين المحبة والعطف قيل نظر اليه (نظرة ذى علق) واذا رفع الانسان الثوب ونشره فى النور لينظر صفافته قيل له : (استشفه) فاذا نظر الانسان الى شىء بسرعة ثم خفى عنه قيل (لاح) ، قال الشاعر :

لاح منهـــا حاجب للنـــاظرين
فبـــدت للعين وضـــاح الجبين



سعد الكنفانى ـ شبين الكوم

أشعّة وصلت إلى سطح القمر!

ما معنى أشعة الليزر ؟ ..

معناها أن حزمة ضوئية ضيقة تسير فيها جميع الموجات الضوئية فى استقامة يوازى بعضها بعضاً ، وتستطيع هذه الحزمة الضوئية أن تقطع مسافات عظيمة دون أن تتبدد ، ولذلك يمكن تركيزها بقدرة عالية فى بؤرة معينة ..

وهكذا يمكن لاشعاع الليزر أن يسلط قدرة ألف مليون واط على سنتيمتر مربع واحد ، وبهذه الطريقة أمكن إرسال شعاع الليزر عام ١٩٦٣ إلى سطح القمر على سبيل التجربة ..

وشعاع الليزر اكتشف عام ١٩٦٠ بواسطة العالم الأمريكى « ثيومايهان » ومنذ ذلك الحين أصبح أداة مهمة لفائدة البشر فاستعمل فى العلاج ، كما استخدمه رجال الصناعة ، وكان ـ كذلك ـ أحدث الوسائل المستخدمة فى تطوير المعارك الحربية .

محمد المصمودى ـ تونس



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

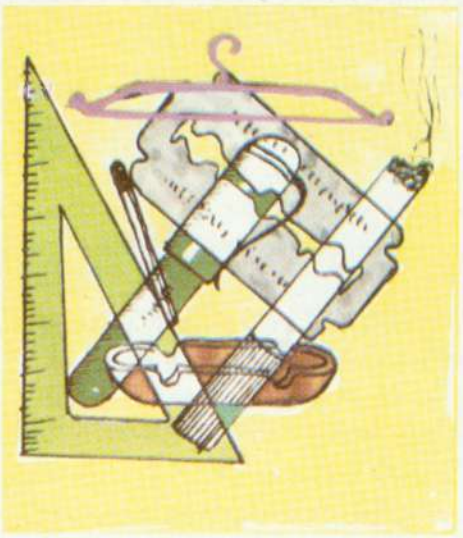
رووف

أصل وصورة



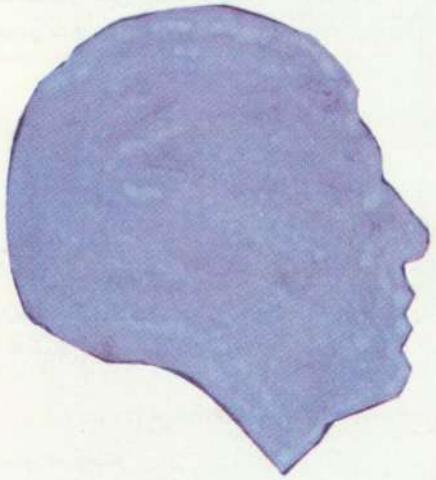
هناك سبعة اختلافات بين أصل وصورة الاديب الفرنسي العالمي جان بول سارتر .. هل تستطيع التعرف عليها .. ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لسبعة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ إذا عرفت ارسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال مع العلم بانه لفنان كبير ؟ حاول وارسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريال) ..

هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) ..

بالماكياج



دخلت هذه الفنانة غرفة الماكياج .. وخرجت منها على هذا الشكل لتؤدي دور « الجوكندا » ..أشهر لوحات الفنان ليوناردو دافنشي .. هل تستطيع ان تتعرف على هذه الفنانة العربية .. اذا عرفتها .. ارسل الحل الينا .. وقد يسعدك الحظ بجائز (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا)

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لأديب عالمي كبير اشتهر بسخريته اللاذعة ..

حاول أن تكمل خطوطها حتى تتعرف على شخصيته .. ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

الشعر ومستقبله

بقلم : الدكتور علي حسن تقي

هل غادر الشعراء من متردم ؟ هكذا تساءل عنترة بن شداد قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يكن قد مضى على الشعر العربى الا عشرات الأعوام . فماذا يمكننا أن نقول اليوم وقد مر عليه أكثر من ألف وخمسمائة سنة . ثم ماذا يمكننا أن نقول اذا نظرنا الى الشعر العالمى كله منذ أسطورة كلكامش والالياذة وحتى يومنا هذا ؟ هل ترك الشعراء موضوعاً لم يطرقوه ؟ ألم يستعمل الشعراء جميع الأساليب الممكنة ؟

إذن هل للشعر مستقبل ؟ أم أنه استوفى كل مواضيعه وأساليبه ولم تعد هناك حاجة الى شعراء جدد ؟

إن ردنا على هذا التساؤل هو أن للشعر مستقبلا مشرقاً وأن الحاجة الى الشعراء ستكون قائمة دائماً كما كانت . فمن ناحية مواضيع الشعر فانها تتجدد يومياً مع تجدد الحياة وفى كل يوم يبرز لنا موضوع جديد أو يضاف شيء ما الى موضوع قائم بحيث لا يصل الموضوع إلى نهاية أو إلى اكتمال . فمن ناحية واحدة نجد أن العلم وابتكاراته واختراعاته واكتشافاته ليس لها حدود . ومن ناحية أخرى تتطور الفنون والآداب فى كل يوم وهذا يعطى للشعر مادة دسمة لا حدود لها .

وحتى لو قلنا أن هذه الابتكارات وهذه الاكتشافات لا تزيد فى مواضيع الشعر شيئاً كبيراً فان الشعراء الآن وفى المستقبل يمكنهم أن يطرقوا نفس المواضيع بأشكال مختلفة فيأتى شعرهم جميلا وأصيلا . فلو افترضنا أن المواضيع محدودة وهذا أمر خاطىء فان الاسلوب الذى يعالج به الشاعر موضوعه غير محدود لأن الأسلوب على اللغة واللغة محيط واسع لا نهاية له ولا حدود . ومن جهة أخرى فان الشاعر يستطيع أن يعتمد على حياته وتجربته وذلك أمر ليس له حدود أيضاً . فليس فى العالم منذ ابتداء الخليقة وحتى الآن شاعران لهما نفس التجربة والحياة . كل فرد يختلف عن الآخر فى حياته وفى مشاعره وتجاربه . وكل تجربة تستحق التسجيل وكل شعور هو حرى بأن يعبر عنه .

فى « رسالة الى شاعر شاب » ينصح رينر ماريا ركله الشاعر بالرجوع الى طفولته والغوص فى تجاربه آنذاك للحصول على مادة للشعر . فكم هى غنية تلك الحقبة من حياة الانسان . نبع عميق ومعين لا ينضب هى تلك التجارب والذكريات . فلو غاص كل شاعر وغرف من ذلك النبع فان الشعر لن يعرف أية حدود .

يعتقد بعض الأدباء وغيرهم بأن هناك علاقة بين الشعر والرياضيات ، ونحن نوافق على هذا الرأى . على الأقل فى أمر واحد يهمنا . فالرياضيات تعتمد على الأرقام فهى تركب الأرقام فى معادلات وهذا التركيب وهذه المعادلات ليس لها نهاية . كذلك الشعر فانه يعتمد على الكلمات وتركيب الكلمات وتنسيقها ومعادلاتها ليس لها نهاية هى الأخرى .

إذن فان للشعر مستقبلا زاخراً . فالتطور العام للمجتمعات يفتح أمام الشعر آفاقاً لا تحد ، والنفس البشرية بكل تعقيداتها وغناها تشكل معيناً مستمراً للشعراء . فما تم اكتشافه فى العلوم حتى الآن لا يشكل الا شيئاً بسيطاً بالنسبة لما يحمله المستقبل والتطور فى العلاقات الانسانية وعلاقات المجتمعات بعضها ببعض ليست الا فى بداية الطريق .

فى كل يوم يكتشف الانسان ناحية جديدة من عالمه وكونه وفى كل يوم يتضح للانسان جانب جديد من حياته ونفسه مما يزيد الحياة إخصاباً وغنى . والانسان هو الشعر والشعر هو الانسان فما دام الانسان فى حركة دائبة ومتجددة فكذلك الشعر . لذلك فاننا لا نبالغ حين نعلن أن ما وصلنا إليه حتى الآن ليس نهاية وانما بداية وأن أمام الانسان وشعره مستقبلا غنياً سيزيد فيه ازدهاره وزخمه .

علي حسن تقي – باريس



إرو عَطشَكَ مَع

تيم



راعيـــــة الغنـــــم .. للفنان القطري: محمد الجيـــده